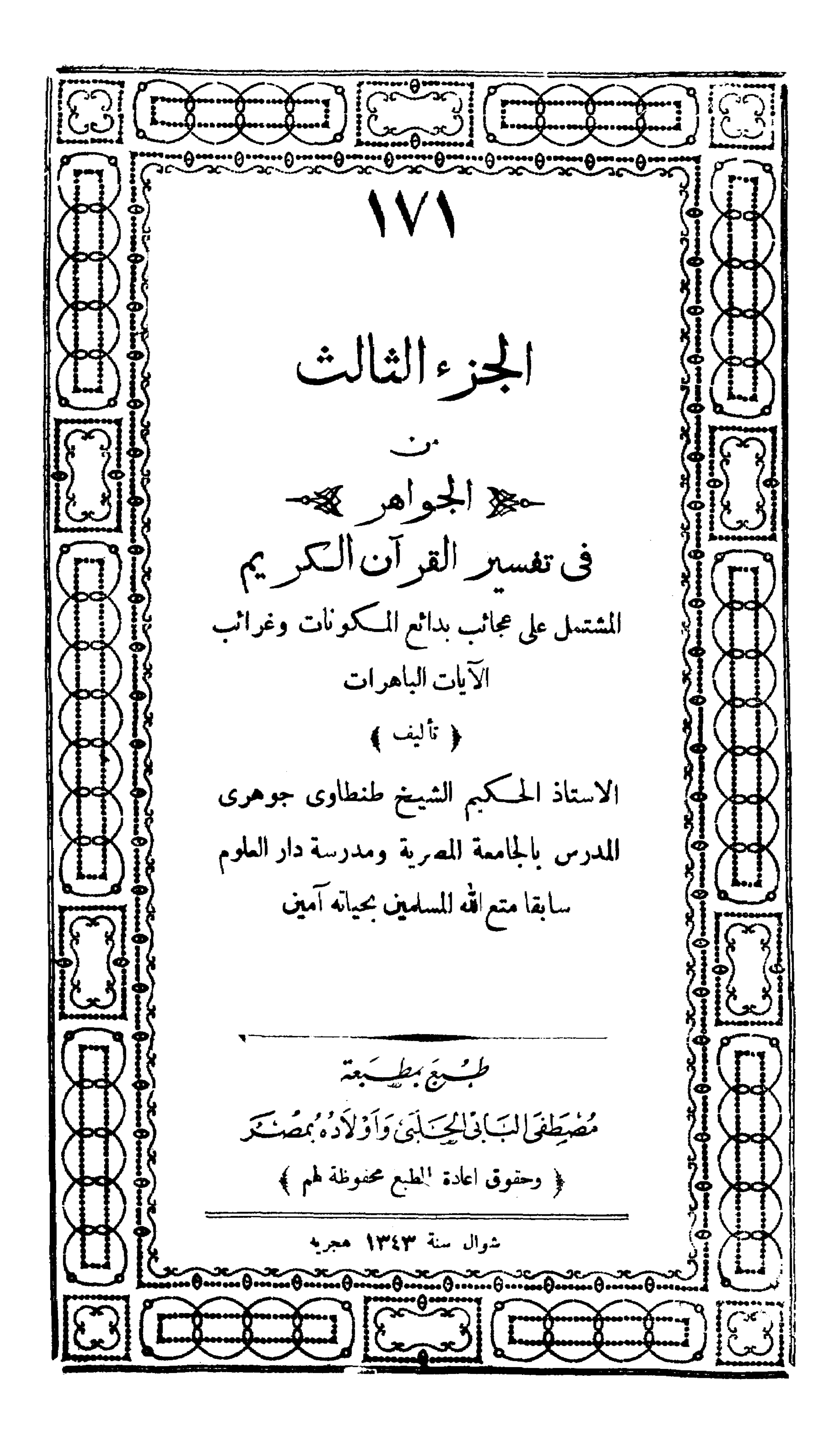


١٧١

الجزء الثالث

من

الجواهر

فى تفسير القرآن الكريم

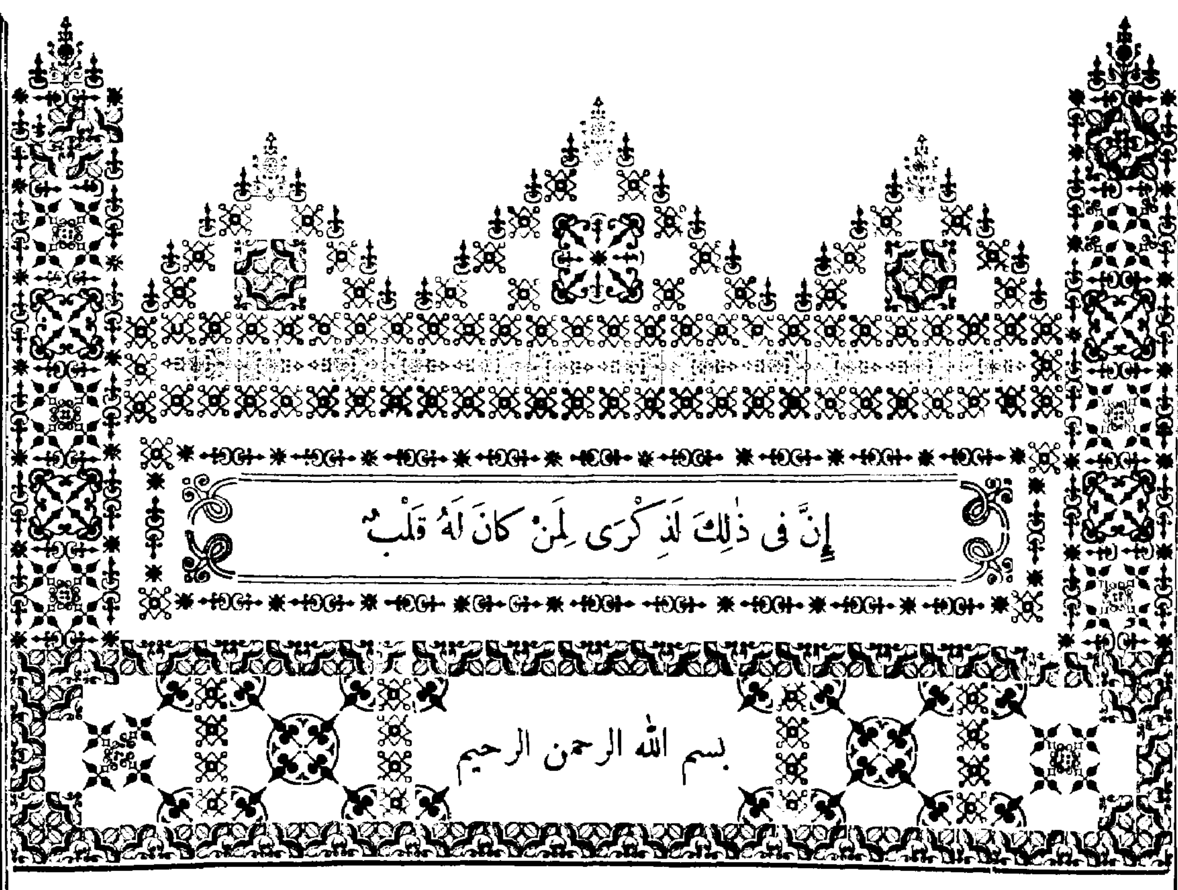
المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة
مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

شوال سنة ١٣٤٣ هجريه



(سورة النساء مقاصدها تسع)

المقصد الأوّل فى بدء الخلق من قوله يا أيها الناس الى قوله ونساء

المقصد الثانى فى صلة الأرحام والوصية على اليتامى من قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام الى قوله حسيبا

المقصد الثالث فى قسم التركات والمعاملات الماليه من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الى قوله ولهم عذاب مهين

المقصد الرابع فى صلة الصنفين الذكر والأنثى وأحكام ارتباطهما بعقد أو بغير عقد من قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله ان الله كان عليما خبيرا

المقصد الخامس فى طاعة الله والرسول وأولياء الأمور وا كرام الوالدين واليتامى والعبادات والانفاق وتأدية الأمانات من قوله واعبدوا الله الى قوله وكفى بالله عليما

المقصد السادس فى القتال والجهاد من قوله يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الى قوله وكان الله عليما حكيما

المقصد السابع فى أحكام القضاة والمحامين ولوم القضاة اذا قصروا فى التحقيق وذم المحامين اذا زوّروا من قوله إنا أنزلنا اليك الكتاب الى قوله وكان فضل الله عليك عظيما

المقصد الثامن فى العدل فى النساء وذم اتباع الشيطان ومدح الاخلاص لله والقيام بالقسط لليتامى — وفى ترك مصادقة أعداء المسلمين ونحو ذلك من قوله لا خير فى كثير من نجواهم الى قوله وكان الله غفورا رحيما

المقصد التاسع فى الجدال مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وتقريعهم على ذنوبهم مثل الربا وعلى جهلهم مثل المغالاة فى الدين وختام السورة بجواب عن الفتيا من قوله يسألك أهل الكتاب الى آخر السورة

(ملخص هذه السورة)

كأن الله عز وجل يقول فى القسم الأوّل • يا أيها الناس أنتم من أب وأم والأب أصل لكم والأم فرع ومنهما كان رجال ونساء فالوحدة فى الكثرة أولا ترون أنكم كرجل واحد وكيف لا يكون كذلك وأنتم جميعا يعين بعضكم بعضا فالشرقى يلبس مانسجه الغربى والغربى ينسج مازرعه الشرقى وأنتم تتبادلون جميع المنافع فاذا اتحدتم أصلا فها أنتم أولاء اتحدتم عملا فالأصل واحد والعمل متحد أولا ترون أن الانسان الواحد يده تعمل غير عمل عينه وعينه تعمل غير عمل الكبد والكبد يخالف الرئة وكلها متعاونة لو اختل واحد منها هلك الانسان هكذا مجموع الناس كشخص واحد فاتقون ولا تعصون أيها الناس

وكأنه يقول فى القسم الثانى • فلماذا إذن أيها الناس لاتتواصلون ولاتتراحمون ولا يعطف بعضكم على بعض واذا كان الناس كلهم شرقا وغربا كأسرة واحدة فبالأجدر يكون الأقارب والأرحام فواسوهم ثم اليتامى فلاتأكلوا أموالهم وإياكم والاسراف فى التزوّج وكثرة النساء واقتصروا على أربع إن عدلتم وواحدة إن خفتم الظلم وأعطوا النساء مهورهنّ ولاتضيعوا أموالكم باعطائها لمن لايحفظها وأعطوهم مايقيمهم وحافظوا على أموال اليتامى وكونوا أعفاء

وكأنه يقول فى القسم الثالث • واقسموا التركات بالحق الذى بينته فالذكر كالأنثيين وللبنت المنفردة النصف وان كانت بنتان فلهما الثلثان ولكل من الأب والأم السدس إن كان للميت ورثة فان لم تكن ذرية فلأمه الثلث وان كان له إخوة فلأمه السدس وللزوج نصف تارة وربع أخرى وللزوجة ربع تارة وثمن أخرى ومن مات ولاولد له ولاوالد يكون لأخيه من أمه السدس فان زاد عن واحد فلهم مهما كان عددهم الثلث والذكر هنا كالأنثى

وكأنه يقول فى القسم الرابع • عاشروا النساء بالمعروف وأشهدوا على اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم بعد استيفاء الحد فلايتعرضن لما وقعن فيه حتى يتزوّجن وللتوبة منزلة شريفة فى الاسلام مالم يكن الاحتضار ولاتتخذوا النساء سلما للميراث ولاتحبسوهنّ عليكم من غير رغبة فيهنّ لأجل أن تأخذوا بعض ما أخذن منكم من المهر الافى أحوال خاصة ولتكن المعاشرة بالمعروف وإياكم أن تأخذوا منهنّ ما أعطيتموهنّ فان ذلك عار وكيف يكون هذا الشقاق بعد الوفاق والخلطة ولقد حرمت عليكم نساء آبائكم وكثيرا من القريبات كالأم والأخت الخ وجميع المتزوّجات كل هؤلاء حرام عليكم واحذروا السفاح ولاتتزوّجوا بالاماء اللاتى ملكهنّ غيركم الا أن تخافوا الفتنة واحذروا الشهوات والميل فى الأموال كما تحذرونه فى الأعراض ولقد أعفو عن الصغائر اذا اجتنبتم الكبائر وهذه الأموال والنساء عاريات مردودات فلا يقل امرؤ لم استمتع غيرى بالنساء والأموال وأنا محروم فارجعوا الى الله والله هو المعطى • واذا أعطيت المرأة نصف ماللرجل فليس لها اعتراض وليأخذنّ كل وارث ما استحقه فلا يحسدن أحد أحدا على ماقسم له وليسأل كل الله واذا أخذ الرجل ضعف المرأة فانما ذلك لكونه قوّاما عليها فله فضل ذلك كما أنه له تأديبها بالأنواع التى أباحها له الشرع فاذا خفتم الشقاق فابعثوا الحكمين

وكأنه يقول فى القسم الخامس • اعبدوا الله وبروا الوالدين وصلوا الأرحام وافعلوا المعروف مع اليتيم الخ وإياكم والرياء والله لايظلم وان رسولى شهيد عليكم فاحذروا أن تظهروا أمامه مشوّهى الصور الروحية فتخجلوا وتفضحوا فضيحة عظيمة فلتكن الصلاة بقلوب حاضرة لابمجرد أقوال وأفعال ولتكن على نظافة لتبتهج أفئدتكم وتكون أرواحكم مشرقة ويكون الظاهر معراج الباطن فالصلاة بلاحضور قلب ولاطهارة لاتفيد بل تبطل وذلك يناسب مايفعله اليهود من تحريف الكلام فى التوراة حفظا للرئاسة وكذبا

ألا وان الظهور بالمظهر الكاذب يورث القلوب النفاق والخلال الدنية وتصبح مجبولة على الأكاذيب والخداع وتغطى عنها الحقائق ألا وان بعض أهل الكتاب باستدامة هذه الخلال أخذوا يؤمنون بالأصنام ويفضلونها على دين الاسلام لكثرة الاكاذيب حتى صارت سجية فلا يبالون بنتائجها أفليس ذلك يستوجب اللعنة لهم ولوأن الملك لهم لبخلوا وهم يحسدون الناس لان المعاصى يجر بعضها بعضا فليؤدّ الناس الامانة وليطيعوا أولى الأمر منهم وليرضوا بقضاء قضاتهم العادلين ولتعظوا الجاهلين ولتعلموا أن المطيعين منكم مع الانبياء والصديقين

وكأنه يقول فى القسم السادس . فلا تكونوا أيها المؤمنون ذوى نفاق تبطون عن القتال وتكونون كمن يعبد الله على حرف فان رأوا خيرا أقبلوا وان رأوا شرا أدبروا فقاتلوا فى سبيل الله وأنقذوا المستضعفين من أهل مكة الذين ظلمهم الكفار . عجبا لقوم أحبوا القتال فلما أمروا به هابوه وكرهوه مع أن الحياة متاع والموت مطاع وهم ينسبون أكثر مايقضى عليهم من الشر لك وينسبون الخير لله بل الشر من أنفسهم لأنفسهم وهم يظهرون خلاف مايبطنون فى طاعتهم لك ويفشون الأسرار ويشيعون الأخبار فى الحرب والسلم بلاهدى ولا كتاب منير فقاتل ولو وحدك وحرض المؤمنين واحذر المنافقين ولايقتل مسلم مسلما عمدا وللخطأ الدية وجزاء العمد جهنم ومن أسلم فدمه حرام والمجاهدون فى سبيل الله لهم فضل عظيم ولا يقعد قادر راضيا بظلم الكافرين فليهاجر وللمسافر قصر الصلاة واذا صليتم فى أوقات الحرب فاحذروا الأعداء وأقيموها وقت السلم وكونوا أقوياء على الأعداء

وكأنه يقول فى القسم السابع . إياكم أيها القضاة والتهاون فى القضايا ولايسلبن ألبابكم المحامون عن المدعى عليهم بذلاقة ألسنتهم

وكأنه يقول فى القسم الثامن . خير المناجاة ما كان للبر والصدقة والصلح وفيه ذم اتباع الشيطان والمرء مجزىّ بأعماله فليخلص لله وليعط كل ذى حق حقه لاسيما الضعفاء ولاتظلموا النساء ولتصلحوا بين الرجال وبينهن وعلى الرجل أن لايميل كل الميل عن المرأة وان الظالمين منكم أستبدل بهم غيرهم فأقيموا الشهادة حقا ولاتضلنكم الأهواء . وفيه ذم المنافقين وذم من يتخذ بطانة من الأعداء

وفى القسم التاسع . ذم اليهود لنقضهم الميثاق وتبجحهم بانهم قتلوا المسيح واليهود والنصارى سيؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله عند الاحتضار ولقد ضيقنا على اليهود فى دينهم لانهم ظالمون آكلون أموال الناس باطلا الا فحول العلماء منهم وأنت ومن قبلك مبشرون ومنذرون فلاتتغالوا يا أهل الكتاب فى الدين فالمسيح لايتعالى أن يكون عبدا ولا الملائكة الخ انتهى القول فى جمل من معانى هذه السورة

(مقدمة فى مناسبة هذه السورة لما قبلها)

لقد قدّمنا أن سورة البقرة مسوقة لأحوال بنى اسرائيل وأن آل عمران كأنها متممة لها ذلك أن عيسى عليه السلام من بنى اسرائيل وقد جاء بدين لاصلاح ما أفسده الدهر من الدين القديم وعنوان السورة يشهد بذلك

وقد قدّمنا أن سورة آل عمران مبدوءة بالنظر العلمى مختومة بالعلمى والعملى ابتدئت بالنظر فى السموات والأرض واختتمت بالابتهاج بجمال العالم العلوى والسفلى وان من لم تنكشف له الحقائق كانت فضيحته وعاره عظيمين وقد جاء فى خلال ذلك الكلام فى غزوة أحد والتلميح الى غزوة بدر فكانّ تاريخ بنى اسرائيل أعقبه تاريخ المسيح بالترتيب الزمانى هكذا بعض تاريخ الأعمال الاسلامية فى غزوة بدر وأحد

ولما كان ماورد فى آل عمران من أحوال الاسلام لايعدو فى مجموعه جهاد الأعداء ودفعهم عن الأوطان والذب عن حياض الدولة وحراسة الملة ناسب أن يؤتى عقبها بما يصون البلاد فى داخلها من القوانين المسنونة

لصيانة الأموال والأعراض ونظام الأمرات من قسم التركات وحفظ الزوجات وتبيان المحرمات وحفظ الأنفس من القتل ونظام القضاة والقضايا والمحامين المدافعين عن المدعى عليهم والصلح بين الأزواج والصدق والشهادات وأداء الأمانات واغاثة المستضعفين وما أشبه ذلك مما قرأته مجملا وستعرفه مفصلا فكان تسميتها بالنساء أقرب لأن المسألة ترجع الى أمر الأمرات والأحوال المنزلية وحفظ العائلات والنساء أس المنازل كما أن الرجال أساطين الحروب والأعمال الخارجية فلنبتدئ فى تفسير هذه المقاصد التسعة

(المَقْصِدُ الأَوَّلُ)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(يا أيها الناس) هذا الخطاب عام لجميع نوع الانسان (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وخلق منها زوجها) حوّاء (وبث) نشر (منهما) من تلك النفس والزوج المخلوقة منها (رجالا كثيرا ونساء) بنين وبنات كثيرة اهـ اعلم أن الله عز وجل لما فرغ من سورة آل عمران وقد حث فى أوّلها وآخرها على النظر العلمى والتفكر فى خلق السموات والأرض وذكر الله باللسان والقلب وكان ذلك أشبه بالنظام العلمى فى فن الحكمة أخذ يكمله فى أوّل هذه السورة بالنظام العملى فهناك العلم وقوّة الأبدان وهنا نظام الأمرات وحفظ العائلات فأخذ يمهد لذلك بمقدمة لطيفة تدل على اتحادنا منشأ وتشابهنا خلقة • واعلم أن خلق آدم وحوّاء ليس هناك دليل قطعى على كيفيته والقرآن أتى به مجملا على مقتضى ماتقبله العقول وتفهمه النفوس فأما التفصيل فليس ذلك للكتب السماوية وانما هذه مقدّمات يؤتى بها للمقاصد • فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب • ومن عجب أنهم لم يهتدوا للحقائق ولم يصلوا الى أصل الخلق ألاترى كيف قال آباؤنا السابقون ان الحيوانات أوّل ما خلق منها البحرية لأن البحر قبل البر ثم كانت البرية وكل حيوان أنقص خلقة مقدّم على ماهو أكمل وقالوا أن الحيوانات التامة الخلقة لم تكن من البحر بل خلقت تحت خط الاستواء وكل منها تناسل من ذكر وأنثى والحرارة هناك كافية للتوليد فلما أن انتشرت تلك الحيوانات كالبقر والغنم والآساد والنمور فى الأرض حفظت تلك الحرارة فى الأرحام لتستأهل لنموّ الأجنة والانسان أيضا كتلك الحيوانات وأبونا آدم وزوجه حوّاء خلقا كما خلق من كل نوع زوجان تحت خط الاستواء وتفرقت الذرية فى الأرض كسائر الحيوانات ثم آباؤنا نقلوه عمن قبلهم من الأمم ولذلك تجد جزيرة سيلان (سرنديب) التى هى قرب خط الاستواء مذكور فى كتبهم أنها فيها خلق آدم ومن هذا جعلت كل الأمم ان آسيا منبع الجنس البشرى وأهل أوروبا يقولون ان أكثرهم من آسيا وان أمما نزحت قديما وهاجرت الى تلك الأقطار الباردة منها وعلى ذلك شاع وذاع لفظ (يأجوج ومأجوج) أى أهل تلك الاقطار وهم التتر والمغول (هكذا رأيتها فى كتب الجغرافيا القديمة) وانهم يفسدون فى الارض فكلما كثروا نزحوا الى أوروبا وغيرها كما تقرؤه عن أمة (الهون) وغيرها قبل العصور الحاضرة وقد هاجروا الى أوروبا وكما تقرؤه فى أخبار جنكيزخان (الذى ستقرأ خبره وتخريبه لبلاد الاسلام فى آخر سورة الكهف وترى هناك معجزات النبوة واضحة) وهولاكو ومن نحا نحوهما ممن أزالوا دولتنا العربية ببغداد وذهبوا الى الروسيا واستوطنوا شواطئ نهر فولجا وهم الآن مسلمون كل هذا مذكور فى التاريخ • والسر الاصلى فيه أن الناس قديما يرون أن مهد

الجنس البشرى فى الشرق وسره الاكبر ظنهم تولد الابوين الأصليين من كل حيوان فى خط الاستواء
أما الفرنجه فانهم لايزالون يتخبطون وليس لاقوالهم نهاية ففريق يرى أن الحيوانات البحرية مقدّمة على
البرية والانقص قبل الاكمل مثل قدمائنا ولكن يرون أن الحيوانات التامة الخلقة متسلسلة من ناقصة الخلق حتى
الانسان وهذا المذهب قد سار شوطا بعيدا فى القرن الماضى ولكنّ علماء العصر الحاضر حقروه ونبذوه
ظهريا وذموا قائله وقابلوه بالنكران وكفروا به وهم لايزالون فى البحث مجدين ولايزالون مختلفين أما القرآن
والتوراة فانهما نصا على أن آدم خلق من التراب وحواء خلقت منه . هذا هو كلام الديانات وهذه علوم
الناس قد أحضرتها بين يديك على سبيل الاجمال . وياليت شعرى اذا كان القرآن والكتب السماوية أجلت
المقال والفلاسفة والحكماء تفرقوا شيعا فأين السبيل . أقول اعلم أن الكتب السماوية انما تذكر هذا
لغرض أسمى من معرفة أصل الأبوين وماذا نجنى من وراء معرفة أصلهما نعم البحث فى العوالم كلها مرقّ للعقول
ولكن كل مايعرفه البشر فى هذا المقام لايصل للحقيقة الواقعة (ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق
أنفسهم) ان الناس لم يشهدوا مبدأ العالم ولامبدأ أنفسهم وانما المقام هنا الدلالة على الوحدة العامة الانسانية فلئن
ذكر الله اتحادنا فى المنشأ والتشابه فى الاحوال فانما ذلك ليدلنا بطريق الكناية على الوحدة العامة الانسانية
والنظام الشامل لهذا الوجود والكناية هنا هى المقصودة بالذات كما يقول علماء البيان ألاترى الى قول الخنساء
وقد خطبها دريد بن الصمة

معاذ الله يرضعنى حبركى * قصير الشبر من جشم بن بكر

تقول أنا أستعيذ بالله أن يرضعنى قصير القامة ضئيل الجسم من هذه القبيلة ولم يكن ذم الارضاع مقصدها ولا الولد
القصير الشبر عدوّالها وانما تريد ماهو أهم لها فى زواجها وهو أن يكون الزوج طويل القامة عظيم الهامة من
قبيلة شريفة فانها لوتزوّجت ناقص الخلق ضئيل الجسم حملت منه فوضعت ولدا يشبه أباه فانتقلت من المعلول
الى العلة ومن الفرع الى الاصل فكانت النتيجة هكذا أنا لا أتزوج رجلا ضئيلا قصيرا حقير المنظر لايملأ
القلوب مهابة ولاالعيون إجلالا وليس من الملأ الشرفاء ولامن السادة العظماء هذا هو الذى يفهمه الرجال
والنساء والعامة والعلماء فهكذا هنا لم يقصد الخلق ومبدؤه لذاته وانما يراد منه الاتحاد والوحدة العامة الانسانية
فى هذا الوجود وكأنه بعد أن أبان تناسب المادة وتناسقها فى آخر آل عمران أخذ يبين تناسب الجنس البشرى
واتحاده النظرى ورتب عليه التراحم والمودة وصلة الارحام وحفظ مال الايتام والعدل فى قسم التركات
والقضايا والدعوات وأداء الشهادات واذا كانت الحكمة تثبت أن هذا العالم الحيوانى والانسانى متشابهان
فى الخلق متناسقان فى الوضع حتى انك لترى أن النبات أدناه يقرب من المعادن كخضراء الدمن أى النباتات
التى تراها أيام الربيع بالغداة حتى اذا حميت الشمس ذبل النبات وصار هباء منثورا فاذا كان اليوم الثانى طلع
كالذى قبله ثم يرتقى النبات طبقا عن طبق حتى يكون أعلاه مايعيش على غيره كنبات يسمى الكشوثى فانه
لاساق له وانما يعيش على غيره ويمتص من عصاراته كما تمتص الدودة من الرطوبات وكالنخل لانه تميز كره
من أنثاه وهكذا اذا قطعت رأسه مات فصفات النخل وصفات الكشوثى أشبه بصفات الحيوان ويلى هذين
وأشباههما الحيوان وله أدنى وأعلى فالأدنى أشبه بالنبات كما هو معلوم فى محله وشرحته فى كتاب الفلسفة مما
يعيش فى القوقع على شاطئ البحار ثم يرقى طبقا عن طبق الى الآساد والنمور والقرود بحيث ترى الأدنى يتلوه
الأعلى فذوات البيض أقل من التى تحمل وتلد وترضع أولادها وهكذا حتى تصل الى المتوحشين من بنى آدم
ويرتقى نوع الانسان الى العلماء والانبياء ويليهم الملائكة على تفصيل فى ذلك وعالم الحيوان وعالم النبات
كمملكة واحدة تدبرها نفس واحدة وكأنها جسم تدبره نفس واحدة يشير لذلك (ماخلقكم ولابعثكم
الا كنفس واحدة) فاذن علمت مما قدّمناه فى هذا التفسير أن هذه العوالم كلها متضامنات بينها مناسبات

كأنها

كأنها أسرة واحدة لمنظم واحد أفلا تكون الأسرة الانسانية أقرب الى التعاطف والتراحم لاقترابها وقد قضت الحكمة أن الاتحاد أعم منها فكيف يكون أمرها واذا كان الاتحاد العام والنظام الشامل بحسب الحكمة يدعوانا أن نرحم الحيوان وننظم هذه الكرة الارضية فكيف بالانسان وهو أخو الانسان . يقول الله أيها الناس تراحموا وتوادوا فأنتم أسرة واحدة من أب واحد * وقال سقراط لتلاميذه وقد أنكر بعضهم العبادة والقربان لله وأنكر وجود عقول غير عقل الانسان لانه لم يره (ألست ترى أن صورة الانسان من المواد الهوائية والمائية والأرضية قال بلى قال فاذن أنت تؤمن أن جسمك المركب من مواد ضئيلة صغيرة جدا من العوالم الكبيرة المحيطة بنا له عقل ولا تؤمن بأن هذه العوالم الكبيرة فيها عقل أى ان مادة الهواء والماء والجسم الأرضى التى اشتمل عليها جسمك تحظى بعقل وفهم فأما الارض ذات الفجاج والهواء ذو الرياح والبحر ذو الأمواج فكل هذه محرومة من العقل أى ان العقل يناله القليل الضئيل ويحرم منه العظيم الكبير الكلى ان العقل يكذب هذه القضية وهذا العالم منظم بعقل كلى) هذا تقرير ما قاله سقراط فى محاوراته مع تلاميذه ويستدلون على ذلك أيضا بأن كل معدن كالملح والنطرون والشب والمغنيسيا والاسرب والنحاس والذهب له عمل غير عمل الآخر وهكذا النبات والحيوان والماء فانا نراها مختلفة النتائج متحدة الوجهة لغرض واحد ونرى الشمس تمتزج حرارتها بالماء وبالتراب وبالهواء ويكون أنواع النبات ثم ان المعادن تتعاون معها فتكون منافع للناس تتبعها أخرى ورتبوا على ذلك ما يقال له

﴿ النفس الكلية ﴾

وجعلوا أن الشمس والقمر والكواكب والماء والهواء بالنسبة اليها كآلات النجار والحداد فالحرارة آلة والبرودة آلة والهواء آلة والماء آلة وبهذه الآلات وتحريكها تصوّر هذه الصور باذن الله تعالى هذا ما يقوله الحكماء فتلك العناصر والقوى فى العالم أشبه بالأعضاء والآلات التى يستعملها الانسان وتكون أنفسنا لتلك النفس الكلية أشبه بالعين والسمع والبصر والشم بالنسبة لأنفسنا فالعالم مدبر بنفس واحدة أبدعها الله وهذه النفس مستمدة قواها من العقل الأوّل الذى هو اللوح المحفوظ عند علماء الشريعة ونفوسنا أشبه بالاسماع والابصار لها وكما أن نفوسنا تسمع وتبصر وتبطش وتتكلم وتهضم بالاذن والعين واليد واللسان والمعدة والنفس واحدة والقوى والأعمال مختلفة هكذا هذا العالم كله مدبر بنفس واحدة كنفوسنا وهذه النفس لها قوى مختلفات تدبر العوالم فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والكهربائية والمغناطيس كل واحد منها له عمل مخالف للآخر والنفس واحدة والأعمال منتشرة تبع القوى وكما أن اختلاف الأعين والآذان والأيدى فى الأعمال لا يمنع أن النفس واحدة هكذا لا يمنع اختلاف النبات والحيوان والماء والهواء والحرارة والبرودة أن النفس المدبرة لها واحدة فالله واحد والنفس المدبرة الكلية واحدة لها آلات وقوى تدبر بها العمل تدبيرا منظما متجها الى نتائج منتظمة كما تتجه أغراض الانسان لما يريد من حوائج لغرضه الأصلى هذا تحقيق المقام فى النفس الواحدة عند الحكماء فاذا صح هذا تكون النفس الواحدة التى عبر عنها بآدم تذكرة للنفس الواحدة المنظمة للعالم وهذه الوحدة المنظمة ترى الناس يخدم بعضهم بعضا وان لم يعلموا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وعلى هذه القاعدة ترى جميع نوع الانسان على الأرض يخدم بعضهم بعضا وهم لا يشعرون والمرء لا يقدر أن يخبز ويحرث ويزرع ويخيط ويأتى بالحديد والنحاس من الجبال ولا يصنع المراكب فى البحار ولا القطارات فوق القضب الحديدية ولا يزرع جميع أنواع الزرع . ان حاجات الناس تزداد كلما زاد العمران وتعظم كلما ارتقى نوع الانسان وهنا يقال . ان كل امرئ محتاج لغيره فى ضروريات معيشته كالمأكل والملبس وفى كمالياته كالزينة والعطر فغيره هو المكمل له فمن كره غيره فقد كره من يكون سبب ضرورياته وكمالياته ومن

كره من هو سبب لكمالياته وضروريانه فقد كره كمال نفسه وحياتها ومن كره كمال نفسه وحياتها فهو فاقد العقل متخبط فى براهينه لأن القضية العقلية الصادقة هكذا كل امرئ يحب نفسه وكمال نفسه . ولكن من يكره الناس تكون نتيجة كراهته لهم هكذا أنه يكره كمال نفسه وحياتها فتكون النتيجة انه يحب حياة نفسه وكمالها وأنه يكره حياة نفسه وكمالها فأما القضية الأولى فهى بالبداهة وأما الثانية فبالبرهان لأنه يكره الناس فالانسان فى الصين وفى وروبا جميعا يعين بعضه بعضا حتى أنك ترى أن أوروبا لما أرادت أن تستغنى عن دولة البلشفيك فى الروسياطلبت بعد سبع سنين ودها لأنها رأت ألا مناص من مصادقتهافكل عالم فى الشرق ينفع الغرب وكل صانع فى الغرب يصل أثره للشرق فالعالم الانسانى كجسم واحد والأمم اعضاؤه وأفراد الناس ذراته واذا كره زيد عمرا وأبغضت دولة دولة فما ذلك الامن عوارض خلقت لمصلحة التنافس والتسابق فالمحبة أصل الوجود والعداوة طارئة لأن العالم بنى على الرحمة والجمال والحب وكل ماطرأ عليه فهو زائل ونهاية كل شئ الجمال والرحمة والبهاء والنعمة لأن الله رحيم والرحمة وسعت كل شئ ولا يبقى فى غضب الله الا من سبق عليهم القضاء

(ذكرى)

أيها الذكى هذا مقام عزيز المنال شريف المغزى فاذا أنست فى نفسك قبولا لما نقول وفهمته فذاك وان وجدت حرجا فى صدرك وعاقك عن قبوله ماورثته من الأقوال وظواهر الكلمات فأنا أنصحك أن تجلس دقائق كل يوم وتوجه قلبك لمبدع هذا العالم وتجعل قلبك متجها اليه وتطلب منه بالقلب واللسان أن يفتح لك الباب وهناك ترى منه فتوحا متى أخلصت فى الاقبال عليه مع الطاعة والاخلاص والنشاط والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم *لطيفة* فى تناسب السورتين قال الله فى آخر السورة السابقة (واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعقبها بأوّل سورة النساء بقوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم) كأنهما سورة واحدة والخطاب عام للناس كلهم كما قال فى سورة أخرى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهنا يقول (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) انتهى المقصد الأوّل

(المَقْصِدُ الثَّانِى)

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا * وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها عطفا على لفظ الجلالة أو والأرحام بالجر معطوفا على الضمير أي تسألون به وبالأرحام. تقول العرب سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم والرحم القرابة وهي إما من الرحمة وإما من الرحم لأنهم خرجوا من رحم واحدة في البخاري ومسلم قال عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله * وروى أيضا من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه وقوله ينسأ في أثره أي يؤخر له في أجله ويروى لايدخل الجنة قاطع (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى أموالهم) أي اذا بلغوا الرشد واليتيم هو الصبي الذي مات والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) أي ولا تستبدلوا الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم يقول ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم (ولا تأكلوا أموالهم) مضمومة (الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما. نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله

ان الناس كثيرا ماينحازون الى جهة من الدين ويتركون الأخرى والحياة لاقوام لها الا بالكمال ومراعاة القضايا الدينية من سائر أطرافها بل ما مثل الناس في أمورهم الدينية الا كمثل التلاميذ في المدارس النظامية أو كمثل الحكومات الرسمية فلو أن تلميذا قرأ النحو والصرف والحساب وترك العلوم الطبيعية في المدرسة لحرم الشهادة التي يعطيها له المدرسون ولو أن حكومة غفلت عن نظام الري وحفظ الجسور وهي ذات عناية تامة بتحصيل الضرائب وأجرة الخفراء وتعليم التلاميذ وارتقاء الجند لكانت آيلة الى الزوال ذاهبة الى النكال يحل بها البوار في سنين معدودات فالنظام الاجتماعي هيكل منظم كهيكل جسم الانسان متى أصيب أحد أعضائه الأصلية سرى الخلل الى سائر الأطراف فتعطلت أعضاؤه وذهب كأمس الدابر ولات حين مناص

هكذا هنا في هذه الآية يقول الله تعالى مامعناه مالكم لما سمعتم الوعيد على من لم يقم لليتيم بحقه هلعتم من عذاب الله والحوب الكبير وأنتم مع ذلك لم تحترسوا من الزنا وهو حوب كبير فهل أنتم تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فعليكم أن تحترسوا من سائر الكبائر على السواء فكما خفتم من أكل مال اليتامى فخافوا من الزنا الذي هو اعتداء على حقوق غيركم بل فيه اعتداء على حقوق من هم كاليتامى وكيف لا يكون كذلك والزانية قد تلد ولدا لا أب له فتسرع بالقائه في الطرقات فيؤخذ لقيطا فيربيه غير والده فها هو ذا يتيم أنتم كنتم سبب وجوده وبقائه وشقائه الأبدي فكيف تحرجتم من أكل حق اليتيم المشاهد ولم تتحرجوا من هضم حق اليتيم الغائب والأخير من نسلكم وأمره ومبدؤه منكم فانكحوا ماتحبون من النساء على شريطة العدل والمساواة اجتنابا للزنا فاذا كان الزنا لقضاء الشهوات البهيمية أفلا يكفيكم أن تتزوجوا من واحدة الى أربع وإياكم والظلم في القسم بينهن فاعدلوا وهو أقرب للتقوى فاذا كنا حرمنا عليكم أكل مال اليتامى وحرمنا الزنا وأمرناكم أن تتزوجوا فاحترسوا من الظلم وعدم العدل عند التعدد فان وجدتم من أنفسكم ضعفا فعجزتم عن العدل بينهن فتزوجوا زوجة واحدة ولا مانع من كثرة السراري والاماء فهؤلاء يحل لكم الاكثار منهن فهذا قوله تعالى

(وان خفتم أن لاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء) أي ان خفتم يا أولياء اليتامى

أن لاتعدلوا معهم فمالكم ظلمتم بالزنا فانكحوا الخ

والآية وجه آخر وهو وان خفتم ألاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوّجتم بهن فتزوّجوا ماطاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوّجها ضنا بها فربما يكون عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن وهذا يتقدمه علماء التفسير عادة وقوله (مثنى وثلاث ورباع) أى اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا والواو هنا بمعنى أو كما تقول تزوّج اثنتين أوثلاثا أوأربعا ولو كانت على حالها لصار المعنى أنه يضم هذا العدد كله

واعلم أن الآية ليس فيها مايمنع الزيادة على أربع . ألاترى أنك لوقلت لرجل تمتع فى بستان أواثنين أوثلاثة أوأربعة من بساتينى وانزل فى رحب وعيش رغد هنيء لم يكن ذلك مانعا من التمتع بغير الأربعة واباحة شئ لاتقتضى منع سواه ولكن السنة والاجماع هما اللذان عينا الأربع . ألاترى الى ماروى عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهنّ أربعا وهكذا روى أن قيس بن الحارث قال أسلمت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخترمنهنّ أربعا وانما الزيادة من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم والعبد له أن يتزوّج بأربع على إحدى روايتين عن مالك وأكثر العلماء أنه على النصف من الحر (فان خفتم ألاتعدلوا) أيها الأزواج بين الأربع (فواحدة) أى فتكفيكم واحدة على الرفع أوفانكحوا واحدة على النصب (أو ماملكت أيمانكم) سوّى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السرارى لخفة مؤونتهنّ وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) التقليل منهنّ أواختيار الواحدة أوالتسرى (أدنى) أقرب من (ألا تعولوا) أى أقرب من ألا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار (وآتوا النساء صدقاتهنّ) مهورهنّ (نحلة) عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلاتوقع عوض فليس للأزواج منع المهر ولا للأولياء الاستيلاء عليه لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فان طبن لكم عن شئ منه نفسا) أى فان طابت نفوسهن ووهبن لكم من الصداق شيئا (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وأنفقوه حلالا لاتبعة فيه وهنيئا طيبا ومريئا سائغا (ولاتؤتوا) أيها الأولياء والآباء (السفهاء) الذين تحت وصايتكم ونساءكم وأطفالكم (أموالكم) التى تتصرفون فيها بطريق الولايات والتى تملكونها لأنفسكم (التى جعل الله لكم قياما) أى تقومون بها (وارزقوهم) أى أطعموهم (فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) عدوهم عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع والعقل بالحسن (وابتلوا) اختبروا (اليتامى) قبل البلوغ بتتبع أحوالهم فى صلاح الدين وحسن ضبط المال والتصرف (حتى اذا بلغوا النكاح) أى حد البلوغ بان يحتلم أويستكمل خمس عشرة سنة عند الشافعية وثمان عشرة سنة عند أبى حنيفة ولقد كنى ببلوغ النكاح عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم) أبصرتم (منهم رشدا) فى المعاملات (فادفعوا اليهم أموالهم) من غير تأخير عن البلوغ فلايجوز أن يدفع لهم مالهم قبل الرشد وقال أبوحنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الأحوال لأن الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولاتأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين كبرهم (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه وللعلماء فى هذا المقام ثلاثة أقوال فمنهم من منع أخذ شئ من مال اليتيم فقيرا كان أوغنيا ومنهم من قال يأخذ بقدر أجره بالمعروف ان احتاج ومنهم من قال ان احتاج يقترض ثم يرده اذا أيسر واذا أعسر فلا شئ عليه * وأرى أن الأمة الاسلامية يجب أن يكون التعليم فيها عاما محببا فى الاخلاص وبعد ذلك يقوم بأمثال هذه الأعمال الأغنياء متبرعين فلاحاجة اذا للفقراء فالمهم التفكر والعلم وأما الأحكام فانما هى للضرورات التى أوجبها شح الناس وعدم الاخلاص فى الأعمال (فاذا دفعتم اليهم

أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم قبضوها فانه أنفى للتهمة فلا يصدق فى دعواه أنه سلمها لليتيم الا بالبينة عند الشافعى ومالك خلافا لأبى حنيفة (وكفى بالله حسيبا) محاسبا ومجازيا فلا تخالفوا أمره انتهى التفسير اللفظى

يقول الله تعالى يا أيها الناس أنتم أسرة واحدة أو كجسم واحد لأن أباكم واحد وكل امرئ منكم كعضو من أعضاء الجمية الانسانية أولا ترون أن فيكم من هو كالسمع والبصر من العقلاء وفيكم من هم كاليد والرجل من العمال وفيكم من هم كالطاحين والخازنين كالمعدة والأمعاء أفلا تتقون وتخافونى وأنتم تذكرون الرحم مقرونه باسمى فأنا الرحيم وهى الرحم فالقرابة التى بينكم المشتقة كلمتها من اسمى أجدر بالمراعاة والمحاباة والمراعاة فضلا عن الانسانية العامة أى عبادى انى عليكم رقيب أرقب ماتصنعون بأرحامكم وكيف لا أرقب ذلك والرحمة صفتى فمن قطع الرحم قطعته ومن وصلها وصلته فأنا الرحيم أحب الرحيم سيما اذا كان ذلك على القرابة الأدنين . أنا سائلكم أيها الناس عن البعيد كما أسألكم عن القريب بل انى أسألكم عن كل ماتقدرون عليه فانى لا أكلف نفسا الا وسعها فالرحمة أنتم عنها مسؤلون فاذا كان فيكم فضل قوة على رعاية اليتامى من الناس فلا تجعلوا مالهم غنيمة لكم ولا تأكلوا أموالهم ولكم أن تأخذوا قدر عملكم فيه بما هو المتعارف المألوف وان كنتم أغنياء فخير لكم أن تستعففوا ولتعملوا فى أموالهم بلا أجر الى آخر ماتقدم وفى هذا القسم أربع لطائف

اللطيفة الأولى إن الله كان عليكم رقيبا

اللطيفة الثانية تعدد النساء فى الاسلام

اللطيفة الثالثة ولا تؤتوا السفهاء أموالكم

اللطيفة الرابعة فادفعوا اليهم أموالهم

اللطيفة الأولى ان الله كان عليكم رقيبا وهذه اللطيفة واضحة فيما تقدم فلا نطيل فيه

اللطيفة الثانية تعدد النساء فى الاسلام . اعلم أنه قد كثر لغط الفرنجة ومن نحا نحوهم ممن خالطهم من المسلمين فى تعدد أزواج المسلمين وزوجات النبى صلى الله عليه وسلم فلهم أربع وله صلى الله عليه وسلم أكثر . فاعلم أنى قد ألفت رسالة تسمى السر العجيب وقد محضت هذا المقام تمحيصا بسائر أطرافه وهذا المقام لا يسع الافاضة فيه خيفة السآمة ولكنى أدلى اليك بيسير من القول لتقف على ماتيسر فأقول . لقد حسد الفرنجة المسلمين وغيرهم على تناسلهم حتى انهم فى افريقيا الجنوبية لما رأى الانكليز أن رجلا يتزوج عشرا من النسوة وهن يسعين لرزقه وهو يأكل و يشرب فيلد بنين و بنات كالديك مع الدجاجات ساءهم ذلك لأن النسل يكثر وهم يريدون تقليله فعمدوا الى ايجاب الضرائب على هذا النوع من الزواج وهكذا لما رأوا الأمم الاسلامية تتكاثر وتتناسل أثاروا هذه المسألة ولقد بحث الباحثون فوجدوا ان الذين يتزوجون أكثر من واحدة فى الاسلام لا يزيدون عن خمسة فى المائة ولا ينقصون عن ثلاثة فى المائة وهذا العدد القليل لا جرم يغتفر فى جانب العدد العظيم . واعلم أن الله سبحانه جعل للذكور والاناث قانونا لا يتعدونه فالذكور والاناث فى دفاتر المواليد فى كل قرية ومدينة وأمة وفى الكرة الأرضية كلها متساويان تقريبا لحسن النظام وجمال الاتقان وبديع الصنع فقل لى رعاك الله هل سمعت أن أمة من الأمم ولدت أناثا فقط أو ذكورا فقط فى سنة أو شهر أو يوم كلا فالله خلقهما متساويين فى العدد غالبا فلو أن المسلم أراد أن يتزوج اثنتين وكان ذلك عاما فأين النساء ولا نساء فلكل رجل نظيرة منهن وكان الخرافة التى جرت على ألسنة العامة أشبه بهذا إذ يقولون ان لكل رجل قرينة من الجان يقولونها وهم لا يعقلون معناها يتلقفونها عن الدجالين بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير وانما الله أجراها على ألسنتهم وسرها أن لكل رجل امرأة من الناس تخلق مقارنة له فمدا أهل القرى والأمصار تجد هذه القاعدة مطردة وهذا من السر العجيب الذى وضعه الله فى الطبيعة التى نظمها ـ ماترى فى خلق الرحمن من

تفاوت ـ أى تناقص واختلال ولوأنه خلق فى مقابل الرجل امرأتين أو بالعكس لاختل النظام فياليت شعرى كيف يمكن أن يتزوّج المسلمون كلهم أوكثير منهم بأكثر من واحدة والله لم يخلق ذلك وانما جعل الله فى كل أمة قوما ضعافا لاقدرة لهم ولامال فهؤلاء لا يتزوّجون وآخرين لهم قوة ومال وهم ذوو طباع حادة ولاتكفيهم زوجة واحدة بل يذهبون للزنا وهذا شر مستطير فأباح الله لهم أن يتزوّجوا بأكثر من واحدة إكثارا للنسل ومنعا لانتشار الزنا وقتل أولاد السفاح ورميهم فى الطرقات ولعمرى ان هؤلاء خير من أغنياء الأوروبيين الذين يصاحبون أكثر من واحدة سرا فهم وان لم يتزوّجوا أكثر من واحدة جهرا فقد تزوّجوا سرا ولقد ذمهم علماؤهم واذكر منهم العلامة جوستاف ليبون وأخبر أن التعددات لاريب فيه ولقد أوضحت الحرب العامة هذه المسألة أيما إيضاح فان الرجال توفى كثير منهم فى الحرب وأصبحوا قليلا وكثرت النساء فمن ذا يعولهن ومن ذا يقوم بأمرهن فأباحت بعض الدول تعدّد الزوجات

فأما المسلمون فانى أرى أن يكون الأمر موكولا لذوى الحل والعقد منهم وليكن التعداد على مقدار الحاجة وليحصوا الرجال والنساء فى البلاد ولينظروا العدد الذى لم يتزوّج من الفريقين وليأمروا كل شاب بلغ سنا معينة مثل ٢٠ أو ١٨ سنة بالتزوّج فان لم يتزوّج أوجبوا عليه مالا معينا يدفعه للحكومة تنفقه على فقير ذى عيال والنساء اللاتى لم يتزوّجن يبحث عن رجال يتزوّجونهن منفردات والا كان ذلك مثنى وثلاث ورباع للقادرين الاقوياء الاغنياء فاذا فعلت الامم الاسلامية ذلك فليكن بأمر أهل الحل والعقد منهم لا بأمر الفرنجة فان الفرنجة يقصدون تقليل النسل وتقليل الزواج واكثار السفاد والفساد فى الاسلام فاحذروهم أيها المسلمون فليحذر المسلمون الذين يحكمهم الفرنجة أن يوحوا اليهم بأمر من هذا فانهم يريدون الزنا وقلة النسل وضياع البلاد فأما أهل الحل والعقد منكم فلهم أن ينظروا فى المصالح وهم أعلم بما يناسب حالتهم

﴿ تعداد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

لقد أجمع المسلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصياته أن له الزيادة على أربع ومع هذا الاجماع ترى أنه اختار من نسائه أربعا أذكر منهن عائشة وحفصة فأما الباقيات فانهن رضين أن يكنّ أمهات المؤمنين وسامحن فى أمر المبيت عندهن فكأن النبى صلى الله عليه وسلم اقتصر على أربع فى الحقيقة فأصبح كالامة وان لم يطلق الباقيات لاسباب أوضحتها فى الكتاب المذكور انتهى المقصود من ذلك الكتاب ملخصا فاقرأ هذا المقام مفصلا فى سورة الاحزاب ففيها تلك الرسالة كاملة

(اللطيفة الثالثة) ولاتؤتوا السفهاء أموالكم • نهى الله الأوصياء والآباء أن يؤتوا اليتامى أموالهم قبل بلوغ سن الرشد وحسن التصرف وهكذا النساء والأطفال فان قلة عقل الطفل والمرأة تجعلهما يسرفان ويبذران فى الأموال فيصبح الرجل حسيرا هذا مافى هذه الآيات

ومن عجب أن الأمم الاسلامية اليوم تعطى أموالها سفاهة للاوروبيين إما كرها بالاحتلال كأهل جاوه وماوالاها من الجزائر وكأهل المغرب تونس والجزائر ومراكش وكأهل السودان كل هؤلاء يدفعون المال للفرنجة قهرا وإما طوعا بان يدفعوا أثمان البضائع التى تصنع فى بلادهم فأصبح المصرى والهندى والمغربى جميعا يعملون ويكدحون والغربى هو الذى يستنزف ثروتنا وهذا سفاهة دولية لأمة الاسلام ولعمرى لاتبلغ أمة الاسلام الرشد حتى تصنع ماتحتاج اليه من الصناعات ملبسا ومأكلا وآلات فان لم يفعلوا وسيفعلون فذلك ضياع مدنهم وذهاب دولهم وياليت شعرى اذا كانت الدريهمات التى يعطيها الانسان لابنه الصغير أولزوجته يتصرفان فيها بلاعقل قد نهانا الله عن التفريط فيها فما بالك بأموال الأمة والامارات التى يمتصها الفرنجى بملابس نحن نقدر أن نصنع غيرها ونستغنى عنها ويكون الثمن فى أيدى أبناء البلاد أليس هذا أدعى الى النهى واذا كان الله يقول لنا فيما نعطيه للاطفال ـ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ فجعل هذه الأموال قياما

لنا

لنا نحفظ كياننا ونعيش بها فما بالك بما نراه فى بلادنا المصرية من تلك القناطير المقنطرة من الذهب وهى تبلغ كما فى إحصاء الماليين نحو (٧٠ مليونا) من الجنيهات وأ كثرها بلاربح فى المصارف الافرنجية وهم ينتفعون بتلك النقود والمسلمون لم يأخذوا ربا لانه حرام والفوائد قد ذهبت الى أوروبا يصنعون بها الطيارات والمدافع ويقذفونها على أبناء المسلمين فى الجزائر وتونس ومراكش والهند ومصر كل ذلك والمسلمون غافلون نائمون فلا يصدقون أن مصارف البلاد التى أنشئت حديثا تقوم مقام المصارف الافرنجية ويتركون تلك الأموال عند الفرنجة ولاينتفعون بها فى تجارة أو شركة أو زراعة بل يتركون أنفسهم عالة على أوروبا التى تأخذ مالهم كأنهم قاصرون والاجانب يريدون أكل مال هؤلاء الأيتام ولكن الآن قد ظهرت بوادر الاصلاح فى الهند ومصر وأ كثر البلاد الاسلامية

﴿حكاية﴾ قابلت شابا هنديا منذ أيام وهو لابس ملابس كلها من قطن مغزول غزلا بلديا من رأسه الى قدمه وليس مما ينسجه الاوروبيون فقلت أ غزل بلادكم هذا فقال نعم ولو أنى خالفت هذا ولبست ما ينسجه الاوروبيون لعدونى خارجا عن الوطن ولرمونى بأقبح التهم ولقتلونى وذلك من تعاليم الزعيم العظيم غاندى تلك التعاليم التى حرمت على جميع الهنود الملابس الافرنجية . وأقول ومن كلامه الذى ذكرته فى سورة آل عمران ان أوروبا اليوم لاتمثل روح الله ولاروح المسيح بل تمثل روح الشيطان وما أعظم نجاح الشيطان اذا ظهر ولسانه يردد اسم الله وقال أيضا إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وماهو أقبح من هذا وهو العار على كثير من العائلات

(اللطيفة الرابعة) فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم . لقد رأى الشافعى رضى الله عنه أن تصرف الصبى قبل البلوغ وهو مميز باذن وليه غير صحيح وصححه أبو حنيفة فاختباره بالبيع والشراء والأخذ والعطاء عند الحنفية وبالنظر فى أحواله وعقله وادراكه عند الشافعى ويبلغ بالانزال كل من الصبى والجارية سواء أ كان بالاحتلام أم بالجماع . فاما بالسن فأ كثر أهل العلم أن بلوغ الغلام والجارية بخمس عشرة سنة وجعل له أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة ولها سبع عشرة سنة . ويختص النساء بالحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة للحمل ثم اذا بلغ الصبى وهو صالح للتصرف فى ماله وان فسد دينه سلم له المال عند أبى حنيفة خلافا للشافعى فجعل الصلاح فى الدين أيضا شرطا فان كان مفسدا لماله أيضا لم يسلم المال له حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة كما تقدم فيسلم له ولو لم يكن صالحا فى ماله انتهى

﴿ عظة واعتبار ﴾

لقد تبين فى هذا المقام كيف جعل الله المال قياما لنا وأمرنا ألا نعطيه للسفهاء من النساء والأطفال جعل الله المال قياما لنا أى قياما لحياتنا الدنيوية والأخروية وها أنت ذا أيها الذكى ترى كلام علماء الاسلام والائمة رضى الله عنهم وكيف دققوا فى أموال اليتامى وفى الرشد وكيف يقول الامام مالك ان الجارية اذا بلغت رشيدة لايدفع المال اليها الا اذا تزوجت فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولاينفذ تصرفها الا باذن الزوج مالم تكبر وتجرب فهذا التشديد والتقييد فى المال والدقة فى البحث توجب يقظة المسلمين وانتباههم فيا عجبا كل العجب يجعل الله المال قياما لنا فى القرآن ويشدد علماء الاسلام ويدخل الفرنجة بالمنسوجات الديار المصرية وبلاد الغرب فى تونس والجزائر ومراكش وسوريا ويأخذون الأموال ويضحكون على العقول ويلهوننا بالفسوق والفجور والزخارف كما فعلوا بالاندلس لما أمضوا معاهدة للصلح بينهم وبين أمراء الاسلام وأقيمت الافراح وكانت نعال خيل بعض الأمراء من ذهب وكانت هكذا حرية التجارة وحرية التعليم وحرية الدين فقال قائل من المسلمين هذه المعاهدة لاتدفع عارا ولاتذكى نارا ولاتنفع جارا وسيأتى زمان قريب يحقرفيه تاريخ

الاسلام ويتمنى فيه مجد الآباء الأعلام ويشرب فيه الخمر جهارا ويلبس أبناء البلاد عارا وشنارا وتكون الملابس افرنجية وتزول من الرؤس الحمية فردوا عليه هازئين وسمعوا له ساخرين وقالوا والله انك لست من السياسيين ثم عملوا أفراحهم وأولموا ولائمهم ودخل الخمر فى البلاد وقلدوا الفرنجة فى العادات ومشى فى الشوارع الشبان مع الغادات جهارا وهم يظهرون العصيان نهارا واستدان المسلمون وظهر الربا وهجرت مدارس الاسلام وعمرت مدارس الأسبان وأدخلوا فى عقولهم تحقير أسلافهم وسقوهم الخمر وهم غافلون حتى ان راهبا أسبانيا كان يعلم التلاميذ فى قرطبة اشترى عنبها جميعه وحلف ألا يبيعه الا لأبنائه وتلاميذه المسلمين حبا فى رقيهم وسعيا لاسعادهم وغراما بفرحهم لانهم أحبابه المخلصون وأصدقاؤه الأقربون وقد كثر لبس الحرير والترف والنعيم والكسل وحب الافرنج واحتقار الآباء ودينهم وتاريخهم وهكذا حتى أزالهم الملك فرديناند والملكة ايزابله من بلاد الاندلس ورموهم فى البحر بعد أن قتلوا أكثرهم ومن تنصر منهم وهم قليل جدا حقروا تنصرهم وسموهم مرتدين وزال ملكهم وهم جاهلون . هكذا نرى اليوم أبناء العرب لم يتوبوا ولم يثوبوا لرشدهم ولم يرجعوا عن غيهم والفرنجة يطاردونهم ويستعملون رؤساء الدين فى مراكش وتونس والجزائر والأمراء فى مصر وبلاد العرب شبكة لصيدهم وسيفا مسموما ورمحا جارحا يغدقون عليهم النعم ويغمسونهم فى الترف ويزجونهم فى سجن الشهوات وهؤلاء هم الذين يجرون هذه الشعوب الغافلة الى الرزايا ويضعون الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى جحيم الذل وفى نار الاستعباد ورؤساؤهم هم المسيطرون عليهم سواء أكانوا من الشرفاء أم من الأمراء ألا ساء مثلا القوم المغفلون ويكون ذلك سبب جلب الشقاء واستنزاف الثروة ونقلها الى الفرنجة بما فعل هؤلاء الشرفاء والأمراء وهم جميعا فى جهنم الاستعباد مصفدون حتى اذا وقعت الواقعة وقرعت القارعة ونزعت النازعة واقترب الوعد الحق للقصاص وقع أولئك الرؤساء فى الذل كأممهم ولات حين مناص فنزلوا عن مراتبهم وأودعوا سجن المذلة والهوان يقولون - ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين -

أيها الأمراء المسلمون ويا رؤساء الدين قد آن أن يلاقى بعضكم حتفهم وهذا يوم مصرعكم والله قد حكم أنكم فى هذه الأيام تسامون سوء العذاب جزاء ما كنتم تكسبون لبستم ملابس الظالمين وقنعتم بعيش الغافلين ورضيتم باذلال شعوبكم أجمعين ألم تروا الى قيصر الروس كيف كان عند المسيحيين يمثل حضرة المسيح والى كثير من الملوك كيف طردتهم أممهم وأذلتهم جيوشهم فصرعوا وهم ظالمون . هكذا عما قريب ستقطع تلك الرؤس الظالمة الفاجرة فى الأمم الاسلامية تلك الرؤس الفاسقة الفاجرة التى خضعت أمام الفرنجة ألا قطعا لتلك الرؤس وموتا لتلك النفوس . يا أبناء الاسلام قد تنبه الهنديون واستيقظ الروسيون وحرمت المنسوجات الفرنجية فى بلاد الهند وزالت الغفلة عن كثير الا أبناء العرب . يا أبناء العرب ان الدين دينكم والمجد مجدكم وماضركم الا رؤساء السوء تارة بالكيد لكم وفتح البلاد للفرنجة وتارة بكتم العلم عن المستحقين هذا القرآن يقرأ صباحا ومساء وفيه إن المال قيام لنا وعلماؤنا قد حققوه تحقيقا وما تركوا شاردة ولا واردة الا أحصوها فما بال العلماء يغفلون عن النصيحة بل ما بال العالم ينقاد لآراء الجهلاء . ألم يأن للمصريين ولأبناء المغاربة وسوريا والعراق وأضرابهم أن يثوبوا الى رشدهم . ألم يأن لرجال مصر أن يعلموا نساءهم أن الملابس الأوروبية خربت ديارهم وجعلت الأغلال فى أعناقهم ألم يعلموا أن هناك حركة سرية مدبرة لاقتناص الأموال وفساد العائلات وان هناك خائطات فرنجيات يخطن الملابس للغانيات ويدبرن المكائد للآنسات ويبتدعن كل يوم بدعة جديدة فيغيرن الطراز فى يوم أو بعض يوم ويبطلن عادة ويجددن أخرى والرجال غافلون والأمراء نائمون بل راضون وكل حزب بما لديهم فرحون وريع الأطيان ونقود الموظفين والتجار جميعها فى هذا السبيل مصروفة فذل العزيز وعز الذليل وتقربت أشرف السيدات أصلا وأعرقهن مجدا وأعلاهن

فرعا وأرفعهن رأسا الى خادمة افرنجية أصبحت خائطة مصرية فتزلفت اليها بالمال وتقربت اليها فى كل حال لتخصها بزى جديد حتى تتباهى على المغفلات أمثالها وتلك الخائطة تترفع ترفع القياصرة وتترفع على هذه القاصرة فترضيها بالمال وتودلو تحظى دون أترابها من أسرتها بهذا الزى الجديد وتقول الخائطة لها هل من مزيد أولا يرون مايدبر لهم الفرنجة من المكائد والشركات من المصائد وكيف ترسل تلك المجلات التى فيها الأزياء الجديدة وتعطى للعائلات مجانا وترسل للغانيات فضلا من الفرنجة وانعاما أولا يرون أن النساء فى مصر لايهنأ لهن طعام ولاشراب مالم يقلدن تلك الأزياء التى رسمت فى تلك المجلات . ذهب المجد وزال ولكن قد آن ان ينكشف هذا الجهل ويزول

وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع

أقول لقد ظهرت بوادر الاصلاح وليقومن فى هذه البلاد وغيرها من يوقظون الأمة العربية ويرجعون لها مجدها وشامخ عزها وقديم فضلها ولولا أنى واثق وموقن أشد الايقان بهذا المقال ماخططت حرفا ولكنى كتبت وأناموقن أن القلوب تفقه والعيون تبصر والآذان تسمع وان فى السويداء رجالا وان مجدا قداظل أوانه وأقبل ابانه وبزغ بدره وظهر فجره وأشرقت شمسه ـ ولتعلمن نبأه بعد حين ـ واذن يظهر سر قوله ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ

ومن أجل مايسر أنى وقت كتابة هذه السطور قرأت فى الجرائد أن حكومتنا فى هذا اليوم حرمت الترخيص لتجار الخمر أن يفتحوا محال جديدة من الآن وهذا من بوادر الاصلاح فى حكومتنا الجديدة الوطنية التى التأمت فى هذا الأسبوع بأمر المجلس الوطنى العام

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

(فى قسم التركات والمعاملات المالية)

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً * وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ ، فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً * يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ، فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَاتَرَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ، وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ

فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ *

يقول الله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) والمراد المتوارثون بالقرابة ثم أبدل من قوله مما ترك قوله (مما قل منه أوكثر) حال كونه (نصيبا مفروضا) * روى أن أوس بن الصامت الأنصارى خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال وقالوا انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزل قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم) فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم

ولما كانت آية الميراث تمنع كثيرا من قرابة الميت وغيرهم فلا شئ لهم فى الميراث وكان الاسلام هو الذى جاء بنشر المعروف والفضل بين الناس على القاعدة المذكورة أول السورة من اتحاد الناس وتعاونهم والمجموع لا يصلح الا بصلاح أفراده المتضامنين كأعضاء الجسد الواحد ــ نزلت الآية الحاضة على اعطاء من لم تعطه آيات الميراث الآتية تعميما للفضل وتحقيقا للتسامح واصلاحا للمجموع وتلك الآية هى (واذا حضر القسمة أولوا القربى) ممن لا يرثون من الميت (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) بان يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم . يقول فأعطوهم شيئا من المقسوم وجوبا على مذهب أبى موسى الأشعرى وابراهيم النخعى والشعبى والزهرى ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير فهؤلاء كانوا يعطون من حضر شيئا من التركة * وروى أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يترك فى الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية . قال الفخر الرازى فهذا تفصيل قول من قال بأن هذا الحكم ثبت على سبيل الوجوب أما المذهب المتعارف بين الفقهاء فليس فيه الا الندب للورثة الكبار أما الورثة الصغار فيكتفى بقول المعروف عنهم وعلى الوجوب روى محمد بن سيرين أن عبيدة السلمانى قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لأجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وهذا القول وان لم يكن معمولا به عند أكثر الفقهاء هو الأحرى بهذه الأمة اليوم رجوعا بالأحكام الى ظواهر القرآن والى آراء الصحابة والتابعين وهم أعلم بالقرآن والمسلمون اليوم أحوج لاتباع ظواهر الكتاب ولما فرغ من الكلام فيمن حضر القسمة من هذه الطوائف رجع الى الكلام فى اليتامى فحذر أوصياءهم قائلا (وليخش) الأولياء (الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) فليفعلوا بأولاد غيرهم ما يفعلون بأولادهم من البر والشفقة والرعاية وحفظ الأموال والتربية الصادقة وتعليمهم العلم وادخالهم المدارس أو تعليمهم الصناعات هذا هو الواجب عليهم

فليتقوا

(فليتقوا الله) فى أمر اليتامى بفعل ما تقدم (وليقولوا قولا سديدا) مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب والتعليم مع الاخلاص ثم أنذر الظالمين من الأوصياء لليتامى فقال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) ما يجر الى النار ويؤول اليها * عن أبى بردة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) نارا موقدة مسعرة وانما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع فى الكلام ومعناه أن أكل مال اليتيم ظلما يفضى به الى النار وخص الأكل بالذكر مع أن جميع الاتلاف مثله لان الأكل معظم المقصود * وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا . فها هو ذا ذكر الميراث إجمالا وأن الرجال والنساء لهم نصيب منه وكذلك الأقارب الذين لم يذكروا فى الآية الآتية والمساكين واليتامى لهم بعض الحقوق واليتامى الذين لهم وصى عليه أن يكون أبا لهم وأن يعاملهم معاملة أبنائه ثم حذرهم العقاب فى جهنم اذا فرطوا ثم أخذ يبين أصحاب التركات من الورثة فقال (يوصيكم الله فى أولادكم) يأمركم ويعهد اليكم فى شأن ميراث أولادكم ثم فصله فقال (للذكر مثل حظ الأنثيين) أى يعد كل واحد باثنتين حيث اجتمع الصنفان (فان كن نساء) أى فان كان الأولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر (فوق اثنتين) أى زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم (وان كانت واحدة فلها النصف) أى وان كانت المولودة واحدة والاثنتان حكمهما حكم ما فوقهما فلهما الثلثان عند أكثر العلماء (ولأبويه) أى أبوى الميت (لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له) للميت (ولد) ذكر أو أنثى ولكن الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض بالتعصيب (فان لم يكن له) يعنى للميت (ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث) يعنى ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواهما فان الأم تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الأب الباقى بالفرض والتعصيب فيكون إذن المال بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين . ولما اعتبر الشرع أن لها نصف ما للأب وجب أن يعتبر ذلك فيما لو كان معهما أحد الزوجين فيعطيان الباقى هكذا أى يكون لها ثلث ما بقى بعد ما يأخذه أحد الزوجين خلافا لابن عباس حيث يعطيها ثلث المال كله فتفضل الأنثى على الذكر أى تفضل الأم على الأب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له إخوة) ذكورا كانوا أو اناثا (فلأمه السدس) أى فلأم الميت اذا كان معها أب والمراد بالاخوة الذين يردونها من الثلث الى السدس ما زاد عن الواحد وهو قول كثير من الصحابة كعمر وعثمان وعلى والجمهور فاذا مات رجل عن أبوين وأخوين فللام السدس والباقى وهو خمسة أسداس للأب سدس بالفريضة والباقى بالتعصيب ولا شئ للاخوة فكأنهم حجبوا أمهم وردوا السدس لأبيهم الذى كان هو لأمه ينفق عليهم ثم قال سبحانه هذه الأنصباء للورثة (من بعد وصية يوصى بها أو دين) ثم قال سبحانه (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يقول آباؤكم وأبناؤكم يعنى الذين يرثونكم لا تعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فربما ظن الانسان أن أباه أنفع فأعطاه أكثر أو عكس القضية فأعطى الابن فالله تولى أمركم ودبر لكم ما فيه المصلحة ولو وكله اليكم لتحيرتم فلا تعلمون لمن تعطون ومن تمنعون ثم قال فرض ذلك (فريضة من الله) وهذا مصدر مؤكد (ان الله كان عليما) بالمصالح والرتب (حكيما) فى قسمة الميراث (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) والمراد بالولد الوارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بنى بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم (من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) فللرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة

كما فى النسب وكما فى الابوة فى مسألة الأب والأم ان لم يكن إخوة وانما يستثنى أولاد الأم كما سيأتى والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن (وان كان رجل يورث) الجملة صفة رجل (كلالة) خبر كان وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا فهى قرابة ليست من جهة الوالد والولد والكلالة فى الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى

فآليت لا أرثى لها من كلالة * ولا من جوى حتى تلاقى محمدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية ثم وصف بها الموروث والوارث أى ذا كلالة (أو امرأة) عطف على رجل وله أخ أو أخت) ومثله المرأة والمراد بالأخ والأخت هنا من الأم المذكورة وفى قراءة أبى وسعد بن مالك — وله أخ أو أخت من الأم — وجواب الشرط قوله (فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) سوى بين الذكر والأنثى فى القسمة • واعلم أن مقتضى الآية أن لا يرثوا مع الأم والجدة فجاء الاجماع وخصص المفهوم بميراثهم مع الأم ومع الجدة وقد أجمع العلماء على أنهم شركاء فى الثلث اذا كانوا اثنين فصاعدا والذكر كالأنثى وقوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين) مفهوم (غير مضار) لورثته بالزيادة على الثلث فى الوصية أو بنفس الوصية بأن يقصد المضارة بها لا وجه الله أو بالاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى وقوله (وصية من الله) مصدر مؤكد (والله عليم) بالضار وغيره (حليم) لا يعاجل بعقوبته • ثم أشار الى الأحكام المذكورة فقال (تلك حدود الله) شرائعه التى هى كالحدود المحدودة (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) هذه الآيات ظاهرة

﴿ لطيفتان ﴾

الأولى • حصر الفروض المتقدمة فى جدول ليكون أقرب للفهم

الثانية • كيف تكون التعاليم الاسلامية فى مستقبل الزمان

اللطيفة الأولى • اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه ولا يجوز أن يوصى بأكثر من الثلث لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن أبى وقاص قال الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه فى الصحيحين فالوصية بأكثر من الثلث لا تجوز ويحل النقص عنه ولا تجوز الوصية لوارث قال صلى الله عليه وسلم ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ثم ما فضل بعد الدين والوصية يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة والوارثات من النساء سبع ومنهم من لا يحجب بالحرمان نحو الابوين والولدين والزوجين والورثة أصناف صنف يرث بالفرض كالزوجين والبنات وقسم يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وقسم يرث بالتعصيب تارة والفرض أخرى كالاب والجد وقد عرفت أصحاب الفروض فى الآيات فأما العصبة فهى اسم لكل من يأخذ المال جميعه اذا انفرد كالاب والابن ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفروض وأسباب الميراث النسب والنكاح والولاء كولاية المعتق فان المعتق وعصباته يرثون المعتق بالفتح والكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر وهكذا القاتل لا يرث المقتول عمدا كان القتل أو خطأ

﴿ همة علماء الاسلام فى علم الفرائض المستخرج من هذه الآيات وأمثالها ﴾

تعجب أيها الذكى فى أمر أمة الاسلام وعلماء الاسلام وانظر كيف سلكوا سبلا وذللوا طرقا وعبدوها فأصبحنا نهجها ولا ندرى كيف سلكوها — آيات ها أنت ذا تقرؤها أمامك فى ثنايا هذا التفسير وفى المصاحف سهلة واضحة فما أسهل أن يفهم الانسان أن البنت لها نصف الابن هذه أمور سهلة ولكن الدين وان جاء سهلا يحمل متبعيه على البحث والتنقيب فى الاسرار التى ينطوى عليها هذا السهل • أنظر رعاك الله هذه الآيات

الواضحات وتأمل كيف أحوجت آباءنا الى تدوين علم يسمى علم الفرائض أدخلوه ضمن علم الفقه وأبانوا العصبة وذوى الفروض وأصحاب الثلث والنصف والسدس والثمن وكيف يحجب أحدهم الآخر فدخلوا فى بحر لجى وتغلغلوا فى المسائل فبعد أن تراها فى القرآن واضحة سهلة لاعوج فيها ولا أمتا نرى علم الفرائض عويصا شديد المراس صعبا الاعلى ذوى الجد والاجتهاد • ولما كانت التركات يعوزها نوع من الحساب جاسوا خلال العلوم وبحثوا فى الفنون وجدّوا فى المسير حتى استنبطوا حسابا للفرائض واشتقوه من علم الحساب العام وعلم الحساب العام مشتق من علم الارتماطيقى أى علم خواص الاعداد فياعجبا كل العجب لهؤلاء الاعلام غاصوا فى بحار العلوم فاستخرجوا درالحساب وحلوا به مسائل الفرائض ليسهل لهم قسمة التركات وحفظ نظام الاسرات وايفاء حقوق الابناء والبنات ضربوا فى كل علم بسهم ومدوا أيديهم الى فرع من فروع العلم الرياضى الذى هو أحد أقسام علم الفلسفة الشاملة لسائر العلوم فجذبوه حتى استظلت به سهام التركات وانتظمت بها الأسرات فها أناذا أبين لك نموذجا لما صنعوا حتى تقرأ فى هذا التفسير صفوة علم الفرائض أوّلا وفروع علم الحساب ثانيا لتكون على بينة من أمر امتك وأجدادك وعلمائهم وكيف كانوا بعيدى النظر واسعى الفكر فاستعانوا بالعلوم على الاستنباط من القرآن ولم يدخروا وسعا فى استنباط العلوم واستخدام مايحتاجون اليه من علوم الحكمة العامة وكيف مات المتأخرون وجهلوا سائر العلوم واقتصروا على علم الفقه جهالة وخسة وقصر نظر واذا قرؤا الفرائض تلقفوا حسابها جمعا وضربا وطرحا وقسمة وهم لايعلمون من أين هذا العلم ومن فروع أى العلوم هو ويجهلون أن آباءهم قد عرفوا العلوم الحكمية وهم الذين اصطفوا هذا الفرع من الحساب العام الاساء مثلا القوم الجاهلون • ولكنى أقول لك لاتحزن ولاتأسف وأبشر فان للنهضة الاسلامية بشائر هذا أوانها ولرقى الشرق زمانا هو مانحن فيه • واعلم أن المفكرين فى الاسلام اليوم أخذوا فعلا ينسجون على منوال الأوائل ودليلك على ذلك مافى هذا التفسير فقل للآباء ناموا قريرى العين واعلموا أننا اليوم أخذنا ننسج على منوالكم فلئن خدمتم الأمة بالعلوم ودوّنتم فى الفقه حسابا استخلصتموه من علم الحساب فنحن نقول

لسنا وان أحسابنا كرمت * يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

قد خدموا أمة الاسلام فى الأحكام الشرعية لحفظ كيان الامة فحق علينا أن نبين من الآيات العلوم الكونية حتى يلتحق الشرقى بالغربى

يا أمة الاسلام آيات معدودات فى الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات فمالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة • هذا زمان العلوم هذا زمان ظهور نور الاسلام هذا زمان رقيه • ياليت شعرى لماذا لانعمل فى آيات العلوم الكونية مافعله آباؤنا فى آيات الميراث • ولكنى أقول الحمدلله الحمدلله انك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض لأنه فرض كفاية فأما هذه فانها للازدياد فى معرفة الله وهى فرض عين على كل قادر كما هو مقرر فى باب الشكر للامام الغزالى وهى نفس علم التوحيد الحقيقى والمعرفة والشكر يكونان على كل امرئ بقدر طاقته • إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الاسلام فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق والله يهدى من يشاء الى سواء الصراط • اذا عرفت هذا فهاك ماوعدتك به من خلاصة علم الفرائض ثم أتبعه بذكر فروع علم الحساب لتعرف كيف كان جد آبائنا الاكابر فى علوم الدين

﴿ خلاصة علم الفرائض ﴾

اعلم أن أقرب طريق لمعرفة الفرائض الميراثية مادبجه العلامة ابن الهائم وهو جدول لطيف مشتمل على ثلاثين مربعا فى النصف الأعلى ثم هو أشبه بمثلث ويمكن كل مطلع عليه ممن لم يقرؤا علم الميراث أن يعطى كل ذى

حق حقه فى أسرع وقت اذا اطلع عليه مراعيا التنبيهات التى جعلت مفتاحا له وهاهوذا ملحق بالتفسير ويمكن استخراج مئات المسائل منه وهذا من نعمة الله التى أفاضها على قلوب الفضلاء من هذه الأمة انتهى

واذا عرفت خلاصة من علم الفرائض من الجدول الملحق فهاك فروع الحساب المستنبطة من علم الخواص العددية

علم الحساب العام وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات المخصوصة وله تسعة فروع

(١) علم حساب الهواء وهو الذى به يعرف حساب الأموال العظيمة فى الخيال بلا كتابة

(٢) وعلم حساب التخت والميل وهو العلم المشهور فى مدارس الشرق والغرب الآن المكتوب بالأرقام الهندية المعروفة المرتبة ترتيبا يدل على الآحاد والعشرات والمئات الخ

(٣) وعلم الجبر والمقابلة وهو معروف

(٤) وعلم حساب الخطأين وله طرق مخصوصة مختصرة يتعرف بها المجهول

(٥) وعلم الدرهم والدينار وهو العلم الذى يعرف به من المسائل مالا يعرف بالجبر

(٦) وعلم حساب العقود أى عقود الأصابع ولهم طرق فى استخراج المجهول بها وهو ينفع لمن لا يحسن الكتابة ولمن كان مسافرا الخ

(٧) وعلم التعابى وهو الذى به يعرف ترتيب العساكر فى الحروب

(٨) وعلم حساب النجوم الذى به يعرف حساب الدرج والدقائق والثوانى وهكذا

(٩) وعلم حساب الفرائض وهو الذى نحن بصدده وبه يعرف قسمة التركات مثل تصحيح السهام لذوى الفروض اذا تعددت وانكسرت أو زادت الفروض على المال وهذا حساب جزئى باعتبار أحكام الفقه انتهى

هذه هى الفروع التى تفرعت من علم الحساب وطبقها قدماؤنا على فروع الحياة فالمجاهدون اتخذوا علم التعابى وعلماء الفرائض علم حسابهم والتجار فى الأسفار علم حساب العقود ورجال الدواوين علم التخت والميل

هذه أعمال آبائنا وهانحن أولاء فى القرن الرابع عشر الاسلامى نحذو حذوهم فى سائر أعمال الحياة ونذكر خلاصة علوم الشرق وعلوم الغرب وعجائب صنع الله عز وجل وهى التى بها قامت المدنية الحاضرة فى تفسير الآيات وقد انتشرت هذه الفكرة بين المسلمين فى هذا الزمان وهم بها آخذون وهم مستبشرون الامن أكل الحسد قلوبهم من صغار الفقهاء — فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون —

﴿ جوهرة ﴾

قد عرفت أن آيات الميراث تبعها علم الحساب ولاجرم أن التركة لاتقسم على الوجه الأكمل الا بمساحة الارض اذا اشتملت عليها والمساحة من فروع الهندسة ولابد للمساحة من علم الفلك لان علماء المساحة الراسخين يضطرون الى الاعتماد على بعض النجوم كما يضطر الملاحون لملاحظة النجوم فى سير السفن هذا هو الاسلام

اللطيفة الثانية . كيف تكون التعاليم الاسلامية فى مستقبل الزمان . إن مفتاح التربية المستقبلة فى آية اليتامى يقول الله تعالى فى هذه الآيات — وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا —

اعلم أن الله عز وجل قد رمز فى هذه الآية للتربية الحقيقية الاسلامية وسنبرز ما كمن فيها للامم الاسلامية المستقبلة ليعلموا أن الله عز وجل خبأ لهم كنوز العلم فى القرآن ليستخرجوها وليبحثوا فى نفوسهم وفى الآفاق

عما كنز فيها من الجواهر والحكم والجمال والبهاء إن النفوس الانسانية كبحر لجى وكل من الناس لاينال من خباياه نفسه وجواهرها الاماقصده ولايستمتع الابما أراد ويبقى ما كمن فى الأنفس ملقى فيها لايجد من يثيره وينتفع به . ألا فليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أن هذه الآية تدعوحثيثا الى استخراج جمال النفوس وجواهر الحكم من غورها

فاعلم أيها الذكى أن التعاليم فى هذا العالم الانسانى على قسمين تعاليم بالارهاب وتعاليم بالرغبة والوجدان فأما تعاليم الارهاب فهى التى يسلكها الانسان فى معاملته مع الصبيان والجهال وأصحاب النفوس الضعيفة التى لم تستخرج كنوزها كماترى أن البلور ترتسم فيه الصور بلاصقل ولاتعب فأما الحديد فلايقبل الصور الابعد العناء فى صقله والتعب فى تحسينه حتى يقبل الصور كما يقبلها البلور وفى الحديث * الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام * فتفطن لما يلقى عليك أيها الذكى اليوم من جواهر هذه الآية الواردة فى الأيتام وفى الحكم المستودعة فيها . لقد أرشد الله الأوصياء قائلا — وليخش الذين لوتركوا من خلفهم — الخ

يقول أيها الناس انى قد جعلت الرحمة والشفقة والعطف والحنان من الغرائز الممنوحة لأهل الأرض قاطبة فتشوا أيها الناس فى قلوبكم وانظروا بعيونكم هل ترون الارحمة ممتزجة بنفوسكم واشفاقا فى قلوبكم أولاترون الحيوانات من الخيل والبقر والمعز والغنم بل الحيوانات المفترسة أودعت فى قلوبها رحمة على أبناء جنسها عامة وعلى أولادها خاصة وأنا الذى حكمت عليها أن تأكل الأنعام لحكمة دبرتها وغاية يعرفها الحكماء وأكابر العلماء فأى امرئ منكم لم ير فى نفسه ميلا واشفاقا على الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام ولوأن المرء خلى وغريزته الأولية لايقن أن العطف الذى على ولده الصغير هو العطف الذى يجده على جميع الضعفاء وان دفن تلك الرحمة وأسدل الستار عليها وغطاها بحجب الشهوات تارة والعدوان أخرى . فمن طمع فى مال غيره من الضعفاء كالدول الكبيرة فان هذا الطمع يسدل الحجب على تلك الغرائز الشريفة فيسترها كما ستر الرحمة التى فى الآساد للبهائم ماطبعت عليه من الافتراس العارض لها

﴿ المحبة والكهرباء ﴾

ألا وان المحبة والمجد والعطف كامنات فى النفوس كمون الكهرباء فى الأجسام

أيها الناس ان المحبة والمجد كامنان فى نفوسكم كما كمنت الكهرباء فى الأجسام . أولاترون أن الزجاج والراتينج أى شمع الختم اذا دلك كل منهما بطرق مخصوصة وقرب لب السيسبان مثلا من الزجاج جذبه اليه وضمه ثم نفر منه وطرده فاذا قربناه من الراتينج المدلوك جذبه اليه والتزق به ثم طرده فاذا أرجعناه للزجاج قبله وهكذا وهذه التجربة البسيطة الصغيرة أوجدت قسمين كهرباء سميت موجبة وهى الزجاجية وكهرباء سميت سالبة وهى الراتينجية وجميع الكهرباء فى الهواء والماء والسحاب والمعادن لاتعدو هذين القسمين وهذه هى التى لما كشفها الناس حملتهم وأطعمتهم وكستهم وحرثت أرضهم وفعلت عجائب لم تخطر ببالهم واذا كانت هذه المادة مخلوقة لكم وفيها هذا السر النافع العجيب أفلاتكون أنفسكم أصدق محكا وأعظم مقاسا وأنتم لوفتشتم فيها لوجدتم أن فيها ماهو فوق الكهرباء فى اسعادكم ورقيكم وتشييد مجدكم

انظروا أيها الناس ألم تكن الأعمال الجراحية تعمل لكم وأنتم متألمون أشد الآلام ألم تستطيعوا أن تأتوا بمخدر يسهل العمل ويقلل الألم ويدفعه عنكم هذا مثل مماوصلتم اليه

﴿ الترغيب والترهيب فى الآيات ﴾

هكذا أنتم تقومون بالأعمال إماطوعا وإما كرها كالأوصياء هنا فان الله قال لهم فتشوا ضمائركم وانظروا فى نفوسكم ألستم تعاملون أبناءكم برحمة ومودة وعطف وشفقة فهكذا عاملوا اليتامى واحفظوا لهم أموالهم

كأبنائكم وهذه الآية يرادمنها إثارةالعواطف الكامنة فى النفوس التى مبدؤها الرحمة وغايتها سعادة الضمير بما يرى منقوشا فيه من صور الاحسان ومايسمع من الثناء من الناس ومايتصف به من جميل الاخلاق والمزايا الحسان . ولما كانت أكثر النفوس لاتعرف الاالانذار والتخويف ولاتفهم الشرف النفسى ولااللذات العقلية أعقب الآية بالوعيدلهم بأنهم انما يأكلون النارفى بطونهم وسيصلون نارا مسعرة مهددا لهم وزاجرا كأنه يقول أيها الناس ان سعادة نفوسكم بالاحسان والفضائل التى تشرف بها النفس واذا لم تفهموا فأنا أحذركم نار جهنم بسبب أكل مال اليتيم

واعلم أن ذكر النار فى هذه الآية وفى حديث الاسراء المتقدم وهو أنه يؤتى بحجر من النار فيدخل فى فمه نازلا فى جسمه فانما ذلك تصوير لما عليه حال الانسان الآن وان لم يحس به فان الحرص والطمع والحسد وعدم الرحمة كل ذلك مؤلم للنفوس فى هذه الدنيا والناس كالمخدرين لايشعرون فاذا ماتوا انكشفت السوآت وظهرت العورات

واعلم أن الناس لايصدقون هذا الااذا كانوا مفكرين فتأمل أيها الذكى ألست ترى أن المال كلما زاد زاد التعب به وأن المناصب والأولاد وأمثالها لاتمنع الشرور عن الانسان بل تزيدها وأنا لا أطيل فى هذا المقام فارجع اليه فى سورة البقرة عندقوله تعالى ــ ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ــ

العمل للمحبة أدوم والعمل بالقهر قصير الأجل لأقدم لك ماقاله النابغة الذبيانى

لو أنها برزت لأشمط راهب * عبد الاله صرورة متعبد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقال فى هذا المعنى كثير عزة

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فانظر كيف جعل النابغة وكثير أن الرهبان والعباد الذين يبكون من خشية العذاب اذا سمعوا قول معشوقتيهما تركوا عبادة ربهم وأصغوا الى حديث هذه الفاتنة الجميلة . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى ــ ومانرسل بالآيات الاتخويفا ــ

فالتعليم أيها الناس بالتخويف لايفيد الأمم وانما نتيجة هذا البحث أن الله يحثنا أن نعلم بطرق الترغيب ونستخرج ما كمن فى النفوس بما فيها من الجمال وهاأناذا آت لك بصور من ذلك

الطريق الأول أن نذكر سير النابغين فى علم أوعمل أووطنية . فليذكر كل أهل قطر سير عظمائهم الذين أفادوا بلادهم بأن علموهم أو أدوا اليهم عملا شريفا أوحفظوا أوطانهم من العدو فليفقه التلاميذ ذلك فان ذلك يهيج الشعور فى قلوبهم فتمتلئ بالحماسة ويسيرون على منهج سابقيهم ويقلدونهم ويعملون عملهم ان الأمم التى تنسى هذا لامحالة فاقدة مجدها آيلة الى خرابها ذاهبة الى الحضيض . هذا هو الذى يرمى اليه قوله تعالى ــ وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ــ يريد تحريك الوجدان والشعور فلنحرك الوجدان والشعور والمجد بالطرق التى نعرفها وهذه منها

الطريق الثانى كثرة النظر فى جمال الطبيعة حتى يعتاد الشاب الحسن والجمال فى هذه المشاهدات المخلوقة فى الأرض والسماء

الطريق الثالث أن يكون مع التلميذ مذكرة يحصى فيها مايستحسنه مما رآه ومانذمه مما مر عليه من الأمور المهمة يرجع اليها عند الحاجة فهذه الثلاثة متى اجتمعت فى امرئ جعلته فى مصاف العظماء ونهج منهج الحكماء

﴿ جوهرة فى قابلية الناس للكمال وواجب العلماء فى أمة الاسلام ﴾

الناس جميعا قابلون هذه الفضائل العلم والقدوة كفيلان باستخراج فضائلهم وان كانوا مختلفين اختلاف المعادن والخشب فى الكهرباء فالخشب يقل سريان الكهرباء فيه والمعدن كثرت قابليته . فليقم الاساتذة فى الاسلام بعلم أبرزه الله فى هذه الآيات قدم الله آية الترغيب بالبحث فى النفس عن الرحمة على الترهيب بأكل نار جهنم التى سترها وجودنا فى حياتنا الدنيا وان كنا نحس بآلام الحرص والطمع أحيانا . رغبنا الله فى إيقاظ العقول لنستخرج فضائلها وهذا أفضل من الترهيب . إن أمما معاصرة لنا سلكت هذه السبل فقلت القضايا كأهل سويسرا يمر الشهر ولا ترى أمام القاضى قضية ولا محاماة بل ينصرف كل الى عمله وذلك لانهم يرضعون الفضائل وحب البلاد مع اللبن يلقنونه فى المهد والتربيـة والمدارس . لا تذاكر فى مراكب الترام لا تذاكر فى القطار . يسير الراكب ويضع الاجرة فى صندوق مقفل بحيث لا يعلم أحد ماذا دفع . يارب عجب من أمة الاسلام عجب وألف عجب . الى متى . ديننا يأمرنا أن نوقظ الشعور . نحن من نوع الانسان ولنا دين الاسلام . فلم سبقنا الفرنجة من أهـل سويسرا . يا الله اليـك أشـكو . التعليم فى الاسلام ناقص . أبتر تعليم لا يثير الفضائل . تعليم ليس فيه الا التخويف لم يعلقيد شعرة عن ذكر المخوفات والمزعجات . . مع أنك أنت يا الله أنزلت فى الـكتاب سبعمائة وخمسين آية فيها جمال هذا العالم والنظر فى الجمال يدخل فى النفس صور الجمال والجمال يجذب بعضه بعضا فيجذب مافى نفوسنا من الجمال والفضائل . أمرت بالبحث فى النفس فى هـذه الآيات عن فضائلها فاقتصر أهل العلم على ذكر النار مع أن النفس الانسانية فيها مبدأ الكمال والجمال . يارب لم يعلم الناس أن القرآن فيه تعاليم كثيرة فلم يأخذوا منها الا قولا واحدا غالبا وهو عذاب الجحيم فأما الفضائل الكامنة فلم يثيروها ولم يستخرجوها بل تركوها عليها الصدأ — بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم — قد أبنت يا الله أن الران والصدأ اذا غطى القلب حجب صاحبه عن النعيم ودخل الجحيم فقالوا نترك المعاصى فحسب ونعمل الطاعات ولكن لم يفكر أكثر العلماء فى جمال الطبيعة والسير الشريفة عند التعليم الا قليلا منهم مع أنهم لا يتقنونها

﴿ حكاية وبشارة بمستقبل التعليم فى الاسلام ﴾

قال لى صديق تعلم فى أوروبا سنين طويلة هل يمكن أن تعم الأمانة الناس والصدق قلت له نعم فأنكر ذلك أشد الانكار قلت له فاذا برهنت على ما أقول ببرهان تشاهده فى منزلكم هنا . فقال يكون عجيبا قلت ألم تجد أحدا زوج أختا له جميلة لرجل وهى أجمل من امرأته هو قال بلى هذا كثير قلت له أليست هذه الأخت أنثى كالاناث والطبع يميل اليها بشهوة الطبيعة قال بلى فانا نجد المجوس وهم من نوع الانسان يتزوجون بناتهم وأخواتهم قلت له حسن فالذى منع طبائع المسلمين والنصارى أن تكون كطبائع المجوس أليس هو التعليم والبيئة . أولست نجد أن العامة والجهلاء فى البلاد والقرى المصرية لا يرضون بسرقة حصر المسجد وقناديله وهم يسرقون كل شئ أفلست ترى أن ذلك من البيئـة والعادة المستمرة فى احترام المساجد واحترام الأرحام بحيث يرى الشاب أن أخته كأنها مقدسة وأمه كذلك وبنته لا يخطر بباله أن ينالها بسوء . لعمرى ان هذا ليس من الطبيعة فى شئ انما هو من التعليم فالتعليم أيقظ فى النفس فضائل أخرى أوجدها وقد كانت فيها كامنة . أفلست ترى ما تمتع به أهل سويسرا من الأدب والفضل نحن أهل الشرق أولى أن نناله ونحن آباؤهم وأسلم منهم عقولا وأصح منهم جسوما وأقدم مدنيـة قال بلى أما الآن فقد آمنت بقضيتك وصدقت كلمتك قلت له أنا أشعر أن مستقبل الأمم الاسلامية سيكون على هذا المنوال ولو بعد حين وأنهم ينالون هذا النعيم فى الحياة وتقل القضايا وترفع الرزايا ويقوم الوجدان بدل القانون والاحسان مقام السجان والمعرفـة مقام الشر والسفه والمعاونة بدل المخاصمة . أليس هذا يشير له آيات المحرمات من النساء وكأنه يقول أنا حرمت

الأمهات والبنات حتى لم تعد لكم حاجة فيهن مع أن الطبع يقتضيهن وذلك لما أبرزتم ما كمن فى نفوسكم من الحية والشرف هكذا فلتتفعلوا فى سائر التعاليم كقضية اليتامى • أليس هذا مقتضى ماقيل لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وماقيل لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه بالحب قامت السموات والأرض • ومن هذا السر حديث الحياء من الايمان

فليكن كل قصدك أيها الذكى نشر المعرفة و بث السير الجميلة والقدوة الحسنة وليكن هذا من الاسلام فذلك أرقى من التهديد وليقم فى البلاد مصلحون على هذا النظام وليجدد التعليم على هذا الأساس وينبذ ماعداه الا للنفوس التى هى كالخشب المسندة فأما أمثالك فليس لهم غير اثارة الجمال فى نفوسهم والحسن والكمال انتهى

(المَقْصِدُ الرَّابِعُ)

(فى صِلَةِ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَأَحْكَامِ اخْتِلَاطِهِمَا بِعَقْدٍ أَوْ بِغَيْرِ عَقْدٍ)

وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ، فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً * وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا

ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً * والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير
مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً * ومن لم يستطع منكم طولاً
أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم
بإيمانكم ، بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف
محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم
والله غفور رحيم * يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً *
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً * ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً
فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً * إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً * ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من
فضله إن الله كان بكل شيء عليماً * ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون
والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، إن الله كان على كل شيء شهيداً * الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن واهجروهن في
المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله كان علياً كبيراً *
وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق

ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً *

فى هذا المقصد ثلاثة فصول

الفصل الأوّل فى تعدّى حدود الله المذكور قبل هذا المقصد وكيف يوبخ الزناة وتقطع صلتهم بالناس الى قوله — وأخذن منكم ميثاقا غليظا —

الفصل الثانى فى المحرمات من النساء الى قوله — والله غفور رحيم —

الفصل الثالث فى أحكام عامة للنساء وللأموال و بيان الصلح بين الزوجين الخ

﴿ الفصل الأوّل التفسير اللفظى ﴾

(واللاتى يأتين الفاحشة) الزنا لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهنّ أربعة من الرجال تشهد عليهن (فان شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفاهن الموت) احبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن بعد أن يجلدن كيلا يجرى ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال (أو يجعل الله لهنّ سبيلا) بأن يتزوّجن فيستغنين عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانى والزانية (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع (فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء وأعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توّابا رحيما) علة الأمر بالاعراض وترك المذمة والستر بعد الفضيحة . فهذه الآية لتأديب الزناة تأديبا عرفيا أخلاقيا نفسيا ومن ثبت عليه الزنا منهما يقام عليه الحد وقد تحبس المرأة للآية السابقة (إنما التوبة) أى قبولها (على الله) أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته (للذين يعملون السوء بجهالة) متلبسين بها سفها لأن المذنب سفيه (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقول الله تعالى — حتى اذا حضر أحدهم الموت — ولقوله عليه الصلاة والسلام * إن الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر * ومن للتبعيض أى فى أى جزء من أجزاء الزمان القريب أى الذى هو ماقبل أن ينزل بهم الموت (فأولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله — انما التوبة على الله — (وكان الله عليما) باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين) الى قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) فيه تسوية من لم يتب حتى يغرغر بالميت كافرا فى أن كلا منهما لا يعتد بتوبته تغليظا على من أخر التوبة وتشديدا عليه حتى جعل كمن مات كافرا (أعتدنا لهم) أى هيأنا لهم وأعددنا (عذابا أليما يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم ان شاء تزوّجها بصداقها الأوّل وان شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها وان شاء منعها من الزواج حتى تفتدى بما ورثت من زوجها (ولا تعضلوهن) أيها الأزواج لا تحبسوا النساء من غير حاجة ورغبة حتى ترثوا منهن أو يختلعن بمهورهنّ وأصل العضل التضييق فيقال عضلت الدجاجة ببيضها يقول ولا تحبسوهن لتضيقوا عليهن لعلة (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) أى فان كرهتموهنّ فاصبروا عليهن فالنفس قد تكره ماهو خير كثير وقد تحب ماهو شر (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج أخرى (وآتيتم إحداهن قنطارا) أى إحدى الزوجات مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) لأجل البهتان والاثم أو باهتين آثمين وهو استفهام توبيخ وانكار ثم قال منكرا لاسترداد المهر (وكيف تأخذونه) (و) الحال انه (قد أفضى بعضكم الى بعض) بالملامسة ودخلتم بهن وتقرر المهر (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة وميثاق الله الذى أخذه عليكم فى شأنهنّ من قوله تعالى — فامساك

بمعروف أو تسريح بإحسان ـ ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم * أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * انتهى التفسير اللفظى

يقول الله تعالى اذا أتى الفاحشة النساء وشهد أربعة عليهن وأقيم الحد عليهن فاحبسوهن فى البيوت اذا رأيتم أن الحد لم يزجرهن حتى يجعل الله لهن سبيلا بالتزوج المغنى لهن عن السفاح وكذلك اذا درئ عنهن الحد لشبهة . وانما قرر حبس المرأة لانها لاتكون الفاحشة معها الا اذا كانت خارجة السجن فأما الرجل فلا يحبس لأنه يقوم بأمور المعاش . وعلى الحاكم أن يأمر بتقريعهما وتوبيخهما والايذاء حتى اذا تابا ورجعا يعفو عنهما وهذا التقريع والتوبيخ لمن شهد عليه شاهدان فلم يقم عليه الحد أو ثلاثة شهود أو كان أربعة شهود ودرئ الحد عن المتهم فحينئذ لابد من التقريع والتوبيخ فاذا تاب كل منهما بطل التقريع لأن الله يتوب على من تاب توبة مقبولة مالم تكن فى حال الاحتضار . ولما أتم الكلام على عقاب الزناة وحبس الزانيات وايذاء الجنسين لفعل القبيح أخذ يوصى الرجل عليهن ويقول أيها الرجال لاترثوا النساء كرها كما ترثون المتاع إن الميت له ماله والزوجة انحل عقد النكاح بموتها وليست ملكا له حتى يملكها أقاربه فاياكم أن تمنعوها عن زواج أو تأخذوا منها مالا أو تمنعوها ميراثا فى مقابلة إطلاق سراحها وعليكم أيها الأزواج أن لاتجعلوا العيش معهن لغاية مالية وفائدة لكم مضارة لها بأن تأخذوا بذلك بعض ما أخذن من المهر وأنتم تتربصون موتهن فترثونهن وإياكم أن تفعلوا ذلك الا اذا أظهرن عدم العفة وعاملنكم معاملة جائرة بنشوز وسوء عشرة فحينئذ لكم عضلهن والتضييق عليهن وعاشروهن أيها الأزواج بالمعروف ولا تطيعوا أهواءكم فى كراهتهن فرب مكروه كان خيرا كثيرا ورب محبوب كان شرا مستطيرا . أقول ومن قرأ ماذكرناه فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ وبشر الصابرين الخ ـ عرف فوائد المكروه وأن الحياة لاسعادة فيها الا بالمشاق والمكاره فلانطيل به هنا فارجع اليه ليظهر معنى هذه الآية ثم قال واذا أعطيتموهن شيئا فاياكم والرجوع فيه ولو كان قنطارا وكيف ترجعون فى العطية وقد بذلتموها وتردون الهدية وقد أوليتموها وليس من المروءة استردادها ولامن الشهامة إرجاعها بعد ما كان بينكما من الصفاء والمحبة والوفاء إن هذا لشين مبين وظلم عظيم

﴿ جوهرة من جواهر القرآن فى التربية فى مستقبل الاسلام ﴾

تعجب أيها الذكى من نوادر القرآن وغرائبه واعجب معى لهذه الأضواء الساطعة فى سماء العلم التى أشرقت فى ثنايا سطور هذا التفسير ياليت شعرى هل يقرأ ما أكتب المسلمون وهل يعجبون معى فيما أقول

انظروا أيها العلماء انظروا أيها الأمراء فكروا أيها الحكماء فى معنى هذه الآيات يقول من قبل آيات ـ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية الخ ـ ولقد شرحناها هناك ويقول هنا ـ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ـ ويقول فى آية أخرى ـ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ـ

هذه أنواع ثلاثة من أنواع التربية قد سطرها القرآن والمسلمون عن الأنفس والآفاق لاهون نائمون ولقد يكتفى أكثر العقلاء والعلماء بالأحكام الفقهية والبيوع الشرعية والقضايا الميراثية وهم عن حقائقه معرضون فمثل هذه الآيات ينظر فيها العالم الى الخلاف الذى بين العلماء فمن قائل ان آية ـ واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم ـ منسوخة ومن قائل انها فى اللاتى يأتين السحاق مع بعضهن وفى الثانية وهى ـ واللذان يأتيانها منكم ـ قالت طائفة انها فى اللواط وقالت طائفة أخرى انها فى الزناة وقد نسخت . ولقد اصطفيت لك اللب من كلام العلماء ونبذت القشر وفسرت الآية بما ينطبق على قول بعض المفسرين مراعيا الفوائد العلمية والعجائب النفسية والأخلاق الانسانية والطبائع البشرية

إن القرآن نزل منذ أربع وأربعين وثلاثمائة وألف سنة وهذه الآيات تقرأ والناس مصروفون عنها وعن أمثالها بأمرين الأول أن يكتفوا بأقوال الائمة رضوان الله عليهم أجمعين فى الحدود والبيوع وما أشبهها ويقولون قد تم الأمر فلا حاجة لبحث ولا لتنقيب اللهم الا الاطلاع على آراء العلماء فى هذه الآيات ويكون ذلك مجرد اطلاع الثانى أن يتركوا القراءة ويعبدوا الله بالتلاوة وهذان الأمران هما اللذان أصبحا حجابا بين المسلمين و بين القرآن . وها أنا ذا أريد أن يرفع الحجاب ويظهر اللباب ويطلع الناس على جمال القرآن وعجائبه مع اتقاء مخالفة الأولين والجنوح فى التفسير الى رأى من آراء السابقين حتى لا نكون مبتدعين فى التفسير ولا مخالفين المتقدمين فاصغ لما أتلو عليك من جمال التربية الاسلامية من هذه الآيات . ولأقدم مقدمة فأقول

اعلم أن العوالم المشاهدة لا تخلو من واحدة من ثلاث أحوال إما أن تكون مضيئة كالنار والشموس واما أن تكون معتمة كالمواد الأرضية من الحجر والشجر والطين واما أن تكون شفافة كالماء والهواء والبللور والزجاج المصنوع من الرمل المخلوط بالمغنيسيا والقلى فالأول مايضىء على غيره والثالث مايقبل الضوء والظلمة ولا يحجبهما عما وراءه والثانى مايحجب النور عما وراءه

اذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن النفوس البشرية ثلاثة أقسام قسم مضىء وقسم مشف وقسم معتم

فالأول هم أصحاب النفوس الشريفة فهؤلاء يمنعهم عن الزنا اشراق نفوسهم فقيل لهم — وليخش الذين لو تركوا الخ — يقول انظروا بفطركم السليمة وعقولكم المضيئة فى أمر اليتامى وقد قدمنا أن هذه فتح باب لتربية العقول بطرق خاصة

والثانى هم المتوسطون الذين لاقدرة لهم على الاستنتاج من أنفسهم فأمثال هؤلاء يقرعون ويزجرون باللسان ويوبخون اذا اقترفوا الذنوب كفعل الزنا سواء أقيم الحد كما فى البكر أم لم يقم الحد وكانت الشهادة لم تتم بالأربعة فحينئذ يوبخون ويقرعون الخ وهكذا يفتح باب التقريع والتوبيخ . وأقول ذلك ليفتح المسلمون هذا الباب وليشهر على ألسنة الجرائد والصحف من لم يرتدع فى الدائرة التى هو فيها حتى يرجع الى رشده يقول الله — فآذوهما — والايذاء فى كل قبيل بحسبه . إن هؤلاء أشبه بالجسم الشفاف ولعمرى ان التأديب بهذه الطريق أقرب الى السلامة وأبعد عن الجهالة وأسعد للأمم وأبعث لرقى الهمم إن المرء لا يرقى الى المعالى الا اذا أحس بالمسئولية ولا إحساس بها الا بإثارة ما كمن فيها من عوامل الشرف . فلتجعل الجرائد وسيلة لتعيير من ينتهكون حرمة الآداب . إن الجرائد فى الأيام الحاضرة بها إقامة الحرب والسلم ونظام الأمم وتأديب الغاوين ومدح النافعين وارشاد الضالين وهداية الغافلين فلتجعل وسيلة الى ردع من ضل بالهوى وغوى وأعرض عن نفع الجمهور

وأما القسم الثالث فهم الذين فرغت الحيلة فيهم وعجزت الزواجر عن ردعهم فأولئك يقطعون من جسم الأمة قطعا وينبذون منها نبذا كأن يقتل القاتلون و يرجم الزانون اذا لم تدرأ الحدود بالشبهات وقامت على أعمالهم الشهادات

واعلم أن الجسم المعتم قد يقبل الصقل كالحديد فان الحيلة تجعله يقبل صور المرئيات ويرى الانسان وجهه كالمرآة المعلومة فهؤلاء الذين جعلناهم كالأجسام المعتمة يمكن صقلهم بالعلوم فان لم ينجع فيهم القول سللنا عليهم سيفا قاطعا وفصلنا أرواحهم عن الأجسام فزاروا الرموس بعد قطع الرؤس هذا هو الصراط المستقيم ولتعلم أن الله ليس يريد الانتقام وانما هو مربى الأنام وما العقاب الا اتقاء الشرور فاذا أثيرت حمية النفوس بالمباحث العلمية الجليلة وتواصى الناس بالحق فى معاملة أولئك الجناة فنبذوهم ظهريا وتركوهم كما ترى فى قصة الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فى عشرات الأيام وستقرؤها فى سورة التوبة فقد هجرهم الرسول والمؤمنون ولم يعف عنهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ونزلت الآية بالعفو عنهم هكذا

فصل

فعل الله في سياسته مع المتخلفين فقوله هنا فآذوهما فتح لهذا الباب ومن تاب بالتقريع وصلح فليعف عنه
وليعامل معاملة الصالحين هذا هو السر الذي أردت اظهاره لتقرأه للمسلمين وتشرحه للخاصين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) أي التي نكحها آباؤكم وبينه بقوله (من النساء إلا ما قد سلف) استثناء
من المعنى كأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف قبل التحريم * روى أنه لما توفي
أبو قيس وكان من صالحي الأنصار خطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت إني اتخذتك ولدا وأنت من صالحي قومك
ولكني آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأستأمره فأتته فأخبرته فنزلت هذه الآية وحرم نكاح زوجة الأب
(انه كان فاحشة) أقبح المعاصي (ومقتا) يورث أشد الغضب من الله وغاية الخزي والعار (وساء سبيلا) وبئس
ذلك طريقا . رجع في هذا المقام إلى تقبيح المعاصي والذنوب بالتقبيح والتشنيع والذم وهذا هو الذي ستتبعه
الأمة الاسلامية للطبقة الوسطى فالذم والتشنيع ورسم صور الأشياء وعرضها على الناس فيرون قبحها تارة
وحسنها أخرى هو الذي يستخرج من نفوس الأمم ما كمن فيها من الاستحسان والاستقباح كما قدمناه في قوله
تعالى - واللذان يأتيانها منكم فآذوهما - وهنا يقول - فاحشة ومقتا وساء سبيلا - كل هذا للتنفير من الذنب
وكان يكفي أن يقول إني أعذبه بجهنم وأسلط عليه أنواع العذاب في الآخرة لم يقل هذا بل استعمل التشنيع والتنفير
من الذم . فليفتح هذا الباب المسلمون ولكن المؤثرات النفسية هي محور أعمالهم كما تقدم . ولقد بلغنا
لهذا العهد أن الالمانيين لم يكثر نسلهم الا بعد أن أمر ملوكهم الأساتذة فصوروا صورتي زوجين ومعهما أبناؤهما
وبناتهما وأمامهما أعمال مختلفة فهذه تطبخ الطعام وهذه تحضر الأواني وهذه تدبر أمر المنزل والأبوان
جالسان منشرحان وصورتي زوجين آخرين عقيمين متزوجين ضعيفين لا ولد لهما ولا بنت تموههما ولا مؤنس
لهما وعرضوا هذه الصور على نظر الجمهور فانكبوا على الزواج وكثر نسلهم وكثر جمعهم وذلك جزاء
المفكرين العاقلين . ثم أخذ يشرح بقية المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) أي حرم نكاحهن والأم من ولدتك أو ولدت
من ولدك وان علت والبنت من ولدتها أو ولدت من ولدها وان سفلت والأخت إما من الأب واما من الام
واما منهما والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا
وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى فالمحرمات بالنسب سبع بنص الكتاب

واعلم أن كل ما حرم بالنسب يحرم بالرضاع فاذا رضعت من امرأة فقد حرمت عليك التي أرضعتك وصارت أما
لك وكل بنت لها صارت أختك وزوجها أباك وأمها جدتك وأخت زوجها عمتك وأختها هي خالتك وأم زوجها جدتك
وبنت ابنها بنت أخيك فأصبحت من أسرة الرضاعة كما أنك من أسرة النسب . ثم إن الجمهور على أن قليل
الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والثوري والاوزاعي ومالك
وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في إحدى روايتين عنه والقليل كالشافعي وعبد الله بن الزبير وأحمد في
إحدى روايتين عنه ان التحريم بخمس رضعات معلومات متفرقات وحجة الاولين أن التحريم في الآية لم يقيد
بعدد وحجة الشافعي ومن معه الحديث المبين للقرآن . فأما المدة التي يحرم الرضاع فيها فهي ما دون الحولين
وهو رأي الجمهور ومنهم الشافعي وابن مسعود ومالك وأبو داود وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا فهذا
ملخص آراء الائمة في قوله تعالى (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) وهذا معطوف على
أمهاتكم واكتفى بالام والاخت عن ذكر الباقي وفي الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فكل بنت
لها سابقة أو لاحقة فهي أخته وهكذا البقية كما تقدم . فهؤلاء أربع عشرة امرأة تحرم سبعة بالنسب
وسبعة بالرضاع وانما ذكر الرضاع بعد النسب لانه لحمة كلحمة النسب وسيتبعها بحرمة المصاهرة وقد تقدم منها

زوجة الاب . فاعلم أن من عقد على امرأة حرمت عليه أمها بمجرد العقد وبحرمة أم المعقود عليها تحرم جميع جداتها من قبل أمها كما فى النسب والرضاع وتحريم الام ومامعها بمجرد العقد مذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين والجمهور وعليه العمل وقال فريق من الصحابة ان أم المرأة لاتحرم الابالدخول بابنتها وهومذهب زيد ابن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وابن عباس فى رواية عنه هذاملخص ماقالوه فى أم المعقود عليها . أما بنتها من رجل آخر فانها تحرم عليه متى دخل بالام وهكذا كل بنت لابنائها أو بناتها وان سفلن من النسب أوالرضاع * ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم أيمارجل نكح امرأة فلايحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلايحل له أن ينكح أمها دخل بها أولم يدخل وهذا قوله تعالى عطفا على أمهاتكم (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلاجناح عليكم) الربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من رجل آخر سمى به لانه يربه كمايرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول ولحقته التاء لانه صار اسما وقوله اللاتى فى حجوركم مكمل لعلة التحريم وكأنه قيل ان بنات نسائكم تربونهن كما تربون أولادكم وهم فى حجوركم كأولادكم فقوى شبههن بأولادكم فهن محرمات عليكم فذكر الحجور والتعبير بمايدل على التربية علة للتحريم لا أنه شرط وهذا مذهب الجمهور وأخذ سيدنا على بلفظ الآية وجعل التربية لهن شرطا فى التحريم حتى يتحقق حضانة الرجل لهن وتربيتهن ولا يكون التحريم الابالنكاح الصحيح فلوزنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولابنتها اذا أراد التزوج بهن ولاتحرم المزنى بها على آباء الزانى ولابنائه فالنكاح هو الذى يحرم مايترتب عليه وجوب الصداق والعدة ولحوق الولد سواء أكان صحيحا أم فاسدا أما الزنا أولمس امرأة أجنبية بشهوة أوتقبيلها كذلك بشهوة فلا وهذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير والزهرى ومالك والشافعى وفقهاء الحجاز وخالفهم قوم فقال عمران بن حصين وأبوهريرة وجابر والحسن وأهل العراق بان الزنا يحرم . ومما يحرم عليه بالمصاهرة زواج أبنائه أوأبناء أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع بمجرد العقد اذا كانوا من الصلب أما الذى تبناه فلاتحرم زوجته وكذلك أخت زوجته بنسب أورضاع فلا يجمعها معها فى نكاح ولايجمع وطأهما فى ملك يمين وكذلك اذا كانت إحداهما بعقد والأخرى بملك اليمين وهذا قوله تعالى عاطفا على أمهاتكم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) لا المتبنين كزيد بن حارثة الآتى فى سورة الأحزاب (وأن تجمعوا بين الأختين الاماقد سلف) أى لكن ماقدمضى فانه معفوّ عنه (وكان الله غفورا رحيما) فيكون نكاح الأختين فى الجاهلية نافذ العقد ويختار الرجل أيهماشاء حتى لايجمع بينهما ولايحتاج لعقد جديد على التى اختارها * روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يارسول الله انى أسلمت وتحتى أختان قال طلق أيتهماشئت وعطف على أمهاتكم أيضا قوله (والمحصنات من النساء) ذوات الازواج أحصنهن التزوّج وفى قراءة والمحصنات بكسر الصاد بمعنى انهنّ أحصن فروجهن (الاماملكت أيمانكم) من اللاتى سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى * قال أبو سعيد رضى الله عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن قال الفرزدق

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وقال أبو حنيفة لوسبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى ولماتم الكلام على المحرمات قال كتب الله عليكم تحريم هؤلاء (كتاب الله عليكم) ثم عطف على الفعل المضمر الذى ذكرناه قوله (وأحل لكم ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات المذكورة ومافى معناها كالجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وكالمطلقة ثلاثا لاتحل لزوجها الاوّل حتى تنكح زوجاغيره ونكاح المعتدة وهكذا من المحرمات التى ورد بها القرآن أوالسنة فكل هذه وغيرها تخصص هذه الآية فهذا من العام المخصوص وانما أحل ذلك (لتبتغوا بأموالكم) تطلبوا بأموالكم أى تنكحوا

بصداق

بصداق وتشتروا بثمن (محصنين) متزوّجين ومتعففين (غير مسافحين) غير زانين (فما استمتعتم) فمن تمتعتم به من المنكوحات (فآتوهنّ أجورهنّ) مهورهنّ حال كون الاجور (فريضة) مفروضة (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) أى فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضى (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فى شريعته وأحكامه • ثم أخذ يبين حكم من لم يقدر على نكاح الحرائر فقال

واعلم أن من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فله أن يتزوّج الأمة المؤمنة وذلك بشرطين الأوّل أن لا يجد مهر حرة لانها غالبا غالية المهر ومهر الامة أخف لاشتغالها بخدمة سيدها الثانى خوف الزنا عند جمع من الصحابة والشافعى وأحمد • والشرط الاوّل لايقول به أبو حنيفة رضى الله عنه فيجوز للحرأن ينكح أمة وان كان موسرا مالم تكن عنده حليلة حرة

واعلم ان سبب منع نكاح الحر للامة اذا كان موسرا أن الولد يتبع الام فى الرق والحرية واذا كانت هى رقيقة لسيدها فان ولدها رقيق له مثلها وهل يرضى بهذا حر وأيضا انها تكون فى خدمة سيدها فله أن يحبسها عنه فى خدمته ولا يجوز نكاح الامة الا اذا كانت مؤمنة أما الكافرة ففيها نقصان الكفر والرق معا وفى المؤمنة الرقيقة نقص واحد وهذا رأى الشافعى ومالك وجمع من الصحابة وأما أبو حنيفة فانه أجاز نكاح الامة الكتابية وهذا فى قوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) أى من لم يستطع منكم غنى (والمراد مايصرف فى المهر والنفقة) يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر (فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وحمل أبو حنيفة رضى الله عنه طول المحصنات على أن يملك فراشهنّ والنكاح على الوطء وعليه يجوز للموسر الذى لا حرة فى فراشه أن يتزوّج أمة كما تقدم والفتيات الجاريات المملوكة جمع فتاة والعبد فتى ولما كانت النفوس تأنف من الاماء أردفه سبحانه بأن المدار على القلوب فرب رقيقة أفضل من حرة بسبب إيمانها أوليس الناس بعضهم من بعض فلا تفاضل الا بالقلوب والنفوس فأما الرق والحرية فهما أمران جسمانيان صوريان وكم من رقيق سيد لسيده وكم من حر هو عبد عبده فهذا قوله تعالى (والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض) واذا كان كذلك (فانكحوهنّ باذن أهلهنّ) أى أربابهنّ (وآتوهنّ أجورهنّ) مهورهن باذن أهلهن وهو حق لسيدها لانها لا تملك وعند مالك هو حقها رجوعا لظاهر اللفظ (بالمعروف) بلا مطل ولا اضرار (محصنات) عفيفات (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات أخدان) اخلاء فى السر (فاذا أحصنّ) بالتزويج (فان أتين بفاحشة) زنا (فعليهنّ نصف ما على المحصنات) الحرائر (من العذاب) من الحد الجلد اذا زنين فتجلد الرقيقة خمسين جلدة وهى نصف ماتجلده الحرة وهو مائة جلدة وكذلك العبد والمتزوّج منهما عقابه كذلك فلا رجم على العبد ولا الأمة لان الرجم لا ينصف (ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) أى لمن خاف الوقوع فى الزنا (وأن تصبروا خير) أى وصبركم على نكاح الاماء متعففين خير لكم (والله غفور رحيم) أى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه انتهى تفسير الفصل الثانى وفيه لطائف أربع

اللطيفة الاولى • لنجعل المحرمات بهيئة منظمة لتسهل على القارئ

اللطيفة الثانية • ما الحكمة فى الشهوات والمحرمات وماذا تفيدنا من الحكم الاجتماعية والخلقية والاستنتاجية وكيف نعرف من هذا المقام سرّ النفوس وعجائبها وكيف يحترق الناس بالشهوات كما يحترقون بالنيران وهم غافلون وعجائب وبدائع من أسرار القرآن الشريف ليصل الناس لربهم ويعجبون من حكمه الباهرة

اللطيفة الثالثة • سرّ القرآن فى تحريم زواج الامة اذا خاف الحر الزنا وماعلاقتها بالامم الاسلامية اليوم سياسة

اللطيفة الرابعة • الأحرار والعبيد وان بعضهم من بعض والعبرة بالاعمال

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

يحرم هؤلاء على الرجل من النسب والرضاع	هؤلاء يحرمن من غير الرضاع والنسب
(١) الأم	(١) تحرم المرأة بانقضاء العدة
(٢) البنت	(٢) يحرم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها أو أختها الخ
(٣) الأخت	(٣) يحرم عليه امرأة أبيه
(٤) بنت الأخ	(٤) الملاعنة تحرم على زوجها
(٥) بنت الاخت	(٥) من عنده أربع نسوة لا يزيد عليهن
(٦) الخالة	(٦) المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الا بشروط خاصة
(٧) العمة	(٧) حليلة الابن
	(٨) الربيبة

﴿ اللطيفة الثانية الشهوة تقلب رحمة ﴾

أوَاعلم أن النساء بالنسبة لجميع الرجال مشتهيات لافرق بين الأجنبية والمحرم كالأخت والام فالطبيعة البشرية لافرق عندها بين الاخت والام والخالة والأجنبية فكل عندها سواء كما في البهائم فالنفس البهيمية لاتفرق بين الاخت والأجنبية هكذا الانسان * والدليل على ذلك أن المجوس يتزوجون بناتهم وأخواتهم ونفوسهم لاتأنف ذلك اما المسلمون والنصارى وأمثالهم فان الرجل قد تكون عنده أجل أخت ثم ينظر للاجنبية التى هى أقل جمالا منها نظر شهوة ولأخته نظر عطف وحنان . فهذا دليل فى كل منزل على مالنفس الانسانية من القدرة والعظمة والشرف يقول الله للناس

ها أنتم أولاء تقدرون على أن ترفعوا نفوسكم الى مستوى الملائكة إن فى نفوسكم لقدرة عظيمة وعزيمة قوية الشكيمة فاستبشروا بها ذلكم انكم لما سمعتم تحريم المحارم وعرفه الصغير منكم والكبير وصار ذلك عادة مألوفة انصرفت نفوسكم عن نظر الشهوة اليهن واستبدلتها بالحنان والتقديس والرحمة فرجعت نفوسكم بالنسبة اليهن عن صفة البهيمية الى صفة الملائكة فأمهاتكم مقدسات ساميات شريفات وأخواتكم وعماتكم لان فى قدرتكم أن تسموا بأنفسكم الى العلا وتسموا بأرواحكم الى الملأ الأعلى . أى عبادى انما أبقيت دين المجوس لتسمعوا به وليكون عنوانا لكم على أن شهوة المحرمات فيكم مثلهم وبالتعليم والعادة انقلبت الشهوة محبة شريفة عالية إيذانا من الله ان فى نفوسكم قدرة أن تسمو الى أشرف مصاف الكمال فاذا فكر الناس فى هذا ايقنوا أنهم يقدرون على تغيير أخلاقهم والنزل عن خسائس عاداتهم فتنقلب النفوس الشريرة الى الخير بالقصد والعزيمة . ان نوع الانسان مستعد للسعادة العالية على مقدار طاقته فى هذه الحياة

ان احترام الام والاخت بعد أن ركزت الشهوة اليهن فى الطبيعة مؤذن بأن النوع الانسانى اليوم طفل فى الاخلاق طفل فى العلوم غر جاهل وكأن الله يقول أيها الناس اذا كنتم فى الشهوة البهيمية التى هى ألزم لكم من ظلكم وأقوى عليكم من كل أعدائكم وهى ألد الاعداء وأعظم الداء قد سلطتكم عليها فلكتموها وأعطيتكم قيادها فسستموها وأطفأتم نارها فاستخدمتموها فقلنا يانار كونى بردا وسلاما فصارت ذماما ومحبة ووئاما واعظاما واحتراما أفليس هذا دليلا أنكم على الاعتدال فى المال أقدر فتقدسون مالغيركم من الحقوق فلاغبن ولاظلم ولا اسراف ولاتقتير بل يصبح المال فى أيديكم كالماء وتصبح النار المشتعلة فيكم للمال بردا وسلاما واذا كانت أملاك الشهوات لكم ذللتموها فأنتم على غيرها أقدر تذليلا وأصدق قيلا ولكنكم لاتزالون أطفالا وفى الحكمة جهالا وعلى موائد العلم طفيليين فاذا شاعت الفضائل بينكم ولقنتموها تلقين المحارم مع الابن فى الرضاع انقلبت الشهوة المالية حرمات انسانية وأصبحتم بقدر الامكان أيها العباد إخوانا . فلتكونن فيكم بعض هذه الأخلاق

ثانيا تحريم القريبات وتزوج الأجنبيات لازدياد المحبات الانسانية ولعدم فساد الاسرات وارتقاء نفوس الشبان والشابات

ان الرجل اذا أحب محارمه على سبيل الرحمة تارة والاعظام والاجلال أخرى فمايدنس هذه المحبة أن تعتريها الشهوة فالشاب يحمى أخته ويقدسها ويحترم أمه فلو أنه تزوج أخته أوخالته لأصبحتا عنده محل شهوته وقصر نظره فى المحبة على الشهوات وتكون مكانتها عنده على مقدار التمتع بها ولاجرم أن ذلك يقلل من قيمة المحبة الرحمية ولايراعى الا المحبة الشهوية والنفس تتعود ذلك ولا تعرف سواه فيكون ذلك وبالا على الأرحام وتزول تلك العاطفة الشريفة . ثم هو بزواجه أخرى من الناس قد ضم أسرة اليه فأصبح له أسرة بالنسب وأخرى بالمصاهرة وهذه سعة فى المحبة والمروءة ولو أبيحت هؤلاء المحرمات لأصبح النسب والمصاهرة فى جهة واحدة فضاقت سبل المحبات وانحصرت فى بعض النسمات . وأيضا تكون الاسرات دائما فى شقاق لما يحصل من الاخوة والآباء وأبناء الاخوة والأخوات من التنافس والتشاجر والتقاطع بسبب اقتتالهم على إحدى نساء العائلة كبنت الرجل يتشاجر عليها أخواها أوأبوها وأحد أخويها وهكذا وهذا فيه من الفساد أقصاه ومن قطع الرحم منتهاه فانظر كم فى تحريم الأرحام من البدائع العلمية والعجائب الحكمية

ثالثا . اعلم أن نيران الشهوات كالنيران التى نوقدها وكالكهرباء التى نستثيرها وكالأنوار العلمية التى نعقلها فكل نار وكل كهرباء لهما عملان تفريق وجمع وابعاد وتقريب . فانظر ألست ترى النار تحرق الخشب فيطير منه أجزاء فى الهواء وتبقى أخرى فى التراب ففى الأول تفريق وفى الثانى اجتماع . ألست ترى أن السحابتين اذا كانت كهربائيتهما متجانسة بان كانتا ايجابيتين أوسلبيتين فانهما تتنافران واذا اختلفتا ايجابا وسلبا فهما تتجاذبان . فهكذا النيران التى فينا معاشر الناس فاذا رأينا النار التى تحيط بنا والتى هى داخل الأرض التى نعيش فوقها تجمع الطين واللبن وتفرق أجزاء الخشب والكهرباء سالبة وموجبة فهكذا نحس فى أنفسنا بنار تشتعل اشتعالا معنويا إما لطلب الغذاء أوالتزاوج واما لرحمة الضعفاء كالأبناء واما لدفع الأعداء كالغضب والغيرة والحسد وجميع العداوات التى تعترى نوع الانسان فانظر كيف كانت أرضنا نارا يحيط بها قشرة أصلها نار خمدت وكما نحن من تلك القشرة فكمنت النار فى باطننا رحمة من الله لنا حتى تسوقنا الشهوة لطلب الغذاء والكساء والتزاوج وتدفعنا القوة الغضبية لدفع الأعداء وابعاد الايذاء ثم كانت فينا نار ألطف وأجل من هاتين كالقوة العلمية تدفع الجهالات وتجذب الينا أجل المعلومات فهاهى ذه فرقت وجمعت . فليت شعرى أى فرق بين النارين وأى ابتعاد بين الأمرين فالشهوة البهيمية فينا لجلب الغذاء والكساء والقوة الغضبية لدفع الأعداء والعلم يدفع عار الجهل ويجذب أجمل صور العلم . فلئن جففت النار الطين وأذابت الشمع وجذبت الكهرباء تارة ودفعت أخرى . فلقد منعت الأعداء النفس الغضبية وأزالت الجهالة القوة العقلية كما جذبت الينا العلم وجذبت الشهوة ملاذ الطعام والشراب

فانظر كيف تقلب الانسان فى أنواع من النفوس المحرقة نعم محرقة ولكن الناس لا يكادون يفقهون الا قليلا ممن تعلموا فأولئك يعقلون ويفهمون فالوالدة على فلذة كبدها فى احتراق والوامقة لعاشقها فى احتراق والذى غاظه الأعداء فى احتراق . ونتيجة المقال فى هذا المقام أن نار الشهوات للأجنبيات ونار الرحمات للقريبات ونار العداوات تتأجج على من جرح ماظن من الحرمات ونار أشواق العلوم لما بينا فى هذه المقالة من الآيات البينات والعجائب الحكميات وهاك صورا ثلاثا للانسان

(١) نار الشهوة ونار الرحمة ونار الغضب هن أصول التفاعل النفسى وبالتفاعل بينها يكون نور العقل على مقدار التمازج والاتحاد ومامثل هذه النيران الثلاثة الا كمثل العناصر الداخلة فى المركبات الجسمانية فهى نار لها نور وهو القوة العاقلة

(٢) تصور فتاة ترضع ولدها اليتيم وعاشقها الذى يخطبها جالس أمامها وأعداؤها يحيطون بها فهى بين ثلاثة نيران نار الرحمة للولد والشهوة والغرام للعاشق والعداوة لأعدائها فهذه العواطف هى عبارة عن هذه المرأة

(٣) شاب جلس مع أخته وحبيبته وعدوه فهو مع الأخت ملك ومع الأجنبية بهيم ومع العدو أسد فانظر عجائب الانسان كيف اجتمعت فيه اللطائف المتفرقة

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن تحريم زواج الأمة على من قدر على مهر الحرة تحذير للمسلمين من السقوط فى مهواة الذل والصغار ولزوم العار والشنار بأن يلدوا الأبناء الارقاء تبعا لامهاتهم المملوكات فاذا كانوا يمنعون من عبودية أبنائهم المسلمين مثلهم فما بالك بهم وقد ملك الفرنجة أرضهم وأخذوا ديارهم وهم خامدون وأحاطوا بهم من كل جانب وهم ساهون لاهون

﴿ حكاية ﴾

حضر الى الديار المصرية صديق من ناحية أدلب من أعمال حلب الشهباء فدار الحديث بيننا على احتلال الفرنسيين لبلادهم فأخبرنى بما تقشعر له الأبدان من قتل النفوس وسلب الاموال والظلم المبين وقد كان الرجل سيدا فى قومه من الاشراف وكبار العلماء وله سيادة فى قومه فحدثنى قائلا طلبنى الضابط الاكبر فى الجيش الفرنسى قائلا لماذا تكرهون الفرنسيين وهم انما جاؤا لتمدينكم واسباغ النعمة عليكم قال فأجبته قائلا ان الامة اذا قام غيرها بما يصلحها ونام أهلها سلبها الله مواهبها وسلمها الى سادتها لان العضو الذى لا عمل له لا يبقى له قوة وأيضا تصبح كالحيوانات المنزلية لما قمنا بسقيها وتغذيتها فقدت الغرائز التى تحلت بها نظائرها فى البرارى والقفار من الغزلان وبقر الوحش السعيد فى مراعيها الحسنة المناظر فقال له هل هذا فى كتبكم فأجابه قائلا هذا كلام قرأته فى كتاب يسمى نهضة الامة وحياتها تأليف فلان وهو مصرى قال فسكت ولم يرد جوابا فاذا كان القرآن يمنع أن نلد من أمة لمسلم مثلنا فكيف يتحمل المسلمون العبودية والرق فى الاقطار الشرقية ويضع الفرنجة الاغلال فى أعناقهم وهم صاغرون . ألا فليعلم المسلمون فى أقطار الارض أن الله قد قرب يوم عتقهم من ذل الفرنجة وقد جاء أوانه وظهر ابانه ومن عجيب الاتفاق أن تستقل ثلاث دول وهى الافغان والترك والفرس وهاهى ذه بلادنا المصرية خطت خطوات واسعات فى سبيل الاستقلال ولابد من تمامه ان شاء الله وستخطو الامم الاسلامية خطوات وتحظى بالاستقلال والخلاص

﴿ اللطيفة الرابعة فى الاحرار والعبيد ﴾

يقول الله تعالى ــ والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض ــ هاتان الجملتان ذكرتا فى هذا المقام لتهدم مابنته العادات وأبرزته الديانات وأظهرته القوانين المسطورات . لعمرى لقد هدم الله الظواهر المذكورة فى هذه السورة بهاتين الجملتين ولفت الناس الى الاعمال العلمية . يقول الله لاعبرة بالصور والاشباح ولا الغلبة فى الحروب ولاقوة الدول والممالك والاساطيل انما هذه مظاهر يغتر بها الغافلون ــ اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى ــ بعضكم من بعض لافرق بين العربى والعجمى ــ اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى ــ أنتم أيها الناس عبيدى ولاعبيد لكم لايغرنكم مظاهر الميراث والمال والعقار والديار ان كل ذلك الامظاهر يفتخر بها الجهلاء وانما النفوس والعقول والاخلاق والآداب وكل ذلك عندنا فى كتاب فرب خامل ذكره عندنا رفيع ورب عظيم القدر عندنا ماله شفيع فاياكم أن تغتروا بما ترون من الاحكام الشرعية والحدود المرعية فهذه انما جاءت لحفظ المجموع وصيانة الجموع فاذا اختص الحر بالميراث وامتاز فى أحوال الحياة فانما ذلك من ظواهر الامور فاذا مات الحر والعبد استويا فى الاحوال وافترقا فى الشرف والكمال انتهى الفصل الثانى

(الفصل

﴿ الفصل الثالث ﴾

(يريد الله ليبين لكم) أى التبيين لكم واللام زيدت للتأكيد كما قال قيس بن سعد

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود

ثم عطف عليه قوله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتتبعوا طريقهم وتسلكوا سبيلهم (ويتوب عليكم) ويصدكم عن المعاصى بتلك الهداية بأن يلهم قلوبكم النفور منها بسبب الهداية المذكورة (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) فيما يدبر من أمورهم . ولما كان نوع الانسان قد فطر على حب اللذات والاستئثار بالمنافع وكان ذلك حتما ليجد فى عمله ويتنافس فى الفضائل والأعمال الشريفة وجعل من فروع تلك الفطرة الحسد للناس على نعمهم والسعى فى هدم ما بنوا من المجد وما أوتوا من الفضل بين الله ذلك اذ قال ان هدايتكم يريدها الله وهذه الهداية يحاول ابطالها الغاوون ويسعى فى ايقافها الفاسقون فيقول الزناة وأهل الدعارة والفسق اذا امتاز هؤلاء بالاقلاع عن هذه المعاصى ازدرانا الناس وولوا وجوههم عنا وتطلعت الوجوه الى هؤلاء المتنسكين ولذلك قال الله تعالى (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن الفضائل الى الرذائل التى انغمسوا فيها وارتطموا فى أوحالها (ميلا عظيما) بأن تأتوا المحرمات فتكونون مثلهم . فذكر التوبة فى هذا المقام ليس للتكرار تأكيدا وانما هو للمقايسة بين ارادة الله وارادة الذين يتبعون الشهوات ثم قال (يريد الله أن يخفف عنكم) يا أمة محمد ما تنوؤن تحته من الأثقال فى دنياكم ودينكم فأباح نكاح الاماء بشروط خاصة تسهيلا لكم وسيأتى قريبا بيان معنى التخفيف بما هو أوسع من هذا بعد تمام تفسير هذا المقصد (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات ولما كانت علاقات الرجال بالنساء لا تنفك عن الأموال توالت الآيات فيهما فترى آيات الميراث أولا وآيات التحذير من أكل الأموال بالباطل هنا فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة والرشوة والأكاذيب فى المحاماة فى المحاكم . ولما كان الشئ يستوجب تذكار ضده والنفس الانسانية تحضر الضد عند ذكر الضد بين الله إن التجارة ليس منهيا عنها لأن النفس راضية بالتعاقد أن يأكل زيد مال عمرو بتلك المبادلة فقال (الا أن تكون تجارة) صادرة (عن تراض منكم) أى لكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهى عنه . واعلموا أيها الناس أن رشوة الحكام والربا والقمار وأكل أموال الناس بالباطل يورث خللا فى نظامكم . أيها الناس أنا ما حللت حلالا ولا حرمت حراما الا لتعيشوا فى هذه الحياة آمنين . فهذه الأحكام الشرعية والحدود الدينية التى أبينها لكم ليست تراد الا لحفظ نظام هيئتكم المدنية فاذا قلت لكم فيما مضى ان المدار على القلوب فهكذا هنا أقول إن توصيتى على الأموال تارة وعلى الأعراض أخرى انما أردت بها حياتكم وبقاء دولكم فأما اذا اغتال الأغنياء الفقراء وظلم الأقوياء الضعفاء وانتهك الحكام الحرمات وظنوا أن الناس عبيدهم فان يد العمل فى الامة تقل وكذلك الأعمال النافعة فى البلاد فيهجم عليكم الأمم حولكم فتدوسكم بأرجلها وتطؤكم بمناسمها ويدخلون عندكم الشركات ويقتسمون الأموال ويربحون وأنتم نائمون وهذا هو القتل الحقيقى للانفس وضياع البلاد والعباد وهذا معنى قوله (ولا تقتلوا أنفسكم) أيها المسلمون وهذا بعينه هو الحاصل فى زماننا . ألا ترى أن المسلمين منذ أربعمائة سنة أى اليهم الأسبان حلوا بساحتهم وانتزعوا منهم أرض الجزيرة ولعمرك لم يكن ذلك بالخيل والسلاح والكراع وانما كان بتلك المعاهدة التى دبرها الفرنجة بأمر البابا وباورونات أوروبا ودوق فينيزيا وأباحوا الخمر بمقتضى حرية التجارة ودخل الكسل والبطالة على أهل البلاد فكان الربا والترف والنعيم والكسل فمات الأمة وهذا هو القتل . هذا قتل الأنفس العام وهو أشد من قتل المرء نفسه المحرم أيضا هذه هى المناسبة لذكر القتل

ولقد استمر المسلمون يقتلون أنفسهم هذا القتل الشنيع بعد ماسمعوا أن فرديناند وايزابلا قدرموا بأمة العرب فى البحر الأبيض المتوسط و بعد أن قتلوا منهم آلافا مؤلفة وطردوهم وأغرقوهم . ولعمرك لم يقتلهم الأسبانيون الابعد أن قتلوا هم أنفسهم بالجهل فى الأموال والتجارات فكانوا يتهافتون على صناعات أوروبا ويتركون صناعاتهم لأن صناعات أوروبا كانت أشهى الى قلوبهم . وليت شعرى كيف يذكر الله قتل الانفس بعد ذكر التجارة . أيها المسلمون ان التجارة وان كانت حلالا هى التى أودت بالمسلمين انظروا أليس تجار الافرنج هم الذين خدروا عقول الاسبانيين أليس تجار أوروبا الآن قد استولوا على أهم موارد حياتنا أليست الحرب الحاضرة قائمة على أساس الأموال والتجارة ان المسلمين نائمون ان التجارة الافرنجية هى التى قتلت الشرقيين ولذلك أراد (غاندى) أن يتلمس الخروج من الخطر بتحريم المنسوجات الافرنجية وقد نجح نجاحا عظيما . فهل يعلم المسلمون أن خراب دولهم اعما جاء لجهلهم علوم التجارة وأنهم قوم لايعلمون منها الاقليلا التجارة تسبق الحرب فما ملك الانجليز بلاد الهند الابالشركة الانجليزية هناك والعادات الفرنجية تغلغلت فى قلوب المصريين والسوريين وجميع سكان شمال افريقيا هذا هو القتل المذكور فى القرآن وهذا هو السر فى تعقيب التجارة بالتحذير من قتل النفس ولما كان ذلك التحذير من فضل الله ورحمته قال تعالى (ان الله كان بكم رحيما) فى تصويركم وخلقكم ورزقكم فكيف لاترحمون أنفسكم بعد قتلها الاقتصادى بالاسراف وضياع أموالكم أوقتل أنفسكم انتحارا

اعلم أن من عادة القرآن أن يرشد بطريقين طريق العقل والهداية وطريق الارهاب وكانت أولى الطريقتين قد ذكرها أوّلا بان الأمم يعتريها الفساد وتضيع الدول وكان هذا المعنى لا يعقله الاقليل ولايفهم مغزاه الامن خصه الله وقد شرع فى الطريق الثانى فقال (ومن يفعل ذلك عدوانا) افراطا فى التجاوز عن الحق (وظلما) للنفوس بتعريضها للهلاك فى الدنيا والآخرة (فسوف نصليه نارا) ندخله نارا يصلى فيها (وكان ذلك على الله يسيرا) ولما كان هذا القول ربما أوقع فى النفوس يأسا قال (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) وهى كبائر الذنوب وهى التى عظمت عقوبتها (نكفر عنكم سيآتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها ولعل الكبائر تختلف باختلاف المراتب فقد يكون الذنب صغيرا للعامى وكبيرا على الصديق فلقد عوتب النبى صلى الله عليه وسلم على خطرات النفس وقد يكون الذنب كبيرا باعتبار وصغيرا باعتبار آخر . ومما اتفق عليه السبع الواردة فى الحديث الاشراك والقتل وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف والعقوق * وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة أقرب منها الى سبع وقول ابن عباس يشير الى ماقلناه من اختلاف الذنب باختلاف المراتب فالعلماء والحكماء والصديقون تكون كبائرهم كثيرة بحيث لوضيع أحدهم وقتا بلا نشر للفضيلة عدّ آثما

واعلم أن الناس أشبه بفصائل الحيوان ولكل فصيلة عمل يخصها فتجد العامة أشبه بالببغاء يقول ولا يعقل وصلاتهم كلام لاتوجه معه والفضلاء اذا سهوا فى جزء من الصلاة كان ذلك ذنبا عظيما واعتبروه اعراضا عن خالقهم (وندخلكم مدخلا كريما) الجنة ومن الآثام الذائعة الحسد وهو شائع بين العلماء والجهلاء وهو يشتد كلما تقاربت المراكز والأحوال فالأقارب والمشتركون فى صناعة أوتجارة أوقرية أوحارة أوعلم وبالجملة من تقاربوا فى أكثر الأحوال أو بعضها يتحاسدون بمقدار هذا الاشتراك فلذلك قال (ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) كالجاه والمال والجمال والتمكن فى الارض والصيت وأمثالها تمنيا يفضى بكم الى البحث فى زوال النعم عن المنعم عليه باتلاف ماله والسعاية والوشاية والقتل وأمثال ذلك فان هذه الغريزة مخلوقة فيكم للحث على طلب الكمال لأنفسكم لاهدم مابناه غيركم من المجد فالمسابقة للكمال فضيلة أما السعى فى هدم مابناه الغير فانه حرام وكيف تسعى فى زوال مجد يرجع اليك فان الناس بعضهم لبعض خادم وزوال النعم عن الناس مفض الى نقصها من المجموع وكيف تفعلون ذلك و (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فلكل

مواهب فطرية أوحظوظ اتفاقية والله هو الذي وهبهم فارجعوا عن غيكم (واسألوا الله من فضله) أن يعطيكم وهذه هي الغبطة فالغبطة أن تتمنى مثل ماعند الغير وتسعى له بالعمل لا بالتمني والكسل وإياك أن تقول أيها الانسان لم كان هذا أميرا أو وزيرا أو عالما أو غنيا وأنا محروم من ذلك ولم كان فلان وارثا وأنا محروم من الميراث أو تقول المرأة لم أخذ الرجل أكثر مني فإياكم أيها الوارثون والحسد وإياكم أيها الناس والتمادي في الاعتراض على ما أعطيت للناس من مواهب مالية ونعم علمية ومناصب أميرية فاني عليم بالعباد بصير بالمخلوقات وجعلت لكل امرئ خاصة يمتاز بها لاصلاح لمجموع ورتبتكم مراتب الا أنكم أيها الناس كجسم فمنكم من يمثل العين ومنكم من يمثل الدماغ ومنكم من يمثل اليد ومنكم من يمثل المعدة ولا يعيش المجموع الا بتوزيع الوظائف الانسانية عليكم فمن ذا يعرف هذا الجمال و يعترض عليه ومن ذا يقرأ هذا الحسن ولا يقربه اني نظمتكم على نظام أنا أعلم به (ان الله كان بكل شئ عليما) فعلى هذا العلم العام رتبنا ملككم وأنزلنا شرائعنا وخصصنا لكل وارث مقدارا من المال يصيبه من مال مورثه فلا يحسد بعضكم بعضا على هذا التباين في الانصباء فانكم تجهلون حسن نظامي وانما يعرفه الحكماء فيكم لا الغير فتماديكم في الحسد عذاب عظيم عليكم فانا قد جعلنا لكل من الرجال والنساء الميتين وارثين من إخوتهم و بني عمهم وسائر عصباتهم يرثون مما ترك والدوهم وأقرباؤهم و بينا لكل نصيبه فهذا معنى (ولكل) من الرجال والنساء (جعلنا موالي) ورثة من بني عم أو اخوة أو غيرهم يرثون (مما ترك الوالدان والأقربون) أي من ميراثهم . ولما كان المتحالفون بينهم عهد وميثاق أن يفوا بما عاهدوا عليه وكان الحلف في الجاهلية على النصرة عند الأمور العظيمة من الحقوق الواجبة على الانسان فهي تشبه الميراث من جهة الاستحقاق فالقريب والصهر يرثان الأموال والحليف الذي أخذ العهد والميثاق علينا يجب علينا نصره في أيام حياتنا ولو رثتنا المال في الممات فلذلك أعقب ما تقدم بقوله (والذين عقدت) أو عاقدت (أيمانكم) في الجاهلية أن تنصروهم (فآتوهم نصيبهم) أعطوهم حظهم من النصرة التي عاقدتموهم عليها فالله مطلع على عقدكم (ان الله كان على كل شئ شهيدا) ومن ذا يقوى أن يخون فيما شهده الله . ولما كان النساء بيننا و بينهن عقد وميثاق كالذي أعطيناه للحلفاء في الجاهلية وكالذي فرضه الله في القرآن للوارثين وقد فرض الله الوفاء فيهما علينا . أخذ عز وجل يذكرنا بالسلطة المخولة لنا من جهة الفطرة عليهن وذلك اننا أقوياء وهن ضعفاء ونحن أقرب الى العلم والأدب منهن والخبرة في الأمور وهذه كلها أشبه بعقد كعقد الحلفاء فللحليف علينا النصر وللوارث نصيبه وللزوجة قسطها من العمل تحت إشرافنا فنحن قوامون عليهن بالسلطة والتأديب بفضلنا عليهن في العقل وحسن التدبير و بما أنفقنا من المهر لهن والنساء على قسمين صالحات مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج وعاصيات ناشزات لا يطعن أزواجهن . فالقسم الأول أمره معلوم أما الفريق الثاني فابتدئوا بوعظه فان لم ينجع الوعظ فاهجروهن في المضاجع ولا تبيتوا معهن ليتبن فان لم يتبن فاضربوهن ضربا غير مبرح وإياكم ومخالفة هذا الترتيب فالوعظ يتلوه الهجر والهجر يتلوه الضرب فمن أطاعت واعتدلت فانسوا ذنبها ولا تذكروه ألبتة لأن الله فوقكم كما أنكم فوق النساء مقاما وقدرة فاذا تبن من الذنب فلا تعتدوا بما لكم من القدرة عليهن فالله أقدر عليكم من قدرتكم عليهن وان خفتم خلافا بينهما فابعثوا رجلين يصلحان للحكومة أحدهما من أهله والآخر من أهلها وهما أدرى بأحوالهما ليوفقا بينهما فهذا قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فهم كالولاة والنساء كالرعية (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله الرجال على النساء بما هو معلوم مما تقدم (و بما أنفقوا من أموالهم) كالمهر والنفقة وهن قسمان مطيعات وعاصيات (فالصالحات قانتات) مطيعات لله (حافظات للغيب) يحفظن في غيبة أزواجهن ما يجب أن يحفظ في النفس والمال (بما حفظ الله) أي بسبب حفظ الله لهن حيث حثهن ورغبهن بالوعد وأنذرهن وخوفهن بالتهديد ووفقهن لحفظ أسرار الزوج وللعفة ومراعاة ما يجب عليهن مراعاته في غيبته من أعراضهن وأموال الأزواج فعنه

عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية . فأما القسم الثانى وهنّ العاصيات فقال فيهنّ (واللاتى تخافون نشوزهنّ) عصيانهنّ وترفعهنّ عن مطاوعة الأزواج (فعظوهنّ واهجروهنّ فى المضاجع) المراقد (واضربوهنّ فان أطعنكم فلاتبغوا عليهنّ سبيلا) بالتوبيخ والايذاء فان التائب من الذنب كمن لاذنب له (إن الله كان عليا كبيرا) وهذه المعانى قد قدمناها هنا وقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أى خلافا بين المرأة وزوجها واضافة الشقاق الى البين على حدّ قولهم نهاره صائم وليله قائم والحكم الوسط الذى يصلح للحكومة والاصلاح وكون الحكمين من أهله وأهلها أفضل ولايمنع أن يكون من الأجانب وارسال الحكمين من قبل الحكام أومن قبل الزوجين أومن قبل صالحى الأمة وللحكمين أن يجريا الخلع بلا إذن من الزوجين ان رأيا الاصلاح فيه عند مالك وعند غيره لايليان جمعا ولاتفريقا الاباذن الزوجين . واعلم أن لارادة الحكمين دخلا فى تحقيق الصلح كما قال (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين أو بين الحكمين فى اتمام الصلح . ويسنّ للحاكم أن يبعث عدلين ويجعلهما حكمين عند الشافعى * وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال فعلام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ماعليكما عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وان رأيتما أن تفرقا فرقتما الخ

فالعجب للمسلمين فى مصر والشام وكثير من بلاد الاسلام كيف غفلوا عن بعث الحكمين وكيف نام القضاة وعلماء الدين عن هذه الآية اللهم ان المسلمين قد غفلوا عن كتابك . يا الله ان القضاة فى ديارنا نائمون يتركون الزوجين أشهرا ويرهقونهما بالدعاوى والبينات والشهود ويسلطون المحامين الذين يستنزفون ثروتهم . يا الله قد قام المحامى المؤجر مقام الحكمين ان هذا مخالف للدين وكيف ينبذ أمر الحكمين عندنا أهل السنة وقد بلغنى أن الشيعة يعملون بهذه الآية فأما أهل السنة فقد تركوها وهى واضحة ظاهرة اللهم انّ بعض أمة الاسلام قد نبذوا العمل بهذه الآية اتعابا للناس واستنزافا لثروتهم وضياعا للصبية الصغار والنساء الفقيرات المسكينات والقضاة غافلون وأهل العلم غير مستيقظين والناس قد تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأصبح كل على كل متكلا فلترجع الأحكام الشرعية لسابق عهدها ولينبذ ذلك النوم العميق والجهل المطبق وليجدد العلماء مجد الدين وليحفظوا بلادهم التى أضاعها الجهل فأرسل الله الفرنجة عليها جزاء وفاقا كأن الناس كانوا لايرجون حسابا وكذبوا بآيات الله كذابا هذا ويظهر من كلام سيدنا على أن الحكمين يقومان مقام الزوجين فى كل شئ انتهى التفسير وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى . قوله ـ ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ـ وقد ذكر قبلها انه يريد أن يتوب عليكم وذكر بعدها أنه يريد أن يخفف عنكم وان الانسان ضعيف

اللطيفة الثانية . قوله ـ ولاتقتلوا أنفسكم ـ قد ذكرها بعد أمر مباح وهو التجارة وذكر بعدها أنه رحيم بنا

وهاتان اللطيفتان ترميان لغرض واحد سنشرحه شرحا وافيا فى هذا المقام ولنبتدئ بما روى عن ابن عباس ثم نتبعه بما فتح الله به * عن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت منها ثلاث من قوله ـ يريد الله ليبين لكم ويهديكم أى قوله وخلق الانسان ضعيفا ـ والخمس الباقية هى ـ ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه . وان الله لايغفر أن يشرك به . وان الله لايظلم مثقال ذرة . من يعمل سوأ يجز به . مايفعل الله بعذابكم الآية ـ فتدبره

اعلم أنى لما قرأت كلام ابن عباس لمع من بين تلك الآيات أنوار مشرقة فان الآيات الثلاث هى التى

ذكرتك بها فان ارادة الله البيان لنا أوّلا والتوبة ثانيا وأن الذين يتبعون الشهوات يريدون أن تميل ميلا عظيما ترينا أن الاسلام اليوم سيخلص من القيود التى قيدبها فمن هم الذين يتبعون الشهوات

﴿ أهل أوروبا فى الغرب ورجال الاسلام فى الشرق وكيف استذلوهم بالشهوات ﴾

اعلم أن الذين يتبعون الشهوات فريقان فريق داخل بلاد الاسلام وفريق خارج بلاد الاسلام فالفريق الذى هو داخل بلاد الاسلام هم الزناة والمقامرون وشاربوا الخمر والمرتشون من رجال الحكومات الاسلامية والذين يوالون الفرنجة فيجعلونهم سببا لانتهاب البلاد الاسلامية واستعباد أهلها واذلالهم فهذا الفريق هم الذين يتبعون الشهوات داخل بلاد الاسلام أما الذين يتبعون الشهوات خارج بلاد الاسلام فهم أهل أوروبا أفلست ترى أنهم قد تملكوا بلاد الاسلام بشهوة الغزو والفتح والاستعمار واستعباد الأمم واستذلالها فهؤلاء بشهواتهم للاستعلاء واستنزاف الثروة فأما أهل البلاد الاسلامية فشهواتهم ما يلبسون ويأكلون ويشربون ويتمتعون بالنساء الشرقيات والغربيات ويتميزون عن أبناء الشرق بمصاحبة الفرنجة ويتكبرون عليهم وأنا موقن بأن الله يهدى المسلمين جميعا وينقذهم كما سأوضحه فى هذا المقام

﴿ أسرار النبوّة فى مسألة المسيخ الدجال والأحاديث الصحيحة الواردة فيه وظهور صدق النبوّة وتبشيرى للمسلمين باقبال الزمان وانقشاع الظلم عنهم قريبا وهذا أوانه ﴾

روى الشيخان وأبوداود عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فأما الذى يرى الناس أنه نار فماء عذب وأما الذى يرى الناس أنه ماء فنار تحرق فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يرى أنه نار فانه ماء بارد عذب * وفى حديث آخر عن أبى سعيد الخدرى ومعه مثل الجنة والنار فناره جنة وماؤه نار ألا وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخل أوّل أصحاب الدجال أخرجه رزين . فهذا الحديث الذى أخرجه رزين وان لم يكن فى البخارى ولا فى مسلم هو الذى أوضح لنا المقام وأفهمنا ما نحن فيه الآن فانه يقال ان معه مثل الجنة والنار وهذا هو المعقول فان الجنة والنار اللتين فى الآخرة لا يكونان الا بعد الموت واذن هذا مثل الجنة والنار ولاشك أن الذى هو مثل الجنة والنار ما نراه الآن فان الجنة الافرنجية ما أوضحناه لك فى هذا المقام وفى غيره فبالتجارة أخذ الانجليز الهند وكذلك الفرنسيون قبلهم وهكذا بلاد جاوه والجزائر حولها استعمرها الهولنديون واتحد أهل أسبانيا وفرنسا على بلاد مراكش فان الأسبانيين بعد أن طردوا المسلمين من بلاد الاندلس عبروا البحر وراءهم ليطردوهم أيضا من شمال افريقيا ليموتوا فى الصحراء الكبرى ولو قدر الانجليز على أهل بلادى لرموا بهم فى غابات السودان وجردوهم مما يملكون ودفنوهم فى البحيرات عند خط الاستواء ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

﴿ ايضاح جنة الافرنج ونارهم واحتلال البلاد ﴾

لقد عرفت جنة الافرنج وهى التجارة أما النار فهى المدافع والطيارات والنار التى يلقونها على المسلمين فى الهند والعراق وشمال افريقيا فايطاليا تعذب طرابلس وأسبانيا وفرانسا ترسلان القنابل على أهل مراكش هذه هى النار واعلم أن الحديث الذى أخرجه رزين هو الذى كفانا مؤونة القول بالمجاز أما وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فلا قول لنا ولو لم يأت لتكلفت المجاز فى حديث الشيخين

﴿ سرّ النبوّة الذى ظهر ﴾

ألا تعجب معى أيها الذكى ألا تنظر الى نور النبوّة ألا تفكر فيما نقول فقل لى رعاك الله ألست ترى قوله فى الحديث ان هناك رجلين بين يديه ينذران أهل القرى فاذا خرجا من القرية دخلها أوّل أصحاب المسيخ الدجال . فياليت شعرى من هم أصحاب هذا الدجال ومن هم أوّل أصحابه وأين هم * أصحاب الدجال هم الفرنجة

ولكننا لانراه وانما نرى أصحابه فسواء جاء هو أولم يجىء فالمقصود منه قدحصل وهو انذار أهل القرى تارة واضلالهم بالشهوات ودخول أصحابه البلاد وقد تم كل هذا فضحكوا علينا بنسائهم وشهواتهم وأخذونا بالتخويف كل هذا قدتم وربما كان الدجال حقيقة كلية تطلق على النصابين والكذابين واللصوص فكل هؤلاء دجالون صغار ولكن أكبر الدجالين هم الذين يسرقون الدول و يقلبون الأمم فهم يذكرون فى مقابلة الأنبياء ولذلك يذكر المسيح مع الدجال فالمسيح ابن مريم للهداية ونظيره الدجال للاضلال أمرنا بالاستعاذة منه وقلنا فى صلاتنا وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وها نحن أولاء وقعنا فى فتنة أصحابه الذين ابتدؤا ببلاد الاندلس وماقتل أهل الاندلس الا أنفسهم بانغماسهم فى تجاراتهم واضلالهم وأحوالهم وتبعناهم نحن فى بلاد الشرق ولقد رأيت فى الحديث أننا أمرنا أن ندخل فى ناره ونتجنب جنته ولقد صدق النبى صلى الله عليه وسلم فكل من اغتر بأهل أوروبا وجنتهم أصبحوا عبيدا لهم كما أوضحته وكما قاله هنرى الفرنسى فيما نقلته عنه فى سورة البقرة فى تفسير آية الخمر وأن من اتبعهم فقد ذل ذلا عظيما يريد بذلك أهل الجزائر . وأول من قبل ذلك من المسلمين أهل الاندلس كما ذكرناه فى هذا التفسير مرارا فانهم لما شربوا خمرهم ولبسوا منسوجاتهم ودخلوا مدارسهم وقرؤا سير آبائهم وصاروا تلاميذ لأساتذتهم وتعاملوا بالربا من مصارفهم وأصبحوا مترفين منعمين وانغمسوا فى ملاذهم وأكلوا فى مطاعمهم واستقذروا بيوت آبائهم كان ذلك مبدأ ضعفهم فأذلوهم أجمعين وقتلوهم أكتعين أبصعين ورموا من بقى منهم خارج البلاد وساموهم سوء العذاب بما كانوا يجهلون . ذلك منذ أربعمائة سنة . ثم توالى فتح الفرنجة للبلاد حتى ملكوا بلاد مصر والشام والعراق والهند وتخطوا الى الصين ولم ينالوا كل مقصدهم هناك كل ذلك أيها الذكى سر قوله — ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما —

﴿ إيضاح شهوات الاستعماريين فى أوروبا وشهوات الأمم الشرقية عموما والاسلام خصوصا ﴾

اعلم أن هذه الشهوات المذكورة فى هذه الآية قدوضحت فى هذه الآيات اذ أعقبها بذكر التجارة واباحتها وبالنهى عن قتل النفس

فياعجبا كل العجب ها أنا ذا أقرأ القرآن وأنا أكتب هذا التفسير هذه الليلة الثامنة من شهر رجب قبيل الفجر سنة ١٣٤٢ هجرية لا أذكر أن آية ذكر فيها أمر حلال وأعقب بالنهى عن قتل النفس ان التجارة حلال وأخذ المال بالباطل حرام . تحرم السرقة والربا والرشوة . هذا حق ولكن التجارة حلال لأنها عن تراض ومتى رضى المتبايعان صار المبيع حلالا للمشترى وصار الثمن حلالا للبائع . وليت شعرى أى قتل للنفس هنا حتى ينهانا الله عنه ان فى المسألة لسرا عجيبا ان فى المسألة سرا قدكشفه الزمان الغابر والدهر الحاضر والحرب العظمى بين دول الشرق والغرب ان التجارة هى السر وهى الحياة وهى القتل والتجارة كانت سبب حروب أوروبا الطاحنة فى هذا القرن ان التجارة هى كل شئ . يقول الله أيها الناس ان الأموال اذا أخذتموها بالتراضى فانها حلال ولكن ما الذى يقتل الناس أكثر من الحلال ان الحلال فيه السم ان السم فى الدسم وما التجارة الا كالكذاب ويقول فيه الشاعر من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليله

وان التجارة كالصديق قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديـ * ـق فكان أعرف بالمضره

أيها الذكى لا تتعجب من قولى ان التجارة هى التى سلطها أهل الغرب على أهل الشرق فأفسدوا أخلاق أهل البلادان التجارة هى الداء العضال هى شبكة الصائدين وحيلة المحتالين ونصب الدجالين ونظام المستعمرين

﴿ التجارة هي مثل جنة المسيح الدجال الذى حل أشباهه وأصحابه بالشرق من أوروبا ﴾

اعلم أن القرآن تظهر معانيه فى هذا الزمان وقد أراد الله أن يظهر السر المكنون والعلم المخزون والحكمة الاسلامية فى هذا الزمان لماذا لانها قد كشفت واتضحت بالحوادث

انظر فى بلادنا المصرية وفى بلاد مراكش وتونس وبلاد طرابلس والعراق وأكثر بلاد الاسلام أنظر انظر ألست ترى أن المسلمين لاسيما المتعلمين والأغنياء لايهنأ لهم طعام ولاشراب ولاجلوس ولانوم ولاراحة ولاملبس ولاتمتع الا فى مطاعم الفرنجة وبخمورهم وفى قهواتهم وفى نزلهم وهى اللوكندات ومن منسوجاتهم وبنسائهم على طريق الزنا . ولو رأيت ما أراه اليوم لهالك الأمر واستهوتك أحزان . يجىء اليونانى خالى الوفاض بادى الانفاض فقيرا لايملك شروى نقير صعلوكا فلا يمضى عليه عشر سنوات حتى يملك الديار والعقار والقصور والجنات بماذا كل هذا بكاسات من الخمر المغشوش المملوء سما زعافا ليسقيه لأهل بلادى فيقتلهم ويأخذ مالهم والله لقد كتبت فى الجرائد ونشرت وكذلك كثير من أهل العلم وعسى الله أن يأتى بالفتح ورفع هذه الظلمات

﴿ بشارة المسلمين بقرب انقشاع الظلمات عن بلاد الشرق والاسلام ﴾

يقول الله — ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما — ويذكر قبلها أنه يريد أن يبين لنا ويقول بعدها — يريد الله أن يخفف عنكم — ويذكر أن الناس خلقوا ضعافا . فاذا كان الله أراد البيان وأراد أن يتوب علينا فهاتان الارادتان تمحقان إرادة الذين يتبعون الشهوات فينلون المسلمين . وأول من تفطن لذلك رجال الأفغان والترك والعجم وبلادنا المصرية التى جردوها من السلاح فقد أخذت تناضل بالاقلام والعقول وقد نلنا بعض الحقوق وأخذنا ندخل فى نارهم عسى أن نستقل وقد قبلنا مدافعهم فى وجوهنا ورصاص بنادقهم فقتلوا النساء والأطفال وصبر المصريون صبر الكرام والوقت قد حان لخروجنا من معرتهم وهاهى ذه بلاد الترك قد حرمت الخمر وهكذا فى بلادنا تجد الحكومة فى منع المسكرات والمستقبل لله

﴿ إيضاح آية التجارة والقتل ﴾

كأن الله يقول . أيها الناس إن التجارة حلال لكم واقد تركت لكم الخيار فيها ولقد خلقتكم برحمتى وقويت أبدانكم ورزقتكم وجعلت لكم الحرية فيما تبيعون وتشترون أفلا تتفكرون أيها المسلمون فتعلمون أنى أنا الذى رحمتكم فكيف لاترحمون أنفسكم بالتفكر فى أمر التجارة فلاتنغمسون فى نعيم الأمم الظالمة التى تخدر أعصابكم بالشهوات واستنزاف الأموال فارحموا أنفسكم بالتفكير فى ذلك كما رحمتكم برحمتى الواسعة

﴿ جمال هذا المقام ﴾

لقد أبنت لك أن الافغان والترك والفرس قد تنبهوا وفكروا وخرجوا من ظلم الفرنجة وكذلك مصر اقترب الوعد لخروجها . هذه هداية ونور أزال الظلمات وسيزيلها بالتدريج وقد جاء فى الحديث أن الدجال أنذر به الأنبياء أممهم كنوح وابراهيم وغيرهم قال مابعث الله من نبى الا أنذر أمته أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون بعده وأنه يخرج عليكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم الخ . أقول ولعل الأنبياء كانوا يحذرون أممهم به امثلا يستأصلهم من يغشونهم من الأمم والأمة المحمدية ألهمها الله الاستيقاظ الآن وستبقى الى آخر الزمان ولن تبيد هذه الأمة الااذا عاشت غافلة عن أخلاق الأمم التى حولها كما كانت فى القرن التاسع عشر فأما الآن فقد ظهرت عليها دلائل التعقل والهدى . فيكون ملخص ماتقدم أن النبوة لما أشرق نورها على الأنبياء ضربوا الأمثال لأممهم كما اتفق أن نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء قد رأى فى عالم المثال أنواعا من الصور كصور الزناة والمغتابين والذين يقولون قولا زورا وآكلى الربا وجبريل يفسر له تلك الصور وهى أمور عجيبة سنشرحها فى سورة الاسراء فهكذا هنا أنذر المسلمين وحذرهم ممن يسمى المسيح الدجال وعدد له

صفات ولكن نحن لم نره ورأينا أهم آثاره ولعمرك ما الذي يهم المسلمين من أمتنا الا الآثار التي تمس مصالحهم فأما جسمه وأحواله فنحن لسنا نتكلم مع العامة الجهلاء الذين يجمدون على الألفاظ وانما نحن ألهمنا أن نكلم الناس بحقائق ديننا والحقائق هنا وضحت فالمسيح ابن مريم والمسيح الدجال لسنا نريد الا آثارهما وهكذا المهدى فاذا وجدنا الآثار انتفعنا بها . وأنا أقول بأعلى صوتى أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها كيف تقرأ فى صلاتنا صباحا ومساء داعين مبتهلين الى الله أن يدفع عنا المسيح الدجال وكان نبينا والصحابة والتابعون كذلك هل كان كل هذا الدعاء عبثا و باطلا يقصد به رجل واحد لا يحققه الا الله بعد آلاف السنين واذن يكون الدعاء مالا معنى له والحقيقة أن المعنى المقصود حاصل لا شك فيه ظاهر فى قوله ولا تقتلوا أنفسكم عند ذكر التعامل بالتجارة وقد أوضحت هذا المقام لكم أيها المسلمون إيضاحا كافيا فكل من بذل منكم يا أحبابى قراء هذا الكتاب جهده ولنشر العلم وأزاح الظلمات وسعى سعيا حثيثا فى نبذ المصنوعات الافرنجية والترف والنعيم وحث الأمة على الصناعات وفتح المدارس ومحال الصناعات فهو من الذين يسعون فى الهداية أو هو من مقدمات المهدى أو فيه نور المسيح المحمدى أعنى أن المسيح الموعود به والمهدى الموعود به لا يجوز لنا أن نتكاسل لانتظاره والا كان هذا بلاهة وجهالة ليس يقصد من المسيح أن ننام حتى يأتى بل نمهد لزمانه ولو كانت أشخاص الأنبياء هى المقصودة لكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد بطل دينه بموته مع أن نشره للدين نشرا حقيقيا لم يتجاوز عشر سنين وما هى السنين العشر انها قليل بالنسبة للزمن الكثير بعده ولكن شريعته هى السارية الآن أما شخصه فغيب عنا

اذا ثبت هذا فليس يقصد من مجىء المسيح الا الآثار النافعة فى وجوده وبعده . إن تعاليم المسيح الصفاء والطهارة والاخلاص والتعاون والتوحيد والمحبة وحسن الخلق وتحمل الأذى ويقرب من هذا المهدى فلنتجمل بهذه الصفات الآن تدريجا ولا نتربص حتى يجىء فلا يكون لنا فضل

فأنت أيها الذكى قد عرفت الفكرة الاوروبية المنتشرة بيننا وقد أثبت لك أن أعمال أوروبا هى أعمال المسيخ الدجال وقد ابتدأت الهداية فى الاسلام والشرق فكل من حذر من أوروبا وقلل من مصنوعاتهم كما فى الهند وطردهم كما فى تركيا واستخدم صناعهم وعلماءهم ليعلموا أبناء البلاد مثل المرحوم محمد على باشا فهؤلاء قوم هداة كأنهم أصحاب المهدى أو أصحاب عيسى عليه السلام . ولقد ظهرت الفكرة العيسوية اليوم فى العالم فترى العمال فى أكثر الممالك قد نبغوا وظهروا وطلبوا المساواة وهى كلها أفكار المسيح الأصلى الذى هو شرقى لا غربى . فليعم التعليم فى بلاد الاسلام وليحترسوا من التجارات الافرنجية وسائر أعمالهم ولا يأخذوا منها الا مالا يكون عندهم ولينشؤا عندهم مصانع ومحال صناعات كما فعل غاندى فى الهند

فاياكم أيها المسلمون والاتكال على المهدى المنتظر ولا المسيح بل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فالهداية قد ابتدأت والمسيح يأتى فى وقت لا نعرفه وكل من رقى المسلمين أو نفعهم فهو من أعوان المهدى والمسيح الاسلامى المذكور فى الأحاديث كما أن رجال السوء فى بلاد المغرب فى شمال افريقيا وفى البلاد الاسلامية الأخرى ومن يحتالون على المسلمين ويضحكون عليهم من الفرنجة من أصحاب المسيخ الدجال كما قدمناه فكن من أصحاب المسيح الاسلامى أو المهدى كما أن الأمم المستعمرة أصحاب المسيخ الدجال فلنقابل الاصحاب بالاصحاب ولا ننتظر الدجال والمسيح فان أعمالهما ظاهرة فكل أمة لم تغتر بالفرنجة فقد حلت فيها الروح الشريفة المسيحية الاسلامية وكل أمة انغمست فى نعيم تجاراتهم واستنزفت ثروتها فقد آمنت بأصحاب المسيخ الدجال تذكر ما جاء فى أول السورة من قوله تعالى ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ـ وكيف حذرنا من وضعها فى يد صغارنا لئلا يضيعوا ما به قيامنا . ثم لينظر الذكى كيف ذكر ذلك أول السورة ونبه هنا على مسألة التجارة وأن القتل لازم منها فتعجب انتهى الكلام على المقصد الرابع

(المقصد

(المقصدُ الخامسُ)

وَٱعْبُدُوا ٱللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَساكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بالجَنْبِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ ٱللّهَ لاَيُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتَالاً فَخُوراً * ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ ٱللّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً * وَٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً * وَماذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِٱللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللّهُ وَكانَ ٱللّهُ بِهِمْ عَلِيماً * إِنَّ ٱللّهَ لاَيَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً * فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلاَءِ شَهِيداً * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللّهَ حَدِيثاً * يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَتَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكارَى حَتَّى تَعْلَمُوا ماتَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّعابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْعَلَى سَفَرٍ أَوْجاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللّهَ كانَ عَفُوّاً غَفُوراً * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَٱللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً * مِنَ ٱلَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَراعِنا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنْظُرْنا ، لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ ، وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ ٱللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * يا أَيُّها ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلَى أَدْبارِها ، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ وَكانَ أَمْرُ ٱللّهِ مَفْعُولاً * إِنَّ ٱللّهَ لاَيَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَى إِثْماً عَظِيماً * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ ٱللّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ ، وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * ٱنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً

مُبِيناً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً * أَمْ يَحْسُدُونَ
النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ
مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً * إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ، بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً *
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ ، أَنْ تَحْكُمُوا
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ
أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ
مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُولٰئِكَ
الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً *
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً * وَلَوْ أَنَّا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ
فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً *

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا *

اعلم أن هذا القسم ثلاث فصول

الفصل الاوّل . الفضائل العامة بمعاملة الخلق والقربى من الله من قوله ـ واعبدوا الله الى قوله ان الله كان غفورا رحيما ـ

الفصل الثانى . فى الفريق المقابل لهؤلاء وهم البخلاء والحساد والعابدون للطاغوت من قوله ـ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله وندخلهم ظلا ظليلا ـ

الفصل الثالث . فى عدل الحاكمين وتأدية الامانة للمحكومين واعطائهم حقوقهم وأمر المحكومين أن يطيعوا حكامهم لينتظم أمر الرعية من قوله ـ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى قوله وكفى بالله عليما ـ

﴿ الفصل الاوّل ﴾

اعلم أن ماتقدم من أوّل السورة انما كان فى قسم التركات ومعاملة النساء وزواجهنّ والمحرمات وفى الزناة والزانيات ونشوز النساء وفى الصلح وهذه مسائل أساسها فى الاسرات وأصلها فى المنازل ولاجرم أن ذلك يحصر الفكر فى الأمور الجزئية والأحوال المنزلية والأعمال الفردية العائلية ولما كانت النفس الانسانية مدنية بالطبع حاصلة بالمجموع كملتها بأهل منزلها أردفه بذكر العبادات والاحسان العام للقريب والبعيد فيبدأ بالوالدين والأقربين ثم يتمادى الى أكثر الناس احتياجا كاليتامى ثم المساكين وكل جار قريبا كان أو بعيدا وكل رفيق لك فى تجارة أو صناعة أو علم وكل مسافر أو ضعيف وكل مملوك من العبيد والاماء فان الله عز وجل يكره من يتكبر على جيرانه أو يأنف من أهله وأقاربه ويتفاخر عليهم . وهؤلاء المفتخرون المتكبرون يبخلون على الناس بما آتاهم الله من فضله فان كان علما كتموه وان كان مالا كنزوه ومن سوء طباعهم وقبائح فعلهم أن ينهوا الناس عن الفضائل ليساووهم فى الرذائل لما فى النفوس من الغرائز ألا يحب الانسان الامن على شاكلته ولا يأنس الا بمن يلائمه ويخاف أن يفوقه الناس بمزيه أو يعلو عليه فى قضية ذلك فعل اليهود مع النبى كتموا نعته فى التوراة وكنزوا الأموال ولم ينفقوها وخوّفوا المنفقين من الفقر فلذلك أعد الله لهم عذابا مهينا ومن سوء طباع هؤلاء المتكبرين أرباب الفخر أن طائفة منهم لقلة إيمانها بالله وعدم الثقة بالدين لاتنفق المال الارياء ولاتعطى الفقراء الااستحياء لا يريدون الاالصيت ومدح المادحين ولايريدون وجه رب العالمين فلاوربك انهم ليسوا بمؤمنين وهم ومن تقدمهم فى الذم شركاء فالبخيل مذموم عند الله والمرائى بعمله شريكه فى الذم فالأوّل لافراطه فى الشح والثانى لتفريطه فى النية كلاهما عن الحق مصروف وبالباطل معروف والطريق المستقيم والحق الصراح تمام الايمان بالله واليوم الآخر والانفاق من الرزق المملوك فماذا عليهم لواستقاموا فى الأمرين واتسموا بالفضلين صدق القلوب وعمل الجوارح انهما فى الفضل فرسا رهان صنوان لايفترقان . أولا يعلمون أن الله يعلم مافى القلوب وهو عدل فى حكمه حكيم فى فعله لايظلم مثقال ذرة وهى النملة الصغيرة أو أقل منها كذرات الهباء الطائرات فى الهواء الداخلات فى الكوى من ضوء الشمس داخل البنيان وان كان مثقال الذرة حسنة يضاعفها ويعط من عنده عطاء جزيلا فاذا كان الله أوعد المسيئين باللعنات فقد فتح باب الرحمة والرجاء وأوسع المصراعين لخلقه العاصين والطائعين وهو أرحم الراحمين فهو يزيد فى الحسنات كما يغفر السيئات ومن كان هذا شأنه يجب أن يخشى بأسه ويتحاشى حسابه لان الكريم اذا كثر عطاؤه وعم

نداه وغفر للمسيء وأعطى الشريف والدنيء خجل منه المسيئون عند لقائه فليس كل عذاب جسميا ولا كل نعيم شهويا

يقول الله أفلا يخشون يوما يحشر الناس فيه الى وقد دعونا من كل أمة شهيدا يشهد أن أتباعه نبذوا الحقائق وتركوا صدق الشرائع وجاءت أمتك يامحمد مع الحاضرين وشهدت عليهم أجمعين حينئذ يتمنى عصاة أمتك والكافرون بك أن يدفنوا فى الأرض ويقولون ليتنا لم نخلق وياليت أمهاتنا لم تلدنا لما يرون من مقام رهيب ومشهد عجيب وعظمة وكمال وجمال وجلال والملائكة حول العرش حافون وقد تجلى الله بجماله وظهر لهم بكماله فيخجلون خجلا تذوب له القلوب وتكون النار أقل منه عذابا ذلك كله معروف فى الفطر الانسانية تدركه النفوس الفطنة والعقول الذكية ذلك هو الخزى الذى تقدم فى سورة آل عمران إذ قال تعالى هناك — ولاتخزنا يوم القيامة — وفى آية أخرى — ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون — وقد قال حكماء الاسلام كالى الرازى إن عذاب النفوس أشد من عذاب الأجسام ولقد ظهر فى هذا المقام والفطر الانسانية تدركه ومن كلامهم • النار ولا العار • ولقد شرحته هناك شرحا وافيا كافيا • والذى تحقق فى هذا المقام وأمثاله أن الخجل والفضيحة لاتختص بالذنوب الجسمية بل تشمل الصور العقلية فالكفر هنا من أعظم الجهالات والبخل من أشأم الذنوب ومتى ضممنا اليه مافى سورة آل عمران من التفكر فى الخلق والتأمل فى عجائب الليل والنهار الى آخر ماهناك وان جهل ذلك مستوجب العار ظهر لنا ظهورا واضحا ان الخجل والفضيحة حاصلان لجميع النفوس الناقصة والقلوب الساهية اللاهية فالعامة يخجلون لذنوبهم والخاصة يخجلون لنقص نفوسهم وعدم تحليتها بالعلم والعرفان

ياقوم ليس يلقى الله الانفس مضيئة قد خلت من الذنوب وتحلت بالعلوم الكونية وما الانبياء الا مبلغون وعلى الناس البحث والتفكير فليعرفوا ماحولهم لئلا يخجلوا فى ذلك المقام الشريف والمشهد المنيف فليعط الله الناس من النعيم الجسمى مايشاؤن وليغفر لهم كما جاء فى هذه الآية وفى الأحاديث وليخرج كثيرا منهم من النار مع اعطائهم نعما لاتحصى كل ذلك يزيد فى خجل النفوس الشريفة إذ يرون أنهم ليسوا أهلا لمقعد الصدق والمقام الأقدس عند مليك مقتدر فان ذلك لا يكون الا لكل حكيم عليم

ذلك المقام الذى يظهر فيه الجمال والجلال والحسن والبهاء والأنوار ومجالى السعادة يخرس الألسنة أن تنطق ولا يجد المذنب مفرا من الاقرار بذنوبه والاعتراف بعيوبه ولا يكتم المذنبون الله حديثا

ولما كان هذا المقام شريفا عزيزا ولا ينال الا بأن يخلص القلب فيصير كالشمس المضيئة ليس دونها سحاب الذنوب ولا غشاوات العيوب أردف ماتقدم بما يقرب الانسان من الحضرة العلية ويخلصه من ذنوبه ويرجعه عن عيوبه وذلك باقامة الصلاة لانها أولا تنهى عن الفحشاء التى تغطى القلوب بسحائب الذنوب وثانيا يتجلى على القلب حكم وأنوار وبهاء لاسيما إذا كان ذلك فى وقت السحر وقد خلا من الشواغل • فاذن لاينبغى أن يكون المصلى سكران لان السكران لايعى مايقول وما المقصد من الصلاة الامناجاة تلك الحضرة والمران على مخاطبة ذلك المقام الأقدس وذلك المران يستدعى التجليات والمشاهدات ومن لم يحظ فى الدنيا بهذه المشاهدات ولم تقر عينه فى الصلوات لم يحظ بما يريد من لقاء منبع الجمال ومبدا الكمال • وكما أن القلب فى الصلاة يجب أن يكون حاضرا لاساهيا ولاسكران ليحصل المقصود هكذا يجب أن يكون المرء على طهارة كاملة • فالقلب حاضر للمناجاة والجسم طاهر من الأقذار والحدث والجنابة وللظاهر فى الباطن آثار فاياك أن تشغل قلبك وقت الصلاة فلاسكر ولافكر الافى مناجاة الله لتشاهد ولو بعد حين الأنوار فذكر السكر رمزا الى سائر الشواغل حتى يعلم الانسان مايقول ولعمرى أى فرق بين السكران ومستغرق الهم فى أعماله الدنيوية الحق ان الصلاة إما باطلة أوفى حكم الباطلة كما قدمناه فى سورة البقرة فلامشاهدة لذلك الجمال بعد الموت الا بمقدمات المشاهدات

اليوم . وإذا كان القلب فى الصلاة يجب أن يكون حاضرا والجسم يجب أن يكون طاهرا لئلا تصرفه قذارة الجسد أوشغل البال عن مناجاة الله فانه يغتفر لضرورة مايعترى الناس من الأحوال التى تضطرهم الى ترك استعمال الماء فى الطهارات كالجنب الذى فقد الماء فى سفره فكيف يغتسل والمريض الذى عرف بقول الطبيب أن الماء يؤذيه فالمسافر الذى لايجد الماء لوضوئه اذا نقض أولغسله والمريض كلاهما يتيمم بضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين لتبقى صورة الطاعة محفوظة وماذلك الا كما يمرن الجند على الرماية والتلاميذ فى المدارس على أعمال الحساب وقراءة اللغات لترسخ الملكة فيهم فذلك فى العلوم وهنا فى الأعمال فتصبح أعمال الاغتسال سجية لهم متى جاء وقتها هذا ملخص معنى الآيات فى الفصل الاول

فلأوضح بعض الألفاظ مع تفصيل ماينبغى تفصيله فى هذا الفصل

قوله (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) بدل من قوله من كان قوله (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) الغنى والعلم ويصح أن يقال الذين يبخلون الخ مبتدأ وخبره محذوف تقديره فهم يستحقون اللوم والتعنيف وقوله (وأعتدنا) هيأنا وأعددنا قد نزلت فى اليهود كانت طائفة منهم تخالط رجالا من الأنصار ينهونهم عن الانفاق ويخوفونهم الفقر وهم أنفسهم لاينفقون المال ويكتمون صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس الخ) مفعول لأجله أى ينفقونه للفخار والذين يجوز أن يكون معطوفا على ماقبله أو يكون مبتدأ خبره محذوف أى يكون الشيطان لهم قرينا وقوله (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) إيذان بان الشيطان هو الذى يغريهم وهم له مطيعون فالمبذرون إخوان الشياطين والمراؤن إخوان الشياطين لان الأفعال إما شرعية واما مخالفة للشرع فالأولى اتباع للشرع والأخرى اتباع للشياطين (وماذا عليهم لوآمنوا بالله واليوم الآخر الخ) أى وأى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق (وكان الله بهم عليما) وعيدلهم وتخويف (إن الله لايظلم مثقال ذرة الى قوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما) تقدم فى المعنى تفسيره وقوله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أى نبى (وجئنا بك) يامحمد (على هؤلاء) أى أمتك (شهيدا) كما فى آية ــ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ــ (يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا) أى يودّون أن تسوّى بهم الأرض وحالهم أنهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روى أنهم اذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوّى بهم الارض وقوله (يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية) أى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى سكر نوم أى لاتقربوها عند غلبة النوم حتى تعلموا ماتقولون لما فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه فأما ماروى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض الصحابة فأكلوا وسقاهم خمرا وأمهم على بن أبى طالب فقرأ ــ قل يا أيها الكافرون أعبد ماتعبدون ــ وكان ذلك فى صلاة المغرب فنزلت هذه الآية فهذا الحديث حسن غريب ولم يرد فى الصحيحين وانما أخرجه الترمذى وأبوداود فسكارى يحتمل سكر النوم والسكر المعروف (ولاجنبا) عطف على وأنتم سكارى والجنب الذى أصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع فيجرى مجرى المصدر وقوله (الاعابرى سبيل) إما بمعنى المسافرين واما بمعنى عابرى سبيل المسجد فيكون على الأوّل هكذا لاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الافى السفر فلم تجدوا ماء فتيمموا وعلى الثانى لاتقربوا مواضع الصلاة وهى المساجد جنبا الامجتازين فيها دخولا أوخروجا والاوّل مذهب أبى حنيفة وهومروى عن على وابن عباس فعليه يمنع الجنب من العبور فى المسجد والثانى قول ابن مسعود وأنس والزهرى والشافعى وأحمد فيجوز للجنب على هذا عبور المسجد

وقوله (حتى تغتسلوا) غاية للنهى عن القربان حال الجنابة وقوله (وان كنتم مرضى) أى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد أو مرضا يمنعكم من الوصول اليه (أو على سفر) لاتجدونه فيه (أو جاء أحد منكم من الغائط) فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين والغائط المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث تسمية له باسم مكانه (أولامستم النساء) أى جامعتم وهو قول علي وابن عباس والحسن أوماسستم بشرتهن ببشرتكم بجماع أو بغيره

(١) وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي والشافعي فاللمس عنده ينقض الوضوء ومن لمس محرمه لاينتقض وضوءه على أصح القولين عند الشافعي ولا ينتقض وضوء الملموس على أحد قولين له بل اللامس فقط

(٢) واشترط مالك والليث وأحمد أن يكون اللمس بشهوة حتى ينتقض به الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا

(٣) وقال أبوحنيفة لاينتقض الوضوء الا أن يحصل الانتشار

(٤) وقال ابن عباس لاينتقض بحال وكذلك الحسن والثوري فابن عباس ومن عطف عليه مخففون والشافعي مشدد ومالك وأبو حنيفة متوسطان بينهما ولكل من هؤلاء أحاديث رووها ولكل وجهة هو موليها

وقوله (فلم تجدوا ماء) أى فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود . واعلم أن المرخص بالتيمم إما محدث أو جنب والذى يقتضيه فى الغالب مرض أوسفر . وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر أومحدثين جئتم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أى فتعمدوا شيأ من وجه الأرض طاهرا فاضربوا ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين بحيث يضرب المتيمم كفيه على التراب و يمسح بهما وجهه ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه الى المرفقين وعند الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلب ومسح أجزأ وكفى وكذا الرمل والجص والنورة والزرنيخ وينوى عند التيمم استباحة الصلاة بعد دخول الوقت ويصلى فرضا واحدا عند ابن عباس وعلى ومالك والشافعى وأحمد وذهب جماعة الى أن التيمم كالوضوء فيقدم جوازا على الوقت ويصلى به فرائض كثيرة مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى والثورى فأما النوافل فقد اتفق الجميع على أن يصلى الكثير منها بتيمم واحد قبل الفرض و بعده وأن يقرأ القرآن وهو جنب وأبوحنيفة لايشترط طلب الماء وعند الشافعى لايقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار . ولما كان ماتقدم فيه تسهيل قال تعالى (إن الله كان عفوّا غفورا) فلذلك رخص لكم انتهى الكلام على الفصل الأوّل من هذا القسم لفظا ومعنى وحكما ملخصا

﴿ الفصل الثانى ﴾

(ألم تر الى) أحبار اليهود (الذين أوتوا نصيبا) حظا يسيرا (من الكتاب) من علم التوراة (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى بانكارهم نبوّة محمد وأخذهم الرشا وأكلهم أموال الناس بالباطل (ويريدون أن تضلوا) أيها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى أمركم (وكفى بالله نصيرا) فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره ثم أخذ يذكر بعض فرق هؤلاء اليهود الذين يشترون الضلالة فقال (من الذين هادوا) قوم (يحرفون الكلم) يميلونه (عن مواضعه) التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤوّلونه على مايشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (واسمع غير مسمع) أى مدعوا عليك بلا سمعت بان تكون أصم أوميتا (وراعنا) أنظرنا نكلمك (ليا بألسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب

اذ

إذ وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا كما تقدم فى سورة البقرة (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم) أى لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل (ولكن لعنهم الله) طردهم وأبعدهم من الرحمة (بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) المراد بالقلة العدم قال الشاعر

قليل التشكى للهم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ثم خاطبهم قائلا (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) أى نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعنى الأقفاء وأصل الطمس إزالة الأعلام المماثلة وقد يراد بمعنى الطمس فى إزالة الصورة وأحسن المعانى التى ذكرها المفسرون أن يكون مجازا كأنه يقال يا أيها العلماء بالكتاب ومعكم دلائل توجب أن تصدقوا محمدا آمنوا بما نزلنا عليه فاذا خالفتم كأنكم وطمستم الحقائق وزغتم عن الجادة صار ذلك بتكراره عادة فيكم وسجية لامفر منها لتكرارها وصار العلم على حسب الأهواء والدين تبعا للملبس والغذاء فتستعذب القلوب ما مرنت عليه وتنفر من الحق نفورا وتذر العلم وتتبع الهوى فتعمى القلوب وتطمس البصائر فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ثم عطف على نطمس وجوها قوله (أو نلعنهم) أى أصحاب الوجوه على لسانك (كما لعنا أصحاب السبت) على لسان داود وهم الذين صادوا السمك يوم السبت وقد نهوا عنه (وكان أمر الله) بايقاع وعيده (مفعولا) نافذا (ان الله لا يغفر أن يشرك به) فالمشرك مخلد فى النار (ويغفر ما دون ذلك) مادون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (لمن يشاء) تفضلا (ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) ارتكب ما تستحقر دونه الآثام (ألم تر الى) أهل الكتاب (الذين يزكون أنفسهم) فيقولون نحن أبناء الله وأحباؤه (بل الله يزكى من يشاء) فتزكيته هى المعتد بها وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا أو قولا (ولا يظلمون) بذم أو عقاب أى لا ينقصون (فتيلا) أى الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة (انظر كيف يفترون على الله الكذب) إذ يزعمون أنهم أبناء الله (وكفى به) بزعمهم هذا أو بالافتراء (إثما مبينا) أى إثما لا يخفى بل هو ظاهر من بين آثامهم

اعلم أن اليهود لما وجدوا النبى صلى الله عليه وسلم معهم فى المدينة ورأوا دينا هجم على القلوب فاجتمعت ومرى الى النفوس فاستنارت ساءهم ذلك ورأوه ماسا برياستهم هادما لمجدهم مميتا لمنزلتهم فأخذوا تارة يمدحون أنفسهم فيقولون

(١) نحن أبناء الله وأحباؤه وتارة

(٢) يذمون هذا الدين الجديد ويفضلون عليه عبادة الأوثان وهم يعلمون أنهم فى ذلك كاذبون إذ جاء حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف فى جمع من اليهود الى أهل مكة ليحالفوا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيحاربونهم فقالت قريش لهم أنتم أهل كتاب فاذن أنتم أقرب لمحمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم فسجدوا للجبت وهو صنم أو أصله الجبس وهو مالاخير فيه وقد استعمل فى كل ما عبد من دون الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره • ولما قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث • قال له كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد

(٣) وقد ينظرون الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه نظر الحسد ويتمنون زوال النعمة عنهم فيقولون تارة نحن أولى بالملك والنبوّة فكيف نتبع العرب

(٤) وتارة يقولون كيف يجمع محمد الكثير من النساء فيكون له تسع نسوة ولو كان نبيا لشغله أمر النبوّة عن الاهتمام بأمر النساء

وقد أجاب الله عن الأوّل بما تقدم فى قوله - ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم -

وعن الثانى بقوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) وتقدم تفسيرهما (ويقولون للذين كفروا) لأجلهم وفيهم (هؤلاء) إشارة اليهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أقوم دينا وأرشد طريقا (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع العذاب عنه بشفاعة أوغيرها

وعن الثالث بقوله (أم) بل أ (لهم نصيب من الملك) أى ليس لهم نصيب من الملك البتة ولئن كان لهم نصيب من الملك (فاذن لا يؤتون الناس نقيرا) وهو النقرة التى تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة كما أن الفتيل هو مافى شق النواة الذى أعد لأخذ الأغذية لتغذى النواة كما فى العلوم النباتية

وقال فى الثالث (أم) بل أ (يحسدون الناس) رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب (على ما آتاهم الله من فضله) إذ سلقوهم بالسنة حداد انكارا للنبوّة والمناصب الرفيعة التى جاءت للعرب وسعيا فى ازالة تلك النعم أن يفعلوا ذلك (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكم والنبوّة) كداود وسليمان ولم يشغلهم الملك والنساء عنهما فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان أكثر من ذلك فضلا عن الاماء فنالوا النبوّة (وآتيناهم ملكا عظيما) والناس يكونون على حسب قواهم واستعدادهم فمنهم من قويت أبدانهم وعقولهم فلا يمنعهم بعض الأعمال عن بعض ومنهم الضعفاء تؤثر فيهم الأعراض فاذا مالوا الى جانب حادوا عن الآخر • وأكثر الناس اذا أوتوا الملك صرفهم عن النبوّة أو النبوّة صرفتهم عن الملك وهكذا العلماء والحكماء فأكثرهم مصروفون عن الدنيا ومن لم يصرف عنها منهم نقص علمه وقليل منهم من جمع بينهما ففاز بهما معا ومن هؤلاء الأقوياء من الأنبياء داود وسليمان ومحمد فكيف تعترضون على محمد وأنبياؤكم كانوا ذوى مناصب ونساء كثيرة فلم يشغلهم شأن عن شأن

ولما فرغ من الرد عليهم ذكر أنهم قسمان قسم آمن بالنبى وقسم صدّ عنه فقال (فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه) أعرض عنه (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعرة يعذبون فيها وقد يعجل العذاب فى الدنيا (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) وهذا تقرير لما قبله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يزال عنهم أثر الاحراق ليعود احساسهم للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) أى ليدوم لهم ذوقه واعلم أن العذاب فى الحقيقة للنفس كما أوضحناه مرارا فى هذا التفسير فى مواضع كثيرة فارجع اليها فى السور المتقدمة فانها تزيل اللبس ولنعلم أن الجسد ليس الا آلة فحسب ولولم يكن اتصال الأعصاب بالمخ لم يحس الانسان بالالم فالألم الجسمى والألم النفسى كلاهما راجع للنفس ولكن أحدهما آت للنفس بلاواسطة الجسم والثانى يأتى لها بواسطة الجسم • ألاترى أن المنوم تنويما مغناطيسيا يشاهد الناس فى هذا العصر أنه تغرز فيه الابر فلا يحس وتتبدل جميع عوارض الاحساس وهذا مقام يوجب البحث والتنقيب والتفكير ولم تأت الديانات بهذه الأمور الا لتحض العقل على التفكير فى أمر النفوس الانسانية ولا نعيم فى الحقيقة الا لأهل العلم المفكرين لأنا فى هذه الدنيا لم نخلق الا للذلك والحضرة الالهية لايقرب منها الناس الا بالحكمة والعلم والبحث هذا هو الأوّل والآخر وكل محجوب بما نحن فيه من العوارض فانه يبقى بعد الموت على ماهو عليه فيكون فى أحوال تتجدد عليه وكلها شؤم على النفس كما تتجدد الأحوال الدنيوية علينا وكلها متقلبة غير ثابتة تجدد الآلام ولعذاب الآخرة أخزى وأشد (إن الله كان عزيزا) غالبا لايمتنع عليه مايريده (حكيما) يعاقب بحكمة فليس تبديل الجلود ودوام العذاب على الناس الا لحكمة قد يعرفها من آتاهم الله الحكمة ووهبهم الفطنة ودرسوا نظام هذا الوجود فهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون • كيف يعذب الله الناس عذابا لايطاق

لحظة وكيف يبقى هذا العذاب الى الأبد وهؤلاء متى أدركوا ذلك لوحوا بمعانيه للناس تلويحا وأسروه فى أنفسهم لانهم يسيرون على نهج العزيز الحكيم الذى علمهم فلا يعطون الحكمة لغير أهلها لئلا تضل العقول . وسأذكر لك طرفا فى هذا المقام فى سورة هود عند قوله ــ فأما الذين شقوا ففى النار الخ ــ لتتبين بعض الحقيقة على ماتقتضيه الحكمة التى أبرزها الله لهذا الوجود وصوّر بها كل موجود وعلمها لبعض عباده المفكرين

ولما ذكر النار أتبعها بذكر الجنة فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) كنينا لاتنسخه الشمس ولايؤذيهم فيه حرّ ولا برد وهو ظل الجنة وهذا كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم . وقد مضى الكلام على النار والجنة فى سورة البقرة وفى سورة آل عمران فارجع الى هذا القول هناك فى المباحث

﴿ لطيفة ﴾

﴿ الحسد والبخل ﴾

لقد وصف الله اليهود بالحسد والبخل فى هذه الآيات وحكم عليهم بانهم لايستحقون الملك

واعلم أن الحسود لكراهته للنعمة التى يسبغها الله على عباده شريك البخيل بماله يمنعه عن الناس ولكن الحاسد شرّ لأنه يبخل بنعم الله والثانى بماله هو وهاتان الصفتان قاتلتان للانسان . ألاترى أن للقلوب آثارا وللنفوس أسرارا ومن غرست فى قلبه كراهة الناس أذله الله على أيديهم ولكن رأينا ممن عاشرناهم فى هذه الحياة من اتصفوا بالحسد وكراهة الناس وغشوهم بالظواهر فافتضحوا فى آخر حياتهم وأرداهم سوء طويتهم والحق لابد من ظهوره والقلوب فيها مكنون الآراء تتفاعل كما تتفاعل العناصر ثم تنبت نباتا على مقتضى البذور ثم تخرج على اللسان تارة وعلى الأعضاء أخرى وتنبعث أيضا بتيار كهربائى يسرى الى نفوس الناس وهم لايشعرون فيحدث ذلك بغضا أوحبا فتنفر النفوس أوتنجذب الى ذلك القلب وصاحبه هذا ماقرأته فى بعض كتب النفس فى العلم الحديث فى كتاب بالانجليزية يسمى هكذا قواك وكيف تستعملها وهذا سر ذكر الملك وسلبه عن اليهود مع ذكر الحسد والبخل اللذين يجمعهما اختصاص الانسان بالنعمة وانفراده بالمجد ولقد علمت أن الانسان كله كنفس واحدة ولكل وظيفة فى أعمال الحياة كوظائف أعضاء الجسد وهذا مقتضى ماجاء فى أوّل السورة أن الله خلق الناس من نفس واحدة وأوصاهم بالتعاون فلهذا السر لايصلح للملك الحاسدون

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى * وكونك إياه عليك يسير

وهذا هو بعض معنى الآية

ولذلك نجد أن من تخلوا عن الدنيا أقبل الناس عليهم بالاعظام والاجلال والأنبياء والصالحون كلهم على هذا النمط كلما زهدوا فيها أقبل الناس عليهم وأحبوهم انتهى الكلام على الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

هذا الفصل درس أعطاه الله على ماتقدّم من بخل اليهود وحسدهم وان الحسود من أى أمة والبخيل وذا الصفة الممقوتة ليس أهلا للملك والله لايؤتى الملك الالذوى النفوس الواسعة فتقبل النفوس عليهم وتلتف الجموع حولهم فلذلك أخذ يشرح مايجب على الحكام حتى ينالوا الملك واليهود لما كان كل غرضهم المال وكانت مصارف العالم فى أيديهم اليوم كما كانوا قديما وحديثا يختصون أنفسهم بالمال فأباحوا الربا مع الأمم الامع أنفسهم حرمهم الله من الملك وأمر بصفات تخالف صفتهم

ومن عجب أن الذين أحدثوا البلشفية هم علماء اليهود فى ألمانيا وأوّلهم عالمهم ماركس وامتد علمه الى الروسيا فقام لينين اليهودى ومن معه مثل تشنشرين وهذه العصبة منهم هم أصل تكوين البلشفيه فى الروسيا فأزالوا دولة القياصرة وحلوا محلها والبلشفيه فيها اليهود وهم أصلها وفيهم قوم من الروس النصارى لاضطهاد

القياصرة لهم وهم يقسمون المال بين الناس . فانظر كيف سلب اليهود الملك ولم يعطه منهم أحداً الاحين تركوا الاختصاص بالمال بل تغالوا فى تقسيمه بين الناس وهؤلاء طبعا ممقوتون من اخوانهم اليهود لان اليهود يحللون الربا مع الأمم وهؤلاء يحرمونه فرجع هؤلاء عن آراء أجدادهم ودينهم فأوتوا الملك وهذا من عجائب القرآن فكيف ذكر البخل هنا والحسد وسلب الملك عنهم وكيف يقول فى آيات أخرى ـ وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ـ كما سيأتى فى تفسير هذه الآية وكيف حكم عليهم بتمزيق شملهم فلا ملك لهم الى يوم القيامة وكيف تم ذلك بحذافيره وفرقوا فى البلاد وكيف قامت لهم دولة ليست باسم اليهود بل باسم غيرهم لما خالفوا طريق اليهود لانه اذا زال السبب وهو الاختصاص بالمال زال المسبب وهو الحرمان من الملك فلذلك أمر الله فى القرآن باجتناب أخلاقهم وصفاتهم المانعة من الملك . فأمر الولاة أن يحكموا بالعدل والانصاف بالسوية فلا يحابون غنيا لغناه ولا قويا لقوته ولا يحيفون على فقير لأخذهم الرشوة من الغنى ألا ترى أن أول السورة عنوان هذا كله وهو أن الناس من نفس واحدة ويتبع ذلك أن يكونوا كأنهم نفس واحدة فالعين تبصر والعقل يفكر والأعضاء تطيع هكذا على الحكام وهم كالعقول فى الأمم أن يحكموا بالعدل فلا يميلون مع الهوى وعلى الرعايا أن يطيعوا ما أمر به الولاة على مقتضى الشريعة المرضية فان تنازع الرعاة فى أمر فليردوه الى أولى الأمر وليراجعوا كتاب الله وسنة الرسول ولا يفعلون فعل بعض المنافقين من عدم الرضا بحكم الله والرسل لم يرسلوا الاليطاعوا فلا إيمان الا اذا رضى الانسان بحكم الله وانتظم شمل الألفة وصار الأنبياء والولاة كالعقل والقوى المفكرة وصار الرعايا كالأعضاء العاملة فتنفذ صواب ما أقرته العقول ورضيته النفوس ويكون ذلك إيمانا بالقلب ورضا بالحكم كما تذعن الأعضاء فى الجسد ونتيجة ذلك كله أن يجتمع شمل التابع والمتبوع فى الآخرة كما اجتمعوا فى الدنيا ويصير الحكام الفاضلون والأنبياء الظاهرون مع الرعايا والأمم فى مقعد صدق متحابين فى عالم الأرواح فى البرزخ وفى الجنة كما كانوا متحابين فى الدنيا فهذه التربية الجسمية الدنيوية مع ما يمازجها من الأحكام والقضايا ونتائجها إن صلحت صلحت النفوس بعد الموت واستعدت للسعادة والألفة وان فسدت فسدت تلك الألفة وتفرقت الأوصال كما أوضحه العلامة الفارابى فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) فهذا سر قوله تعالى ـ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ ـ بعد الكلام على طاعة أولى الامر وطاعة الله ورسوله وهذا من عجائب القرآن ونظامه فمن هذا المقام وأمثاله فلتعرف بعض أسراره وعلى هذا النمط فلتعرف بلاغته ولتتوجه العقول الى أمثال هذه المعانى ولا تتلكأ فى النكت اللفظية والقواعد البديعية فذلك يجتزئ به المتوسطون ويفرح به الذين لا يعلمون فاحرصوا أيها المسلمون من أسرار القرآن على ما به تقوم مدنيتكم وتسمو أممكم ويرتقى شأنكم فلقد سبقنا الفرنج درجات وتركونا فى الاخريات فان المسلمين لما صرفوا هممهم الى ألفاظ القرآن صرفت عنهم المعانى وتراهم فى الاندلس لما قدسوا الشعر ولم يتغلغلوا فى باطن الحكمة نزل اليهم الأسبان من الجبال فتخطفوهم وكان الملك يسند الى الحكماء والعقلاء والمفكرين من رجال الأسبان ولا يسند الا الى الشعراء وأهل الخيال من الاسلام كابن جهور وابن زيدون وأمثالهما فحقت كلمة الله على المسلمين

اقرأ كتاب العلامة (بيياردو الفرنسى) فى تاريخ العرب بالاندلس وقد ترجم حديثا الى العربية وسترى فى سورة الشعراء هذا المقام بايضاح واياك أن تقف عند كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب وأمثالهما وتقرأ ما يرد فى الحديث وفى الآيات على أنه مجرد قصص فالقصص بدون حكمة لا نتيجة له فلم تذكر هذه الأحوال الالغاياتها ولا هذه القصص الالفوائدها فالجهلاء بالحكايات يتسلون والعلماء بالمعانى يرتقون وكل حزب بما لديهم فرحون

واذ عرفت بعض سر الفصل الثالث فى هذه الكلمات فلنشرع فى تفسير لفظه فنقول

روى أن عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة يوم فتح مكة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها

النبى

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لوعلمت أنه رسول الله لم أمنعه لوى على يده وأخذه منه وفتح فدخل صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج صلى الله عليه وسلم سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله أن يرده اليه فأمر عليا بان يرده و يعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بأن السدانة في أولاده أبدا وهذا قوله (إن الله يأمركم) أيها الناس والحكام وولاة الأمور (أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وهي كل ما اؤتمنتم عليه من قول أو عمل أو مال أو علم وبالجملة كل ما يكون عند الانسان من النعم التي تفيد نفسه وغيره فليسلم ذلك الى أربابه ومن ذلك الحكام والولاة فليؤدوا الأمانات الى أهلها . وفي حديث البخاري أن الصدق وتأدية الأمانة والوفاء بالوعد علامات الايمان وأضدادها علامات النفاق ونتائج الايمان على هذا المنوال سعادة المجموع الذي هو كنفس واحدة ونتيجة النفاق ونقص الايمان على هذا المعنى شقاء المجموع ولذلك نجد أن الأمة الاسلامية لما أصبحت عبادتها لفظيه وقضايا المحاكم الشرعية فيها رسمية لا حقيقية وجهل القضاة القصد من الأحكام وجاروا في أحكامهم للجهل تارة والرشا أخرى ذهبت ريحهم وانقضت عليهم أوروبا بخيلها ورجلها وانتزعوا الأحكام من أيدينا فالأمانة أس العمران والخيانة خراب البلدان ولعمرك لا تنفع ظواهر العبادات ولا قشور القضايا والبينات الا بادراك الغايات من مقاصد العبادة وحقائق العدل وبواطن الأمور على قدر الطاقة البشرية عند تحقيق الشهادة وذلك هو الذي ذهب من يد المسلمين فحل قضاة الفرنجة محل قضاة المسلمين وسيرجع الامر الى نصابه ويقوم جيل في الاسلام يأتي الامر من بابه ولتعلمن نبأه بعد حين وسيقوم في هذه الامة عما قريب من يعقل قوله تعالى (و) ان الله يأمركم (اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) فيسوّي القاضي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما * وملخص ذلك أن يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وأن لا يمتزج ذلك بغرض آخر (ان الله نعما يعظكم به) أي نعم شيأ يعظكم به والمخصوص بالمدح المأمور به من أداء الامانات والعدل في الاحكام (ان الله كان سميعا) لاقوالكم (بصيرا) بأحكامكم وما تفعلون في الامانات

ولقد علمت فيما تقدم في هذه السورة الجليلة أن التعليم بطريقين طريق الاقناع العقلي وطريق الارهاب ولما كان المخاطبون من أرقى الطبقات في الامة الذين منهم الحكام أتى بهاتين الطريقتين بشكل عجيب فمدح هذا الوعظ انعاشا للقلوب وايقاظا للنفوس فكأنه يقول انظروا بعقولكم وفكروا بوجدانكم وفتشوا في ضمائركم ألستم ترون أن مبدأ السورة أن الناس إخوان متعاونون وهم كأنهم جسم وأعضاء خادمة ومخدومة فكل لكل مساعد وعضد وساعد أليس هذا التعاون منفعة للجميع وان الحكام اذا لم يكن لهم رعايا ذهب عنهم الملك وان الملك لا يكون الا بالعدل وان الرأس لا يستقيم الا بالاعضاء فاذا عدلتم بين الناس فالامر راجع للجميع والرعايا ان لم يطمئنوا نقصت الغلات ونقصها ينقص رزق الجند ويوجب ذهاب الدولة وذهابها ينزل الحكام عن كراسيهم فيصبحون سوقة فهذا سر قوله - نعما يعظكم به - ولما كانت هذه المعاني الشريفة الجليلة تخفى على كثير من الحكام وأهل النظر أردفه بالتهديد على النسق الذي رأيته في هذه السورة ولكنه تهديد لطيف فلم يخوفهم بجهنم كما أخاف اليهود بل تلطف فذكر أنه يسمعهم ويبصرهم فليحذروا نقمه وطوى ذكر العذاب والنقمة اكتفاء بفطنتهم وهذا غاية الابداع معنى والاحسان لفظا من هنا فليذق الناس البلاغة القرآنية وليعجبوا من الحكم البديعة . ولما فرغ من نصح الحاكمين شرع ينصح المحكومين باعتبار أنهم جميعا كانسان واحد فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا يشمل الكتاب والسنة والقياس والاجماع . فالكتاب والسنة يفهمان من طاعة الله ورسوله والقياس والاجماع كذلك فالقياس من قوله مثلا - فاعتبروا يا أولي الابصار - والاجماع من قوله - ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى - ومما ورد . لا تجتمع أمتي على ضلالة . وحديث * ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن * وقوله

(وأولى الامر منكم) هم أهل الحل والعقد فى الامم الاسلامية الذين يكون الامر بينهم شورى ويكون الرأى الغالب معمولا به وأل فى الامر للعهد والمعهود ذلك فى قوله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - فهذا هو الامر المذكور هنا . أما الحكام فان طاعتهم واجبة لوجوب طاعة الله ورسوله وأولى الامر فاولوا الامر هم الذين يولون الملوك والملوك يولون الحكام فى الاقاليم فاذا أطاع المسلمون عثمان بن عفان فذلك لان المجلس الشورى الذى أمر به سيدنا عمر قضى بخلافته . واذا أطاع المسلمون حكام الاقاليم فقد أطاعوا أولياء الامر منهم بالواسطة فطاعة الله ورسوله وما ترتب عليهما تكون فى الامور الدينية وطاعة أولى الامر تكون فى الشؤون الدنيوية المتفرعة على الدينية والمحافظة عليها وهناك لابد من تنازع فى فروع الفقه والدين وفى مجالس الشورى بين المسلمين فليرد المتنازعون أمر ما تنازعوا فيه الى ما ورثوه من العلوم فى الكتاب والسنة وليقتبسوا منهما ولينظروا فيهما حتى يستقيم الأمر ويعتدل وهذا هو قوله تعالى (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) أى الرد (خير) لكم (وأحسن تأويلا) أحمد عاقبة أو أحسن من تأويلكم بلا رد

وستأتى محاورات فى المجلس الذى سيعقد بعد مئات من السنين للامم الاسلامية بعد تفسير المقصد السادس بعد هذا من سورة النساء التى نحن بصدد الكلام عليها وهى تطبيق على هذه الآية فلتقرأها ولتتدبرها هذا واعلم أنه فى هذه الايام طرد الترك آل عثمان والخليفة من بلادهم فكتبت هذه المقالة فى عدد الثلاثاء ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ - ١٢ شعبان سنة ١٣٤٢ بجريدة المقطم وهذا نصها

﴿ الخلافة فى الاسلام ﴾

الفطرة نور إلهى سار فى المخلوقات الحية ظاهر فى نوع الطير فى جوّ السماء وفى ذوات الأربع فوق الغبراء والحيوان البحرى فى لجج الماء فهذه الغرائز أنوار مشرقة على الأحياء إشراق الكواكب والشمس والقمر على سائر الأرجاء

فهذه الفطرة حببت الأمهات فى أولادها وبها حنت الذرية الى أمهاتها ودلف الطير الى عشه وكرّ الاسد الى عرينه وجرت الحية الى وكرها وسارعت الغزالة الى كناسها وعاشت الاحياء فى سلامة وسلام

بهذه الفطرة عاش الانسان قبل التاريخ ثم امتاز قوم بنور أبهى واشراق أجلى وهم الانبياء فأخذوا يحدون إخوانهم بما به يحدون ويعلمونهم ما يلهمون والفطرة لاتخدع فيقبلون عليهم ويصغون اليهم وكأنهم ماسمعوا الالفطرهم ولا أصغوا الالنفوسهم

هكذا كان بوذا وكونفشيوس وموسى وعيسى فى الأزمان الغابرة ولما طال الأمد أخذت تلك الشعوب تلون الديانات بألوانها وتصبغها بصبغتها فتطبع بطابعها وتنسى المبادئ الاولى للديانات وتظهر أجيال تشاهد ما ليس من طبع الدين وانما هو من طبع المتدينين وأخلاق التابعين

وكلما كثرت الاجيال وتوالت الامم وامتدّ الزمان تباعد الدين عن أصله وصار على غير شكله هناك يكون ضلالا لتابعيه وتأخرا لمعتنقيه فيصبح مرّ المذاق طعمه لن يطاق قليل الجدا قيدا فى الارجل غلا فى الاعناق فكما كان فى أوّله عدة النشاط مفتاح النجاح صار فى آخره قيد النفوس جالبا للبؤس

فقام فى كل أمة من هذه الامم مجددون وظهر فيها مستنيرون فعلموا أممهم وهذبوا طرقهم وأنت ترى تعاليم أوروبا فى العصر الحديث اذ نهجت غير المناهج القديمة فى العصور الوسطى ونادى أناس بالحرية العملية والعلمية والانطلاق من الوثاق وقام لوثر وأمثاله من المصلحين فانجلت بعض الغياهب وظهرت بعض الحقائق وارتقت الشعوب

﴿ دين الاسلام ﴾

وجاء دين الاسلام موافقا للفطر كسائر الديانات فى أوّل أمرها فقبله العرب الاوّلون وأصلح أخلاقهم وجمعهم وكان سهل التعليم فطاروا به فى الارض شرقا وغربا وخلف النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قد كانوا على أخلاق النبوّة سائرين ولطريق النبوّة سالكين وفى سبيلها عاملين متخلقين بالاخلاق المحمدية وهم فى حكمهم عادلون

﴿ الخلافة المحجبة المبرقعة ﴾

ثم لما طال الامد قست القلوب ووهنت النفوس وبطر الخلفاء وتظاهروا بالكبرياء فتراهم فى أواسط الدولة العباسية وأواخرها ببغداد وفى أواخر دولة بنى أمية بالاندلس وكذلك الفاطميون بمصر والعثمانيون بالاستانة كل هؤلاء أخيرا قد احتجبوا فى قصورهم مع الخصيان والنساء ساهين لاهين وكلما هلك خليفة ابتدع من بعده بدعا وأنواعا من الترف وهم فى غيهم يعمهون وفى جهالاتهم تائهون والعلماء والحكماء لا يستطيعون تقويض ذلك البنيان ولا تغيير تلك الحال بل يمدحونهم بالقصائد وهم يزدادون فى قصورهم قصورا ويملكون فيها ولدانا وحورا وحجابا وخصيانا ونساء لافرق بين الآخرين منهم والاوّلين وأنس الناس بتلك المناظر وخضعوا لتلك المظاهر وخرست الالسن فلا تسمع الاهمسا وبتوالى الزمان أصبح ذلك عادة مألوفة وجبلة ثابتة كيف لا والعادة طبيعة خامسة واذا مات الخليفة قام مقامه آخر من نفس البيت بطريق مرسوم والامم قبلت ذلك لسببين أولهما أنهم يخافون قيام الثورات وظهور الفتن فى البلاد وثانيهما أن هؤلاء مثلهم للدولة كمثل شبكة الصائد أوجرعة الطبيب أوالتنويم المغناطيسى فبهذه المظاهر والزخارف تأنس النفوس وتخضع الرقاب وكلما أراد الشعب انطلاقا لم يزده الخلفاء الا وثاقا بما يزخرفون ويشيدون وبمن حولهم من الحراس والحجاب وأرباب الدولة والمظاهر الخلابة فهذه أشبه شئ بأدوية مسكنة للشعب ليهلع لوقعها ويخضع لمرآها وهذه تزداد على مدى الزمان وترى هذه المظاهر منومات للشعوب فتفتر الهمم وتضل النفوس وترتبك العقول وهنالك تغطى الفطن البشرية وتنام العقول الانسانية أجيالا وأجيالا حتى اذا وقعت الواقعة وانشقت سماء الوهم فهى يومئذ واهية أتى لهؤلاء الخلفاء يومهم الموعود وحضر لهم الشاهد والمشهود فذل العزيز وعز الذليل فتكسر تلك الأغلال وتتبدل الحال إما من داخل البلاد كما فى دولة الترك الحاليين واما من خارجها كما فى التتار إذ قتل هولاكو آخر خليفة عباسى فى القرن السابع وزالت الدولة العباسية من بغداد وقد فعل صلاح الدين الأيوبى مع الخليفة الفاطمى بمصر فى ذلك الزمن ماهو أشد وأنكى ألف مرة مما فعله الترك فى بيت آل عثمان إذ حبس الشبان والشابات من بيت الخلافة متباعدين فى أماكن حتى لا يتناسلوا ثم ماتوا فى سنين معدودة وهم لا يرجعون • وهكذا انقرضت الخلافة الاموية من الاندلس وجاء ملوك متفرقون شذر مذر حتى تفرقت الكلمة واجتمعت أوروبا على مناصرة الأسبانيين فأخرجوهم من الجزيرة وهم يائسون ليس فى هذه الحياة مايبقى الااذا كان أصلح للوجود وكيف يبقى مالافائدة له قاصرون فى القصور مائتون فى الحجرات كيف يعيشون بين الأمم الالى أجل معدود كالاعضاء الاثرية فى الحيوان إنه ليس فى الوجود معطل ولا يبقى الاماهو أصلح للحياة ـ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ـ تبقى تلك العروش قرونا ثم تبيد كما يهلك الشيخ اذا انتهى أجله وفرغ عمله وذهب أمله وقل نفعه فيكون موته رحمة له وللعالمين لذلك ترى أناسا ينبتون فى الأمم فيزيلون تلك المظاهر المعطلة والمناظر المضللة التى لا يحترمها الناس الارياء ولا يعظمونها الاشفاها وهم فى أنفسهم كارهون وفى قلوبهم مبغضون ولذلك شكا المصريون منذ أربعمائة سنة من الترك وشكا الترك حديثا من المصريين وسائر المسلمين الذين هم واقعون تحت ضغط الاوربيين فقال المصريون لقد سطا الترك على خليفتنا فأخذوه وبايعهم بالخلافة وانفرد بها السلطان سليم وقال الترك حديثا ان المصريين أرسلوا العمال الى فلسطين نحو مليون أو يزيدون وهكذا

سارت الجنود المصرية الى مكة فى الحرب العامة فحاربوا جيوش الخلافة وهم مسلمون فغضب الترك على الخلافة وأخرجوها من الديار وقالوا لاطاقة لنا اليوم بما لا خير فيه وليس له احترام . ألا انما السبيل للحل هو الشورى ويكون الخليفة بالانتخاب

لقد أبنت فى هذه المقدمات سنة الوجود وان الأمم تخضع للعروش الى أجل محدود وليس يهمنا فى هذا المقام الا أمر الأمة المحمدية المترامية الأطراف البعيدة الأكناف لقد جاء فى القرآن سورة باسم الشورى إيذانا بعظامتها وتعريفا بحكمتها وتبيينا لفضلها وهذه السورة نزلت بمكة ونزلت سورة النساء بالمدينة وجاء فى الأولى ـ وأمرهم شورى بينهم ـ وعمل بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أحواله وترى المشاورة فى الغزوات مشهورة معلومة عن المحدثين ولقد شاور أصحابه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة أحد فاختلفوا وكان هو أميل فى أول الأمر الى انتظار المهاجمين فى المدينة وأيد ذلك رؤية رآها ولكن الحجج التى أدلى بها من مال الى الخروج الى القتال كانت أرجح فانحاز اليها وغضب أصحاب الرأى الأول وأسرعوا للهزيمة كعبد الله بن أبى ابن سلول وكان ما كان

فانظر ماذا قاله الله فى سورة النساء ـ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ـ ومن هم أولو الأمر هم المعهودون عندهم هم أهل الشورى المذكورون فى السورة النازلة قبلها فى مكة ـ وأمرهم شورى بينهم ـ فليكن فى كل بلد إسلامى مجلس للشورى وبعبارة أخرى نواب وهذا المجلس له القول الفصل فى أمر البلاد فليفعل مايشاء وليحكم بما يريد وليكن هناك مجلس عام من الأمم الاسلامية ولكل مجلس خاص فيه أعضاء ينوبون عنه ويمثلونه وليقترعوا اقتراعا سريا أى عظماء الاسلام يقلدونه الخلافة ومتى انتخبوا واحدا كان له الخلافة ومن المعقول أن هذه الجموع لاتنتخب سرا ولاجهرا الا من هو مستقل ليس لاوروبا عليه سلطان ويكون ذلك الخليفة له أعمال يخصصها له المجلس بحسب الزمان والمكان لانه خليفة على سائر المسلمين وهم متفرقون فى الأرض ومنهم من هم فى احضان المستعمرين بهذا يكون للاسلام خلافة حقا والافكيف نرى فى مصر للفاطميين وفى بغداد للعباسيين وفى الاندلس للامويين خلافات متنوعة فى زمن واحد فأى خلافة هذه انها ملك أعطى لقب الخلافة

ولقد نرى رجالا من الأمة تزيوا بزى الخلافة على أشكال شتى من الأمم الاسلامية المتأخرة متشبهين بالخلافات البائدة وأثروا فى عقول الشعب إما بالنسب واما بالانتساب الى ولى من الأولياء بطريق العهد وما أشبه ذلك فعاشوا فى رغد العيش وتمتعوا بنعيم الملوك فى غفلة من الأمم الاسلامية وكانوا أكبر عون للفاتحين من الاوروبيين وهم مشهورون لاسيما فى البلاد العربية فى شمال افريقيا وغيرها وهم هم أعوان كل فاتح فى بلاد الغرب وذلك مستفيض بين الجمهور . إن الشورى ممكنة فى هذه القرون المقبلة لسهولة المواصلات والمخاطبات والمكاتبات ووجود القطار والبريد والبرق وهل يتم ذلك وبينهم المستعمرون ان ذلك موكول الى المستقبل ففيه تبين الحقائق ولله عاقبة الأمور انتهت المقالة

ولما كانت طاعة الله ورسوله واجبة أردفها بما وقع من مخالفة

(١) فذكر المنافق الذى لم يرض بحكم رسول الله

(٢) وأتبعه بذكر الأمر بالقتال وكيف كان من المنافقين مثبطون وذلك من عدم الطاعة

(٣) ثم ذكر ما كان يفعله ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الوحى بنصر أو تخويف من عدو فانهم كانوا يذيعون ذلك وفى الاذاعة ضرر بالسياسة وعليهم أنهم كانوا يردونه الى الرسول والى أولى الأمر منهم

أما الأول فذلك أن ناسا من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة فى الجاهلية حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير قتل له أو أخذت ديته مائة وسق من

تمر

ثم واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقال الخزرج هذا شئ أخذتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى أبي بردة الكاهن الأسلمي وقال المسلمون من الفريقين ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون وانطلقوا الى أبي بردة الكاهن ليحكم بينهم فأبى أن يحكم بينهم الا بمال كثير فنزلت آية القصاص وهذه الآية (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أي المنافقين ممن آمنوا من أهل الكتاب (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) وهو أبو بردة الكاهن على قول السدي المتقدم أو كعب بن الأشرف على قول ابن عباس والطاغوت كل باطل من معبود غير الله أو قاض أو كاهن (وقد أمروا أن يكفروا به) لان الكفر بالباطل وهو الطاغوت ايمان بالحق وهو الله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن الحق (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) أي فكيف تكون حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها (ثم جاؤك) حين تصيبهم المصيبة (يحلفون بالله) الجملة حال (ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان (فأعرض عنهم) عن عقابهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم في أنفسهم) أي خاليا بهم فان النصح في السر أنجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم فهذا أمر صلى الله عليه وسلم أن يتجافى عن ذنوبهم وينصح لهم ويبالغ في الترغيب والترهيب لأن الأنبياء أهل الشفقة على الأمم ولما كان ما فعله منافقو اليهود مخالفة للرسول وقد أمروا بطاعته قبل هذه الآية أردفه بأنه لا يرسل الله رسولا إلا ليطاع وكما ان اللسان خلق ليتكلم والعين لتنظر والمعدة لتهضم والعقل ليفكر هكذا الرسول أرسل ليطاع وهذه قاعدة عامة فقال (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) بسبب اذنه في طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك فاستغفروا الله) بالتوبة والاخلاص (واستغفر لهم الرسول) أي من مخالفته والتحاكم الى غيره (لوجدوا الله توابا رحيما) أي لعلموا أنه قابل توبتهم راحم لهم (فلا وربك) أي فوربك ولا زائدة للتأكيد (لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) ضيقا مما حكمت به (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقيادا ظاهرا وباطنا (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم) كما كتبنا على بني اسرائيل فامتثلوا (أو اخرجوا من دياركم) كما خرج بنو اسرائيل حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه إلا قليل منهم) إلا أناس قليل وهم المخلصون وقد تقدم أن الايمان لا يتم إلا بأن يسلموا حق التسليم (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول رغبة لا رهبة (لكان خيرا لهم) في العاجلة والآجلة (وأشد تثبيتا) في دينهم وهنا يقال ما يكون لهم بعد التثبيت فقال (واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما) وزاد في تأكيد الطاعة لله وللرسول فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) فهم مع الأنبياء الذين بلغوا درجة الكمال والتكميل والصديقين الذين ارتقت نفوسهم عراقي النظر تارة وبالتصفية والمجاهدة تارة أخرى والشهداء الذين أداهم حرصهم على الطاعة الى بذل أرواحهم في سبيل الله والصالحين الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وما أحسن مرافقة هؤلاء الأربعة (وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل كائن (من الله وكفى بالله عليما) بجزاء من أطاعه

﴿ التسليم والرضا وسورة النساء وسورة الشورى ﴾

ذكرى للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالمدنية المستقبلة والتربية العالية

هل لكم أيها المسلمون أن تسمعوا لماذا يشير كلام الله فى هذه الآيات وهل يعلم الناس ماذا يريد الله عزوجل بقوله — ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما — يقول لا إيمان إلا اذا حصل الاذعان للأحكام والرضا بالقلوب والتسليم وكيف سمى هذه السورة باسم النساء كما سمى أخرى باسم الشورى فقيل هناك (سورة الشورى) وقيل هنا (سورة النساء)

ان هذا المقام يحتاج للاسهاب والتطويل ولكنى أوجز القول فأقول

ان هذه السورة سميت باسم النساء لأن المرأة أظهر مافيها من الأحوال أمران الرحمة والتربية فبالرحمة تعطف على الأبناء وتجمعهم وبالتربية تغذو أولادها بلبنها وتعطيهم مالها وتكوّن بالأمرين ألفة جامعة ونظاما يكفلهم ولذلك ابتدأ السورة بأنه خلقنا من نفس واحدة وخلق منها خلقا كثيرا ولماذا هذا لأنه يريد أن يكون الناس أسرة واحدة لهم ألفة جامعة وكما ان الأم ترحم البنين هكذا القضاة والحكام يجب أن يربوا بطريقة تغرس فى قلوبهم الرحمة حتى يكونوا كالأم والأم لا تقضى بين بنيها إلا بالعدل بقدر طاقتها واذا أنفذت حكما فيهم لم يكن ذلك تشفيا ولا انتقاما وانما ذلك لقصد اصلاحهم واسعادهم وهى تتحمل أذاهم وترى الولد اذا وصله من أمه أذى فليس ذلك يدعو الى كراهتها غالبا بل هو يعطف عليها ويرجع اليها رجوعا قلبيا ثم ان أبناء المرأة الواحدة اذا كان لهم اخوة من أم أخرى اجتمعوا صفا وكانوا يدا واحدة على اخوتهم فلهم جامعة واحدة من جهة أمهم كما هو مشاهد معروف حتى ان الأخ من الأم والأب مقدّم فى الميراث ويحجب الأخ لأب لأنهم اتحدوا فى المودّة والمحبة وتشاركوا فى الآراء وأمور الحياة لجامعة الام فهكذا الأمة يجب أن تتشاور فى الأمر ويكون رأى الشورى وأولى الأمر فيهم نافذا بطريق القبول كما أن حكم الأم صادر من قلب رحيم يشعر به الأبناء ويتلقونه بالقبول والتسليم فيكون أمرهم شورى بينهم والأحكام النافذة من القضاة مقبولة قبولا نفسيا لا قهريا جسميا ولعمرى هذا هو الذى يطلبه القرآن أيها المسلمون وياليت شعرى أى فائدة فى الايمان اذا لم تجعل الأمة كتلة واحدة وأسرة واحدة ذات حب خالص والتئام واتحاد

أيها المسلمون أى فائدة نجنيها من هذه الأحكام الشرعية والمرافعات القضائية والتربية فى البلاد غير مرعية . أنا لا أقول غيروا طرق الأحكام فحسب بل أقول غيروا طرق التعليم . التعليم اليوم ليس على طراز الدين أترضون أيها المسلمون أن يكون هذا التعليم فاشيا فى أوروبا ويحرم منه الاسلام

ألم يبلغكم مايفعله التلاميذ هناك انهم يقرؤن قانون المدارس وفيه تحديد العقاب على كل ذنب فماذا يصنع التلميذ يرتكب زيد ذنبا كأن ينسى واجبا يعمله فيأتى الى المدرسة فيدخل السجن ويجلس فيه المدّة المقرّرة للعقاب بلا حارس يحرسه ولا خفير يحفظه بل جعل نفسه على نفسه حسيبا ويعد التلميذ من العار أن يحرسه الخادمون أو يقف على الباب الديدبان بل هو الحابس وهو المحبوس وهو الحارس وهو المحروس وهو الراضى وهو المرضى عنه فهذه الآية لم تذكر فى القرآن للتلاوات ولا لتكرير العبارات ولا لمجرد العبادات بل جاءت لشئ فوق العبادات والاحكام هو الذى له جاءت الرسل ووضعت الشرائع وأنزل الوحى ومن أجله صوّرت صور الموجودات بالجمال وزوّقت بالحسن وحسنت سماؤها وأضاءت نواحيها فالجوّ جميلة أضواؤه والماء حسن الرواء والسماء بديعة البناء والنجوم باهرة الأنوار والمشارق والمغارب بديعة المناظر النائية المطالع حسنة بهجة تسرّ الناظرين فهل أرانا الله ذلك لنحرم من ثمراته فى القلوب أونغيب عما صوّر فيه من كل عجب عجاب

أرانا الله الجمال وأوحى الى الأنبياء ماشاكله من الكمال فجاء على لسان عيسى أن يكون الناس أحبابا

وجاء فى هذه السورة أننا أسرة واحدة وعنوان السورة بذلك شهيد وقال فى غضونها ان أولى الأمر ينظرون فى أمور الرعية وأن المحكومين يسلمون فى أحكام القضايا وانه لا ايمان لهم إلا بالتسليم ولعمرى كيف يكون التسليم والرضا من قلوب مقفلة وعيون مسبلة وآذان فيها وقر وعيون عليها ختم وأنفس لم تعرف من المحبة إلا لفظها ولا من التربية إلا ظاهرها ولا من التعليم إلا أدناه ولا من التهذيب إلا ما لا يرضاه فويل لمن عاشوا عيشة لفظية فماتوا موتة جاهلية وويل ثم ويل لمن وعظهم الدهر بضرباته وانتهرهم بوثباته فلم يفيقوا من غفلاتهم ولم يتعظوا بنكباته من الأمم الاسلامية التى دهمها الفرنجة فأردوهم وضربوهم فمزقوا شملهم فهل ترى لهم مدنا مستقلة أوأصولا ثابتة فبى ينتفعون وفى أى طريق يسلكون

﴿ الطريقة المثلى لرقى الاسلام ﴾

هى التربية الشريفة ونبذ ما هم عليه وأن يملأ صدور التلاميذ من العواطف والرحمة والحب للشعب ويربى الأبناء على حب النظام والعمل للمجموع والحب العام بالحكايات اللطيفه والسير الجميله وسيرة النافعين للأمم الاسلامية بحيث تهذب القصص والحكايات فلا يدخل فيها ما ينقص سير الابطال ولا يدمج فيها ما يضر بسمعتهم ولو كان حقا ويلخص كل جميل وينبذ كل قبيح وليعدل الى الروايات المشجعه تارة والمحبة للمجموع أخرى والمعطشة للعلم والمرغبة للمساعدة للاخوان آونة وليكن ذلك كثيرا حتى ترسخ الملكات فى النفوس هنالك يتم الايمان هناك يحب الشعب حكامه هنالك يطيع رؤساءه ولا يجد المحكومون فى أنفسهم حرجا من الحاكمين ذلك هو الصراط المستقيم فعلى المسلمين أن يحرصوا على هذه التربية حرصا دائما فلئن اقتصر الجهال من المسلمين على تعظيم الأحكام الشرعيه فليحرض العلماء الشعب على اتساع نطاق التربية الخلقية والمحبة الجنسية والفضائل الخلقية فذلك أعلى تقديسا وأشرف مقاما وأعز مقصدا وأوسع مددا وأقرب منالا وأكثر افضالا وأقرب الى مرامى النبوات والى جمال هذه المخلوقات

فكما يبصر الناس بالعيون جمالا فى السموات يبصرون فى قلوبهم جمالا فى النيات . فياليت شعرى لم قال الله – نعما يعظكم به – فى تأدية الأمانات وأمر بازالة الحرج من النفوس عند الحكم فى الدعوات وأمر رسوله أن يعظهم فى ذلك بأبلغ العبارات هل كل ذلك لحوادث جزئية وقضايا وقتية . كلا ، ثم كلا ان الله خزن ذلك فى القرآن وأبقاه لنا الى أن آن الأوان وظهرت حوادث الزمان وسبق الفرنجة بهذه التعاليم ونحن أرقى منهم أديانا وأرفع شأنا منهم فلنقم بالأمر خير قيام ولنعلم الشعب حسن الاخلاق . ولعمرك هل جلت الصور المحسوسة والبدائع المنظورة فى أنحاء المعمورة إلا بصنعة باهرة وأعمال ظاهرة وأصول قيمة وهندسة متقنة هكذا لن تجمل النفوس ولن تجمل الأخلاق وتحسن الشعوب ويتم النظام إلا بصنع النفوس صنعا يعليها ووعظها وعظا يدنيها بالأمثال النافعة والحكايات الممتعة والآراء الناجعة والأقوال الشارحة وسير الأبطال وفضائل الرجال وشمائل العلماء وأخلاق الحكماء وطرق العقلاء وشيم الأذكياء وتراجم الصلحاء الذين نفعوا الأمم بعلومهم ورقوها بأموالهم وأنفسهم وذلك هو القول البليغ الذى أمر به الرسول والوعظ الممدوح والقول المشروح الشارح للصدور المهيئ لتبوئ النفوس مقام الصدق ومطالع العرفان والنور انتهى المقصد الخامس

(المَقْصِدُ السَّادِسُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً * وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ

أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً * فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ
فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ
اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى
سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً
وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ * قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ،
وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ
فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَا
أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً
وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً * مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا
يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً * وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ
أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً * فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ لَا
تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ
بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً * مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقِيتاً * وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ

فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً * فَمَا لَكُمْ فِى
الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ
اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ
فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً *
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا
فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ، فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ
فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً * لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً
وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ

قالوا فيمَ كُنْتُمْ قالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الْأَرْضِ قالوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فتُهاجِرُوا فَأُولئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لاَيَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهاجِرْ فى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فى الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً وَإِذا ضَرَبْتُمْ فى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً * وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً وَلاَ جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً * فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ فَإِذا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً * وَلاَ تَهِنُوا فِى ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مالاَيَرْجُونَ وَكانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً *

هذا المقصد اكمال للدروس المعطاة للمسلمين تطبيقا على وجوب طاعة الله والرسول الخ
وفى هذا المقصد أحد عشر فصلا

(١) الوعيد على الاهمال فى الجهاد والوعد بالسعادة الأخروية للمجاهدين
(٢) الحض على انقاذ المستضعفين من المؤمنين من يد الأعداء
(٣) ذم الجبناء بخورهم وخوفهم بعد ظهورهم بهيبة الشجعان
(٤) كيف يخاف الناس من الموت وهو لاحقهم أينما كانوا
(٥) ذم التشاؤم من المخلوق بحدوث المصائب مع ان الله هو الفاعل لكل شئ
(٦) اعادة الكلام فى وجوب طاعة الرسول مع العلم أن كل ماتقدم من تلك الطاعة
(٧) ذم المرجفين الذين يذيعون الأخبار قبل مراجعة أولى الأمر
(٨) الكلام على المنافقين
(٩) تحريم قتل المؤمن كما وجب محاربة المعتدين على البلاد والعدو المغير
(١٠) التحريض على الهجرة للقادرين

(١١) قصر صلاة المسافرين والكلام على صلاة الخوف فى الحرب

فحصل الكلام فى هذا القسم (١) جهاد من المؤمنين الصادقين (٢) حكم على المنافقين بالضلال (٣) تحريم قتل المؤمن (٤) فرار القادرين الذين لايجدون نصيرا فى أرض العدوّ

﴿ التفسير اللفظى ﴾

يقول فى الفصل الأوّل (خذوا حذركم) تيقظوا واستعدّوا بالسلاح للقتال (فانفروا) اخرجوا للجهاد جماعات متفرّقة جمع ثبه تقول ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت جميع محاسنه وجمع الثبة ثبين (أوانفروا جيعا) مجتمعين كوكبة واحده وذلك وان كان واردا فى الحرب فهوعام لكل خير (وان منكم لمن ليبطئن) اللام الأولى لام الابتداء المسماة بالمزحلقه والثانية واقعة فى جواب القسم وليبطئن اما بمعنى يتباطأ ويتثاقل فلايتوجه للحرب واما بمعنى تثبيط غيره كما فعل بعض المنافقين يوم أحد وبطأ بالتشديد من بطؤ بك المتعدّى بالباء (من اسم موصول اسم ان أى وان منكم بحسب الظاهر منافقين فى الباطن والله ليتخلفنّ عن الجهاد (فان أصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) ذلك المبطئ (قد أنعم الله علىّ إذ لم أكن معهم شهيدا) ولئن أصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) وجملة كأن لم تكن الخ معترضة وهذا القول لضعف فى العقيدة (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) • وقال فى الفصل الثانى (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله و) فى سبيل استنقاذ المؤمنين (المستضعفين) من أيدى الكفار ثم بينهم فقال (من الرجال والنساء والولدان) فى مكة (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) فأجاب الله دعاءهم وهذا وان كان قد نزل فى المستضعفين بمكة فحكمه عام والمسلمون اليوم آثمون ولذلك سلط عليهم الفرنجة فأذلوهم وقوله (الطاغوت) الشيطان ونحو ذلك • ثم أمرهم بقتال أولياء الشيطان وأبان ضعفه تشجيعا لأن الباطل لا ثبات له • وقال فى الفصل الثالث ألم تر يامحمد الى الذين كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا وكانوا يستأذنونك فى القتال فكنت تأمرهم باقام الصلاة وايتاء الزكاة وعدم الحرب حتى نأذنك بذلك فلما كتبنا عليهم القتال خاف بعضهم لقاء العدوّ فصاروا يخافون الناس كخشية الله أو أشدّ خشية وهذا من الجبن وحب الحياة والميل اليها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الخ • وقال فى الفصل الرابع (قل) لهم (متاع الدّنيا قليل) سريع زواله (والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون) تنقصون أدنى شئ من ثوابكم (فتيلا) مايكون فى شق النواة كما تقدم (البروج المشيدة) القصور أوالحصون المرتفعة وأصل البرج بيت على طرف القصر من تبرّجت المرأة اذا ظهرت • وفى الفصل الخامس ان المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبىّ صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فقال الله تعالى (وان تصبهم حسنة) خصب وثمار (يقولوا هذه من عندالله وان تصبهم سيئة) جدب فى الثمار (يقولوا هذه من عندك) أى من شؤم محمد وأصحابه (قل) يامحمد (كلّ) من الحسنة والسيئة (من عندالله) فأما الحسنة فانعام وأما السيئة فابتلاء لأنه سبحانه يربى الناس بالسرّاء والضرّاء والتربية يلزمها الأمران (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فكله ناطق أن كل شئ من الله (ما أصابك) أيها الانسان (من حسنة) نعمة (فمن الله وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) لأن الاستعداد والقابلية لنفسك لم يلق لها إلا تلك البلية لأن الله يربى الناس وينقلهم من حال النقص الى حال الكمال فاستعداد الضعيف ليس كاستعداد القوى والبلايا ماهى إلا نقص وما النقص إلا عدم الكمال فالله لم يخلق العدم وانما خلق الوجود وليس يقال ان الله ظلم الدودة فلم يعطها فلسفة أفلاطون ولاحكمة لقمان لأن خلق

المودة لايستلزم تلك الحكمة بل لا فائدة لها فى ذلك الكمال (وأرسلناك) يامحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وما أرسلناك به ولست رسولا الى العرب وحدهم بل أرسلناك (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على ارسالك للناس كافة • وقال فى الفصل السادس (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى) عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله (ويقولون طاعة) أى أمرنا طاعة أومنا طاعة (فاذا برزوا) خرجوا وقوله (بيت طائفة منهم) أى زوّرت خلاف ماقلت لها أوماقالت لك من القول وبيت من البيتوتة لأن الامور تدبر بالليل (والله يكتب مايبيتون) يزوّرون (فأعرض عنهم) قلل المبالاة بهم وتجاف عنهم (وتوكل على الله) فى الامور كلها لاسيما فى هذا الأمر (وكفى بالله وكيلا) يكفيك مضرّتهم وينتقم لك منهم (أفلا يتدبرون القرآن) يتأملون معانيه والتدبر النظر فى ادبار الشئ وعواقبه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من تناقض المعنى وتفاوت النظم وبعضه تسهل معارضته وبعضه تصعب معارضته وبعضه يطابق خبره المستقبل الواقع وبعضه لايطابق وبعضه يوافق العقل وبعضه يخالفه

وقال فى الفصل السابع (واذا جاءهم أمر) مما يوجب الأمن أوالخوف أفشوه فاذاسمع بعض ضعفة المسلمين خبرا عن سرية من السرايا عن طريق الوحى أوعن طريق المنافقين أذاعوه بين الناس وفى ذلك مفسدة فى السياسه ولو ردّوا ذلك الخبر الى الرسول والى آراء أولى الأمر منهم البصراء بالامور (لعلمه) العقلاء (الذين يستنبطونه منهم) أى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم ومعرفتهم بأمور الحرب وهم الذين يعرفون ماينبغى أن يذاع وماينبغى أن يكتم احكاما للسياسة فكان يجب على هؤلاء الضعفاء أن يرجعوا الى أولئك المستنبطين من أولى الأمر فيما يرد من الأخبار ولما دعا الناس عليه الصلاة والسلام الى القتال فى بدر الصغرى الى الخروج كرهه بعضهم وقد تقدّم ذلك فى غزوة أحد فى سورة آل عمران وأن أبا سفيان واعد النبى صلى الله عليه وسلم موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد فلما كره بعضهم الجهاد حين دعاهم فى الموعد نزل (فقاتل فى سبيل الله لاتكلف إلا نفسك) إلا فعل نفسك فخرج فى سبعين راكبا (وحرّض المؤمنين على القتال عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) يعنى قريشا وقدفعل فألقى فى قلب أبى سفيان ومن معه الرعب فرجعوا (والله أشدّ بأسا) من قريش (وأشدّ تنكيلا) تعذيبا (من يشفع شفاعة حسنة) أى من يصر شفعا لوتر أصحابك يامحمد فيشفعهم فى جهاد عدوّهم (يكن له نصيب منها) حظ وافر منها (ومن يشفع شفاعة سيئة) بأن قاتل أصحابك وكفر بدينك (يكن له كفل) نصيب (منها وكان الله على كل شئ مقيتا) مقتدرا قال الشاعر وذى ضغن كففت الشرّ عنه * وكنت على اساءته مقيتا

أى قادرا وقال ابن عباس فى هذا المقام فى الحسنة والسيئة ماهما مفسر غيرى معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وأقول ان هذا التفسير هو المناسب للمقام • ولما ذكر الله أنه يكافئ المحسن بنصيب والمسىء بكفل وانه قادر على كل شئ أردفه بأنكم أيضا أيها الناس عليكم أن تقتدوا بربكم وتتخلقوا بأخلاقه وتسيروا على نهجه فتقابلون الاحسان بالاحسان فقال (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها) التحية العطية فاذا أعطى الانسان عطية فليعط أفضل منها أو يردّها وجوبا وهو قول قديم للشافعى والجمهور حمله على السلام فيزيد من يردّ السلام ورحمة الله فان قالها المسلم زاد وبركاته والردّ واجب وجوبا كفائيا ولا يشرع الردّ فى بعض الأحوال فلا يردّ فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة (إن الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على الشفاعة السيئة وعلى عدم ردّ التحية بأحسن منها أومثلها وللسلام أحكام تطلب من علم الفقه فلا نطيل بها وأما قوله الله لا إله إلا هو الى قوله حديثا فتفسيره ظاهر

وقال فى الفصل الثامن فمالكم تفرّقتم فى أمر المنافقين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم والله أركسهم

بأن صيرهم الى النار وأصل الركس ردّ الشيء مقلوبا (أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله) أى تجعلوه من أهل الهداية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى وقوله (ودّوا لو تكفرون كما كفروا) أى ودّوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون سواء) مستوين أنتم وهم فى الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا بأن يهاجروا من الكفر الى الايمان لأن الهجرة فى سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الايمان (فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم) كما هو حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم وليا) توالونه (ولا نصيرا) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلاتقبلوهم

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمى على ألا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال كان الأسلميون بهذا من المعاهدين أيضا لقد كان بنو مدلج عاهدوا ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ألا يقاتلوهم فبهذا يكون بنو مدلج مسالمين والأسلميون معاهدين

وهذا هو قوله تعالى مستثنيا من قوله ــ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ــ الخ (إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى إلا الذين يتصلون الى الأسلميين ونحوهم ممن لهم عهد (أوجاؤكم حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم كبنى مدلج والحصر الضيق والانقباض. ثم بين الله أن صرفهم عن المسلمين من فضل الله فقال (ولوشاء الله لسلطهم عليكم) بأن يقوّى قلوبهم ويشرح صدورهم ويزيل الرعب من قلوبهم (فلقاتلوكم) ولم يكفوا عن قتالكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم) الاستسلام والانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) أى فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم

ثم ان أسدا وغطفان وبنى عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا بأس المسلمين فلما رجعوا كفروا وكلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين قاتلوهم فهذا قوله تعالى (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) باظهار الايمان فى المدينة (ويأمنوا قومهم) بمحاربتكم اذا رجعوا اليهم (كلما ردّوا الى الفتنة) الكفر (أركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) ولم يلقوا الصلح (ويكفوا أيديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم . وقال فى الفصل التاسع ماملخصه ان القتل ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ فأما العمد المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فيقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أودية مغلظة سيأتى بيانها فى مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب انسان بما لايقتل بمثله غالبا مثل أن ضربه بعصا خفيفة أورماه بحجر صغير فمات فلاقصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو ألا يقصد قتله بل قصد شيأ آخر فأصابه فمات فلاقصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين وقتل الخطأ مثل أن يقصد قتل كافر فيصيب مسلما

ودية الحرّ مائة من الابل فان لم توجد الابل فقيمتها وهى ألف دينار أواثنا عشر ألف درهم وفى الدية المغلظة والمخففة كلام طويل فى علم الفقه ترجع الى أن تكون الابل أصغر سنا من التى هى مغلظة مع كونها مائة وهل دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم رأيان وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) بغير حق (إلا خطأ) أى إلا قتلا خطأ كما اتفق لعياش بن أبى ربيعة أخى أبى جهل من الأم لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) أى فواجبه تحرير رقبة أى عتق رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كسائر

المواريث (إلا أن يصدّقوا) يتصدّقوا عليه بالدّية فسمى العفو عنها صدقة حثا عليها (فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) أى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله كفارة دون الدية لأنها ترجع الى الورثة والكافرون لا يرثون المؤمنين كما هو معلوم فى الميراث (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) أى وان كان من قوم معاهدين أوأهل ذمّة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية (فمن لم يجد) رقبة بأن لم يملكها ولا مايتوصل به اليها (ف) عليه (صيام شهرين متتابعين) شرع ذلك (توبة) صادرة (من الله وكان الله عليما) بحاله (حكيما) فيما أمر فى شأنه (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما) واعلم أن قتل المسلم عمدا والزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأشباهها لاتوجب خلودا فى النار ولكن عذابها شديد لأنها من الكبائر والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة أن عصاة المسلمين لايدوم عذابهم

* روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزل (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم) سافرتم وذهبتم للغزو (فى سبيل الله فتبينوا) اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) ممن حياكم بتحية الاسلام وفى قراءة السلم أى الاستسلام والانقياد (لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد (فعند الله مغانم كثيرة) لكم تغنيكم عن قتل أمثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) أوّل مادخلتم فى الاسلام فتحصنتم بالشهادتين من غير أن يعلم ما فى قلوبكم (فمنّ الله عليكم) بالاشتهار بالايمان (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الدين مافعل بكم (إن الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به

وقال فى الفصل العاشر (لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون أو بدل أو بالنصب حال (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) أى بدرجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) وفضل متضمن معنى أعطى وأجرا مفعول ثان له ودرجات ومغفرة ورحمة كلها بدل من أجرا (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعدهم

وقال فى الفصل العاشر أيضا (إن الذين توفاهم الملائكة) أى توفتهم أوتتوفاهم فهو ماض أومضارع أى تتوفاهم بقبض أرواحهم (ظالمى أنفسهم) أى حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة كقيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة فهذان وأشباههما دخلوا فى الاسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار والمعلوم أن الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين فسألهم الملائكة حين قبض أرواحهم (قالوا فيم كنتم) سؤال توبيخ وتقريع (قالوا كنا مستضعفين) عاجزين (فى الأرض) أرض مكة (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) كما فعل المهاجرون الى المدينة والى الحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لأنهم تركوا الواجب وساعدوا الكفار (وساءت مصيرا) والمخصوص بالذم جهنم (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع (لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا) حالان من المستضعفين (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّا غفورا) وهذا ظاهر (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا) وهو التراب يقال خرج الرجل عن قومه مراغما لهم أى مغاضبا لهم ومقاطعا فالمراغم المذهب والمهاجر والمتحول كأنه خرج رغم أنفهم

والرغم التراب كأنه أذلهم بخروجه وأنشد الزجاج

الى بلد غير دانى المحل ❊ بعيد المراغم والمضطرب

(وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) ومعنى وقع وجب ❊ نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على مابايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فيه

وقال فى الفصل الحادى عشر (واذا ضربتم فى الأرض) أى سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها فيصير الظهر والعصر والعشاء كل منها ركعتين كالصبح وجوبا عند أبى حنيفة لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فقصرت فى السفر وزيدت فى الحضر ورأى الشافعى أن القصر رخصة فى السفر والا كمال عزيمة لان لا جناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقال الحنفية انه عزيمة لا رخصة ولايجوز الا كمال لقول عمر المذكور وأما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه ثم قال (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) جار على حسب الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر المفهوم فالصلاة تقصر فى الخوف و فى الامن كما فى قوله تعالى - فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما - الخ فالسنن تظاهرت على جوازه فى حال الامن

﴿ آراء العلماء ﴾

(١) صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر عند ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله والسدى وأبى حنيفة فقصرها إذن تخفيف الركوع والسجود

(٢) صلاة المسافر مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس والشافعى وأحمد

(٣) يجوز القصر فى كل سفر مباح عند الشافعى ومالك وأحمد والجمهور

(٤) يجوز القصر بشرط أن يكون سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة

(٥) لايجوز القصر فى سفر المعصية وأبو حنيفة والثورى يجيزانه فيه

﴿ أى سفر يكون القصر فيه ﴾

(١) قال داود وأهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله ويروى عن مالك أيضا

(٢) قال الأوزاعى يشترط سفر يوم

(٣) وقال الحسن والزهرى سير يومين

(٤) وقال الشافعى سير ليلتين وذلك ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع ٢٤ أصبعا معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضات معتدلات

(٥) ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى مسيرة أربعة برد وهى ستة عشر فرسخا كالمتقدم وهكذا مالك وأحمد واسحق

(٦) وقال الثورى وأبو حنيفة وأهل الكوفة لاقصر فى أقل من ثلاثة أيام

فأبو حنيفة مشدد وداود وأهل الظاهر مسهلون والباقون متوسطون ثم قوله تعالى - إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا - يروى فيه أن عمر رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله عليكم بها فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم

ثم شرع بذكر صلاة الخوف فقال (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) ملخص ذلك

أن يجعلهم طائفتين تقوم احداهما معه يصلون وتقوم الطائفة الأخرى تجاه العدوّ والذين يصلون معه يجب أن يأخذوا أسلحتهم فاذا سجد المصلون وجب أن يكون الذين لا يصلون حارسين لهم من ورائهم ثم يذهب المصلون الى وجه العدوّ ويأتي الحارسون فيصلون مع الامام ويجب أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم . هذا معنى الآية وهناك كيفيات لتلك الصلاة وهذا بيانها

الأولى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل صلى مرتين بكل طائفة مرة وهذا ظاهر

الثانية أن يصلى صلاة واحدة بكل ركعة في التي هي ركعتان فيصلى بالأولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدوّ وتأتي الأخرى فيصلى بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع . وقال أبو حنيفة يصلى بالأولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدوّ وتأتي الأخرى فتصلى معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدوّ وتأتي الأولى فتؤدّى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الأخرى فتؤدّى الركعة بقراءة وتتم صلاتها واذا كان العدوّ في جهة القبلة فليفعل ما هو الأنسب فتقف كما تقدّم طائفة تجاه العدوّ ويصلى بالطائفة الأخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا يحرسون وتأتي الطائفة الثانية فيصلى بهم الثانية ويتشهد ثم ينتظرهم حتى يسلم بهم كما تقدّم والعبرة بترتيب الامام ونظره في الحرب ولا دخل لأحد إلا نظر القائد الذى يصلى بهم والآية واضحة وانما حذرهم الله لأن العدوّ يتربص وقت الصلاة ليفتنهم فيه ولذلك قال (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدّون عليكم شدّة واحدة

﴿ من آراء العلماء ﴾

(١) رأى أبى يوسف والحسن وزياد من أصحاب أبى حنيفة أن صلاة الخوف كانت خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا تجوز لغيره

(٢) المزنى من أصحاب الشافعى يقول كانت ثابتة ثم نسخت

(٣) على بن أبى طالب وأبو موسى وحذيفة بن اليمان صلوها الأوّل ليلة الهرير والثالث بطبرستان ولم يخالفهم الصحابة وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى وكثير من العلماء

واعلم أنه اذا اشتدّت الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون للركوع والسجود الى أى جهة كانت عند الشافعى . وعليه يكون قوله تعالى فيما يأتى ــ فاذا قضيتم الصلاة ــ أى اذا أردتم أداءها واشتدّ الخوف فأدّوها كيف أمكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين ومذهب أبى حنيفة انهم لا يصلون فاذا أمنوا قضوا مافاتهم من الصلاة ثم قال (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى) أى لا حرج عليكم في حال المطر وحال المرض (أن تضعوا أسلحتكم) لأن السلاح يثقل حمله عليكم (وخذوا حذركم) أى راقبوا العدوّ ولا تغفلوا عنه (إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) ثم قال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة) أدّيتموها وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر في جميع الأحوال * قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحيانه (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فأقيموا الصلاة) أى أتموها أربعا وذلك في الاقامة في الأوطان أو أتموا ركوعها وسجودها اذا سكن القلب بالأمن بعد الخوف (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا موقتا

محدود الأوقات لايجوز اخراجها عن أوقاتها فى شئ من الأحوال (ولاتهنوا فى ابتغاء القوم) لاتضعفوا فى طلب الكفار بالقتال (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون) فالألم قدر مشترك بينكما وقد صبروا على ألمهم أفلاتصبرون وقد امتزتم بأنكم على الحق وفى قلوبكم رجاء النصر فى الدنيا والثواب فى الأخرى فأنتم ترجون احدى الحسنيين (وكان الله عليما حكيما) فهو يعلم مصلحتكم . انتهى التفسير اللفظى

﴿ التفسير المعنوى وجمال القرآن والاسلام ﴾

(١) مناسبة هذه الآيات لأوّل السورة فى خلق آدم

(٢) كيف تحفظ صور الموجودات الجمادية باليبوسة بعد أن شكلت بالرطوبة

(٣) كيف تحفظ الأنفس الحيوانيه بما هو فوق ذلك من قوة غضبية وأسلحة مختلفه

(٤) علم الانسان ورحمته وقواه النفسية للحياة وشجاعته لحفظها ودوامها

(٥) ظهرت هذه القوّة الغضبية فى الشجاعة لحفظ الانسان وفى مظاهر الشهامة عند المتوحشين

(٦) عند بعض الأديان القديمة

(٧) عند الأمم المختلفة بأشكال متباينة

(٨) تركها بعض الديانات فضلت أممهم سواء السبيل واتبعت الشهوات

(٩) الاسلام له فى ذلك ثلاث درجات

(١٠) الآيات التى قرأتها الآن والسابقة للمحافظة على الوطن وتقصير بعض المسلمين وفضل بعضهم فى التقدم

(١١) تجاوز ذلك الاسلام الى ادخال سائر العناصر وجعلهم أمة واحدة ككافور الاخشيدى والعبيد المصريون يسودون ساداتهم وهذا بخلاف أوروبا وان الدين الذى بهذا الشكل يصلح للمدنية اذا وجد رؤسا كبيرة تراعى الزمان والمكان

﴿ نظام هذا العالم ونظام الانسان والتئام أوّل هذه السورة مع علومها ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلق هذا العالم متشابها متشاكلا متجاذب الأطراف وحسبك أن تنظر ماحولك من العناصر والمركبات الطبيعية ألست ترى كل صورة حجريه أو كتلة مدريه مانالت شكلها إلا برطوبة لانتها ومائية سهلتها فقبلت التدوير أو التثليث أو التربيع أو التخميس ثم ألحت عليها الشمس الحاحا وتماسكت الأجزاء وتجاذبت الأطراف أولست ترى أن اللبنات يصيرها الناس آجرا باحراقها بالنار محافظة على الصورة أن تفلت من مادتها فلعمرك لم تقبل الشكل الا وهى بالرطوبة مشبعة ولم يبق الشكل يوما أو بعض يوم أو مئات السنين إلا باليبوسة التى أنتجتها الحرارة الشمسية أو الحرارة النارية يستوى فى ذلك الجماد والمعدن والنبات والحيوان

أليس آدم الذى أشير اليه فى أوّل السورة بأننا منه خلقنا ذكورا واناثا قد خلق من صلصال وما الصلصال إلا الفخار والفخار كان رطبا حتى شكل و بعد ذلك ألحت عليه النار فيبس

أيها الذكى ارفع طرفك قليلا وليكن بصرك حديدا فلتنظر أليست النفوس الحيوانية فيها القوّة الغضبية لتحفظ كيانها وتمنع عدوّها وتنطحه بقرونها أو تستله بجثمانها وقوتها أو ترفسه بأرجلها أو تعدو الى أوكارها الخ أليس هذا شيأ اختص بالنفوس لم يكن فى الأجسام الجماديه فهو هنا حرارة نفسيه وهناك فى الصلصال حرارة نارية جسميه ثم ان النفوس الحيوانية والانسانية لا تحيا إلا بآراء وغرائز تقوم بها من رحمة وحب والحب قد يكون لطلب الطعام الذى به حياة الأجسام وطلب الاناث من النوع لتولد الأمثال

فالحب والرحمة فى الأنفس قائمان مقام الرطوبة فى الأجسام الطبيعية لتقبل الأشكال الصورية والقوّة الغضبية فى هذه الحيوانات كاليبوسة فى الأجسام فلولا الغذاء ماعاش حيوان ولا نما انسان كما لا يصور نبات ولا مادّة ترابية إلا بمخالطة الرطوبات ولولا غريزة حب البقاء فى الانسان والحيوان والغضب المودع فيهما للدفاع عن النفس

ماعاش أحد منهما إلا قليلا

فالمحافظة فى سائر الحيوان على الأنفس غرائز واجبة الحصول . فترى ما ألهمه كل حيوان ظهر أثره على أعضائه فترى القرون والمخالب والأنياب وقوة العدو والصدف على جسد السلحفاة والابر على جلد القنفذ وأنياب الأسد وسم الحيات والعقارب وقوة الفيل . كل تلك آلات تطابق ماجبلت عليه تلك النفوس من المحافظة على أجسامها بقواها الغضبية المسلحة بالأعضاء الظاهرية وترى هذه القوى الباطنية لا أثر لها فى الأحجار كما لا أثر لأسلحتها فى تلك الجمادات

وتعال فوق ذلك الى الانسان ترالطيارات الهوائيه والجيوش البريه والمراكب البحريه والغواصات المائيه كل ذلك مطابقة لقواه الفكريه واستعداداته العقليه

على ذلك درج الانسان قديما وحديثا بأشكال مختلفة وهو فى الحقيقة لم يتعد طور ماحوله من المخلوقات وانما ذلك تنوع فى أنواع الدفاع ولعمرك لم يخرج عما جاء فى أول السورة انه من أبيه آدم وهو من صلصال حبست صورته بالنار فيبست لصورة وحفظت . هكذا هنا تبقى الصورة الانسانية والحيوانية بدفاع العدو عنها فلا يتلفها وذلك بالسلاح القائم مقام الحرارة فى الصور الجماديه

ألم تر الى المتوحشين من أهل السودان كيف ظهر ذلك فى أفعالهم العادية وأن الشاب يظهر أمام الفتيات اذا أراد التزوج بواحدة منهن فيضر بونه ضربا متواليا حتى يسيل الدم من ظهره وهو لا يظهر الألم شجاعة وقوة حتى يستعظمه الواقفون ويملأ عين من ترغبه زوجا لها

ثم ارتفع عن هذه الطبقة الى الأمم التى أخذت من العلم بنصيب أفلم يكن أهل اسبارطه يجعلون التربية دائرة على أن يتمرن الشبان على احتمال الضرب كل يوم بالسياط أمام الأشراف فأما الصبيان فانهم يضربون ضربا صوريا ثم يزاد كل يوم شدة بحيث يتمرنون تدريجا ويكون ذلك قوة لهم حتى يتحملوا ماسيلقيه الدهر عليهم من دروسه فتقوى أجسامهم ويكونون شجعانا

ثم ارتفع فوق ذلك المستوى وانظر الى الأديان القديمة كالدين الذى كان شائعا فى شمال أوروبا فى جهة السويد ونروج إذ قام فيهم عظيم يدعى (أودين) فاتبعوه قرونا طويلة وحكم ألا يموت أحدهم إلا قتيلا وعد الموت لعادى جريمة وانما مبينا حتى انه اذا كان عظيم من العظماء قد دنا أجله نزل فى سفينة وأوقدوا فيها النار حتى يموت الملك أو الأمير بين الماء والنار . ولعمرك لم يكن ذلك إلا لتربية الشجاعة فى القلوب وأن يألف الانسان عظائم الأمور فلا يجزع للمصائب ولا يحزن للمصاعب

كل ذلك من السر الذى فى صلصال آدم والمحافظة على النفوس من طريق الشجاعة ولقد ثبت أن الحيوانات البحرية أطول أعمارا وانظر هذا فى الدين وهو الدين المسيحى كيف حرم مقابلة السيئة بمثلها ولكن أتباعه بعد حين صاروا أظلم الأمم فهتكوا الأعراض وخربوا البلاد وملكوا المسلمين شرقا وغربا وظلم بعضهم بعضا كما حصل فى حرب الألمان وأوروبا فلم يرحموا انسانا من دينهم أوغير دينهم فالقوة الغضبية غالبة على هذا الانسان

ولما جاء الدين البوذى فى الهند ومنع الناس من الظلم اجتاحهم الأوروبيون ولقد تشكلت هذه الصفة فى الأمم بأشكال مختلفة كما فصله الفارابى فى كتاب آراء أهل المدنية الفاضلة

(١) من الأمم من اتخذت القهر بالسلاح لاشباع الشهوات البهيميه والقوة الشهويه ومطاوعة الحواس الخمس فى مطالبها الظاهريه

(٢) ومنهم من يقول كلا وانما أريد الغلبة لحفظ كرامتى وعظمتى بين الناس

(٣) ومنهم من يقول أغلب الناس لشهواتى ولحفظ كرامتى معا

(٤) ومنهم من يقول ليست الغلبة والقهر طبيعيين فى الانسان وهذه تسمى المدنية المسالمة

(٥) وهؤلاء يقاتلون ان قوتلوا وأريد إيذاؤهم

(٦) وأولئك لهم طرق فى الغلبة فتارة تكون الغلبة بالحرب

(٧) وتارة تكون بتجارة النساء وحرب الرجال

(٨) ومنهم من يستعبدون أمة و يتخذونها مساعدة لحرب أخرى

(٩) ومنهم من يجعل المعاهدات سلما للظلم فيعاهدون أمة ويحاربون معها أخرى

ولا نطيل بذلك بل نقتصر على ما أتى بالمقصود فنقول

ها أنت ذا رأيت طبائع الانسان وآراء بعض الديانات وسياسات الأمم فهاك أمر الاسلام

لقد أثبت لك فى سورة البقرة أن للاسلام فى الحرب ثلاث مراتب . المرتبة الأولى ألا حرب ولا نضال وذلك فى زمن الضعف كما فى أيام اقامة النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة . المرتبة الثانية محاربة المحاربين والذين يهجمون على الأوطان

﴿ وجوب المحافظة على الوطن فى الاسلام من أهم ما فى القرآن ﴾

أنظر ما مر عليك فى سورة البقرة ألم تر الى قوله تعالى فى قصص بنى اسرائيل ـ وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين ـ وانظر ما تقدم فى سورة آل عمران كيف رأيت أن غزوة بدر المشار اليها فى أولها انما كانت محاربة لأهل مكة الذين أخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها وغزوة أحد كيف كانت لما أراد الأعداء مهاجمة المدينة وقد تشاور النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه وأشار بعضهم بالخروج الى الأعداء و بعضهم أشار بالبقاء فى المدينة ثم تغلب الفريق الأول وخرجوا الى أحد ثم انظر الى هذه الآيات وكيف يقول ـ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الخ ـ فأفاد أنه سبحانه يحرضهم على انقاذ المؤمنين بمكة من ظلم الكافرين هناك وهذا ولا شك دفاع عن الوطن فانظر كيف جعل الله الوطن محترما وجعل المحافظة عليه أمرا عظيما وكيف كانت سورة آل عمران قد كان منها قسط كبير للجهاد وهكذا هذه السورة كل ذلك للمحافظة على الأوطان

أفلست ترى أن المسلمين أيام خراب الأندلس لم يكن عندهم شهامة ولا حمية ولا شرف ولا دين وهم جهلاء أفلا ترى أيضا أن المسلمين اليوم نائمون اللهم إلا ما حصل قريبا من أهل الأفغان والفرس والترك فانهم استقلوا ونبذوا حكم الفرنجة لبلادهم

فأما باقى المسلمين فانهم نائمون ضربت عليهم الفرنجة ذلة الاستعباد وها هى ذه بلادنا المصرية تنفست الصعداء قليلا فى هذه الأيام والفرنجة لا يزالون يغدون و يروحون فى مصر وتونس والجزائر ومراكش و بلاد جاوه وسومطره والشام وفلسطين والعراق وأهل البلاد فى تلك الأصقاع متحاسدون متباغضون متثاقلون يجهلون الشرف ولا يعرفون المحبة والاتحاد ـ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ـ

أفلم يقرؤا قوله تعالى فى هذه الآيات ـ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الخ ـ فالمسلمون مأمورون أن يخلصوا من وقع فى يد الأعداء من اخوانهم وهؤلاء يقدمون اخوانهم قربانا للفرنجة فى مراكش وتونس والجزائر ومصر وربوع الشام والعراق

لقد أصبح أبناء العرب مثلا للذين يخضعون وطعمة لمن يأكلون ولكن آن أن يزول ذلك الرجس من القلوب ويرجع لهم مجدهم المفقود إن شاء الله تعالى فقد بدت بوادر النجاح وتباشير الفلاح

﴿ الواجب على المسلمين فى أقطار الأرض ﴾

أيها المسلمون الفرار الفرار من العار انظروا فى سائر شؤونكم الجهاد ليس قاصرا على الحرب أنتم اليوم تحتاجون للجهاد . فى كل شئ . فى التجارة . فى العلم . فى حفظ البلاد . فى عدم ضياع الوقت . فى حفظ الصحة . فى

فلتكن أكثر ملابسكم من مصنوعات اخوانكم فى بلادكم وارقوا الصناعات الاسلامية وتنشئوا المدارس العالية بكثرة فعشرة متعلمون تعلما راقيا أفضل من آلاف من الناقصين تعلما ولا تمكنوا الاجانب من البقاء فى بلادكم وجدّوا فى القوّة لاخراجهم واتحدوا فيما بينكم لطردهم ذلك ما يجب عليكم أيها المسلمون

أما الطريقة الثالثة التى ذكرت فى سورة البقرة فقد ذكر نظيرها فى بعض هذه الآيات وهى قتال المشركين أين وجدناهم كما قال فى آية ـ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ـ والقصد من هذه ادماج الأمم وجعلها أمّة واحدة

ولقد تجد هذا واضحا فى أمّة الاسلام وقد صار خلقا فالمسلمون بحبّ الدين لا يفضلون أحدا إلا بالتقوى ألا ترى الى كافور الاخشيدى كيف كان عبدا اسود وحكم المصريين وفيها الأشراف من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف ترى أسامة بن زيد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش ودام كذلك زمن أبى بكر

وترى فى بلادنا المصرية آثار العبيد ظاهرة فى هذه الأيام فان عبيد الخديويين لهم من الملك ما ليس لأعظم الأحرار فى البلاد كل ذلك لأن الاسلام خلط الأمم وجعلها أمّة واحدة كما فى أوّل هذه السورة ـ الذى خلقكم من نفس واحدة ـ فاذا كانت الحرب لأمر أخرى فليس المقصد إلا ترقية الأجناس المنحطة فانك ترى العسكر الانكشارية فى الدولة التركية ما كانوا إلا شراذم من العبيد الذين اشتروهم بالمال وكذلك المماليك البرية والبحرية بمصر انهم إلا أرقاء كانوا يجلبون من بلاد الروس والصقالبة و يشترون بالمال فاذا مات السيد من الامراء المصريين ورثه عبده الذى اشتراه ومن هؤلاء الظاهر بيبرس ومن قبله ومن بعده من الملوك الذين استولوا على مصر نحو ثمانمائة سنة وهكذا نسلهم بقوا فيها بعد فتح الدولة التركية لها الى دخول المغفور له محمد على باشا فى أوّل القرن الثامن عشر المسيحى فمزقهم شرّ ممزق وكذلك الترك قتلوا الانكشارية الذين هم عبيد أيضا كانوا يتعلمون الدين والقرآن و يحكمون الدولة ويدافعون عنها فاستعبدوا ملوك بنى عثمان وقتلوا الدولة وأهلكوها وأخروها والقصد من هذا القول أن الاسلام لعدم تفرقته بين الأجناس تغالت الأمم الاسلامية فى تسليط الأجانب عليها متى أسلموا حتى أنست بالمذلة فأرهقتهم الفرنجة والقرآن هو الأصل الذى عليه الاعتماد فى ذلك هذا كان مقصد الاسلام من الأسرى ثم فكهم واعتاقهم فالقرآن يأمر بالحرب للسلم والتعليم فيأتى بالجهلاء والمتوحشين فيرقيهم و يعلمهم ثم يكونون فى نعمة لم يحلم بها آباؤهم وهذا العمل من المسلمين مطابق لقوله تعالى ـ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ

أفليس ماهناك هو ما فى هذه السورة أليس يقول هنا فى أوّل السورة انه خلقنا من نفس واحدة ثم يحرّضنا على القتال لحفظ الوطن ثم يشير الى القتال العام ثم يقول حرّروا الرقبة المؤمنة اذا قتلتم مؤمنا خطأ فجعل التوبة من الذنوب أن تحرر الأسرى • ان تحرير الأسرى ظهر فى الاسلام ظهورا واضحا فكثيرا ما يأمر بالتحرير وعتق العبيد وهذا هو السرّ فى اختلاط الشعوب الاسلامية

﴿ مقايسة أوروبا بالاسلام ﴾

لقد دخلت أوروبا بلاد الشرق وقالت أنتم أيها الناس أحرار ولكن هل جعل الانجليز من المصريين وزيرا أم الفرنسيون جعلوا من الجزائريين أميرا أم اتخذ الأسبان من أهل مراكش وكيلا • كلا • ثم كلا وكثير من تلك الدول تغتال الأموال جهارا وتقتل الناس بالطيارات فلا يناموا إلا غرارا فأى الحكمين أقرب للعدل وأولى بالحق • هل جعل الفرنجة من المسلمين ملكا على بلادهم كما جعلنا كافورا ملكا فى مصر لمجرّد الاسلام • كلا هذه هى الميزة الاسلامية على سائر الأمم الغربية

نحن جعلنا كافورا ملكا وأمريكا لا ترضى أن يكون السود جالسين مع أبنائها فى العربات و يحقرون

أن يساووهم فالانسان اليوم جهول كفار

﴿ محاورات فى المجلس العام للمسلمين بعد مائتى سنة فأكثر ﴾

يحكى فى عالم الخيال أنه اجتمع مجلس الشورى العام (البرلمان) فى الاستانة وقيل فى أنقره وقيل فى مكة وحضر من كل أمة من الأمم العربية والتركية والفارسية والأفغانية ونحوها نائبون . ولما استقر بهم الجلوس وقف أحد الأعضاء وقال لقد أغارت الأمم الاسلامية على أمة كذا وأدخلتها فى حوزتها فهل يرى المجلس أن نعاملها معاملة أوروبا لأهل أمريكا الأصليين فنفنيهم بالتدريج ونقرضهم من الوجود كما هى السنة المتبعة فى الاستعمار فرد نائب الأفغان وقال إنا إذا فعلنا ذلك كنا مثل السوء فى العالمين وكيف نفعل ذلك ونبينا جاء رحمة للعالمين ونحن خلفاؤه على المخلوقين فقال نائب الفرس مالكم تردون كل مورد وتذهبون فى البحث بعيدا فالعضو المحترم الأول حكم بالاهلاك والثانى أوجب ألا يمسوا بسوء وهل تذكرون أوسط الامور وأفضلها عند الجمهور أن نجعل بعضهم لبعض عدوا كما فعل الاسكندر بملوك الطوائف كما أمره استاذه ارسطاطاليس وسلط عليهم الشهوات وزوجهم الغانيات وألبسهم التيجان وألزم كلا اسم الملك فتنازعوا بينهم والاسكندر حكم يحكم بينهم فهم الأعداء وهو المحبوب وهكذا حذت حذوه انكلترا وفرنسا وسائر أمم أوروبا حتى فرقت المسلمين شذر مذر أيام القرون الأولى وها نحن أولاء قد من الله علينا فاجتمعنا فلنفعل معهم كما فعلوا معنا . فقام عالم مصرى وقال

أيها الاخوان أذكركم بالقرآن ألم يقل الله — فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول — (فى سورة النساء) فالرد الأمر الى كتاب الله وفعل الرسول ونظام هذا العالم يقول الله — يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة — فلم يقل يأيها المؤمنون بل جعل الخطاب للناس والناس كلهم أسرة واحدة ولقد وصى على الأيتام وأمرنا أن نعولهم وأن نتعفف اذا كنا أغنياء ونأخذ أجرنا بالحق اذا كنا فقراء فهؤلاء الذين دخلوا فى حوزتنا كالأيتام فلنكن عونا لهم ولنحافظ عليهم ولنعلمهم حتى يتهيؤا للحياة والاستقلال والمقصود من الرد الى كتاب الله النظر فى المقصد العام من فعل الله وقوله على وجه العموم فقال العضو التركى لقد قلت قولا فيه الاثم والشنار وما الفائدة العائدة على المسلمين نعلمهم ونربيهم فيصبحون مثلنا ويحارب أبناؤهم أبناءنا إن هذا هو الجهالة العمياء والضلالة السوداء فقال العالم التونسى وهو عضو بالبرلمان ان النظرية الفرنجية عارية من العقل خالية من الفهم كانوا يخافون أن ترقى الدول فيبطشون بهم وهذا قصر فى النظر وضعف فى الفكر

ان هؤلاء قد جنوا عكس مازرعوا وبئسما زرعوا علموا أبناءهم الاتكال على ماصنع غيرهم فيناموون على وساد الراحة والمسلمون يعملون فخملت أممهم وضعفت قواتهم لأن آباءنا كانوا يزيدون نشاطا وهم يتدلون انحطاطا فتكامل الخمول فى الآخرين وتم النشاط والقوة فى الأولين حتى دالت دولة الغربيين وأشرقت شمس الشرقيين فهذه النظرية جاهلية أما الذى أراه فان الله عز وجل جعلنا خلفاءه فى الأرض ووكل لنا اصلاح عباده وأوجب علينا قيادتهم وارشادهم وحفظهم فلنعاملهم بالأمانة ولنعلمهم ولنهذبهم ولا نفعل مافعل آباؤنا المسلمون فقد كانوا يأتون بالأوباش والجهلاء ويسلطونهم على منازلهم وممالكهم فيحكمون الدول . كلا ثم كلا فذلك هو الذى أضاع الدولتين العربية والتركية القديمة وهذا تفريط من المسلمين ولا نذلهم اذلالا شديدا كما فعل الاوربيون فى المسلمين ولكن نتخذ الطريق السوى فنعلمهم ونربيهم ونتركهم متى استقلوا بأنفسهم ويكونون لنا أصدقاء مخلصين

فأما ماقاله العضو المحترم ان أبناءهم يقتلون أبناءنا فهذه نظرية أوروبية خاطئة . ذلك أنه لايبقى فى الوجود إلا الأصلح له والأمة المصلحة النافعة للناس لن تبيد من الوجود فما دمنا نافعين للناس فالدوام مضمون ولسنا نخاف على أبنائنا إلا من نومهم وكسلهم وحرصهم وجبنهم ولن يكون ذلك إلا اذا ظلمنا هؤلاء الذين ملكناهم

فسخرناهم لأبنائنا فينام هؤلاء الأبناء على فراش الراحة الوثير كما نام الأوروبيون على حساب الشرقيين فوقعوا في ذل الشهوات فزالت مدنيتهم وتفرق جمعهم وزال اسمهم من الوجود فهذه الأمم كانت أنظارها قصيرة وآراؤها سقيمة يفعلون ما فعلته الدولة العباسية والدولة البائدة التركية التي كانت تأكل أرزاق الأمم فتصبح عالة عليها وتزول من الوجود كما كانت دولة الرومان • وعلى هذا فلنساعد هؤلاء القوم ونقول لأبنائنا استعدوا للحياة وكونوا ذوي عزم وحزم ولنعودهم السلام والأعمال الشريفة ولنهذبهم ونعلمهم الحب والاتحاد وهذا هو المسعى الحميد والرأي السديد فاذا اجتمعت الأمم على مضرتهم لن يضروهم لأنهم بالحق قائمون وللعالم مخلصون والله لايزيل من أرضه المصلحين وانما يهلك المفسدين وقال الله لنبينا صلى الله عليه وسلم ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ فأخذت الأصوات فنال هذا الرئيس الأخير ٢٨٩ صوتا ضد ١٢٨ صوتا وعليه صار العمل

(الختم) (الختم) (الختم) انتهى المقصد السادس

(المَقْصِدُ السَّابِعُ)

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَيُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مالاَيَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً * هَا أَنْتُمْ هٰؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً *

﴿ تفسير هذه الآيات ﴾

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة (مثلثة الطاء والكسر أفصح) ابن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل يهودي يقال له زيد بن السمين فالتمسوا الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي انه دفعها الى طعمة بن ابيرق وشهد له جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية

ولما نزلت هذه الآيات فيه لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط

عليه

عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جنّ عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فأدركوه فرموه بالحجارة حتى مات * قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات فهذا قوله تعالى (إنا أنزلنا اليك) يا محمد (الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أى بما علمك الله وأوحى اليك (ولا تكن) يا محمد (للخائنين خصيما) أى ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومدافعا ومعينا (واستغفر الله) مما هممت به من معاقبة اليهودى ومن انك هممت بالمجادلة عن طعمة (إن الله كان غفورا) يعنى لذنوب عباده يسترها عليهم (رحيما) بعباده المؤمنين (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) يخونونها (إن الله لا يحب من كان خوّانا أثيما) أى مبالغا فى الخيانة مصرا عليها منهمكا فيها (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) وهو أحق أن يستحيا منه (وهو معهم) لا تخفى عليه أسرارهم (إذ يبيتون) يزوّرون (ما لا يرضى من القول) من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) لا تخفى عليه شئ من أسرارهم ولا أسرار غيرهم (ها) للتنبيه (أنتم) يا (هؤلاء) والاشارة الى من كانوا يدافعون عن طعمة وقومه (جادلتم) خاصمتم (عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (أو يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعدّاه (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وهذا حث لطعمة وقومه أن يتوبوا (ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه) لا يتعدّاه وباله (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة (أو اثما) كبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمى البرىء وتبرئة نفسه (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحى (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال (وما يضرّونك من شئ) فان الله عصمك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الامور الدينية والحكمية (وكان فضل الله عليك عظيما) وأىّ فضل أعظم من النبوّة انتهى التفسير اللفظى

﴿ بيان أجلى ونور أشرق ﴾

لقد تبين أن هذه السورة نزلت لجعل الناس أمّة واحدة لأن أباهم واحد وقد خلقوا من نفس واحدة وأن رجالا كثيرا ونساء خلقوا من تلك وان فيها الوصية على الرحم والقرابة واليتامى والمساكين والوصية بالجار القريب والمسكين فاعلم أن الأمر فوق ذلك فأصبح الدين الاسلامى بهذه السورة وهذا المقصد منها يحمى اليهودى الذى قال الله فى أهل دينه ـ لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ـ فانظر كيف جعل اليهود ألدّ الأعداء فى الاسلام وكيف انزل فى الوحى هذه الآيات • يقول يصف الكتاب انه أنزله بالحق وانك يا محمد تحكم بين الناس بالعدل وكيف تكون قاضيا بالحق وتهمّ بالمحاماة عن الخائن فاستغفر يا محمد الله فان الله غفور رحيم وكيف تجادل عن الخائنين والله لا يحبهم انهم قوم يراؤن الناس ويخشونهم ولا يرقبون ربهم • هب أنكم أيها المحامون جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن ذا الذى ينفعهم يوم الحساب وأين المحامون هناك وأين الوكلاء فى تلك الدار ولقد كاد القوم يضلونك وان يقدروا عليك لأنك معصوم فأمددناك بلطائف من عندنا وأعطيناك رحمة من لدنا واصطفيناك للناس فضلنا عليك عظيم

يقال هذا القول وأمثاله لأجل يهودى يجب بحسب الظاهر أن يعدّ من السارقين فلقد وجد الدرع فى داره ومع ذلك يعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم عتابا طويلا على ما همّ به مما يؤيده ظاهر الحال

فانظر كيف حفظ الاسلام الحقوق مع أعدى أعداء الاسلام وانزلت الآيات للنبى عتابا عظيما فلو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ديننا ونظروا فى الحقائق الساطعة لأصبحوا أرقى العالمين فانظر كيف كانت هذه

حال الاسلام وقد خالفها فريقان

(١) الفريق الأول أكثر أمة الاسلام فانهم يتعصبون لأقاربهم ويجادلون عن أصحابهم واخوانهم وأقاربهم بالحق وبالباطل ولا يظهرون الحقائق ولا يشهدون بالحق ويقولون فلنستر على الاخوان والله يقول كلا . انظروا الى اليهودى كيف ضربت الذكر صفحا عن قبيلة برمتها من العرب وأخزيتهم وأخجلتهم بآيات القرآن وقرعتهم تقريعا يقرأ لآخر الدهر ولم أبال بأنهم مسلمون وهو يهودى بل نصرت الحق والحق أبلج فان أهل الأرض أمة واحدة وجميع الناس خلق وأنا الذى صورتهم وأوجدتهم فى أرضى وأنا الذى أنزلت الديانات وحكمت على كل أمة أن تتبع دينا وجعلتكم خير الأمم وأنتم رحمة العالمين فعليكم أن تخالفوا الأمم فى أخلاقها وأن تكونوا أشرف من أوروبا مقاما وأرفع شأنا وأرقى أخلاقا وأوسع اشراقا وأحلى مذاقا وأجل اتساقا وأعظم للحقوق احقاقا

(٢) الفريق الثانى الدول الاوروبية . إن أمم الفرنجة لا تعدل فى القضاء إلا فى رعاياها . ولقد حدث وأنا أؤلف هذا التفسير أن شابا مصريا يدعى على فهمى يبلغ من العمر ٢٣ سنة تزوج امرأة فرنجية من بلاد فرانسا ولم تلبث معه إلا ستة أشهر وبينما هى تعيش معه فى بلاد الانكليز تشاجرت معه فضربته برصاصة من (بندقيتها) فأردته قتيلا فقدمت للقضاء فأقرت بذلك فحكم القاضى والمحكمون فى المحكمة انها بريئة لا إثم عليها معللين ذلك بأنه كان يؤذيها ويحجزها فى منزله وكان يفعل معها أفعالا تناسلية لا تليق ولم يكن لديها أى اثبات إلا ما كانت تلقيه بلسانها . وبهذا الحكم تقربوا لفرنسا واحتقروا المصريين والمسلمين . فانظر الحكمين وتعجب من العملين أيهما أقرب للانسانية وأيهما آنس بالوحشية هذا هو دين الاسلام وهذه هى المدنية فى أوروبا فالحمد لله الذى وفقنا بهذا الحادث أن تكون الموازنة بين الديانات الشرقية والجهالات الغربية والدعاوى الكاذبة بأنهم قوم متمدينون فلتقومن فى بلاد الاسلام ممالك عجيبة وأمم حكيمة تحقر ما فى أوروبا من سفاسف الأخلاق والجهالة العمياء ويطلعون على القرآن وينظرون فيه بامعان ويكون لهم فى القضاء القدح المعلى وفى حكم الشعوب المقام الأكمل وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . كل فى كتاب مبين - انتهى تفسير المقصد السابع

(المَقْصِدُ الثَّامِنُ)

لاخَيْرَ فى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ * نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى ، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِنَّ اللهَ لاَيَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً * لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ * وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ

اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا * لَيْسَ
بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِهِ عَلِيمًا * وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ * وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا * وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا
مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا *
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا * مَنْ كَانَ يُرِيدُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ

والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيداً * إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا * بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً * وقد نزل
عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم
جميعاً * الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم
وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم
بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * إن المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا
قليلا * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن
تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً * إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد
لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً * ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم
وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان
الله سميعاً عليماً * إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً *
إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا
للكافرين عذاباً مهيناً * والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك
سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً *

وفى هذا المقصد أربعة فصول

الفصل الأول ا كمال القول على العدل فى الأحكام وذلك بذم المحاماة عن الكاذبين الخائنين وعن

التزوير سرا لنصرهم ومدح شرف النفس ونصر الحق والحض على الصلح والبر والمعروف، والصدق بدل مالاخير فيه من تزوير المحامين وفيه بيان عدل الله الذى هو المنهج الذى يقتدى به عباده فى العدل فى أفعالهم وأحكامهم وكيف جعل أمره غير خاضع لارادة أحد من المسلمين والأمم السالفة بل من يعمل سوأ يجز به الى قوله تعالى ـ وكان الله بكل شئ محيطا ـ

الفصل الثانى فى بيان بعض مسائل فى العدل تطبيقا على القاعدة السابقة كالعدل فى يتامى النساء والمستضعفين من الولدان واليتامى وحسن معاشرة النساء من قوله ـ ويستفتونك فى النساء ـ الى قوله ـ وكفى بالله وكيلا ـ

الفصل الثالث فى بيان أن الأمم التى عدم العدل فى أحكامها بين أفرادها تندرس معالمها وتتحلل أجزاؤها ويأتى الله بأمم أخرى تحكمها وتدوسها وتجعلها فى الاذلين وبيان انكار الذات والأهل عند الصدق فى الشهادة حتى لاتتعرض الأمة لأسباب الانقراض من قوله ـ إن يشأ يذهبكم ـ الى قوله ـ فان الله كان بما تعملون خبيرا ـ

الفصل الرابع فى بيان الاخلاص فى الايمان لأن العقيدة هى أس العمل بالعدل الذى شرحه فى الفصول السابقة فجعل هذا العمل أساسا لها فأوضح فيه رذيلة النفاق وموالاة الأعداء مما يجعل القلوب مذبذبة مضطربة لا ثبات لها فلا يكون عدل فى الأحكام ولا صدق فى الشهادات فتزول الدولة ويستخلف الله قوما آخرين من قوله ـ يأيها الذين آمنوا ـ الى قوله ـ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ـ

﴿ الفصل الأول ﴾

لقد أبان فى المقصد السابع كيف يكون العدل فى الاسلام وكيف يذم الله المحامين فى القضايا المزورة ومن يزورون الشهادات وكيف يلوم القضاة على عدم البحث الدقيق والكشف والتحقيق والأخذ بالأحوط وجمع الدلائل والتروى فى الأحكام حتى تجمع الأدلة وتعرف كل علة وماعلى المدعى أوله فأخذ فى هذا المقصد يقول تتميما للمرام وتنويرا للأفهام (لاخير فى كثير من نجواهم) يقال ناجيته ساررته والنجوى أيضا الاسرار فى التدبير يقول لاخير فى كثير مما يتسار الناس به ويدبرونه سرا سواء كان المتسارون قوم طعمة أوغيرهم (إلا) نجوى (من أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس) فالنجوى للصدقات خير وللمعروف وهو كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل خير كالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وتدبير الحرب وحفظ البلاد والثغور وما أشبه ذلك فالمعروف أعم من الصدقة والاصلاح بين الناس خير فالنجوى اذن على قسمين نجوى للشر ونجوى للخير فالشر محذور والخير متبع (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) أى ومن يفعل هذه الأشياء المذكورة طلبا لرضا الله فان الله يكافئه بالأجر العظيم وقد رتب الأجر العظيم على العقيدة النفسية بأن تكون جميع الأعمال صادرة لغرض الخير المغروس فى النفس لأن الحياة الدنيا يرادمنها نمو الملكات الفاضلة فى النفوس فاما بذل المال أوالعلم بلا قصد شريف فانما يكون أشبه بهبوب الهواء على ذرات الهباء وما الأعمال إلا ثمرات القلوب فاذا لم يكن العمل منبعه القلوب لم تترب الارادات فى النفوس ولم يكن لها إلا النصب فى الانفاق والتعب والمشاق بلا نمو فى الأخلاق ولا رقى فى الشعور والوجدان

ولما كانت المناجاة بالشر تابعة لما فى النفس من شقاق كما ان المناجاة بالخير تتبع مافيها من وفاق لأن العقيدة أس الأعمال فلاخير إلا بالعقائد ولا شر إلا منها حاصل وكان الذى يجمع الأمم اتحاد عقائدها والذى يفرقها تشتيت آرائها أردفه بذم انشقاق الألفة الجامعة فى الأمم الاسلامية فقال (ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فكل من المتخالفين فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) ظهر له الحق (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غيرماهم عليه من اعتقاد أوعمل (نوله ماتولى) نكله فى الآخرة الى ماتولاه

فى الدنيا (ونصله جهنم) نلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) جهنم
واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين ممنوعا كان اتباع سبيلهم واجبا وهذا دليل على أن الاجماع من الأدلة
الشرعية . ولما كان اتحاد الأمم مبناه اتحاد الفكرة فاذا كان المعبود فى نفوسهم واحدا اتجهوا لغرض
واحد واذا تفرقت الأهواء تفرقت الأمم أردفه بذكر التوحيد وكأنه يقول ان تفرق الأمة فى أعمالها
واختلافها فى أغراضها راجع الى مافى القلوب من الاختلاف ومافى النفوس من الأهواء فأما اذا اتحدت
العقائد وانتظمت الآراء فان الأعمال تكون على مقتضاها اتحادا والتئاما فقال (إن الله لايغفر أن يشرك
به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ومدار الأمر على الوحدة العقلية والوحدة العقلية تتبعها الوحدة العملية
فأما تفاصيل الأعمال وتباين الأحوال من طاعة وعصيان مع ثبات العقيدة الأصلية فليس بمانع من الانتظام
العام فقد يغتفر فى الفروع ما لايغتفر فى الأصول فالشرك لاغفران فى اعتقاده والمغفرة قد تكون فى
الأحوال العملية فليس كل ذنب موجبا زلزلة القواعد ومامثل القواعد الايمانية إلا كمثل القواعد المنزلية
فى البيوت المبنية فان زالت القواعد هدم البناء ألم تر الى قوله تعالى ـ فأتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ـ
فالقواعد أصول العقائد والبناية الأعمال العامة الحافظة للمجموع وبزلزلة القواعد يسقط البنيان ويكون
الخزى فى الحياة والعذاب فى الممات فهكذا هنا ذكر اتحاد الأمة وعدم مخالفتها وبين سبب ذلك وهو تكوين
الوحدة الفكرية وان هدمها هدم ذلك البنيان وهذه المسألة هى الأصل الذى بنى عليه قدماء الفرس ادخال
النحل الكثيرة فى الاسلام والمذاهب المتعددة تفريقا لكلمة العرب وتشتيتا لشملهم وهى هى التى اختارها
البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا لما أرادوا غزو المسلمين فى الأندلس فقد قرروا فيما بينهم أن لانجاة من
المسلمين ولاغلبة عليهم إلا بتحويل عقائدهم وادخال الشك فى قلوبهم وتعليمهم الالحاد واحتقار الديانات
والاستعانة على ذلك بتغيير أزيائهم وادخال المعاصى الظاهرة من الزنا والخمر عليهم وتعويدهم الترف والنعيم
حتى تزول تلك العصبية ويأتى جيل سهل الانقياد سريع الانفعال فننقض عليه فنخرجه من أرضنا
وقد تم ذلك فى ثلثمائة سنة ونجح الغربيون فى تشتيت شمل العرب المسلمين كما نجح الفرس ببث العقائد
المختلفة ففرقوا الأمم شيعا وأصبح بأسهم بينهم شديدا فلذلك تجد التنديد على الشرك فى هذه الآيات بعد أن
ذكر الاتحاد وأكده فقال (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق وانما كان بعيدا عنه لأن
القلوب تختلف تبع ما اختلفت فيه فكل يتبع ماأحبه وعبده فمن عبد اللات أو العزى أومنات فقد انصرف
قلبه الى ماعبده وكره سواه فيكون لكل صنم جماعة فتتفرق الشيع فلا يكون اتحاد فتتخطف الأمم
تلك الأمة لعدم اتحادها ولذلك أعقبه بقوله (ان يدعون من دونه إلا اناثا) وهى الأصنام المذكورات فقد
كانوا يقولون أنثى بنى فلان فيسمون الصنم بلفظ أنثى ولا جرم أن الأنثى منفعلة والرب يكون فاعلا لا
منفعلا ثم ذكر سببه فقال (وان يدعون إلا شيطانا مريدا) المريد والمارد المتمرد العاتى الخارج عن الطاعة
فاتباع الشيطان سبب فى عبادة الأوثان وعبادة الأوثان سبب لترك التوحيد المبنى عليه تفريق الألفة
وتشتيت الشمل ثم وصف الشيطان بوصفين آخرين وهما انه ملعون يضل بعض الناس ويقذف فى قلوبهم
الأمانى الباطلة ويأمر بتغيير خلق الله كأن يشقوا آذان الأنعام الخ وهذا قوله تعالى (لعنه الله وقال لأتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا) أى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء (ولأضلنهم) عن الحق
(ولأمنينهم) الأمانى الباطلة كطول الحياة وأن لابعث ولاعقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) ليشقنها
لتحريم ما أحل الله كما كانت تفعل العرب فى البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة

(١) وقد كان العرب يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على

انفسهم

أنفسهم الانتفاع بها .

(٢) والنساء يأتين بشعر غير شعرهن يصلنه به وهؤلاء يسمين الواصلات

(٣) ومنهن الواشمات اللاتي يلونّ أجسامهن بلون الخضرة بغرز الابر فى الجلد وهو الوشم

(٤) ومن تغيير خلق الله الاخصاء وقطع الآذان وفقء العيون

(٥) وكانت العرب اذا بلغت ابل أحدهم ألفا عور عين فحلها

(٦) ومن تغيير الخلق التخنث

(٧) ومنها عبادة الشمس والقمر والكواكب التى خلقت للمنفعة فجعلوها معبودة

وهذه هى أنواع تغيير الخلق التى ذكرها المفسرون الاجلاء

فترى أناسا يكره اخصاء الغنم لأنها تغيير خلق الله وأدخلوا فى هذا السحاق واللواط لأنها تغيير لوجهة خلق الله والفعل الطبيعى الأهلى وهذا هو قوله تعالى (ولآمرنهم فليغيرنّ خلق الله) عن وجهه وصورته أوصفته (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) إذ ضيع رأس ماله (يعدهم) ما لاينجزه (ويمنيهم) مالاينالون (ومايعدهم الشيطان إلا غرورا) وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات الى قوله ومن أصدق من الله قيلا) ظاهر تفسيرها ثم قال (ليس) ما وعد الله من الثواب لينال (بأمانيكم) أيها المسلمون (ولا بأمانى أهل الكتاب) وانما ينال بالايمان والعمل الصالح . ذلك أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون . كلا . نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة (من يعمل سوءا يجز به) عاجلا أوآجلا * وروى أنها لما نزلت قال أبو بكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أما تمرض أما تحزن أما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هوذاك وهذا الحديث لم يرد فى الصحيحين وفى اسناده ضعف (ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا) لاينقصون شيئا من الثواب (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) أخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) وهى الموافقة لدين الاسلام (حنيفا) مائلا عن سائر الأديان (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخلة من الخلال لأن الودّ يتخلل النفس ويخالطها (ولله مافى السموات ومافى الأرض وكان الله بكل شئ محيطا) احاطة علم وقدرة فيجازى الناس على أعمالهم فلا يذر أحدا من عباده إلا حاسبه لا فرق بين مسلم وغير مسلم ويهودى ونصرانى . انتهى التفسير اللفظى للفصل الأوّل من هذا المقصد

وهنا لطائف . اللطيفة الأولى فى قوله تعالى — فليغيرن خلق الله — . اللطيفة الثانية فى الشيطان . اللطيفة الثالثة — ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب —

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

لقد اطلعت فى هذا التفسير على ماقاله المفسرون فى معنى تغيير خلق الله وانه حرام وذهبوا مذاهب ترجع الى وصل شعر أو وشم جلد أوفقء عين جمل أوشق أذن أوتحريم بهيمة لها عمل نافع بأن ولدت أربعا والخامس ذكر أوتخنث أوسحاق أولواط أواخصاء كاخصاء العبيد فكل ذلك تغيير خلق الله . وياليت شعرى ان كل ذلك إلا فى التغيير الظاهرى والتشويه الجسمى فيجرّ الى فسوق تارة كالوشم ووصل الشعر أوتحريم أخرى كالمشقوقة الأذن يحرّمونها عليهم

واعلم أن أهم تغيير خلق الله ماسأذكره لك هنا وهو تغيير وجهة الفطرة الانسانية ألاترى أن الله خلق في كل قطر من أقطار الأرض أناسا لهم مزايا في أممهم وبعبارة أخرى أن كل أمة أشبه بجسم الانسان ففيها من هم كالسمع وكالبصر وكالشم وفيها من هم كاليد أوالعقل فالاستعدادات في الأفراد تختلف كالاختلاف في الأعضاء في الجسم الواحد ولقد وضحت هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى - لايكلف الله نفسا إلا وسعها - ان الناس قد اختلفوا في فطرهم وقابلياتهم فيجب أن يوضع كل في مكانه الذي استعد له • فعلى مجالس النواب في الأمة أن يأمروا بأن يوضع كل في مكانه الخاص به وعلى المدرسين أن يمتحنوا التلاميذ بالعدل ويضعوا كلا في العلم الذي غلب على عقله حتى يستخرج من الأرض ثمراتها فمن نقص تلميذا درجة فقد غير خلق الله ومن وضع موظفا في غير وظيفته فقد غير خلق الله ومن لم يلاحظ الاستعداد فقد غير خلق الله والحكومات التي لاتلاحظ الشبان فتتركهم وشأنهم بلا زواج فقد غيرت خلق الله بالسكوت عن عقابهم ماليا بضرب ضريبة على الأعزب كما في بعض الدول الغربية وأمم أوروبا التي أغارت على بلاد الشرق فأكثرت من الأخلاق الرديئة وغيرت في أوضاع الأمم فقد غيرت خلق الله فمنعت العلم عن الشرقيين وحرمت النبوغ على بعض المسلمين

واذا كنا نشق أذن بهيمة وفقء عين جمل ووشم جلد قد غيرنا خلق الله وهكذا بتحريم بهيمة كأن حرمنا على أنفسنا أكل لحمها أوركوب ظهرها قد غيرنا خلق الله فما بالك بتحويل ماهو أرفع مقاما وأوفى زماما وأعلى شرفا وهي الفطر الانسانية فنذر العقول الكبيرة من أبناء البلاد في أعمال صغيرة فربما اتفق أن يكون العامل في الحقول أبرع من الوزير في السياسة لو انه وضع من صغره في الدراسة وربما كان في دست الوزارة من لايصلح إلا لأعمال الفلاحة فلكل من الناس عمل يوافقه وطريق أنسب له وكم في البلاد الاسلامية من أيد عاطلة وعقول نائمة وأفكار خامدة فاذا أنزلنا عليها ماء العلم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج

﴿ حكمة في العقل والمعدة ﴾

ولعلك ترى أن العقل يطالبك في كل آن بلذاته ويؤنبك في كل حين على حرمانه ويقول لك اذا وقفت على شجر أونظرت الى حجر أوسموت بوجهك الى قمر أو شخصت بعينك الى كوكب سيار أوراقبت طائرا وقد طار يقول لم أعطيت المعدة شهوتها ومنعتني وراقبت الغذاء وتركتني وذكرت شهوة نفسك ونسيتني ماهذا النجم الثاقب وماهذا الجبل الشامخ وكيف تزلزل الأرض زلزالها وما أسبابها وماتاريخ هذه الجبال وما أسباب هذا الجمال ولم جئنا في هذا الوجود ولم كان العابد والمعبود ولم نرى الديانات تأتي بعجائب خافيات وحياة بعد الممات وحشر وحساب ونعيم وعقاب كل ذلك خفي أمره علي فكن لي ولاتكن علي وانظر نظرة الي حتى أعرف هذه الحقائق فأنا أولى من المعدة الجبارة وأنا أحق بهذه المهارة • انتهى كلام العقل • ثم ان عقلك يخاطبك بهذا الخطاب وأنت تجيبه بالسكوت ولكن الله يقول على لسان الشيطان - ولآمرنهم فليغيرن خلق الله - فخلق المعدة فينا لم يغير خلقنا وانما نحن أغرنا على العقل فأطفأناه وغيرناه

أقول ان الجهل بهذه الأمور وأمثالها على المستعد حرام بل ربما كان من الكبائر وأقل مافيه انه فرض كفاية ولا كفاية اليوم في الأمم الاسلامية فالذنب واقع على الجميع • ورب جهل عند عمرو لايعد ذنبا وجهل عند خالد يعد ذنبا على حسب استعدادهما واذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تعد عليهم أنفاسهم ويستغفرون الله من ذنوبهم فهكذا ذوو العقول الكبيرة يحاسبون عليها حسابا عسيرا • واعلم أن علماء الاسلام تفطنوا لهذا وقالوا من عنده قدرة في علم نافع وجب عليه فهذا دليل على أن الأمة فكرت في هذا إذن يكون حراما على القادر ولايحرم على العاجز أن يترك ذلك العلم • وانظر الى الأمم الاسلامية

كيف تركت العقل والعلم فانظر ماذا فعل الله فيها سلط عليها الفرنجة . ذلك أن الله لم يخلق شيأ إلا لمنفعة فاذا فاتت المنفعة زال ذلك الشيء والعضو اذا ترك استعماله أصابه الضمور واذا استعمل قوى وجرى فيه الدم هكذا العقول الانسانية اذا سلط الله على الأمم رؤساء جهالا فأفهموا الشعب ألا يفكر أبناؤه كما حصل للمسلمين أخذت القوة العاقلة تذهب شيأ فشيأ كما ذهبت من الحيوانات الداجنة وتحوّل ذلك العقل الى المفكرين من رؤساء الفرنجة كما حوّله الله من الحيوانات الداجنة الى أخواتها الحيوانات الوحشية . والله لايعطل الوجود لأجل جهل المسلمين ولم يخلق الله ملكه لقوم كسالى عاطلين نائمين الملك ليس بمعطل شمسه تجرى وقمره وكواكبه وأنهاره وحيوانه فمن خالف هذه القاعدة كبعض المسلمين اليوم أذله الله لأنه غير خلق الله بل أجل خلق الله وهو العقل بل ان هذا من أولئك الذين قال الله فيهم ـ من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها ـ وأيّ طمس أشدّ من طمس العقل وما الوجه إلا مرآة له وهو الأصل والوجه هو الفرع . إن تغيير خلق الله العقلي ظاهر اليوم فى بعض الأمم الاسلامية وطمس العقول واضح وقد آن أن يبدّل الله الحال ويرجع لهم مجدهم وتستنير عقولهم ذلك هو الذى سيكون ولله عاقبة الأمور هذا ولتقرأ ما كتبته على قوله تعالى ـ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ـ فى سورة البقرة

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء فى هذه الآيات أن الشيطان مريد أى عات خارج عن الطاعة وانه أقسم أن يتخذ له من عباد الله جماعة من نصيبه ويجعلهم من حاشيته فان أمرهم أطاعوا وان وعظهم بالوسوسة استمعوا له وان قال أيها الناس قطعوا آذان الأنعام فعلوا أوغيروا خلق الله بتشويه الجلد ووصل الشعر وتعطيل العقول أخلدوا اليه واطمأنوا وهو الذى أمر الأمم الكبيرة كالفرنجة أن يطؤا بأقدامهم على رؤس الأمم الصغيرة فى الشرق ويحرموهم من العلوم والصناعات ويسلبوا أموالهم كل هذا بأمر الشيطان . فياليت شعرى أى مخلوق هذا وهل هو حىّ يرزق أم هو صورة يقصد بها ضرب الأمثال والتقريب من العقول والتلطف فى القول

لقد بحث العلماء فى ذلك بحثا دقيقا ونقبوا فى الشرق والغرب عن هذا الشيطان فأنكر قوم وجوده وقالوا ليس هناك إلا نفوسنا وأخلاقنا واستعدادنا وأن الذنوب على حسب الاستعداد والقوى . وقال آخرون كلا فان الأمراض التى تأتى الينا على حسب استعدادنا ظهر اليوم انها من حيوانات حية فالحى والجدرى والحصباء وسائر الأمراض التى نستعدّ لها لاتحصل إلا بتلك الحيوانات الذرّية التى تتوالد وتتناسل فينا ونحن غير شاعرين بها ولاعالمين وفى أجسامنا آلاف آلاف الآلاف من الحيوانات الذرية الصغيرة التى تعيش فى الدم كأنها جنود مجندة بالسلاح وكأنها حوافظ لأجسامنا تقيها عاديات الدهر ومزعجات الليالى وصروف الزمان وبينما هى آمنة فى سربها ساعية فى معاشها هادئة فى أماكنها اذا حيوانات غريبة هاجمة عليها فيقتتل الطرفان ويتلاقى الجمعان ويتضارب الشجعان ويتدخل الحزبان ويكثر الطعان والنزال وقد كسرت القنا على القنا وموج المنايا حولهن متلاطم فتنجلى المعركة عن قتلى من الطرفين وجرحى من الحزبين فاما الانسان منا أوالحيوان فيكون قد ارتفعت درجة حرارته من هول الحرب فى الميدان ويكون المرض على حسب الحيوانات الهاجمة فتارة يقال انها حمى وتارة يقال حصباء وأخرى يقال جدرى ومأأشبه ذلك مختلفا باختلاف الحيوانات الهاجمة فأما الحيوانات البيضاء التى فى الجسم فانها تدافع بأمانة وشرف حتى اذا غلبت على أمرها وسلمت للموت أنفسها هنالك تظهر الأمراض من جدرى وحصباء وأنواع الحمى المختلفات

هذا فى الأمراض المعروفة التى لم يكن ليصدّق العقل أن هناك حيا يرزق داخل أجسامنا ولا أن هناك مخلوقا يدخل فى أمور أمراضنا فما بالك بالأمراض العقلية والآراء النفسية والنزعات العقلية والأكاذيب الانسانية والأفعال الشيطانية فربما كان هناك عوالم تفعل فى عقولنا مافعله الذباب فى أعيننا ألا ترى أن

الذبابة لاتقع إلا على العين القذرة والجلود الوسخة ومتى وقعت هناك باضت بيضا فى تلك الأماكن فكان دود فمرض فالاستعداد هو الذى أغرى الذباب فكان الديدان فجاء المرض والناس ساهون لاهون كما دخل المرض أجسامنا باهمال النظام فى الشراب والطعام فكانت الحمى وكان الحمام

لامانع فى العقل يمنع من وجود الشيطان وانه يلقى الينا الوساوس وأصناف الأحلام ولكن الامكان غير الوقوع والاحتمال غير التحقيق هنالك ظهر قوم وقالوا ليس الشيطان محتمل الوقوع فحسب بل هو عالم موجود فى هذا الوجود وكما ان فى العالم ملائكة ففيه شياطين

فهذه النفوس البشرية اذا ماتت هى وأمثالها من العالم المشابه لعالمنا لاتذهب شعاعا ولا تكون ضياعا ولا تكون سدى أو يلحقها الردى • كلا بل هى حية تسعى ولها فى العلم أعمال إذ لا عاطل فى الوجود فكل انسان فى هذه الحياة بعد موته يصبح مغرما بما خلق له فى الحياة فيلزم النفوس التى على شاكلته ويوسوس بالشر أو يلهم بالخير على مقتضى سجيته • فكل امرئ اليوم اما فاضل واما ناقص فالناقص شيطان محبوس فى قفصه الجسمى والفاضل ملك ممنوع عن مكانه العلوى فاذا خرجا من سجنهما انطلق كل منهما الى مكانه ورجع الى اخوانه وسار معهم فى سبيله فيكون اما ملهما للخيرات واما موسوسا بالسيئات

قال الفخر الرازى فى سورة ابراهيم عند تفسير قوله تعالى ـ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ـ الآية وذكر بعض العلماء فيه أيضا احتمالا ثالثا وهو أن النفوس البشرية والأرواح الانسانية اذا فارقت أبدانها قويت فى تلك الصفات التى اكتسبتها فى تلك الأبدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة فى بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدنا لتلك النفس المفارقة فيصير لتلك النفس المفارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاضدة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم ان كان هذا المعنى فى أبواب الخير والبركات كان ذلك الهاما وان كان فى باب الشر كان وسوسة • انتهى

وقال فى اخوان الصفاء الجزء الثالث صفحة ٣٦٢

واعلم أن النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هى شياطين بالقوة فاذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى ـ شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ـ فشياطين الانس هى النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالأجساد وشياطين الجن هى النفوس الشريرة المفارقة للأجساد المحتجبة عن الأبصار

وقال قبل ذلك ما ملخصه • ان هذه النفوس الشريرة لما فارقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للذات كرة أخرى فحينئذ تصبح النفس كأنها لاحية ولاميتة كما قال تعالى ـ لايموت فيها ولايحيا ـ وتقول ـ ياليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل • ياليتنى كنت ترابا ـ ـ هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ـ وقال تعالى ـ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ـ لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا • انتهى ملخصا من اخوان الصفاء

وان شئت فارجع الى ماذكرته فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ فذبحوها وما كادوا يفعلون ـ وكيف بينت هناك أن الفرنجة قد بحثوا فى هذا الموضوع بحثا أوسع نطاقا وكيف قامت دولة أمريكا وانكلترا وفرانسا وألمانيا وإيطاليا وجميع دول أوروبا وبحثوا فى حادث الأرواح ونقبوا ورفعت عريضة فى القرن الفائت لمجلس

الاعيان

الأعيان فى أمريكا من ١٥ ألف رجل يطلبون معرفة الحوادث الروحية التى حدثت فى بلادهم مثل ظهور أشباح وأرواح وكيف قامت الجمعيات العلمية وأثبتت أن هـذا حق وأن أرواح الأموات هى التى فعلت ذلك وكيف أبدت جمعيات فى أوروبا رسميا من جهة الحكومات أنفسها ماقاله أهل أمريكا وصدقوا أقوالهم . كل هذا والمسلمون ناعسون نائمون لايدرون ماذا يقول العلماء فى مثل هـذه الآيات وانما شأن المسلم أحـد أمرين اما أن يسلم بالقول تسليما وهم الجهلاء واما أن ينكره انكارا ويقول كل هذه أكاذيب وماهى إلا أضاليل ليقال انه عالم عظيم ومحقق كبير فلا هو ولامن قبله عالمان كلاهما مغرور وكلاهما جهول بل يجب التوقف فى الأمر حتى تنجلى الحقائق وتظهر الدقائق فالكبرياء تنفع لاقناع الناس بأن الانسان فيلسوف ولكن العقل البشرى والفطرة الانسانية أجل من أن تخضع لتلك الترهات بل لاتزال تطالب بالبينات

وقال العلامة اوليفر لودج العالم الانجليزى الشهير فى خطبة خطبها فى الحياة بعد الموت وذلك فى أيام الحرب العظمى . كل العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون الى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون الى الامور الدنيوية الى أن قال انى تحققت أن بعض أصدقائى الذين ماتوا لايزالون موجودين إذ انى قد ناجيتهم ومناجاة الموتى ممكنة الى أن قال وقد حادثت أصدقائى الموتى كما أحادث واحدا من الحضور وقد كانوا فى حياتهم من أهل العلم ولذلك برهنوا لى براهين قاطعة (نشر بعضها وسينشر البعض الآخر فى حينه) انهم هم أنفسهم كانوا يحدثوننى واننى لست واهما . ان ذلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل مافىّ من قوة الاقتناع انى مقتنع بأننا لانضمحل عند الموت وان الموتى يهتمون بامور هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرون على مناجاتنا أحيانا الى أن قال وذلك مايبعثنى على القول ان الانسان ليس منفردا بل تحيط به مدركات أخرى

وقال فى اخوان الصفاء المتقدم ان الأرواح بتعليمها للبشر تزيد ارتقاء فى عالمها كما ان الاستاذ بتعليمه التلاميذ يزيد ارتقاء وثباتا فى علمه

وانما نقلت لك كلام الأوائل والأواخر فى هذا المقام لتطلع على آراء الأمم قديما وحديثا ولتعلم أن العقول الانسانية لها مرام واسعة عظيمة المدى لم تقف عند مشاهدات الأبصار بل استعملت البصائر فان كفاك ما ذكرناه فى اعتقاد الملائكة التى كانت تساعد فى غزوة بدر وأحد وفى اعتقاد الشياطين التى تأمرنا أن نقطع آذان الأنعام ونشق الوجوه والأجسام ونخصى العبيد ونغير خلق الله فيها ونعمت والا فاحذر أن تقف موقف المدعين الذين يقولون قد عرفنا كل شئ واحذر من الكبرياء وانما عليك أن تجد وتبحث لتزداد علما والطريقة المثلى لذلك . أن لايتكل المسلمون على آراء الغربيين ولا آراء القدماء من المسلمين وانما عليهم أن يبحثوا أنفسهم حتى اذا رأوا حقا أثبتوه أو رأوا باطلا رفضوه . هـذا هو الواجب على المسلمين ولعمرك ماذهى هذه الأمة إلا الكبرياء واظهار العظمة جهلا وزورا فيكتفى الجاهل منهم بقوله ــ ان هذا إلا أساطير الأولين ــ وهـذه انما هى خرافات فاياك أن تكون من المغرورين تصديقا أو تكذيبا فتوقف حتى تهتدى بنور عقلك الباحث فى العوالم المطلع على طرق البحث المنقب المجد ــ والذين جاهـدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ــ واعلم أن هذا المقام سأكتفى به فى كل مقام يناسبه فى مباحث الشياطين والملائكة وفى الوسوسة والالهام وان أردت الزيادة فعليك بكتاب الأرواح الذى ألفته لهذا الغرض

﴿ اللطيفة الثالثة ــ ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب ــ ﴾

لقد علمت أن المسلمين كانوا يفتخرون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابنا وهو القرآن وان أهل الكتاب كانوا يفتخرون بأنهم أقدم عهـدا وأرسخ مجدا فجاءت هـذه الآية وكذبت الطرفين وأخرست الحزبين وهذه احدى نكبات المسلمين ورزايا المسيحيين لقد اغترّ المسلمون اغترارا فاحشا فناموا وجهلوا

جهلا فاحشا فقروا

يزعم المغرورون الطائشون من أهل العلم ومن على شاكلتهم من الجهال فى الاسلام أن الانتساب للاسلام كاف لانقاذهم فساء فألهم وقل جمعهم وضل سعيهم فهم أشبه بمن قال الله فيهم — الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا — ومن قال فيهم أيضا — وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون — ولعل مانقلناه عن الأمم فى الشياطين والملائكة يكفينا فى هذا المقام أفلا ترى كيف يقول علماؤنا كالامام الرازى واضرابه وعلماء الأمم أن الانسان بعد الموت يكون على حسب أخلاقه فى الحياة فالمسلم بعد الموت هو هو الذى كان حيا فاذا كان فى الحياة الدنيا ساهيا لاهيا جاهلا أو فاسقا ذهب الى ذلك العالم أعزل من السلاح مجردا من قوة الكفاح فنزل الى مصاف الخدم والعبيد ولا ينفعه الانتساب الى أولى الألباب — فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى — فاذا ظن المغرورون أن انتسابهم للاسلام يرفع وحده من شأنهم فقد خاب فألهم فلا الاسلام وحده يرفعنا ولا الأمانى تفيدنا ان الأرواح جاءت هذه الأرض لتستكمل حظها وترفع قدرها وتكمل فى أوصافها وتتحلى بأجنحة معنوية تطير بها فى تلك الساحات وتسافر بها فى تلك الباحات فبالعلم أجنحتها وبالعمل قوتها وبالاحسان سعادتها وبالمحبة شرفها فاياك أن تكسل فى الأعمال واياك أن تتوانى فى منفعة الأمة واياك أن تقبض يدك عنها جد فى اعلاء شأنها وأحب الناس جميعا وتكن أخا كريما وأبا للناس رحيما ان الله رحيم فكن بأخلاقه متخلقا واعلم انك خليفته فى الأرض فان شئت فعلى نفسك وان شئت فعلى أسرتك وأهلك وقرابتك وأمتك وسائر الأمم فاذا قدرت على نفع سائر الناس فافعل فكلهم عباده وكن رؤفا بالحيوان ساعيا جهدك فى ترقية الأمم موجها وجهك لله ذى الجلال

والا فبالله ماهذه الغزوات والجهاد وماهذه التكاليف والأعمال وماهذه الحياة التى اتصفنا بها وهى ملأى بالآلام محفوفة بالأخطار كل ذلك لاقتناص الكمال بالعلوم والأعمال • انتهى الفصل الأول فى هذا المقصد

﴿ الفصل الثانى ﴾

روى أن عيينة بن حصن أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا أنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك أمرت وكذلك حديث بنات كحة وقد تقدم فى أول السورة * وأيضا كانت اليتيمة تربى فى حجر الرجل وهو وليها فيرغب فى نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال ويعطيها أقل من صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها فلا يتزوجها وربما لايزوجها غيره حرصا على مالها فيحبسها عن الزواج حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك كله وقال (ويستفتونك فى النساء) فى ميراثهن (قل الله يفتيكم) الافتاء تبيين المبهم وعطف على لفظ الجلالة قوله (ومايتلى عليكم) أى والمتلو عليكم (فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ماكتب لهن) مافرض لهن من الميراث (وترغبون أن تنكحوهن) أى فى أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن فان نكحتموهن فبأقل من الصداق وان لم تنكحوهن لدمامتهن حبستموهن عن الزواج ليبقى المال فى أيديكم • أقول ولعل هناك أحوالا كان لليتيمة فيها مال عندهم حتى لايتصادم مع ماورد فى هذا المقام أنهم لايعطون الصغار ولا النساء مالا فتفطن لذلك فما تلى عليكم من كتاب الله قد بين لكم ذلك فيأخذن مالهن كاملا وصداقهن كاملا فهذا هو قوله — يفتيكم فى يتامى النساء الخ — (و) فى (المستضعفين من الولدان) يعنى ويفتيكم فى المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن العرب فى الجاهلية كانوا لايورثون الصغار كما تقدم فنهاهم عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث ثم قال (و) يأمركم (أن تقوموا) أيها الأئمة (لليتامى بالقسط) أن تنظروا لهم وتستوفوا لهم حقوقهم بالعدل فى ميراثهم ومالهم (وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما) فيجازيكم عليه

ولما

ولما كان العدل مع الضعاف ليس خاصا بالصداق أو الميراث بل يتجاوز ذلك الى المعاشرة وحسن السلوك فليعدل الرجال مع النساء فى القسم وهذا حتم لازم . ثم ان الطلاق مباح فى الاسلام وان كان هو أبغض الحلال فاذا وجب القسم للمرأة كان الطلاق مسقطا لذلك الحق وتخلص الرجل من المرأة بهذه الوسيلة فليس هناك وسيلة إلا المصالحة بينهما اذا رغبت المرأة فتنزل عن بعض المال أو بعض القسمة فى المبيت لتدوم على أولادها مثلا أو فى عصمته فيكون الصلح خيرا من الفرقة والنفوس مجبولات على الشح مطبوعة عليه فلا المرأة تكاد تسمح بحقها فى المبيت ولا الرجل يرضى بالمبيت عندها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب راحته فليخالف هذا الطبع وليعدل الرجال بين النساء فى القسم وان كان مخالفا لطباعهم فان ذلك احسان وتقوى ولهم ثواب عظيم فى ذلك . والعدل بين النساء فى القلوب لايمكن فالقلب ميل الى واحدة أكثر من الأخرى مهما حرص الانسان فليكن العدل فى العمل واغتفر مافى القلوب إذ ليس فى الطاقة اجتنابه فأما ترك العدل ميلا فى القلب وعملا بحيث لايقسم لها فان ذلك يجعل المرأة كالمعلقة ليست ذات بعل ولا مطلقة . على أن الله اذا افترقا يغنى كلا منهما عن الآخر من فضله وغناه . هذا ملخص مافى هذه الآيات الآتية وهى قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (أواعراضا) بأن يقل مجالستها ومحادثتها * كما روى أن عمرة بنت محمد بن مسلمة واسمها خولة كانت تحت رافع بن خديج وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الأولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وجواب الشرط قوله (فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا) كما تقدم ايضاحه (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعل الشح حاضرا لها لايغيب عنها أبدا فهى مطبوعة عليه فكل من الزوجين لايفرط فى حقه . ولما كان الرجال أحق بالفضل خاطبهم الله قائلا (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض عنهن (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم خيرا على هذا الاحسان (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم فلاتميلوا كل الميل) فاذا مالت القلوب التى لاتملك فلتعدلوا فى القسم فى المبيت وهو الممكن * وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ويقول هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ذنوبكم (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) غناه وقدرته (وكان الله واسعا حكيما) مقتدرا متقنا فى أفعاله وأحكامه فهو الذى يسع جميع خلقه فان اصطلح الزوجان أعطى من سعة فضله من صبر منهما ثوابا وان افترقا أغناهما عن بعضهما بجوده وسعة فضله وكيف لايكون ذلك (ولله مافى السموات ومافى الأرض) ملكا وخلقا فما أعظمهما ومن ذلك أنه سبحانه وصى الناس قبلنا بالتقوى كما وصانا فكما وسعت عطاياه البرايا وسعت وصاياه الأمم فلذلك أعقبه بقوله (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم) معطوف على الذين (أن اتقوا الله) أى بأن اتقوا الله (وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الأرض وكان الله غنيا حميدا) أى وان تجحدوا ما أوصاكم به فان الله خالق السموات والأرض الخ فحق على الكل أن يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم محمودا على نعمه عليهم (ولله مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) فاتخذوه وكيلا ولاتتكلوا على غيره . ولقد كرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات وكأنه يقول ملكت السموات والأرض فلأوصى عبيدى لاصلاح شأنهم لأنى أملكهم فان أعرضوا عن وصيتى فأنا غنى بسعة ملكى وقدرتى ولست تاركا أحدا منهم فليتوكلوا على لأنهم جميعا فى ملكى هذه فوائد التكرار . أولعله

لما كانت الأحوال ثلاثة • الحال الأعلى وهي المبيت معهن والرضا بعشرتهن وان كن مرغوبا عنهن • والحال الوسطى وهي أن تتنازل المرأة عن بعض حقها ارضاء للزوج لتبقى معه • والحال الدنيا وهي ان يتفرقا ذكر ملك السموات والأرض ثلاث مرات ايذانا بأن الله بقدرته وسعة ملكه يقوم بأمر عباده فى كل حال مجازاة بالخير وكفاية لمن توكل عليه لأنه عام الجود واسع العطايا

﴿ لطيفة ﴾

ان الله لما ذكر مسألة الأزواج والنشوز والاعراض والصلح وما أشبه ذلك من الأمور الحيوانية الانسانية ذكر الناس بملك السموات والأرض وكرره كما قدمناه ليذكر النفوس الأرضية بالعوالم السماوية وليفهمهم أنهم لم يخلقوا إلا لمقام أعلى مما هم فيه فأكثر من ذكر العوالم العلوية والسفلية فى مقام الأمور المنزلية الصغيرة ليرفع النفوس من خمودها ويقيمها من مراقدها

﴿ حكاية وحكم ﴾

واذا كنا نرى فيلسوف الهند الذى أرسله ملكهم الى الاسكندر لما فتح بلادهم وهو يحاور الاسكندر فى الخبر المشهور فى التاريخ يعرض عن العالم الأرضى وينظر فى النجوم ويتغير وجهه ويقول أنا من عالم أعلى أنا من السماء فلم أبقى فى هذه الأرض فيا ألله من السماء روحى فردنى اليها فى جوارك

فما بالك بالقرآن النازل لأشرف الأمم أفلا يذكر الناس بالعوالم العلوية والسفلية والكواكب والشموس وهم منهمكون فى الأمور الحيوانية والأعمال الأرضية ويقول الى هذه خلقتم ولهذا سكنتم الأرض والا فلماذا نرى الأنوار تكتنفنا والنجوم من حولنا والجمال يحيط بنا وكيف نتلاهى عن هذا الجمال بما نحن فيه من الأحوال وكأنه عز وجل يقول أيها الرجال ان جمال النساء والشهوات التى ركزتها فى طباعكم لهن شئ يسير بالنسبة لما ترونه فى عالم الجمال والنور الذى يشرق عليكم وأنتم عنه غافلون فاذا شغلتكم بهذه الأمور وقتا ما فذلك لحكمة وهى أن تستعدوا لهذا المقام الأقدس بالاختبار فى الأعمال الأرضية ثم أرفعكم الى تلك المنزلة الشريفة

ولعلك تقول ماملخص تلك الحكاية فأقول

لما سار الاسكندر الى الهند ففتحها أرسل له أحد الملوك يقول هل لك أن أرسل لك ابنتى فتكون زوجا لك وفيلسوفا يخبر بكل ماتضمره نفسك من قبل أن تخاطبه أما ابنته فان الوفد الذى أرسله لما رآها حارت أبصارهم فى جمالها وكأنما أغشى عليهم مما رأوا من الحسن والجمال وأما الفيلسوف فان الاسكندر لم يحاوره إلا بالاشارات فأرسل اليه برنية مملوءة سمنا فلما رآها الفيلسوف أتى بابر ووضعها فى ذلك السمن وردها اليه فلما رآها الاسكندر أخذ الابر وجعلها كرة مصمتة وردها اليه فلما رآها الفيلسوف أخذ الكرة فجعلها مرآة مصقولة يتراءى فيها كل صورة تقابلها فلما أرسلها للاسكندر وضعها فى إناء فيه ماء فكان الماء فوقها فلما رجعت الى الفيلسوف جعلها كرة مجوفة تطفو على وجه الماء فلما ردت الى الاسكندر ملأها ترابا وأرجعها اليه فبكى الفيلسوف ونظر الى السماء ونجومها وأخذ يفكر فى مبدعها ويقول مايدل على ولوعه بذلك الجمال وشغفه بالحكمة العالية والعروج الى السماء والخلاص من العناصر الأرضية التى اقتنصت روحه فحبسته عن العالم الباقى فبلغ ذلك الاسكندر فأرسل اليه فحضر ولما دخل وضع يده على أنفه ولم يتكلم لأن الشرط أن يكون كل محاورة معه بالاشارات فحينئذ قال له الاسكندر لم وضعت يدك على أنفك قال لأنى أردت أن أقول لك مافى نفسك وهو انك لما رأيتنى أعظمتنى إذ رأيت جمال صورتى بعد أن عرفت حكمتى فخطر فى بالك انى أعظم رجال الهند فوضعت يدى على أنفى كأنى أقول لك ان الأنف أعلى مافى الوجه وأنا فى الهنود كالأنف فى الوجه قال لقد أصبت أيها الحكيم ففسر لى مادار بيننا • قال الفيلسوف ان السمن

الذى

الذى أرسلته لى كأنك تقول ان الحكمة التى أعطانيها الله لاتحتاج لمزيد فأنا مملوء حكمة فوضعت الابر فى السمن كأنى أقول أنا أتلطف وأدخل فى حكمتك حكمة أخرى ولما جعلت أنت الابر فى كرة مصمتة كان معناه أن فتح البلدان والسير فى الأعمال البشرية يعيق النفس الانسانية عن الصعود الى الملكوت فلما جعلتها أنا مرآة تظهر فيها صور المرئيات كان معناه أن نفسك وإن شغلت بهذا العالم الثقيل فانى أجلوها فلما جعلتها أنت فى الماء كان معناه أن الحوادث الأرضية تغشى عليها فلما جعلتها أنا كرة مجوفة كأنى قلت لك انى مع ذلك احتال فأرفع نفسك الى أعلى وان كانت مشغولة بالامور الجسمية فلما وضعت أنت التراب فيها أذكرتنى برجوعنا الى التراب وذهاب الأجل وتذكرت إذ ذاك ذلك الجمال الأسنى والشرف الأعلى فحنت نفسى اليه

فقال له تمنّ علىّ مالا فقال لاينبغى للحكيم أن يأخذ من أحد مالا وانما أنا أطلب منك أن تكون بأهل الهند رحيما وتقفو سنن الله فى الحكمة والعدل والجمال والكمال . وانما ذكرت لك هذه الحكاية لتعلم أن الله لم يكرر ذكر السموات والأرض ثلاث مرات فى هذا المقام إلا ليرفع من شأن الفقهاء فى الاسلام فلا يغترون بالأحكام الشرعية ولايقولون هذا هو دين الله فقط فان هذا خطأ بل يكون المقصد الأسمى ذلك الجمال الأعلى وما القضاء إلا أعمال ضرورية فى الحياة الأرضية فاذا كان الفيلسوف المذكور يتلطف مع الاسكندر ويقول أنا أجتهد فى رفع نفسك وان كانت منغمسة فى الشهوات النفسية وفتح الممالك للاغراض الاستعمارية وأبنت لك الحكمة حتى يكون لك نصيب من الشرف الأعلى والجمال الأقدس فبالأولى القرآن الذى لم يكن رأى حكيم أرضى بل تنزيل من حكيم حميد

فكأنه عزّ وجل يقول أنا ألفت عقولكم وأوجه أذهانكم الى العالم العلوى والسفلى فلايشغلنكم المال ولا البنون ولا النساء وقسمهنّ عن الامور العالية وهذا كقوله تعالى - ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - ولكن الذكر هنا يكون بالتوجه النفسى لمناظر الجمال الجاذبة للنفس فى مقابلة الجاذبة الحيوانية

أقول وسيكون فى الأمة الاسلامية من يحيون هذه الفكرة فى المسلمين واحياؤها يحيى القلوب فتقلّ المنازعات والقضايا والبينات والخصوم والشهادات فهذا هو المقصد الحقيقى من دين الاسلام بل من كل دين فى الأرض ولذلك أتى فى هذه الآيات بأنه وصى جميع الأمم بالتقوى وقرنها بذكر السموات ليهدى المسلمين الذين يجيئون بعدنا الى أن الجمال فى السموات والأرض والحكم التى تنبت فى العقول هى التى بها تشرف العقول الانسانية ويكون الصفاء والصدق غالبا عليها فأما القضايا والأحكام فانما هى حيلة الأمم العاجزة عن الفضائل الكاذبة الخاطئة فليكن دين الاسلام دين الصدق والجلال والجمال ولذلك ترى الله ذكر فى هذه السورة الشهادة على النفس وعلى الوالدين الخ كل ذلك منبعه ذلك الجمال والصفاء

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يناسب هنا أن نذكر ملخصا من علوم الديانات السابقة قبل الاسلام ويمنعنا من ذلك ماذكرناه فى سورة آل عمران فى قصة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فارجع اليها • انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

وفيه بيان أن الأمم التى غلبت عليها الشهوات وضلت سواء السبيل وعاشت ساهية لاهية غافلة يذهبها الله ويأتى بقوم آخرين كما قال تعالى - وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم - وبيان الاخلاص والصدق فى المعاملات وأهمها تأدية الشهادة بالحق ولو على النفس أو الوالد أو الولد فان الأمم التى لاصدق فى المعاملة بينها تنقضى حياتهم فى الخصومات والمنازعات ولايتفرغون للأعمال الشريفة وتضيع مصالح البلاد وتنقبض

الأيدى عن العمل ويذهب من النفوس الأمل فتأخذها الدول الأجنبية ويحل بها كل بلية وهذا يؤخذ من قوله تعالى (ان يشأ يذهبكم أيها الناس) أي يفنكم كما فني أهل أمريكا بأيدي أوروبا وأهلك أهل الأندلس من العرب وأتى بدلهم بقوم آخرين وهم الأسبانيون وكما يفعل ذلك كل قرن في الأمم والدول والممالك (ويأت) بقوم (آخرين) مكانكم (وكان الله على ذلك قديرا * من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهدين للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما باله لا يطلب أحسن الأمرين وطلب أخسهما وهو المال مع الغفلة عن النظام العام وذلك داع حثيث الى ارتكاس الأمم وذهابها فلا بقاء لأمة يريد رجالها الحياة الحيوانية فان المجموع لا يعيش ولا يسعد إلا بأناس يعملون للصالح العامة بنيات شريفة فأما اذا كان الغرض المنافع الفردية فذلك باب الخراب وموت الأمة (وكان الله سميعا بصيرا) فلذلك رفع الأمم التي عات وجهتها ويميت الأمم التي خمدت فكرتها

ومن ارادة ثواب الآخرة الشهادات بالحق وهي من أهم ما يبقي الدول والممالك لاقامة العدل فيها فلا تغني بالظلم فلذلك قال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله (ولو) كانت الشهادة (على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) فان المدار على المصلحة العامة وحفظ النظام وبقاء الدولة فليس المقام مقام أفراد يعيشون على مال غيرهم ولكن المجموع مرتبط بعضه ببعض وهو كجسم واحد لو اختل نظام أحد الأعضاء اختل المجموع فرض فمات هكذا أنتم يامعاشر المسلمين ان لم تقيموا الشهادة لله وتراعوا المصالح العامة لا تبقى أمتكم إلا قليلا فاذا كانت الشهادة صادقة وتحملتم المكروه عليكم وعلى أقاربكم وكان ذلك خلقا في الأمة عاشت عيشة راضية فلا يعتريها الفناء إلا اذا اعتراها هذا الداء والا أذهبتكم وأتيت بقوم آخرين فاياكم أن تقولوا ان هذا الغني بماله يؤذيني اذا شهدت عليه وان هذا الفقير اذا شهدت عليه اعتراه الأذى فيجتمع عليه الأمران الفقر الطبيعي والحكم المدني

فالنظام العام يقضي بهدم تلك النظريات ونبذ تلك النزعات (إن يكن) المشهود عليه (غنيا أو فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة عليه ولا تجوروا فيها ولا تميلوا ميلا (فالله أولى بهما) بالغني والفقير فالمصالح العامة هي التي بها بقاء الأمم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أي لأن تعدلوا عن الحق (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق (أو تعرضوا) عن أدائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا الخاص في أنفسكم

﴿ لطائف ـ اللطيفة الاولى ﴾

كان ينبغي أن أذكر هنا الدول الاسلامية وغيرها التي فنيت بارتكاب الجرائم وقد ذكرت جملا في ذلك عند قوله تعالى ـ أتستبدلون الذي هو أدنى الخ ـ في سورة البقرة وفي مواضع أخرى فلا نعيد

﴿ اللطيفة الثانية ـ منظر جميل ﴾

بعدما كتبت ما تقدم تقت الى ضواحي القاهرة لاجدد النشاط في الهواء النقي والنظر الى المزارع الخضرة والمناظر البهجة وأستجلي الجمال من وجوه النجم والشجر والبر والبحر وأشاهد آثار الجمال في الحقول وعظمة الجلال في مشارق النور فتمثلت في خيالي صورة عجيبة وهيئة غريبة ومنظر جميل فأردت اثباتها هنا ليحلى بها المقام ويزدان بها جيد التفسير لأنها توضح هذه الآيات فهي حلية حكمية وآية بهية وأسرار خفية أبرزها الله في هذا الزمان ليظهره على الدين كله ويكون القرآن مجلى المعاني ومسرح الأماني وبهجة العالمين وشرف الموقنين

﴿ الصورة التي تمثلتها في الخلوات ﴾

هي أني تمثلت لي ثلاثة أعمدة من الياقوت بهجات مصطفات صفا وأمامهن عمود من الماس يلمع كالكوكب الدري وبينهما حبال نورية مشرقة ممتدات من الأعمدة الياقوتية الى عمود الماس وقد علق في تلك الحبال سفط من البلور الجميل مملوء جواهر بديعة بحيث لو سقطت الأعمدة الياقوتية أو سقط العمود الماسي يسقط

السقط بجواهره على الأرض فيكسر البلور وتنفرط الجواهر فى التراب وتبعثر فى كل ناحية

﴿ تفسيرها ﴾

اعلم أن الأمم لاتحيا إلا بالمعرفة أوّلا والعمل ثانيا ولايكون العمل صالحا إلا اذا كانت النيات ولانيات إلا بشوق فى النفوس ولاشوق إلا بالمعرفة فالمعرفة أساس والنيات تتبع المعارف وعلى حسب النيات تكون الأعمال فاذا سمعت الله عز وجل يقول — من كان يريد ثواب الدنيا الخ — فليس معنى الارادة مايفهمه أكثر الناس وبعض الفقهاء فى الاسلام ولكن النية انبعاث النفوس الى مااشتاقت اليه ورضيته بعد علمها به وكما ان الانسان لايتعاطى الطعام إلا اذا جاع أوّلا وأيقن أن الحاضر لديه موافق لشهوته ثانيا لايشذ عن قابليته فتنبعث إذ ذاك رغبته الى الطعام فتكون النية ثم الأكل

فلانية إلا بعد العلم واذا فكر المهندس فى أنواع البيوت ثم رسم شكلا منها فان الذى رسمه هو الذى استحسنه فى نفسه بعد اعمال الفكر فى أنواع الصور الهندسية فقد سبق العلم بالصور الهندسية النية لعمل الصورة الخاصة التى هى نتيجة ذلك المعرفة فيكون الرسم والبناء على صورة منوية تقدّمها علم بشؤون الصور الهندسية هكذا هنا لما ذكر الله عزّوجل معاملة الرجال للنساء من قسم وصلح ونشوز واعراض وما أشبه ذلك أدخل الله فى غضون الكلام أمورا تستوجب النظر وتنبه الفكر . فياليت شعرى ماهذا التكرار للسموات والأرض فى هذا المقام وما مناسبة ان الله قادر على ذهاب الدول واستبدال سواها وأية علاقة لذلك كله بما نحن فيه ولماذا ذكر هنا الارادة وأن منها ماهو أعلى ومنها ماهو أدنى ثم نرى انه كرر السموات والأرض مقدّما وأخر ذكر الارادة وجعل الكلام على استبدال الدول فى وسط الآيات بين العلم بالسموات والارادة فاعلم أنه سبحانه وتعالى كما ذكرنا يريد أن يرينا أن هذه الأحوال النفسية والأحكام الشرعية فى الأعمال الانسانية لايجوز أن تكون سجنا نسجن فيه لئلا تموت نفوسنا فلنتصقل بالمعرفة والعلم فتشرق النفوس بالنظر فى السموات والأرض وان كانت فى سجن الطبيعة . واذا كان الفيلسوف المخلوق حاول بفطنته أن يجلو الحديد فيجعله مرآة بهية تارة وتارة يجعله كرة خفيفة والحديد معدن ثقيل مظلم فبذلك حاول أن يجعله خفيفا ومضيئا والخفة والاضاءة من شأن العوالم الجميلة ليجعل ذلك رمزا للنفوس الأرضية فى المحاورة السابقة فلننظر فى هذه الآيات كيف جعل الله عزّوجل النظر فى السموات والأرض مكررا ثلاث مرات أثناء المباحث الأرضية والأعمال الحيوانية التى انغمست فيها النفوس الانسانية أفلا ترى أن النظر فى السموات والأرض المذكور ثلاث مرات أشبه بالأعمدة الياقوتية أوليس قوله — من كان يريد ثواب الدنيا الخ — أشبه بالعمود من الماس أوليس السقط الذى فيه الجواهر أشبه بالأمّة الاسلامية فاذا لم تتشوّق الأمّة بالعلوم العلوية والسفلية الى معرفة مافى هذا العالم من جمال وبهاء وحكمة لم تنبعث لها ارادات للاعمال الشريفة فاذا سقطت أعمدة العلم أوسقط عمود الارادة خرّت الأمّة ساقطة — ولات حين مناص —

فاذا سمعت قوله صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات فاتعلم أن النيات لاتأتى بلفظ نويت وانما تأتى بعلوم وأشواق وبحث وتنقيب فاذا قال المصلى — اهدنا الصراط المستقيم — فانّ الله لايستجيب الدعاء إلا بحضور القلب بما أثر فيه من الرحمة التى لحظها فى المخلوقات عند قوله تعالى — الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن الرحيم — واذا شرع فى عمل من الأعمال النافعة للامّة فلايتم على الوجه الأكمل إلا بعلم يتقدّمه والعلم هو الذى يحدث النية فالنية نتيجة العلم والأمّة بين العلم والنية اذا لم يكونا أولم يكن أحدهما خرّت صريعة لليدين وللفم فهذا سرّ هذه الآيات . وهذه صورته

الأمة

فاذا لم يكن علم أوشوق الى عمل
سقطت الأمة ان يشأ يذهبكم الخ

وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الأرض الخ

هذا هو الذى خبأه الله فى القرآن وكنزه فى الآيات ليظهر فى هذا الزمان وليكون هناك جيل فى الشرق لم تحلم به الدهور ولم يعلمه الجهور فأما الفقيه فانه لايعرف من هذه الآيات إلا أحكام القسم والنشوز والصلح والاعراض وأن الرجل يجب عليه أن يحسن العشرة مع المرأة ويجمع بين الأحاديث ويستنتج ثم يقف عند حدّ ذلك وأما العالم الاسلامى الذى سيكون فى هذه الأمّة بعد الآن فسينظر ويقول انا نرى الله خلق النبات وجعله قوت الحيوان والانسان ومع ذلك قد جعل الله فيه حكما تدق عن العقول يفرح بها العالمون والذى خلق النبات هو الذى أنزل القرآن بطريق الوحى فأنا ان قصرت همى على المباحث الفقهية صرت كالعامّة لايعنينى إلا مثل ماتتعاطاه الدواب ويفرح به الجهلاء فى النبات وان تدبرت فى ذكر السموات والأرض وكيف كررت فى هذا المقام وكيف ذكر ذهاب الدول وانه يأتى الله بقوم آخرين فانى أقول الحق وهو أحق أن يتبع ان هذا القول له مغزى شريف ومعنى رفيع وكما كان فى النبات غذاء الحيوان وحكمة الحكماء هكذا ــ ولله المثل الأعلى ــ كان هذا القرآن فيه المسائل الفقهية لنظام الحياة الانسانية وفى نفس الآيات النازلة لذلك أشرقت شمس العلوم ونظام الحكمة وتجلت للناظرين من آفاق الجلال بالحكمة والكمال ولعمرى ان الآخرة خير لنا من الأولى واذا تجلت الحكمة والجلال الأفقى فى العالم العلوى والسفلى قل النزاع وكثر الحب فلامحكمة ولامحاكم ولانزاع ولاجدال بل يشرق النور على هؤلاء المتشاجرين فالقضايا والدعاوى انما تكون من الجاهلين فالشرع الحقيقى هو العلم الالهى والنظر الحكمى والله يؤتى الحكمة من يشاء ــ والله واسع عليم ــ اهـ الفصل الثالث

﴿ اللطيفة الثالثة ـ عجائب العلم الحديث فى هذه الآيات ﴾

(وبيان مافيها من الرموز والاشارات ومعجزات القرآن فى القرن العشرين)

يقول الله ـ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط الخ ـ يأمرنا أننا اذا قتلنا أوسرقنا أوزنينا ووقفنا تحت آلات القتل نقرّ واذا رأيت أبى واقفا وآلة الشنق منصوبة له أقول ان أبى قاتل ولا أخجل ولا أخاف كل ذلك يأمرنى به الله . يأمرنا الله بما لم يشهد أحد عمله إلا نادرا جدا وليس فى النوع الانسانى من يبادر الى ذلك إلا فى النادر ولكن الله سبحانه انما يريد أن يعيش الناس بسلام ووئام ويكونوا اخوانا لتحلو الحياة ويكون الصفاء

فهل لك أن تسمع من العلم الحديث والكشف الغريب مايجعل هذا الاقرار أمرا متداولا . هل لك أن تقرأ مارسمته الدول المعاصرة لنا وما كشفوه فى هذا المقام حتى تحكم أنهم اذا ساروا على هذا المنوال سنين أصبح مايقوله الله الآن أمرا معتادا ويقرّ الانسان على نفسه وعلى أمّه وعلى أبيه وعلى قريبه وعلى ملكه وعلى اللص الذى سرق معه بل يصبح الناس لاسرقة عندهم ولا قتل إلا نادرا ويزول الكذب فى الشهادات وتصدّق الأحكام . فلأذكر لك ثلاث مسائل

﴿ المسألة الأولى الاقرار بمصل الصدق ﴾

وأصل هذا المصل أن طبيبا يسمى الدكتور هاوس من المختصين بالتوليد وعادة الأطباء أنهم اذا رأوا امرأة تعسر وضعها حقنوها بهذا المصل المسمى (اسكو بلامين) فلاحظ أثناء الحقن والمرأة تضع وهى لاتحس بألم انها تفشى أسرارا ما كانت تنطق بها عادة بل تلك الأسرار من أكبر الفضائح والعار فتوجه الى رجال الحكومة وأحضروا من السجون نحو خمسمائة مسجون وحقنوهم بالمصل كما تحقن الوالدات واستنطقوهم فكانوا يجيبون اجابات صريحة ويخبرون بالحقائق كما هى ولم يجدوا فى جميع من سألوهم كلمة واحدة تخالف الصواب ولما أفاق أولئك الرجال دهشوا لما علموا أنهم أجابوا بالحقائق التى أنكروها قبلا وقد قال العلماء فى ذلك أن استعماله سيفضى الى اخلاء السجون من الأبرياء ولقد وضعوا الرجال المتهمين على موائد كما توضع المرضى وحقنوهم ثم سألوهم فى معارض حضرها رجال القضاء والطب فأسفرت عن النتائج عينها ويقولون انه فى بلاد الانجليز التى كشف فيها هذا المصل يقدم عشرة متهمين للمحاكمة فلايحكم إلا على واحد لثبوت التهمة ويبرأ الباقى ومتى حقنوا بهذا المصل ظهر الحق من المبطل وأيضا يقبض على الثلث من المقبوض عليهم خطأ ويبرؤن فيما بعد فهذا المصل ينفى التهمة ويخرجهم وليس هذا نافعا لانكلترا وحدها بل للعالم قاطبة متى انتشر فى الكرة الأرضية

﴿ المسألة الثانية ﴾

ان الجناة يعرفون فى العالم الانسانى الآن بآثار الابهام وذلك أن بلادنا المصرية جعلت ادارة خاصة لآثار الأصابع وجعلتها أصنافا وأنواعا بحيث ان الانسان ليس يكون أثر ابهامه له مشابه آخر فى الشرق أوفى الغرب ولذلك تراهم يأتون بالمذنبين ويأمرونهم بوضع أصابعهم على الورقة وهى ملوثة بالحبر فهذا الأثر يدل على صاحبه لايشاركه فيه سواه . هكذا الأقدام فان عرب البادية فى بلادنا يعرفون الناس بآثارهم كالقدماء من العرب الذين كانوا يقصون الأثر فكل امرئ له قدم بصفات خاصة لايشاركه سواه

﴿ المسألة الثالثة ﴾

لقد ظهر فى أمريكا وفى أوروبا علم يقال له (علم السيكومترى) أعنى علم قياس الأثر وقد استعملت هذه اللفظة سنة ١٨٤٢ وهى مشتقة من لفظة يونانية (سيكى) أى النفس و (مترون) أى قياس ومعناها اللفظى قياس النفس

وقالوا فى هـذا العلم انه لايقع ظل على حائط من دون أن يترك أثرا فيه يمكن اظهاره بالوسائل الصناعية وكل غرفة تظن انها محجوبة عن العيون فيها آثار كل ماحصل فيها ولو من مئات السنين بل كل حجر وشجر ومدر توجد عليه رسوم ماحصل عنده من خير أوشر فكل حركة وكل فكرة تصدر من الناس ترسم على ماحولهم فكأن هناك صورا لطيفة لاعدد لها ثابتة على جميع الأشياء لاتزول بمرور القرون والدهور

قال الدكتور جون وليم مؤلف كتاب سر تقدم أوروبا مايأتى (بعد أن أفاد معنى ماتقدم) ويمكننى أن أصرح بأن صدى العبارات التى قالها الواحد منا يمكن أن يسمع بعد مرور الأعوام العديدة على موته ويبقى من بعده عظة لأولاده

ثم ان هذه الصور والآثار التى أشار اليها دربير قد تظهر بهيئة أفكار تطرأ على الأذهان فكل فكر من أفكارنا وحركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا يترك حتما أثرا لاتمحوه الأيام . ثم قال وأنا أصرح بأن البارع فى هذا العلم يمكنه اذا سئل أن يصف عيشة اى انسان بمجرد مايرى أثرا من آثاره أو يسمع بعضا من أقواله أو يتأمل فى مكان يقيم فيه أو يتردد فقط عليه

وقد كان الاستاذ دانتون زوجته وأولاده وأخته جميعهن بارعات فى قياس الأثر فتى أعطاهن شعرا من شعر انسان أو أى شئ من آثاره قصوا أثره وقد أثبتوا أن فى كل عشرة من الرجال وفى كل ست من النساء واحدا يقدر أن يتعلم هذا العلم بسهولة ثم العالم دانتون وثق بهذا العلم بعد أن جربه . مثلا أعطى قطعة من حجر من الأحجار الساقطة من الجو الى حماته فقالت انى أرى أشياء تشبه النجوم والندى ويخيل لى أنى صاعدة الى فوق ثم أعطاها لزوجته فى مكان آخر وهى لاتعلم فقالت مثل ماتقدم ثم وضعه فى صندوق مع أحجار كثيرة وأمر زوجته أن تلتقط كل حجر وتصفه فصارت تصف كل حجر ومدر وتقول هذا من بلدة كذا وحصل عنده كذا وكذا وهذا من المكسيك وهذا من رومه وهكذا ومنها حجر من جبل الزيتون فوصفت أورشليم وصفا جيدا ولما وصلت الى الحجر الذى سقط من الجو وصفته كما وصفته أولا اهـ

انظر الى هذه المسائل الثلاث بعقلك وتفكر فيها ألست ترى أن المسألة الأولى هى التى تحقق اقرار الانسان على نفسه وعلى أبويه وتكون الأمم أقرب الى السعادة منها الآن واذا كان هذا الكشف الحديث يعم العالم ويظهر صدقه أفليس ذلك يكون مما يجب علينا الأخذ به متى تحققنا أن مايقوله الفرنجة حق لاخطأ فيه فلسنا نحن نأخذ بقولهم بل نجرب تجاربهم ونعمل بها بعد التحقق واذا كان النوع الانسانى ليس عنده من الصدق والأمانة مايحمله على الاقرار على النفس والأهل أفلا يكون أمثال هذا المصل (اذا صح مايقال) من أوجب الواجبات على أئمة الاسلام . بل أقول فوق ذلك انه يجب على أمراء الاسلام والمجالس النيابية أن يظهروا رجالا فى العلوم ويمدوهم بقوتهم حتى يكشفوا ويخترعوا وينظروا وكفانا نوما فقد نامت عقول المسلمين آمادا طويلة

﴿ اعتراض على مؤلف هذا التفسير ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد العلماء واطلع على ما كتبت فأظهر أشد الاستياء وقال ياسبحان الله كيف تجيز أن نأخذ بقول من حقنوا بهذا المصل وكيف نأخذ بأقوال من فقدوا الارادة إن هذا القول هراء عجبا لك كيف تقول ذلك والله عز وجل يطلب أن نقر على أنفسنا وأهلنا بمحض ارادتنا وأما أنت فانك تقول يكفى أن يسلبوا عقولهم كالمجانين ثم يقرون وهذا لايقرك عليه العقلاء ولا الجهلاء وهو أشبه بالخرافات وأقرب الى الضلالات

﴿ الجواب ﴾

فقلت له حياك الله وبياك فهل اذا أقمت لك دليلا على ما أقول من كتاب الله تعمل به فقال بشرط

ان

أن يكون مقنعا . فقلت له أليست ترى أن الله أحكم الحاكمين قال بلى قلت أفليست ترى أنه مطلع على مافى ضمائرنا قال بلى * قلت لقد قبل هو الشهادة من الأيدى والأرجل وحكم بها فمن باب أولى الذين هم ليسوا بأحكم الحاكمين وهم قضاة البشر ألم تر الى قوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وقوله أيضا - حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون - وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون - وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون - وفى آية أخرى - اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم الخ - فاذا كان الله قبل هذه الشهادة من الجلود والجوارح بالرغم من أصحابها وهم يعاتبون أعضاءهم على ذلك صريحا فكيف لا تقبل من يحقق بالمصل ويشهد بالحق ويكون حكم القضاة حقا لاريب فيه بخلاف الأحكام الحاضرة فانها ظنية لأن الشهادات لاتثبت الحقيقة أوليس الاستدلال بآثار الأقدام وآثار أصابع الأيدى فى أيامنا الحاضرة هو نفس الذى صرح به القرآن واذا كان الله يعلم مافى البواطن بل هو القائل للانسان - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - والقائل - بل الانسان على نفسه بصيرة -

أفلا يكون ذكر الأيدى والأرجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا أن من الدلائل ماليس بالبينات المشهورة عند المسلمين وان هناك ماهو أفضل منها وهى التى يحكم بها الله فاحكموا بها ويكون ذلك القول لينبهنا ويفهمنا أن الأيدى فيها أسرار وفى الأرجل أسرار وفى النفوس أسرار فالأيدى لا تشتبه والأرجل لاتشتبه فاحكموا على الجانين والسارقين بآثارهم والألسنة تنطق بالحق متى أتمت البصيرة النامة بهذا المصل أو بغيره . أوليس فى الحق أن أقول ان هذا من معجزات القرآن وغرائبه والا فلماذا هذه المسائل التى ظهرت فى هذا العصر تظهر فى القرآن بنصها وفصها والمسلمون كانوا غافلين عنها كما غفلوا عن منع الخمر والربا وقامت الأمم الغربية بهذا خير قيام

أوليس قوله - قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ - يشير الى ماكشفه علماء أوروبا وأمريكا فى علم (السيكومترى) المتقدم وأن كل فكر من أفكارنا وقول وعمل يرسم بصور غير محسوسة على الحيطان والأبواب والأحجار ويقرؤه قوم بعد آلاف السنين ويفهمون حوادثنا التى فعلناها . أليس هذا من معانى النطق التى جعلها الله فى كل شئ أوليس ذلك يفسر لنا كثيرا من أسرار ديننا مثل ان المؤذن يشهد له ماحوله الى غاية ماوصل اليه صوته . ولقد علمنا أن أستاذا فى المدرسة الأمريكية معه آلة لها مفتاح فاذا تكلم فتحها وبعد انتهاء المجلس أو الخطابة يستمع لتلك الآلة فتلقى له القول كما قاله فاذا وجد خطأ فى الحديث أرسل لأصحابه مايكمله وهذا موجود فى زماننا الحاضر بل المدرسة قريبة من بيتى الذى أسكنه بينهما نحو كيلومترين وهذه الآلة استحضرها من أمريكا وهو أمريكى الجنس

وأقول لعل هذا العلم هو الذى ورد فى حديث الترمذى عن أبى سعيد الخدرى وان لم يرد فى الصحيحين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده ومعنى عذبة سوطه المعلق فى طرفه اهـ

ومعلوم أن الآلة التى تسترق السمع المذكورة يمكن أن تسمع كل شئ حولها فى المكان حتى الهمس الذى يهمس ثم يكبر الصوت كما يكبر المبصر سواء بسواء اهـ

فعلى المسلمين أن يفتحوا أعينهم فليس لهم أن يقعوا على الجهالة البتراء وليعلموا أن دين الاسلام فيه أبواب واسعة ماطرقوها وعرفها الغربيون والطرفان يجهلان أن تلك الأبواب فى القرآن

﴿ الفصل الرابع ﴾

(يا أيها الذين آمنوا آمنوا) خطاب لجميع المؤمنين (بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والذى أنزل من قبل) أى اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه ولتوافق قلوبكم ألسنتكم فان منكم من لم يثبت ايمانهم لأنه لاعلم لديهم يثبت عقائدهم وهذه العقائد المزلزلة هى التى جعلتهم معرضين عن خلق السموات والأرض التى تقدم الكلام عليها فزلزلت نياتهم وذلك يؤول الى انقراض تلك الأمم الزائغة كما تقدم فى الآيات السابقة وهؤلاء هم المنافقون الآتى بيانهم فيما سيأتى من الآيات فلذلك أتبعه بقوله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه لأن اتحاد العقائد يدعو الى اتحاد القلوب فتتحد المشارب فتكون الحياة الدنيا منظمة وتتبعها الأخرى والايمان بجميع الأنبياء يدعو للاتحاد ولو أننا كفرنا بنبى من الأنبياء السابقين لكان ذلك مورثا للتقاطع والتدابر مع الأمم المنتسبة اليه ولو بحسب الظاهر ولكن احترام الجميع أدعى للوئام فما بالك فيما بين المسلم وأخيه فليكن اتحاد العقائد والا ضل الانسان وحاد عن الجادة فبتر من مجموع الأمة وسلك مفازة فغايرهم فى الأخلاق والطرائق

هذا هو الاسلام أما الفرنجة فانهم استبدلوا بالدين الوطنية وجعلوا الأمة مرتبطة بالوطن لا الدين وقالوا الوطن يوجب الاتحاد وهناك جامعات أخرى كاللغات والملك الجامع والاشتراك فى ملك واحد وما أشبه ذلك فليكن كلامنا فى الجامعة الدينية التى نحن فيها وهى ترجع الى الاتحاد فى العقائد واعلم أن هذه الآية تمهيد لذكر المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ولذلك أتبعه بقوله (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) وهؤلاء هم المنافقون كفروا فى العمر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وعلى التمادى فى افساد الأمر على المؤمنين ثم رتب عليه قوله (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) وضع بشر موضع أنذر للتهكم بهم * قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الأعمال المترتبة على تزلزل العقائد فقال (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة) أى أيتعززون بموالاتهم ومودتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز إلا من أعزه الله وقد كتب العزة لأوليائه فقال — ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين — فعزة غيرهم لايؤبه لها ثم زاد تفصيلا لهذه المخالفات المبنية على زلزلة العقائد فقال فى سورة الأنعام (وقد نزل عليكم فى الكتاب) أى القرآن وأنتم بمكة لما كان المشركون بها يستهزؤن — واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره — فلما هاجرتم الى المدينة أخذ اليهود يستهزؤن كما استهزأ أهل مكة فكيف لاتعرضون عنهم اذا خاضوا وهذا قوله تعالى (أن) أى انه فهى مخففة من الثقيلة (اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) فى الاثم لأنكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أوفى الكفر اذا رضيتم بقولهم وطعنهم فى الاسلام وهذا هو النفاق (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) فالقاعد والمقعود معه فى النار مجموعين (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع أمر بكم وهو صفة المنافقين (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب التى تكون سجالا عادة (قالوا ألم نستحوذ عليكم) أى قالوا للكافرين ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء (ونمنعكم من المؤمنين) بأن خذلناهم وتوانينا فى نصرهم والتعبير بالفتح فى جانب المسلمين والنصيب فى جانب الكافرين اشارة لشرف الأول وخسة الثانى لأنه أمر دنيوى (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أى حجة يوم القيامة على قول على وابن عباس رضى الله عنهم وقال كثير من العلماء فى الدنيا فلا تفنى دولة الاسلام بحيث تمحى من الوجود بالكلية فيستبيحوا

بيضتهم فلا يبقى منهم أحد وقد قال بعض العلماء ان معنى ذلك أن شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وفرعوا على ذلك مسائل فقهية مثل ان الكافر لا يرث المسلم واذا استولى كافر على مال مسلم لا يملكه وان الكافر ليس له أن يشترى عبدا مسلما وأن المسلم لا يقتل بالذمى على رأى وأنت تعلم أن قول على وابن عباس أنسب لسياق الكلام ثم أخذ يصف النفاق فى العبادات بعد النفاق فى السياسة فقال (إن المنافقين يخادعون الله) يعاملونه معاملة المخادع (وهو خادعهم) مجازيهم (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) متثاقلين إذ لا يرون لها ثوابا فكيف يتعبون أنفسهم فكأنهم مكرهون على الفعل (يراءون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة (ولا يذكرون الله إلا قليلا) فان المرائى لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه والمراد بالذكر ما يشمل الصلاة والذكر فى غيرها فهم يصلون ويذكرون بحضرة من يراءونه حال كونهم (مذبذبين بين ذلك) متحيرين مترددين (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب * ثم أمر المؤمنين أن لا يفعلوا مثل ما فعل المنافقون من موالاة الأعداء فان هذا يضيع البلاد فقال (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) وكيف تفعلون ذلك (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فيعاقبكم بضياع دولكم وهذا العقاب طبيعى لأن موالاة الأعداء تمزق شمل الدولة وهو الحاصل الآن فى الأمم الاسلامية فلعمرك لا تجد أمة فرنجية احتلت بلادا اسلامية إلا باتحادها مع بعض أفراد أهل البلاد ولن يقدر الفرنجة أن يعيشوا يوما واحدا فى الشرق إلا بمساعدة أهل البلاد فلذلك ابتلعوا ثروتنا وأخذوا ملكنا فهذا هو السلطان المبين والحجة الظاهرة ولما كان ذلك خلق المنافقين أردفه بانذارهم وتخويفهم فقال (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وهى الطبقة التى فى قعر جهنم والدرك بسكون الراء وفتحها قراءتان (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (إلا الذين تابوا) عن النفاق (وأصلحوا) ما أفسدوه من أحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم الا وجه الله (فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما) فيساهمونهم فيه • ثم أفاد أن كل ما ذكر من عقاب المنافقين والكافرين ليس تشفيا من غيظ ولا انتقاما من عدو (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا) مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل (عليما) بحق شكركم وايمانكم وكيف يكون ذلك والناس جميعا مخلوقون له تعالى وانما ينزل الكتب السماوية ويسلط الآفات الحيوية والحوادث السماوية والأرضية بحسب النظام العام لاستخراج ما كمن فى النفوس من الغرائز والعجائب الحكمية حتى تخلص من الطبيعة وترقى الى عالم الجمال وتتبرأ من المادة هذا هو العقاب وكما أن من الأجسام ما لا يذوب الا على درجة ١٧٧٥ من الحرارة كالبلاتين ومنها ما يذوب على درجة الصفر كالماء المقطر هكذا النفوس الانسانية منها ما لا يظهر ما فيها من الجمال الا بعد عناء وتعذيب ومنها ما يظهر بأدنى التفاتة اليها فهؤلاء المنافقون وكثير من العصاة أشبه بالبلاتين فيعذبون فى الدنيا بالانذار والتخويف وفى القبر وفى جهنم ثم يخرجون منها كما فى الحديث الآتى ومنهم من لا يحتاج الى شئ من ذلك ويكفيهم أدنى اشارة كالصديقين وعظماء الأمم فهم كالماء المقطر بالحياة وليس البلاتين مع صلابته عديم المنفعة بل له مصالح نشاهدها كذلك أصحاب هذه القلوب الجاحدة الفاجرة خلقوا للنظام العام فليس الله مبغضا لأحد فيعذبه بل هو رب العالمين ومصلح لخلقه فليس يعذب انتقاما بل يصلح الناس إصلاحا • ولنا أن نمثل ذلك أيضا بقابلية توصيل المعادن للحرارة

أن الأجسام على قسمين أجسام موصلة للحرارة توصيلا جيدا وأجسام رديئة التوصيل للحرارة فالمعادن موصلة جيدة للحرارة بل هى أكثر الأجسام الصلبة توصيلا للحرارة وغير المعادن كالخشب والزجاج والفحم والصوف والحرير وجميع الأجسام العضوية رديئة التوصيل للحرارة • والمعادن درجات بعضها فوق بعض فى توصيل الحرارة فاذا فرضنا توصيل الفضة للحرارة مائة فان البزموت (هو أحد المعادن) يكون ١٫٨

والبلاتين ٤ ر ٨ وهكذا • ولأرسم لك الجدوابن جدول الصهر والذوبان وجدول توصيل الحرارة

جدول الذوبان

الأجسام	درجات الانصهار	الأجسام	درجات الانصهار
الالنيم	٦٢٥	الفسفور	٢ ر ٤٤
البلاتين	٧٥ ١٧	الفضة	٥٤ ٩
حمض الستياريك	٧٠	القصدير	٢١٠
الخارصين	١٥ ٤	الكبريت	٥ ر ١١٤
الذهب	٧٥ ١٠	ماء البحر	٥ ر ٢
الرصاص	٢٦ ٢	الماء المقطر	•
الزئبق	٥ ر ٣٩	النحاس	٥٤ ١٠

جدول توصيل الحرارة في المعادن باعتبار أن توصيل الفضة لها معتبر مائة درجة وهي مرتبة فأعلاها توصيل الفضة وأدناها البزموت

المعدن	الدرجة	المعدن	الدرجة
الفضة	١٠٠	القصدير	٥ ر ١٤
النحاس	٦ ر ٧٣	الحديد	٩ ر ١١
الذهب	٢ ر ٥٣	الرصاص	٥ ر ٨
الشبه	٦ و ٢٣	البلاتين	٤ ر ٨
الخارصين	١٩	البزموت	١ر٨

واعلم أن الناس يشاهدون بعض ما في هذه الجداول ولا يفكرون فيها فانهم يصنعون مقابض للقدور وأواني الشاي وغيرها من كل ما تغلي فيه السوائل من خشب لأن الخشب موصل رديء للحرارة أي ان الحرارة لا تسري فيه بسرعة ولو كانت تلك المقابض من نفس المعدن لسرت الحرارة فلم يمكن التصرف فيها بالقبض عليها واستعمالها فالخشب خير وقاية لذلك فالموصل الرديء للحرارة نعمة علينا كما أن الموصل الجيد كالحديد والنحاس نعمة علينا فلله علينا الفضل في الخشب الموصل الرديء للحرارة وفي المعادن الموصلة الجيدة فكلاهما نعمة وكلاهما لا بد منه لحياتنا وترى الناس يغلفون أنابيب المياه الحارة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التي قد تكون معرضة للهواء من مراجل بعض الآلات البخارية بغلاف من الفلين أو خليط من طين بتبن أو طين بشعر أو نوع من طوب قد صنع من فتات الفلين كل ذلك لان هذه موصلة رديئة للحرارة أي الطين المخلوط بالتبن والطين المخلوط بالشعر مثلا يمنعان و يحبسان الحرارة في المراجل فلا تتبعثر في الخارج فهذه الأجسام الرديئة التوصيل الحابسة للحرارة أشبه برعاة الغنم والأمراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأمم

ولعمري ان نعمة العلم والحكمة أجل من الدنيا ومن فيها وأي خير في الحياة اذا لم نطلع على هذه الحكم والعجائب فالجاهل يتعثر في الأوهام والعالم يرى العالم كله جمالا وكمالا فاذا رأى جسما يذوب سريعا كماء البحر وجسما يحتاج لزمن متوسط كالفضة وآخر يحتاج الى زمن أطول كالبلاتين وهكذا في توصيل الحرارة أدرك بعلمه وعلم بفطنته في العالم المشاهد أن البلاتين والفضة والنحاس لو ذابت سريعا ما أمكننا الانتفاع بها ولم تصبر الفضة على الحرارة الجوية التي نعيش فيها وهي تختلف من صفر الى ٤٠ و ٥٠ وهكذا النحاس لو أنه يذوب سريعا ما أمكننا

ان

أن نوقد عليه النار لنطبخ فيه الطعام بجموده وعدم ذوبانه بالحرارة النارية منفعتنا فاذا كان الماء يسيل على درجة ٢،٥ والنحاس لا يظهر الا على درجة ١٠٥٤ فهذان معا لمنافعنا فلو علا الماء عن الذوبان أو سهل ذوبان النحاس لكانت الحياة لا تطاق

عجبا أيها الناس عجبا أيها المسلمون ما لنا نعيش فى جو مملوء من الحكمة ونحن ساهون لاهون يا قوم أليس العلم نلمسه بأيدينا ونحن نائمون حقا ان الانسان لظلوم كفار حقا ان الانسان لجهول حقا ان المسلمين فى المستقبل خير من كثير من الأمم السابقة انهم سيطلعون على ما أذكره الآن ويبرعون ويعرفون عجائب هذه الدنيا التى غفلت عنها الأمم السالفة التى نزل اليها القرآن وهم نائمون بعد الصدر الأول الذين اشتعل الايمان فى قلوبهم فطاروا الى الأقطار وسيشتعل العلم فى قلوب أبنائنا بعدنا فيطيرون الى عوالم الجمال والكمال ويقرؤن عجائب ما حولنا والله اننا لفى جو من الجمال والحكمة — وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون — فهل لك أن أسمعك الحديث الذى رواه مسلم ويذكره المفسرون عادة فى الآية المتقدمة فى هذه السورة — وان تك حسنة يضاعفها — ولكن أذكره لك الآن لترى ان نظام الله فى أحوال النفس الانسانية أشبه بنظامه فى أحوال المخلوقات الطبيعية سواء بسواء — ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت — ولا اختلاف بل هو عالم متجانس متحد الوجهة. العالم الروحانى أشبه بالجسمانى فى النظام والترتيب. فالذين نسميهم عصاة لم يخرجوا عن كونهم قوما لهم درجات مختلفة كاختلاف المعادن انصهارا بالحرارة وتوصيلا لها. وذلك لمنافع كثيرة فلو كان الناس كلهم على نسق واحد لاختلت أمور هذه الحياة فاذن لا تجزع ولا تتألم لما ترى من الاختلاف. واذن أسمعك الحديث بعد أن اطلعت على الطبيعة

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار وفى رواية يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر أو أخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث

ألست ترى أن اختلافهم فى مرورهم على الصراط ما بين طرفة العين والريح وأجاويد الخيل أشبه بما ذكرناه وان نفس النبوة قد جعلت الحركات الطبيعية واختلافها كاختلاف الخلوص من الذنوب والعروج الى مستوى

السعادة فلم يكن هذا العذاب الا للتهذيب واذا كانت شفاعة الشافعين المذكورة فى الحديث بعدمافهمتها فى سورة البقرة بما يناسب رقى الأمة الاسلامية هناك توجب خروج طوائف كثيرة من العصاة من جهنم ورقيهم فان الله بما أودع فى هذا العالم من النواميس الطبيعية يهذب كثيرا من النفوس بالحوادث الطبيعية وينقيها بما يصيبها من الأوجاع والأمراض والأحزان فتخف الأرواح وتطير الى العلا فالعلوم مهذبات والديانات مهذبات والحوادث مهذبات والمقصود التام خلوص النفوس من عالم الطبيعة قال تعالى ـ لتركبن طبقا عن طبق ـ الى عالم السعادة والهناء والحياة الروحية فاذا كان البلاتين والماء لاسبيل الى ذوبانهما أوغليانهما الا بالحرارة فالسبل الى رقى النفوس الانسانية متشعبة فتارة تكون بالدين وأخرى بالعلوم التى يطلبها الدين وأخرى بالمصائب والحوادث وما أشبه ذلك هذا هو السر المصون فى حكمة العذاب الذى قد تجلى الآن بأجلى بيان وبه تعلم معنى هذه الآية التى نحن بصددها ـ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ـ فالله لم يخلق الخلق ليفرح بغيظهم أو يشمت فى مصائبهم كلا بل هو الله الرحمن الرحيم الذى خلق الخشب الذى لايوصل الحرارة ليكون واسطة نمسك به الاناء الذى فيه الشاى كما خلق الغلاظ الجفاة من الرجال الأقوياء البنية ليقوم بهم نظام الحياة فتارة يهذبون بالديانات وتارة يهذبون بالحوادث وتارة يهذبهم عذاب بعد الموت أوفى جهنم واذا خفت نفوسهم خرجوا كما يخرج الفرخ من البيضة والجنين من بطن أمه فى أمد معلوم وكما يخرج النبات من الحب والبزور هذا فى المؤمنين معلوم أما فى عذاب الكفار الذى يكون مخلدا فلعلك تقول لم يعذبهم وهم عباده • واذا قلت لنا ان الله لاعذاب عنده وانما هو إنضاج وطبخ وصهر وترقية فأين الترقية فى عذاب الكافرين • أقول لك كفاك ماذكرته الآن ولا أزيد فكفى ولكن أشير عليك بقراءة كتاب ﴿فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة﴾ للامام الغزالى • واعلم أن أكثر الناس عن العلم محجوبون وبالله جاهلون وعن الطبيعة التى خلقها غافلون

واذا كان أهل أمريكا قد جعلوا السجون مواضع للتهذيب ويحيطون المسجون بجميع أنواع الرأفة حتى اذا ظهرت عليه علامات الكمال أخرجوه وهكذا نرى الناس قد عرفوا أن الذنوب لم تكن الامن فعل البيئة والتربية والأحوال المحيطة بالانسان وأنه لاموجب للتعذيب فلذلك جعلوا المسجون يغتسل ويتنظف ويتعلم صناعة لانه ثبت عندهم كما قاله بنتام أنه لايقترف الذنوب الا الذى لاعمل له أو الذى لانظافة فى جسده فلذلك ترى السجون فى بلادنا المصرية تفعل بعض هذا نقلا وتقليدا لأهل أوروبا اذا كان هذا كله حاصلا فى النوع الانسانى فما بالك بالله تعالى • أفلا ترى أن يكون فعله تهذيبا لاتعذيبا وأن يكون قول نبينا صلى الله عليه وسلم فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة رمزا لحال يراها الناس بعد هذه الحياة وتكون تلك أشبه بمدرسة يتربى فيها الجاهلون الذين لم تهذبهم الحياة الدنيا وتكون سلسلة الحياة كسلسلة المدارس المنظمة درجة بعد أخرى وتكون كباب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فالحياة فى الدنيا ظاهرها عذاب وباطنها رحمة وهكذا تلك الحياة التى يحياها العصاة بعد الموت وهم ناقصون وأن الى ربك المنتهى

هذا ولما كان ذكر المنافقين وذمهم فى الآيات السابقة تعريضا لاتصريحا أردفه الله بما يفيد أن الجهر بالسوء من القول لاينبغى ولكن من ظلم بالبناء للفاعل يفعل مالايحبه الله تعالى فيجهر بالسوء من القول وقرئ بالبناء للمجهول بمعنى أن من ظلمه أحد فتظلم منه لمن يدفع عنه الظلم فلاعقاب عليه ولاذنب ثم قال (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (إن تبدوا خيرا) طاعة وبرا (أو تخفوه) أو تفعلوه سرا (أو تعفوا عن سوء) لكم أن تؤاخذوا عليه (فان الله كان عفوّا قديرا) يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته فلتقتدوا به ولاتجهروا بالسوء من القول وان كنتم مظلومين وقد رخصت لكم فى الجهر فان ذلك من مكارم الأخلاق ولقد فعلت ذلك مع المنافقين فلم أصرح بأسمائهم فى الآيات السابقة لعفوى عنهم ولاستجلاب قلوبهم الى المودّة الدينية (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون

نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا)
طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فالايمان بالله لابد معه من الايمان بالرسل
وتصديقهم فيما بلغوا (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون فى الكفر (حقا) مصدر مؤكد لغيره (وأعتدنا
للكافرين عذابا مهينا) ثم ذكر أضدادهم فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) ودخول
بين على أحد مع أن بين يقتضى متعددا لأن أحدا وقع فى سياق النفى فصار عاما (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم)
الموعودة لهم (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم فيضعف حسناتهم انتهى المقصد الثامن

(المَقْصِدُ التَّاسِعُ)

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ
ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ
الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا
لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * فَبِمَا
نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً
عَظِيماً * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ
وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى
الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً * إِنَّا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً
قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً *
رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً *

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا * إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا * إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا * يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما * يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا * يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما * يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم *

﴿ فى هذا المقصد ثلاثة فصول ﴾

الفصل الأول • تقريع اليهود على الطامات التى ارتكبوها وهى قريب من ١٦ ذنبا من قوله ـ يسألك أهل الكتاب الى قوله أجرا عظيما ـ

الفصل الثانى • فى بيان أن الرسالة اللاحقة كالسابقة كلها بالوحى وتعداد بعض الأنبياء والوعظ باتباعهم من قوله ـ إنا أوحينا اليك الى قوله وكان الله عليما حكيما ـ

الفصل الثالث • فى خطاب النصارى وتقريعهم على ضلالتهم فى شأن المسيح وأنه ليس ثالث ثلاثة وفى خطاب المسلمين أن يعطوا كل ذى حق حقه فى الميراث من قوله ـ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم الى آخر السورة ـ

﴿ الفصل الأول ﴾

هذا الفصل فيه الذنوب التى ارتكبها اليهود قديما ولقد تقدم كثير منها فى سورة البقرة ولكن ذكرهنا

نحو ١٦ ذنبا لتعنت الأحبار منهم على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا فائتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة فقال الله لا تطمعن في إيمانهم يا محمد فانهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء ما آمنوا بك وكيف يؤمنون وقد لقي موسى منهم مالقي والذى لقيه أشد مما لقيت منهم

(١) فهم قالوا له (أرنا الله جهرة) عيانا وتقدم هذا في سورة البقرة (فأخذتهم الصاعقة) وهي نار من السماء فأهلكتهم

(٢) (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) المعجزات والعجل كان من ذهب صنعه لهم السامرى فعبدوه وتركوا عبادة الله (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) حجة واضحة تدل على صدقه

(٣) (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أي رفعنا الجبل المسمى بالطور فوق رؤسهم لما لم يقبلوا التوراة حتى يخافوا فقبلوه وهذه الأمور كلها لا ينكرها اليهود فهي حجة عليهم

(٤) (وقلنا لهم) والطور يظلهم (ادخلوا الباب سجدا) أي ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم فخالفوا ودخلوها وهم يزحفون على أستاههم

(٥) (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) أي وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الحد الى مالا يحل لكم فلا تعملوا عملا فيه لا صيد سمك ولا غيره فاصطادوا السمك فيه

(٦) فنقضوا ميثاقهم ففعلنا بهم مافعلنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد والتقدير فعاقبناهم بنقضهم ميثاقهم

(٧) (وكفرهم بآيات الله) في التوراة والقرآن

(٨) (وقتلهم الأنبياء بغير حق)

(٩) (وقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي على قلوبنا أغطية وغشاوات فهي لا تفقه ماتقول

(١٠) (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم بكثرة الذنوب والكفر فأصبح ذلك كالطابع يختم على القلب فلا يدخله شئ (فلا يؤمنون الا قليلا) كعبد الله بن سلام

(١١) (وبكفرهم) بعيسى بن مريم معطوف على كفرهم فهو من عطف الخاص على العام

(١٢) (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) إذ رموها بالزنا

(١٣) (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله قائلا (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) ولقد تقدم إيضاح هذا المقام في سورة آل عمران بما لا مزيد عليه فارجع اليه إن شئت ترأن انجيل برنابا قد تكفل بهذه المسألة ونقلنا النصوص هناك وأن يهوذا هو الذى ألقي عليه شبه المسيح وصلب وقتل وقد كان هو التلميذ الذى خان نبيه وأستاذه (وان الذين اختلفوا فيه) في شأن عيسى (لفي شك منه) فهذه الأناجيل قد اختلفوا فيها حتى كانت المجامع التي أقيمت قديما وهناك حصل حذف واثبات كما تقدم (مالهم به من علم الا اتباع الظن) بسبب ان المسيح اختار رسله من الشعب الهادى قوما كانوا صيادى سمك في بحيرة طبرية ليفهم الناس أن دينه لا يحتاج الى ذكاء خارق للعادة فجاء بولس وهو (فريسي) ويعرف اللغة اليونانية وادعى أنه هو المختص بالمعرفة الحقيقية لدين المسيح وأخذ يخاصم بطرس فتألف بعد رفع المسيح صنفان من النصارى صنف يتبع بقية أتباع المسيح وصنف يتبع بولس المذكور ثم نشبت الحرب بين الدولة الرومانية في زمن نيرون بقيادة فسباسيانوس الروماني وبين اليهود ولما مات القائد الروماني تولى القيادة ابنه طيطس وفتحت أورشليم عام ٧٠ وضرب الهيكل فتفرق اليهود في كل واد يهيمون وانحلت الرابطة وكان كل أسقف يعلم جماعاته بما يغلب

على عقله مع الحكمة المأثورة عن المسيح ثم اختلطت التعاليم بالفلسفة اليونانية لاسيما فى مدارس الاسكندرية وغلبت الفلسفة على تلك التعاليم البسيطة لجهل القائمين بها وقوّة الفلاسفة فنشأت فى آخر الجيل الأول الأناجيل المنقولة فى الأصل عن الرسل وقد أحصى فابريسيوس منها ٣٥ انجيلا فهذا العدد كان بعض ما فى الجيل الأوّل والثانى وبقى الأمر على هذا المنوال الى سنة ٣٨٤ لما رأى البابا داماسيوس ما فى الأناجيل المنتشرة من الاختلاف والتناقض فأمر ماراير ونيموس أن يحرر ترجمة لاتينية جديدة وذلك لان الملك تيودوسيوس ضجر من المخاصمات وصدر الأمر بأن يكون الأسقف فى رومة هو الذى له الحق وحده أن يتبعه عموم النصارى وهذه الترجمة ثبتها المجمع التريدنتينى سنة ١٥٤٦ وخطأها سيستوس الخامس سنة ١٥٩٠ ونقحها بنسخة جديدة وخطأ هذه كليمنضوس الثامن وطبع نسخة جديدة بترجمة جديدة وهى الباقية الى الآن عند الكاثوليكيين . فهذا هو معنى قوله تعالى ـ وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ـ أى لكنهم يتبعون الظن فالاستثناء منقطع (وماقتلوه يقينا) أى قتلا يقينا (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لايغلب على مايريده (حكيما) فيما دبر لعيسى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) يعنى ومامن أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى بل أهل الملل جميعا الا والله ليؤمنن بعيسى حتى ينزل من السماء ويقتل الدجال فيهلكه حتى تكون الملة واحدة وهو الاسلام وتقع الأمنة فى الأرض حتى ترتع الأسود مع الابل والنمور الخ هذا ماجاء فى كلام علماء التفسير وسأوضح هذا المقام مع بعض التحقيق (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله

(١٤) (فبظلم من الذين هادوا) أى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أى ماحرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه من نقضهم الميثاق ونحوه وتلك الطيبات التى حرمت ستأتى فى سورة الأنعام بأن حرم عليهم كل ذى ظفر الخ

(١٥) (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا

(١٦) (وأخذهم الربا وقدنهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل) قدكان الربا محرما عليهم فأحلوه هم وحرمت عليهم الرشوة فأخذوها بالباطل (وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما) دون من تاب وآمن (لكن الراسخون فى العلم منهم) عبد الله بن سلام (والمؤمنون) منهم كأصحاب عبد الله بن سلام (يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك و) أمدح (المقيمين الصلاة و) هم (المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) وجاء أمثال ذلك فى كلام العرب قال الشاعر

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

أى أذكر النازلين وهم الطيبون فالنازلين كالمقيمين هنا والطيبون كالمؤتون الزكاة وبعضهم جعل المقيمين معطوفا على قوله بما أنزل اليك أى يؤمنون بالكتاب وبالأنبياء الذين يقيمون الصلاة وهذا لايحتاج الى تبيين انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطيفة لشرح مسألة المسيح وكيف ينزل فى آخر الزمان وما المقصود من هذا ﴾

اعلم أن العالم الانسانى قد سئم الصراع والنزال والجدال والحروب والمدافع والبارود والسفن والطيارات والقنابل والغواصات الغائصات فالعالم الانسانى فى هرج ومرج مستقرين دائبين فكأن الانسان حكم عليه أن يكون شقيا أبد الآبدين ودهر الداهرين . فياليت شعرى ماهذه المدارس والديانات المشروحة والعلوم المفقة والآداب العامة والعالم الانسانى أجمعه فى الشرق والغرب يقول نحن فى عصر المدنية والعرفان مع أنهم

لايزدادون الاطغيانا ولم تزدهم المعارف الابهتانا فالناس فى الشرق والغرب مخادعون كاذبون دجالون يخادع كل أخاه وهم يخدعون أنفسهم كيف لاوضعف أمة واحدة يضعف المجموع وقتل ذكاء فرد واحد يدعو لقتل ذكاء المجموع فكيف يقتل ذكاء أمة بتمامها ذلك هو الدرس السائد الآن فان علماء أوروبا وحكماءها ومدرسيها سلطوا مجالس نوابها وجيوشها الجرارة على أهل الشرق فأخذوهم وقتلوا ذكاءهم وجردوهم من السلاح العلمى كما سلبوا منهم السلاح البرى والبحرى وهكذا الانسان قديما وحديثا فهو فى الصورة إنسان وفى الحقيقة العمية ثعبان أو شيطان ولقد ألفت كتابا فى ذلك سميته ﴿أين الانسان﴾ وأرسلته الى مؤتمر الأجناس فى انكلترا قبل الحرب العظمى بنحو ثلاث سنين فمنع علماء أوروبا الحقد والحسد أن يترجموا الكتاب بعدما وعدونى بترجمته ولكن جاء العلامة ستنلانه الطليانى وقرظه فى مجلته وقال ان هذا الكتاب ظاهره خدمة المجموع الانسانى وباطنه احتجاج على أوروبا لجشعها وابتلاعها الشرق وبالاختصار ان هذا الانسان اليوم حائد عن الصراط السوى ولكن يدور على الألسنة وتشتاق النفوس الى يوم يكون الناس فيه أسرة واحدة ، واذا كان الناس يشاهدون خلية النحل فيها نظام جميل ولها ملكة ونحل شغال وآخر لأجل النسل ثم ان النحل يجتمع على مالا عمل منه فيقتله والنظام سائد فمنها المربيات للأولاد ومنها الجامعات للشمع ومنها الجامعات للعسل ومنها الحافظات الحارسات فلا يدخل غريب عليها وهكذا مما لا يحصره المقام فاذا كان هذا فى خلية النحل فأين مزية الانسان نعم يقال ان كل أمة من الأمم كخلية النحل وما أكثر الخلايا ونحن نقول أين مزية الانسان اذا كان طوائف كطوائف النحل وأين مزيته التى يمتاز بها على الحيوان ليس فى قدرة نحل البلدة الواحدة أن يكون خلية واحدة ليس فى طاقته ذلك ولكن الانسان الذى سخر له البحر والبر وذلل له السهل والجبل وخاطب شرقيه غربيه وغربيه شرقيه قادر اليوم أن يكون كخلية نحل واحدة لها نظام خاص بحيث تكون كل أمة منه أشبه بعضو فى الجسم الانسانى وكل فرد من الأمة أشبه بالأعضاء الداخلة فى تكوين ذلك العضو وبعبارة أخرى انما نجد اليد مركبة من عضد وساعد والساعد من عظمين وعظام فى الرسغ وعظام فى اليد والأصابع فاليد الواحدة فى الجسم تشبهها الأمة من أمم الأرض والأعضاء الداخلة فيها كأفراد تلك الأمة

ولا تظنن أن هذا العلم حديث بل هو قديم اقرأ كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابى فانه جعل المدينة الفاضلة أن تكون الأمة منتظمة تنظيم الجسم الانسانى ويجعل الأفراد فى الأمة فى المراتب التى تناسبهم فكما ان المعدة لاتصلح للتفكير والكبد لايصلح لهضم الطعام هكذا لايصلح أصحاب العقول المتوسطة للحكمة العالية وأصحاب العقول الكبيرة لايجوز أن يتنزلوا لما هو أقل من مراتبهم بل يوضع كل فى مرتبته وزاد على ذلك فقال وقد يقال معمورة فاضلة أى ان الأمة من الأمم تكون أشبه بعضو فى جسم الانسان العام وتجعل فى مركزها الخاص بها وبناء على هذا يصبح الانسان كله أسرة واحدة ولهم مجلس عام وهو الذى يخصص لكل طائفة من الأمم أعمالها ويقرر على كل أمة مقدار ما يلزمها من العمل العام للانسانية على مقدار طبيعة أرضها ونسبة عدد سكانها وقدرتهم ويلزمون بذلك قسرا إن لم يقم التعليم العام بانشراح الصدور لذلك واذا حصل هذا أعطيت كل أمة ماتحتاج اليه من المال العام للأمم بنظام خاص فتوزع نتائج الصناعات والمزارع على الأمم ومتى قصرت أمة منها تقاتل وتؤدب كما ان الفرد اذا قصر حوكم بالقتل كما كان قدماء المصريين يفعلون ذلك

هذا هو النظام العام الممكن فى مستقبل الأمم . هذا هو الأمر المحبوب من جميع العقلاء فى العالم وجميع المصلحين عنه يبحثون فهل هذا الخيال الذى ذكرته لك الآن ممكن أم ذلك خرافة تقال وتمحيق فى المقال ، فلننظر فى الآيات التى نحن بصددها الآن * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد فى رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم ـ وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية ـ وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد أخرجاه فى الصحيحين

فياليت شعرى كيف يترك القلوص من الابل وعلى أى دابة يركب ولعله يركب القطار والطيارات وكيف يقول خذوا المال فلا يأخذه أحد وما هذه الثروة العظيمة فى الأرض بل ماهذا الصلاح العظيم وكيف يكون الناس أمة واحدة وما هذا التضامن وماهذه العفة يقول خذوا المال فيقولون لا نأخذ كأن المال حجارة أوحديد أوأشغال شاقة

اعلم أن هذه الحال حال أخرى من أحوال الانسانية لا تأتى فجأة فلابد لها من مقدمات وليس فى عمل هذه الطبيعة المسخرة بأمر الله من طفرة والطفرة محالة فلابد من مقدمات تتقدم هذه الأحوال المستقبلة

واعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخبرنا بهذا إلا لنستعد لذلك اليوم الذى يرتقى فيه الانسان ويكون جميع الناس اخوانا كأنهم خلية نحل واحدة. وانظر الآن ألست ترى أن الانسانية تغالت فى الآلات المهلكة والفاتكة والغازات الخانقة والدول الآن تزيد فى المهلكات والدولة الألمانية المغلوبة اليوم على أمرها تدبر فى السر من المهلكات مالم يحلم به البشر . بل يقال انهم يقدرون أن يجعلوا فى الجو سما يهلك من فى الأرض جميعا ويهلكون مع الناس أنا لا أقول لك هذا سيحصل وانما أقول هو ممكن وما فى الامكان فى هذه الأيام سريع الوجود . سريع الظهور . سريع العمل . كثير الأثر . وهذا زمن العجائب الذى أخبرت به الأنبياء

فالمستقبل أحد أمرين اما أن الأمم يهلك بعضها بعضا وهذا على ما أظن لا يكون واما أن تتغلب أمة قوية على البقية وتجبرها على اتباع النظام العام الذى ذكرته لك ويصبح هذا النظام خلقا للناس ينقادون اليه وتكون هناك ألفة جامعة . أنا لا أقول ذلك سيكون ولكن أقول انه محتمل فاذا حصل هذا ودام أجيالا ألف الناس العمل ونبذوا الكسل وظهرت المحبة والمودة وجاء يوم الانسانية الجديدة وظهر الانسان بأوفى معانيه وحينئذ مافائدة المال ولم يخزن الانسان المال مافائدة النقود ولا نقود . النقود للتعامل بها ولا تعامل اذن بل هى المبادلات واذن تبطل البنوك (المصارف) فلا ربا ويبطل الخمر وأبشرك اليوم بأن الخمر أبطلته أمريكا والترك والربا أبطله أهل الروسيا وهم البلشفيه وبعض ماذكرته لك يفعله الروسيون فالنقود عندهم أوراق وقتية تبطل فى أمد معلوم والخبز والملبس يأخذهما الناس فى مقابلة العمل . ولست أقول ان هذا هو الذى سيكون ولكن أقول ربما أن يكون هناك عمل يشبه هذا فى المستقبل ويترقى لأنى اليوم أجهل مافى تلك البلاد

فاذا ارتقى النظام على هذا المنوال على توالى الزمان فلا يمضى زمان قليل حتى يكون الاتحاد العام وحينئذ يفسر الحديث الشريف الذى روى فى البخارى ومسلم وعلى المسلمين إذ ذاك أن يتأهبوا لذلك اليوم فلا يأخذون جزية لأن الجزية تكون حيث لم يكن هناك اتحاد عام فاذا حصل فعليهم أن يكونوا مع الأمم يدا واحدة

يقول بعض المفسرين ان أخذ الجزية مقيد بزمن نزول المسيح عليه السلام فلا جزية إذ ذاك وسيأتى فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى ـ فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ـ أن

ذلك

ذلك حين نزول عيسى أى أن وضع الحرب أوزارها أيام عيسى عليه السلام

﴿ كيف ينزل المسيح ﴾

وهنا نقول هل ينزل المسيح بنفسه أم ذلك رمز لنزع الغل والحقد من القلوب واتحاد الأمم وتعاونها وتصافيها

اعلم أن أتباع كل دين فى الأرض لايصدقون بغير دينهم ولو أن المسيح اليوم جاء للنصارى لقالوا له كذبت وكذلك نحن معاشر المسلمين لوجاءنا أى انسان وقال أنا عيسى أوموسى أومحمد لقلنا أنت مدع . ألا ترى أن اليهود وعدوا بمجىء المسيح فلما جاء كذبوه والنصارى لما أرسل سيدنا محمد كذبوه إلا قليلا منهم . فهكذا نحن معاشر المسلمين اذا جاء لنا أى انسان مهما كان شأنه فان الجمهور لايصدقه وانما يفعلون معه مافعلته الأمم مع الأنبياء فيتبعه قوم ويرفضه آخرون . هذا هو الأمر الذى يمكن وقوعه فاذا نزل المسيح فلا ينال من النصارى واليهود والمسلمين إلا ماذكرته لك فيتبعه قوم ويخذله آخرون ويقولون أنت لست الموعود به

فأين الهناء وزوال التحاسد والتباغض وثبوت المحبة فى الأرض اللهم إلا أنه يحصل فى عقول النوع الانسانى حال غريبة جزئية ثم مافائدة هذا الزمان القليل أى زمان وجود المسيح فى الأرض وللأمم أعمار طويلة فاذا تهنأت الأمم كلها عدة أعوام وذهب المسيح من بينهم فهذا أمر لاتكون فائدته تامة . ومالى أذهب معك بعيدا أنظر الى الأمم الآن ألست ترى فى الهند من قام وقال انى أنا المسيح ومات فى زماننا وجاء بتعاليم اسلامية ونهى عن الحرب والحكومة الانجليزية ساعدته وله أتباع هناك فى الهند أولاترى الى طائفة البهائية ببلاد الفرس فانهم قاموا بتعاليم عامة من القرآن ونشروها فى أمريكا وأوروبا واتبعهم أناس كثيرون وأخبرتنى سيدة انجليزية من أتباعه أنه هو المسيح ومعذلك لايزال التحاسد فى الأمم كما هو والحرب والضرب والتخريب وهم يقولون ان هذه الشريعة تعلو على الأديان كلها وأ كثر المتبعين لهذا الدين من أمم الفرنجة وقليل من المسلمين اتبعوه وهم يجعلون شرعهم هذا هو شرع المسيح الموعود به وقد اتبعهم ملايين كثيرة وربما جاء كثير يقولون بهذه الدعوة فأيهم يتبعه الناس ولعل مقدمات عيسى المذكورة فى الحديث هى الحال التى سيصير اليها البشر من الاتحاد والاخاء والاعمال النافعة العامة الموافقة لروح الاسلام ثم يأتى هو ويظهر أن الزمان المستقبل يكون مداره على الحقائق لاعلى الظواهر فيكون الدجال رمزا لما عليه الأمم الآن من الدجل والكذب والنفاق والجهالة والعمى والمسيح اشارة لما تستأهل له الأمم فى المستقبل من ظهور الحقائق وتقارب الأمم واتحاد الأعمال والنظام العام وربما كان ذكر أنه لايركب الابل فى الحديث الشريف الاشارة الى أن زمان ذلك الحب قد قرب فان الناس أخذت تركب القطار والطيارات فاذا عم هذا يكون قد اقترب زمان التعاون بين الأمم لأن سرعة النقل بين الشرق والغرب تقرب وجهة النظر فأما تباعد المسافات فانه يورث الاختلاف فى الغايات ولاتظن انى أقول بمنع وجوده فى الأرض ولكنى أقول ان المهم فى الأمر ليس شخصية المسيح ولاوجود ذاته وانما المهم السلام العام والصدق والاخلاص هذا هو الذى تشد اليه الرحال ويعتنى بشرحه أكابر الرجال فليس القصد من المسيح ذاته سواءا حضر بنفسه أم كانت المحبة الأخوية بين الجامعة الانسانية فالمقصد سعادة الأمم لا حضور الأشخاص فلينزل المسيح فهو أمر ممكن ولكن المدار على الاخاء العام فأما الديانات فان الكتب تنتشر فى أنحاء المعمورة كما هوحاصل اليوم . ألاترى أن دولة انكلترا قد أخذت تعتنق الاسلام وابتدأ بذلك عظماؤها الأغنياء وذلك للدراسة فنشر الدين اليوم يسير بطريقة غير طريقة السيف بل بالاقناع فالمدار على الحقائق فاذا وجدنا أن ديننا ينتشر بطريقة الاقناع وسيتم ذلك فى زمان السلام العام بنزول المسيح فلنفعل ذلك كما يفعل الفرنجة فى دينهم فلاتحارب ولا تقاتل لأن المقصود هو الايمان والايمان يحصل بلا حرب ولا ضرب ونحن ليس عندنا مبشرون فما بالك لو كان هناك مبشرون

ديـنيون مسلمون . وسترى كلام المفسرين فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يقولون بمنع الحرب أيام نزول المسيح . واعلم أن الأرض كانت منذ مئات (الملايين) من السنين عبارة عن كرة نارية وبتوالى الأزمان برد سطحها شيأ فشيأ وبهذا التبريد المستمر تكونت طبقات بعضها فوق بعض وعدّوا أزمنتها ستة أعصر تسمى (الأعصر الجيولوجيه) وهى العصر الأصلى والانتقالى والثانوى والثالثى والطوفانى واللاحق للطوفانى وهو الحالى وترى أن الأرض ترتفع حرارتها درجة واحدة فى كل ثلاثين مترا من العمق ففى عمق ثلثمائة متر عشر درجات وفى عمق ثلاثة آلاف متر مئة درجة وهى درجة الماء المغلى وفى عمق ثلاثين كيلو مترا ألف درجة وفى عمق مائة كيلو متر أكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة درجة وهى حرارة تذوب فيها الجوامد كلها وقطر الكرة الأرضية نحو ثلاثة عشر ألف كيلو متر فتكون الأرض بعد ذلك كلها مواد سائلة

فانظر كيف كان سكان الأرض قبل هذا العصر وكيف كانت الحيوانات والنباتات وكيف كان الانقلاب ان الانقلاب كان عظيما وقد جاء العصر الطوفانى وهو الخامس وزلزل الأرض زلزالا شديدا واستدارت الأرض فى غمضة عين وحدث انفجار هائل فانقلبت كلها حتى ان القطبين اللذين كانا كخط الاستواء حرارة انقلبا فجأة وأصبحا فى برد قارس وثلج مترا كم كأنه الجبال الشاهقات على ظاهرها والدليل على ذلك ماوجدوه فى باطن الأرض من الفيلة العظيمة التى لاتكون إلا فى الأقطار الحارة فكأن الزلزلة والطوفان لما جاآ لم يجد ذلك الحيوان ملجأ للفرار فانطمر وهلك . كل هذا يريك أن الأرض كلما كان سطحها أكثر حرارة كان الساكنون عليها أقرب للفاجآت كما هو معقول وكلما كان سطحها أقرب للاعتدال كان الحيوان عليها أقرب الى البقاء والسكون والهدوء . ألاترى أن العصر الطوفانى المنقضى أعقبه العصر الحالى ولم يحصل فيه إلا بعض الزلازل المعروفة والا الطوفان الاسيوى المذكور فى القرآن والتوراة وكتاب الفيدا وهو الكتاب المقدس الهندى وماذلك إلا ماحصل من انقلاب البحر العظيم الذى كان يمتد قديما من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمالى فترى من آثاره بحر الخزر والأزوف والبحيرات المالحة المنتشرة فى سهول التتر ومفاوز روسيا فلما ارتفعت جبال القوقاس اندفع قسم من المياه الى الاوقيانوس الشمالى والقسم الآخر انقلب فى الاوقيانوس الهندى فغرق بلاد مابين النهرين وكل البقاع التى يسكنها أسلاف الشعب العبرانى

هـذا هو تاريخ الأرض الذى مضى والأرض لها عمر محدود ودورات محدودة وهى بدورانها حول الأرض جارية على مدى الزمان تزيد كمالا كالانسان يكون فى أوّل حياته بنشوة الصبوة والفتوة ثم يصير كهلا ثم شيخا وقورا . هكذا أرضنا الآن استقرت أما سكانها ونوع الانسان على الخصوص فانهم يفعلون اليوم ماحصل للارض وقد اضطربوا فى أخلاقهم والحروب قائمة بينهم لأنهم من الأرض خلقوا والأرض نار خارجة من نار وسطحها مكوّن فوق النار ولاتزال البراكين تخرج كل يوم من باطنها نارا فترى جميع أفعال أهلها نارية من فرح وحزن وغم وحرية وعشق وغرام وحقد ورحمة وغيظ وطمع . كل ذلك حرارة فى النفوس كالحرارة التى فى النبات والأجسام فهذه فى القلوب معنوية وهذه فى الأجسام حسية وهذا الانسان أخذ الآن يرتقى ويتقارب فاستخرج الفحم الذى تكوّن من ملايين السنين وها هو ذا ينتفع به ولابد بعد اجتياز هذا الدور الذى نحن فيه من بلوغ دور الكمال كما كملت الأرض التى نحن عليها شيأ فشيأ فالأرض تزيد فى الثبات والانسان لابد يوما ما يصير أكمل منه الآن وتتغلب الحكمة على الشيطنة التى غلبت عليه الآن وبوادر ذلك ظاهرة اليوم فانهم يقولون جمعية الأمم وتنقيص السلاح وما أشبه ذلك وذلك هو اليوم الذى قيل فيه ان المسيح يرسل لأهل الأرض ويزول الحقد والحسد من أهل الأرض ويعيش الناس بسلام ويصبح الناس اخوانا ولا يأخذ المسلمون الجزية بل يعيشون بسلام مع الأمم وهذا هو مقصد الحديث النبوى ليستعد المسلمون لذلك اليوم ولاندرى أقريب هو أم بعيد اهـ

وكل

وكل هذا ذكرته للتقريب وليس على ذلك برهان عقلى

﴿ لطيفة فى تعالم الأرواح وكيف كانت أخلاق المسيح وأعماله موافقة لذلك الحديث النبوى المتقدم ﴾

قد قلت لك قبل هذا الفصل ان العقل ليس له منفذ لاستطلاع المستقبل وليس يمكنه أن يعرف هل الناس فى مستقبل الزمان يكونون سعداء وليس لدينا من الدين مادل على نزول المسيح إلا الأحاديث المذكورة والقرآن ليس فيه نص على ذلك وعلى هذا قال بعض علمائنا إن هذه المسألة ليست من العقائد اليقينية لأن العلماء يجعلون الأحاديث الصحيحة كالتى فى البخارى ومسلم ظنية لا يقينية كما فى فتح البارى على البخارى والعقائد عندنا هى اليقين لا الظن وغاية الأمر أن صحاح الأحاديث يعمل بها فى الأحكام الشرعية ومخالفها فاسق لا كافر . هذا ما كان من أمر شريعتنا الاسلامية الغراء

فلننظر الى ماوصل الى علماء الجمعيات النفسية فى أوروبا وهل عندهم من هذا القبيل شئ . نقول قد اطلعت بعد ماكتبت ماتقدم على أن بعض الجمعيات فى أوروبا استحضرت روح غاليلى الفيلسوف فأجابها قائلا ما مختصره

لا بد للارض أن تزول يوما ما وتمحى من سفر الحياة ويمكن تقسيم حياة العوالم الى أدوار ثلاثة دور الطفولة إذ يتم تجمع مادة الكواكب الحديثة كالأرض فى أول وجودها

الثانى دور الكهولة وفيه يتم تجمد القشرة وتتكامل الحياة حتى يظهر المثال الأكمل

الثالث دور الانحطاط وفيه يفقد الكوكب مادته بسببين الأول الاحتكاك والثانى تحلل أجزائه كما ينحل الحجر الى حصى ورمال . وفى هذا الدور يزيد سكانه ارتقاء فى الكمال العقلى والروحى وكلما نقصت مادة الكوكب أثر ذلك فى دورانه فيحصل هناك تغير فى الدورات ويصبح النظام بالتدريج غير النظام المعتاد فى الأيام والأشهر الخ

هذا ملخص ماقيل فى ذلك عن الأرواح

اذا علمت هذا فانك تجده يطابق الحديث بعض المطابقة فان المروى فيما تقدم أن الناس يكونون غير متحاسدين ولامتباغضين ويكونون أسرة واحدة وهذا هو المناسب للدور الثالث المذكور إذ ترتقى الأرواح فتكون أرضنا شيخة كبيرة ونحن عقلاء كاملون وكأن هناك تناسبا بين أخلاقنا وحياة أرضنا وأن حياتنا مرتبطة بأخلاق أرضنا وعمرها وكيتها ودورتها ولذلك تجد فى بعض الأحاديث ان أيام آخر الزمان تكون غير أيامنا هذه مغايرة لها بعض المغايرة

واذا ارتقت الأرواح كانت الحياة قائمة بالمحبة . وعليه نذكر كيفية حياة المسيح فنقول اعلم أن قوما يسمون (الاسونيين) كانوا عائشين فى فلسطين حتى وادى النيل حافظين تقاليد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخلاقهم وكانت مهنتهم فى الظاهر الطب وفى الباطن نشر المحبة والاخلاص بين الناس وروى عنهم المؤرخ يوسفوس وفيلون وبلينوس انهم كانوا أفضل قوم على وجه الأرض وتعليمهم أشبه بتعليم فيثاغورس فيقولون بخلود النفس وانها كانت فى الأقطار الشفافة العلوية المضيئة وقد ربطت فى الجسد لترتقى ومتى انطلقت منه ترجع الى عالمها وكانت أرزاقهم شائعة بينهم يأكلون على مائدة واحدة وطعامهم زهيد ولايذوقون اللحم إلا نادرا ولم يستخدموا الأسرى لاعتقادهم أن هذا حرام ومخالف لطبيعة العامة لأن الناس جميعا أحرار ولباسهم كان عبارة عن حلة بيضاء يرمزون بها الى نقاوة النفس وصفائها وفوقها عباءة بيضاء ويقسمون أوقاتهم مابين الصلاة والعمل والتأمل والدرس

أما الأساتذة فكانوا متفرغين للفلسفة والطب يبحثون فى خواص النبات والمعادن ويستعملون الطريقة المغنيطيسية فى شفاء الأمراض وقد تحقق اليوم عند العلماء الباحثين أن المسيح كان مختلطا بهؤلاء القوم

سنين طويلة وان لم تذكر ذلك الأناجيل وثبت ذلك عند هؤلاء المؤرخين أن تعاليمه مشابهة لهذه التعاليم فكان يأمر بحب القريب والمساواة بين الناس ولايقرّ إلا باله واحد يسمى (الأب) ولايقدّم له ذبيحة فى هيكل وهيكله هو هذا الكون فلاحاجة للعبادة فى مكان محدود ومكان عبادته الحقيقى المقدّس هو القلب وكان يحقر الكذب والانتقام والحرب وكان يحب لوداعة ودماثة الأخلاق والتواضع والسهولة واحتقار المال والتجرّد من حطام الدنيا وكان شعار المسيحيين (السلام عليكم) والنصارى الأولون اختلطوا مع الاسونيين فكانوا شعبا واحدا اه

هذا هو الدين المسيحى الذى كان عليه المسيحيون الحقيقيون واذا كان كذلك وقد قررت الأحاديث نزول المسيح فهل هكذا سيكون الناس جميعا اخوانا فى سائر الأرض ويكون المسلمون هم أصحاب هذا الرأى اذا تم هذا فهو نفس الاسلام يقول الله تعالى ـ ليظهره على الدين كله ـ و يقول ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ هذه هى الرحمة المحمدية التى رمز لها فى الحديث انها عيسوية فدين عيسى داخل فى الدين الاسلامى فالاسلام ظاهره تشريع و باطنه حب وسلام . وياليت شعرى ما المقصود من الحدود والأحكام ليس لها والله معنى ولا مغزى إلا السلام فى الأرض ومتى حصل السلام بالتعاليم فقدت الشرائع والأحكام سلطانها لأنه لاسلطان لها إلا على الخاطئين فاذا زال الخطأ واصطلح الناس وتقدّمت العقول فأىّ داع لقطع اليد والصلب وشهادة الشهود بل كل ذلك يقل ويحل محله الحكمة والعمل . أيها المسلمون اعلموا أن نبينا صلى الله عليه وسلم ينبهنا أنكم مستعدون للرقى والسعادة مستعدون للكمال النفسى واذا كنا نرى سويسرا النصرانية أصبحت ولايسمع فيها بخائنين ولاسارقين ولاقاتلين ولاظالمين إلا قليلا فما بالنا عن الكمال نائمين . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى فتاة ترعى بقرا كثيرا فى المراعى الواسعة فى سهول سويسرا قائلا كيف تنامين ألا تخافين من اللصوص فما فهمت مايقول بل قالت وهل أحد يأخذ مال غيره وترى الرجل لايأخذ تذكرة للقطار اذا سافر فيه اتكالا على أمانته وهو الذى يضع النقود فى الصندوق بذمّته وأمانته . ولقد سأل المرحوم محمد بك فريد أيضا عن قاض من القضاة متى يحضر المحكمة فقالوا له ليس يحضرها إلا فى أوّل كل شهر فتوجه اليه فوجده يخيط النعال ليقتات بصناعته فقال له أليس لك مرتب فقال المرتب على قدر العمل ولا عمل لى إلا ثلاثة أيام فى أوّل الشهر لقلة القضايا اه

أفليس الاسلام أحقّ بهذه الفضيلة ألا فليحوّل الناس وجهتهم الى الفضيلة وهى مقصد الاسلام

يامعاشر المسلمين هل قصرت أنظارنا أن نكون كهؤلاء يامعاشر المسلمين و ياعلماء الأمّة اقتصاركم على الأحكام الشرعية جهالة عمياء ونذالة حمقاء افتحوا عيون الشعوب للجمال الالهى والأخلاق والفضائل ولقد فتح لكم الباب نبينا صلى الله عليه وسلم فأرا كم انه سيأتى زمان تكونون فيه كالمسيحيين الأوّلين الذين كانوا على الحق فيرشدكم بطريق الاشارة الى أن تكونوا أمّة أرقى من هذه الأمّة . إن نبينا جاء للهدى فلنكن هداة وهاهوذا يقول لنا ان ذلك الزمان لايؤخذ فيه الجزية وأن الحسد ينزع فجدّوا فى العلوم بهذا جاء الدين ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ اه الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى ﴾

اعلم أن هذا الفصل متصل بالفصل الذى قبله لأن ذلك كان فى ذكر ذنوب اليهود وهى ١٦ ذنبا دالة على أنهم كانوا مجرمين من قبل فاذا اقترحوا أن تنزل عليهم يامحمد ـ كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ـ الخ

ثم أخذ يجيب بنوع آخر من العلم فاذا قال أوّلا ان اليهود اذا اقترحوا عليك أن تنزل عليهم كتابا من السماء فهم قوم غلاظ القلوب وحق لهم كذا وكذا فانه يقول فى هذا الفصل ـ وهل كنت بدعا من الرسل ـ

وأيّ نبي نزل عليه الكتاب جملة واحدة من السماء وان اليهود يعترفون بالأنبياء السابقين ولم ينزل على واحد منهم كتاب مرة واحدة فكيف يريدون مخالفة سنة الله في انزال الكتب السماوية فمن أشهر الأنبياء نوح وابراهيم واسماعيل الخ وهم اثنا عشر نبيا هذا هو قوله تعالى (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) الى قوله (وآتينا داود زبورا) أى كتابا مزبورا أى مكتوبا و يصح أن يكون الزبور بالفتح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله ومواعظ (ورسلا قد قصصناهم عليك) أى قصصنا رسلا الخ من باب الاشتغال (من قبل) من قبل هذه السورة (ورسلا لم نقصصهم عليك) أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم (وكلم الله موسى تكليما) وتكليم الله أقصى مراتب الوحى ثم قال امدح (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا) لا يغلب على أمره (حكيما) فى تخصيص كل نبى بنوع من الالهام واذا كانوا تعنتوا عليك ولا يشهدون بنبوّتك فعليهم وزرهم (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) من القرآن الدالّ على النبوّة (أنزله بعلمه) أى متلبسا به الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم معجز مشتمل على مايحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم (والملائكة يشهدون) بنبوّتك (وكفى بالله شهيدا) أى كفى بما أقام من الحجج على صحة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره (إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) ذلك لأنهم جمعوا بين ضلالهم واضلال غيرهم (إن الذين كفروا وظلموا) محمدا بانكار نبوّته وصدّ الناس عن الاسلام (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) لا يعسر عليه ولا يستعظمه ولما قرر أمر النبوّة ورد دعوة المعترضين دعا الناس دعوة عامّة فقال (يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربكم فآمنوا) ايمانا (خيرا لكم وان تكفروا) فهو غنى عنكم (فان لله مافى السموات ومافى الأرض) لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم (وكان الله عليما حكيما) فيما دبر لكم . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

يقول الله (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم) يخاطب النصارى (ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم) أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه ولذلك يحيى الأموات والقلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) أى الآلهة ثلاثة أو الله ثلاثة أو الله ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس فالأب الذات والابن العلم وروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث انتهاء (خيرا لكم انما الله إله واحد) بالذات لا تعدّد فيه بوجه ما (سبحانه أن يكون له ولد) أى أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فان الولد يكون لمن يفنى فيكون بقاء لذكره بعده الى أمد معلوم وينفع والديه فى كبرهما والله ليس كذلك فهو باق (له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا) والحاجة الى الولد ليكون وكيلا عن أبيه قائما بنظام بيته والله هو الوكيل فأين الحاجة للولد اذن هذا من جهة الله أمّا المسيح فلن يأنف أن يكون عبدا لله بل الملائكة المقرّبون لا يأنفون من ذلك ولذلك قال (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك من (أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرّبون) أن يكونوا عبيدا لله (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) ومن يترفع عنها (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم (فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) تفسيره ظاهر ثم خاطب الناس قائلا (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) البرهان المعجزات والنور القرآن (فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) هو

الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة * يروى أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف أصنع فى مالى فنزلت هذه الآية وهى آخر مانزل من آيات الأحكام (قل الله يفتيكم فى الكلالة) تقدم تفسيرها فى أوّل السورة (إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك) الأخت هنا من الأبوين أوأب لأن أخاها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة وقوله ـ ليس له ولد ـ يعنى ولا والد فالأخت المذكورة لها نصف المال ان انفردت والباقى لبيت المال على مذهب زيد والشافعى فأما أبوحنيفة وأهل العراق فانهم يردّون الباقى اليها أما اذا كان للميت بنت فانها تأخذ النصف بالفرض وتأخذ الأخت النصف الثانى بالتعصيب لابالفرض لأن الأخوات مع البنات عصبة (وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) أى والرجل يرث أخته ان كان الأمر بالعكس فاذا ماتت الأخت وتركت أخا من الأب والأم أومن الأب فانه يستغرق جميع ميراث الأخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد فأما الأخ للأم فانه صاحب فرض لايستغرق جميع المال (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) فمن مات وترك أختين أوأخوات فلهن الثلثان مما ترك فالمراد بالاثنتين هما وما فوقهما (وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين) أى وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث أى وان كان المتروكون من جهة الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم نصيب اثنتين من أخواته الاناث (يبين الله لكم) الأحكام والفرائض كراهية (أن تضلوا والله بكل شئ عليم) فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات

﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى شرائع الأنبياء ـ اللطيفة الثانية فى المسيح ﴾

اللطيفة الأولى ارجع الى شرائع الأنبياء فى سورة آل عمران وكيف ترى أن الدين واحد بما نقلناه هناك فى مسألة المسيح فقد ذكرنا نبذا من ديانات كثيرة

اللطيفة الثانية قد كتبت فى مجلة الملاجئ العباسية تفسير آيات المسيح المتقدمة بانساع أشمل وموعظة أكمل فلانقلها هنا الآن برمتها فأقول ـ قل ياأهل الكتاب ـ الى قوله ـ فسيحشرهم اليه جميعا ـ

الانسان أرقى من الحيوان تمتع بالحرية وهو مع ذلك ضعيف الارادة خامد العزيمة تتجاذبه الأهواء وتقذف به فى هوّات الجهالة وترديه فى أسفل سافلين

يطغيه المال حتى يستعبده وبه يتعالى على أخيه واذا تولى أمر الناس سعى فى الأرض ليفسد فيهابالظلم والعدوان واذا اتبع دينا أوعظم كبيرا تغالى فى وصفه وغفل عن تعاليمه وأدبه واذا أعرض عنه أساء وصفه ووسمه بأشنع السمات

عجب أمر هذا الانسان ان كان غنيا طغى أوقائما بأمر الناس بغى أومتدينا بدين غلا وزل وحاد عن القصد فى العقيدة . ومن عجب أن أولئك المتغالين يسحرون الناس ويسحرونهم فيستذلون للظالمين ويخضعونهم ويتبعون أهواء أهل الغلو من رجال الدين . ألم تر الى لويس الرابع عشر كيف كانت تقام حفلتان لاستيقاظه كل صباح وكيف كان يتولى خدمته جموع لوصرف ذكاؤهم العجيب فى الأعمال النافعة لكان خيرا للانسان وكيف كان لبعض ملوك الاسلام عند الصلاة عساكر يصطفون وجيوش بالسلاح مدججون . الانسان حرّ لكنه كالفراش يتساقط فى النار الغنى تعبده ماله والملك يذله ملكه وذو العلم أوالدين كثيرا مايتبع أهواءه بلا هدى ولا كتاب منير

من ذلك ماقصه الله فى هاتين الآيتين من تغالى اليهود فى التشهير بالسيد المسيح عليه السلام وبعض النصارى قديما من اتخاذه الها

فقال ـ يا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لاتغلوا فى دينكم ـ لاتجاوزوا الحدّ فيه إذ يقول اليهود

انه عليه السلام ولد لغير رشدة و بعض النصارى انه إله (ولا تقولوا على الله إلا الحق) وكيف ينزله بعضكم الى أسفل الدرجات وآخرون يرفعونه الى مافوق السموات ونهاية الغايات . فهلا انهجتم سبيلا وسطا لاشطط فيه ولاخطل فلاتنزلونه الى أسوإ المراتب ولاترفعونه الى رتبة لاتليق إلا للخالق - انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم - أوصلها اليها وحصلها فيها بلاتوسط مادّة على خلاف العادة المألوفة والسنة المعروفة وهذا مفاد قوله - وروح منه - وقوله (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله إله واحد) ظاهر معروف - سبحانه - تنزيها له أن يكون له ولد ولا يولد إلا لمن يعتريه العناء ويحلّ به الفناء ليقوم الولد باعبائه ويخلفه بعد فنائه وكيف يصطفى الله ولدا مما خلق و - له مافى السموات ومافى الأرض - ملكا وخلقا وعبيدا وهل احتياج الناس للولد الا ليخلفهم ويكون وكيلا لهم والله عزّ وجل قائم بنظام العالم حافظ لكل شئ - وكفى بالله وكيلا - فكفى الله من جهة قيامه بالأشياء وحفظه لها فالولد له ضرب من المحال . ليس التغالى فى الدين قاصرا على أمّة دون أمّة ولاطائفة دون طائفة جهل الانسان وطغى قديما وحديثا . اقرأ تاريخ الأمم أمّة أمّة وابحث أخلاقها وأسرارها وتاريخ دينها تر التعصب فى الأمم والجمود فى القرائح ساريا فى أكثر البشر - ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم - ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - الحق والصبر سعادة الانسان وماعداهما فانما هو الضلال والطيش أوالباطل والرعونة . ينزل الله الدين على لسان رسله فيستمسكون بقشوره وينبذون العمل به وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ولقد أخذ المسلمون حظهم من الخلاف وافترقوا نيفا وسبعين فرقة خلقتها وساوس الشيطان ونصبتها أيدى الشهوات واغترّ كل قوم بعصبيتهم واعتزوا بجيوشهم وفرحوا بما عندهم من العلم - وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن -

ما كادت شمس الذات المحمدية تغرب من سماء هذا العالم حتى اتبع كل فريق أحد كبار هذه الأمّة فمزقوا حزائق وتفرّقوا طرائق وكان منهم من عبد سيدنا عليا كرّم الله وجهه فى حياته فقاتلهم عليه السلام وهزمهم ومنهم من اعتقد العصمة فى رجل وقال بالامام المعصوم حتى ان الحاكم بأمر الله لا يزال يعظم الى اليوم ولقد كثر المغترون فى هذه الأمّة فالعالم يغترّ بعلمه والعابد بعبادته وكثير من الناس يغترّون بطاعة فعلوها ثم يتبعونها بالمخزيات والذنوب وقد يعتز الشريف بنسبه والتلميذ الذى اتخذ له شيخا بشيخه فأنزل الله هذه الآية ليعرف الناس منازلهم و يقفوا عند حدّهم ومن العجب أن المبتدعين من المسلمين انتهجوا سبل الضلالة ونصبوا أشراك الغواية واستحبوا العمى على الهدى وعظموا أناسا ليأكلوا باسمهم ويظلموا الناس بالانتساب اليهم ألا وان أثر تلك السيئة ظاهر فى الأمّة الآن

وكم مريد قنع بما تلقفه من شيخه وهو عن الدين والقرآن غافل وانى وان كنت أقرّ الكثير بالأدب والعلم والاصلاح فلاأزال آسى على هذه الأمّة لما تسلط على أفئدتها كثير من لاخلاق لهم فيوحون الى الناس مايوحون من الزور والبهتان حتى لم يبق فى الأرض ملك فى بحبوحة العيش ونعيم الحياة الا بعض أولئك الرؤساء الذين تسللوا لواذا من الجامعة القومية والتفّ حولهم أشياعهم وأغدقوا عليهم النعم وحبس أولئك السادة عنهم العلم والحكمة وعجائب القرآن وزهدوهم فى العلوم وأناموهم على مهاد الراحة فاحيط بهم من كل جانب وهم لايشعرون واذا قلت يأيها المريد لم غفلت وعصيت وجهلت يقول ان صلة شيخى بالله تشفع لى وانى بتعظيمى له والتجائى اليه تغفر ذنوبى فاذا أجبناه انه لايملك لك من الله شيأ - ومن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره - امتعض وقال لقد حططت من قيمته وأنزلت من قدره وذلك كما جاء وفد نجران للنبى صلى الله عليه وسلم وقالوا لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال وأىّ شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن

يكون عبد الله ورسوله فنزل قوله تعالى — لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون — نكف عنه كفرح ونصر كاستنكف يقال نكفت الدمع اذا نحيته بأصبعك أى لن يأنف وهذا كقولهم أصبح لايخالفه رئيس ولامرؤس مبالغة فى التعميم والاستعمال شائع عربى

واذا كان السيد المسيح عليه السلام لايستنكف أن يكون عبدا لله وهو من أولى العزم فكيف يضل فريق من أمتنا ويتغالون فى الطرق التى يسلكونها ويعولون على شيوخهم الأحياء أو الأموات فى مغفرة ذنوبهم ولن يصل شيوخهم الى رتبة المسيح عليه السلام وأنى للولى أن يصل مرتبة النبى صلى الله عليه وسلم . أقول ذلك وقد أيقنت بأن طائفة تغالت من الأمة فظنوا انهم يصلون الى حال تصلهم بالله يرفع عنهم بها التكاليف ولقد سمعت مريدا يقول ان شيخى هو « الله » ومن هنا علمت أن التعاليم الباطنية القديمة العهد بمواثيقها وعهودها لاتزال تتوالى فى الأمة يتلقنها الأبناء عن الآباء . وأنا أقول أيها المسلمون وجب علينا الآن أن نبين للأمة عيوبها وحق علينا نصحها وارشادها

يا أيها الناس انى فى وجل أن تضيع الأمة وتذهب ريحها يقول العاصى انى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكفتنى هذه النسبة

وقد ضرب الامام الغزالى لهؤلاء الجهال مثلا فقال مامعناه من المغترين بالله من يعظم الدين وهو مقيم على معاصيه فمثلهم كمثل رجل أمسك بذقن آخر وضربه على وجهه وقال ان أباك كان عظيما شريفا

قال لى رجل فى محفل فى بلاد الفلاحين بالشرقية ان الله يغفر بالحج الذنوب الكبائر فقلت له ياهذا اذا أرسلت اللصوص فسرقوا ألف جمل وقتلوا مائة رجل واسترقوا عشرين ألف جنيه ثم حججت بمائة منها فماذا ترى أفترى أيها الرجل أنك أدخلت الحيلة عليه ومكرت به وهو سريع الحاسبين

يا أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن نبينا أفضل الأنبياء فشرعه أنسب للأمة وهل يليق بكرامته أن يكون تابعوه أقل الناس أدبا وأكثرهم ذنوبا وأجهلهم صناعة وأضلهم سياسة وأبعدهم عن الفضائل وأقربهم الى الرذائل ويتبجحون بقولهم (اننا أتباعه) وهل هذه النسبة اللفظية تقنع الجاهل فضلا عن العالم

لقد قال اليهود والنصارى قديما مثل ذلك فنزل ذما لهم قوله تعالى — وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم — بالقتل والهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة — بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما واليه المصير — وقال قبل ذلك — قل فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير — هنا جاء الحق وزهق الباطل وبطلت حجة الجهال المدعين أنهم أحق بالله من غيرهم

واذا كان المسيح عليه السلام عرضة لهلاكه هو وجميع من فى الأرض فأى حجة يا أيها الناس لكم تلوا كل الأنبياء جرى عليهم القانون والناموس يقول الله عز وجل على لسان نبيه — ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء — ويقول الله عز وجل على لسان نبيه أيضا — وما أدرى مايفعل بى ولا بكم — يا أيها الناس إياكم والشك فى كلام الله أن يقول امرؤ هذا ظاهر وله باطن . ياقوم انا نظرنا فى طرق هذه الأمة فرأيناها مزقت كل ممزق . ياقوم لاسبيل لأن يزول الضلال الا بالعلم والحكمة . ياقوم ديننا ناموس عام لايستثنى شريفا ولاوضيعا وليس عند الله عظيم ونسيب . ياقوم ليس لى من هذا القول كلمة واحدة انما هذه آراء أسلافنا وعظمائنا

ياقوم ان هذا رأى الامام الغزالى وشيوخ الصوفية أنفسهم فاحذروا بعض رجال العصر الحاضر فأكثرهم لايعلمون واذا كان الله عز وجل يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله (وان كان) يامحمد (كبر عليك

اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا) منفذا تنفذ به (في) جوف (الأرض أوسلما) مصعدا تصعد به الى (السماء فتأتيهم بآية) مما يقترحون عليك فافعل ذلك أي أنت لاتقدر عليه (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) فاندرهم واصبر (ولاتكونن من الجاهلين) الذين يجزعون في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلاء

ويقول سبحانه إذ جاء ابن أم مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزل قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وأي شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك (ومايدريك لعله يزكى أو يذكر) يتعظ (فتنفعه الذكرى * أما من استغنى فأنت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه وليس عليك بأس في أن لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على الاسلام الى الاعراض عمن أسلم (وماعليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) كبوة الطريق لأنه أعمى لاقائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل فانظروا يارجال الاسلام خطاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولعيسى ولأهل الأرض قاطبة

انظروا ياأهل العلم كيف عتب الله على نبيه ان أعرض عن رجل أعمى وقد تصدى لدعوة عظماء قريش وهو يطمع أن يعز الله بهم الاسلام لاتكبرا عليه * ولقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يكبره ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين

ولقد روى أن عتبة بن أبي وقاص شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهم أن يدعو عليهم فنزل قوله تعالى (ليس لك من الأمر شئ) ويقول صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ويقول يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيأ • ياأمة الاسلام هذا كلام ربكم وهذه حال نبينا والأنبياء والمسيح عليه السلام الناس أجمعون عبيد لله

فانظروا من أين دخلت الغفلة على المسلمين • ياقوم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • دين الاسلام أخلاق فاتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الاسلام • دين الفضيلة • دين الحكمة دين العلم • دين الأدب

واذا اكتفى الحاج بحجته والمصلي بصلاته والمريد بشيخه والفقيه بفقهه والأديب بأدبه اللفظي فلمن أنزل القرآن وآدابه • يارجال الاسلام أنذركم هلاك العدد وقطع المدد ورق الولد وضياع البلد أنذركم اقتراب أجل الأمة المحمدية أنذركم صاعقة العذاب الهون • لم يبق الا أيام قلائل فان لم ترجعوا الى الجادة هلكت الأمة وصاروا كأهل الأندلس قديما • لقد أطلت في هذا المقام وشرحت حال المسلمين الحاضرة بعد أن أطلت فيها التفكير فأيقنت بما كتبت

هذا لمناسبة السيد المسيح عليه السلام ولعمرك لم يسمعنا الله ذلك الا لنذكر ونعتبر • ولنرجع الى بقية الآية (ومن يستنكف) يترفع عن عبادته (ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم والاستكبار دون الاستنكاف حيث لا استحقاق وقد يدون الاستكبار عن استحقاق

ياأيها المسلمون ماأكثر الغرور وماأجهل المغرورين • دين الاسلام أخلاق وفضيلة ولقد عيرنا سائر الأمم بهذا النقص المشين فان لم نرجع عن عيبنا فاننا في عذاب الخزي واقعون • اللهم ارزق أمتنا رجالا مصلحين وفقهها في أخلاق دينها انك سميع قريب

هذا الذي شرحناه اليوم في الآيتين من سورة النساء بعض مافهمه الصحابة رضوان الله عليهم • وانظروا الى عمر رضي الله عنه وقد تلقى الشريعة عن صاحبها وشاهد كسر رباعيته في أحد والدم يسيل على وجهه وسمع آية الوحي

ـ ليس لك من الأمر شئ ـ أنظروا كيف علم أن الناس كلهم خاضعون لناموس واحد فى الدنيا والآخرة فقال لابن القبطى اضرب ابن عمرو بن العاص كما ضربك بمحضر من الصحابة وكيف يقول له كيف تستعبدون الناس وقد ولدوا أحرارا وكيف جعل الأمر شورى عند موته . تأملوا ياقوم فى الأمر فانى أخاف أن يضيع من أيدينا فالوقت قصير حتى لى أن رجلا هولانديا قال ان دين محمد صلى الله عليه وسلم فهمه أصحابه فى القرن الأول ثم تولى شأن دينه شعوب حقيرة ونفوس صغيرة وعقول قصيرة فرجعوا القهقرى وتقهقروا الى الورا وصاروا عبرة للورى

﴿ تم تفسير سورة النساء ﴾

﴿ سورة المائدة مدنية * وآيها مائة وعشرون آية ﴾



﴿ تقسيم سورة المائدة ﴾

(١) الحلال والحرام فى الصيد ونحوه من أوّل السورة الى قوله الخاسرين

(٢) طهارة الجسم بالماء وطهارة القلب بالصلاة وبالعدل وشكر النعمة من قوله ـ يا أيها الذين آمنوا ـ الى قوله ـ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ

(٣) أخذ العهد على بنى اسرائيل بالصلاة والزكاة والايمان فنقضوا عهدهم وكذلك النصارى وتوبيخ الطائفتين وتقريعهم وقصة دخول بنى اسرائيل بيت المقدس من قوله ـ ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل ـ الى قوله ـ على القوم الفاسقين ـ

(٤) قصة ابنى آدم وكيف كان الظلم قديما كما صار حديثا من قوله ـ واتل عليهم ـ الى قوله ـ فأصبح من النادمين ـ

(٥) حكم القاتل وقاطع الطريق والسارق من قوله ـ من أجل ذلك ـ الى قوله ـ والله على كل شئ قدير ـ

(٦) أحكام التوراة والانجيل والقرآن وأن أهل كل كتاب يحكمون به من قوله ـ يا أيها الرسول لا يحزنك ـ الى قوله ـ يوقنون ـ

(٧) أمر الله المؤمنين أن لا يتولوا اليهود والنصارى وأن لا يرتدّوا وتقريع اليهود والنصارى على ذنوبهم من قوله ـ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى ـ الى قوله ـ وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون ـ

(٨) أمر الله للنبى صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الرسالة ووعده له بحفظه من الناس وان يجاهر اليهود والنصارى بأنهم ليسوا على شئ من دينهم وذكر فريقين من النصارى هادين وضالين وذم اليهود من قوله ـ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ـ الى قوله ـ أولئك هم أصحاب الجحيم ـ

(٩) الحلال والحرام فى الصيد وذكر الخمر والميسر ونحوهما من قوله ـ يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ـ الى قوله ـ فينبئكم بما كنتم تعملون ـ

(١٠) نوع من الشهادات من قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ الى قوله ـ لا يهدى القوم الظالمين ـ

(١١) خطاب الله لعيسى ابن مريم يوم القيامة وجوابه من قوله ـ يوم يجمع الله الرسل ـ الى آخر السورة

﴿ مقدّمة ﴾

نزلت سورة المائدة بالمدينة الا قوله ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة وقال يا أيها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها * قال البغوى روى عن ميسرة أن الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها فى غيرها وهى قوله تعالى (١) والمنخنقة (٢) والموقوذة (٣) والمتردّية (٤) والنطيحة (٥) وما أكل السبع الا ما ذكيتم (٦) وما ذبح على النصب (٧) وأن تستقسموا بالأزلام (٨) وما علمتم من الجوارح مكلبين (٩) وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم (١٠) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (١١) وتمام بيان الطهر فى قوله ـ اذا قمتم الى الصلاة ـ (١٢) والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (١٣) ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (١٤) ما جعل الله من بحيرة (١٥) ولا سائبة (١٦) ولا وصيلة (١٧) ولا حام وقوله (١٨) شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت . أقول وهذه تنقسم الى ثلاثة أقسام . الأوّل ما حرم وكان حلالا عند العرب وهو سبعة . والثانى ما أحلّ وهو سبعة . والثالث أربعة أقسام ما يفضى الى تنزيه الجسم من الأقذار الحسية والمعنوية وهى النجس والحدث والى تنزيه النفوس من الخيانة فى الأموال بالسرقات والى عدم قتل الحيوان فى أحوال خاصة والى العدل فى الشهادة فهذه هى ١٨

فلنشرح (١) أوّلا هذه الأقسام الثلاثة (٢) ثم لأبين كيف أباح الله قتل الحيوان مع انه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والايلام فى عالمنا الأرضى (٣) و بيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٤) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٥) وكيف اختلف نوع الانسان اختلاف الحيوان وكيف كان الاسلام وسطا وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار تارة أخرى (٦) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٧) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة و بسط فيها الحلال والحرام (٨) وكيف كانت هذه السورة هى مفتاح لباب العلوم الحيوانية حتى يلج منه المسلمون فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ما ينفعهم ويحرّمون أكله وفى ذلك باب واسع لدرس الحيوانات كلها ولسائر ما فى الأرض وهذا بحر مستمدّ من قوله تعالى ـ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ـ فلابدّ من دراسة العالم الذى نحن فيه

فأما البقاء على الجهالة العمياء فى الاسلام فذلك باب يجرّ الى فناء هذه الأمّة وقيام غيرها مقامها فليس علم الفقه المعروف كل شئ بل هو جزء قليل جدّا من الدين والدين لا يزال بحاله فليقم فى الاسلام عقلاء وليفكروا فهذا موسمهم والله قد أذن بذلك . فهذه ثمان مسائل فلنبتدئ بالمسألة الأولى فنقول

(١) شرح هذه الأقسام الثلاثة ذات المسائل الثمانية عشرة

القسم الأوّل منها ما كان حلالا وحرم بالقرآن وهو ٧ خلاف الأربعة التى حرمت قبل هذه السورة فى القرآن وهى الميتة والدم والخنزير وما أهلّ لغير الله به فيكون هذا بما أضيف اليه أحد عشر محرما

(١) أحدها الميتة كانت العرب تقول انكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله . ان تحريم الميتة موافق للعقل لأن الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم فى عروقه وتعفن وفسد وحصل من أكله مضار

(٢) ثانيها الميتة كانوا يملؤن المعى من الدم و يشوونه و يطعمونه الضيف فحرم عليهم ذلك وقال الأعشى

فاياك والميتات لا تقربنها * ولا تأخذن نصلا حديدا لتفصدا

ولا تنكحنّ جارة ان سرّها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا

يقول مفسروا هذه الأبيات ان العرب كانوا اذا أجدبوا جرحوا ابلهم بالنصال فنزل الدم فشربوه

(٣) الثالث لحم الخنزير لأن الخنزير أضرى الحيوان على الطعام والشهوات وأشرهه فأكل لحمه يورث الأخلاق التى عليها ذلك الحيوان كما ان الحيوان المريض يورث آكله مرضا . ولقد ثبت فى العصر الحاضر أن الدودة الوحيدة

لا تكون الا من أكل لحم الخنزير فلحوم الناس وعظامهم تابعة لأغذيتهم وهذا باب واسع في العلم يجب النظر فيه طويلا والبحث في الحكمة والعالم المشاهد

(٤) الرابع - ما أهل لغير الله به - الاهلال رفع الصوت يقال أهل فلان بالحج اذا لبى به ومنه استهل الصبي وهو صراخه اذا ولد وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرم الله تعالى ذلك وانما حرم ذلك لتصان العقائد عن التفرق والاختلاف فان ذكر اسم الأصنام عند الذبح مشعر بتفرق الوجهة وتفرقها داع لتفرق الأعمال والأحوال فلا يكون نظام للأمور الحيوية ويتبعها أن يخسروا الآخرة والآخرة انما هي نتيجة الحياة الدنيا تنظيما واختلالا في العقيدة والعمل

(٥) الخامس المنخنقة يقال خنقه فاختنق والخنق والاختناق انعصار الحلق . فهذا الخنق بأي وجه موجب للتحريم فمنه انهم كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت أكلوها ومنها ما يخنق بحبل الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجرة فتختنق فتموت . وهذه المنخنقة بأي وجه من جنس الميتة لأنها لما ماتت لم يسل دمها فكانت منها

(٦) السادس الموقوذة وهي التي ضربت الى أن ماتت يقال وقذها وأوقذها اذا ضربها الى أن ماتت ومن الموقوذة ما رمي بالبندقيات وهي من الميتة لأنها لم يسل دمها

(٧) السابع المتردية والمتردي هو الواقع في الردى وهو الهلاك قال الله تعالى - وما يغني عنه ماله اذا تردى - أي وقع في الردى وهو في الآية النار ويقال فلان تردى من السطح فالمتردية هي التي تسقط من جبل أو موضع مشرف فتموت . وهذه أيضا من الميتة لأنها ماتت وما سال منها الدم . وكذلك ما تشابه أمرها فلم نعلم أمتردية هي أم مصابة بالسهم بأن وقعت من فوق الجبل وقد أصابها سهم فلا يدري أبهما ماتت أبالسهم أم بالتردي

(٨) الثامن النطيحة وهي المنطوحة الى أن ماتت كشاتين تناطحتا الى أن ماتتا أو ماتت احداهما وهي من الميتة لأنها ماتت من غير سيلان الدم واعلم أن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث اذا كان الموصوف مذكورا فاذا لم يكن الموصوف كما هنا دخلت التاء فارقة

(٩) التاسع - ما أكل السبع الا ما ذكيتم - السبع يقع على ماله ناب ويعدو به على الانسان والدواب ويفترسها مثل الأسد وما دونه * وكان أهل الجاهلية اذا جرح السبع شيأ فقتله وأكل بعضه أكلوا ما بقي فحرمه الله تعالى وتقدير الآية - وما أكل السبع منه - لأن ما أكل السبع قد نفد وقوله - الا ما ذكيتم - أصل الذكاء اتمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم ويقال ذكيت النار أتممت اشعالها فقوله - الا ما ذكيتم - أي الا ما وجدتم له عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو رجلا تركض فذبحتموه فانه حلال فانه لولا بقاء الحياة ما حصلت هذه الأحوال ويكون هذا الاستثناء مما تقدم من المنخنقة الى قوله - وما أكل السبع - والتذكية هنا هي التي أجهزت على الحيوان لا الخنق ولا الوقذ الخ وهذا قول علي وابن عباس والحسن وقتادة ويقول بعضهم كلا بل هذا راجع لما أكل السبع والقول الثالث انه استثناء منقطع أي - الا ما ذكيتم - من غير هذه فأما هذه فلا تحل ذكيت أو لم تذك

(١٠) العاشر - وما ذبح على النصب - وهي أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويضعون اللحوم عليها فقال المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بأن نعظمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكره فأنزل الله - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - والنصب جمع نصاب كحمار وحمر أو نصب كسقف وسقف أو النصبة وهي العلامة تنصب للقوم أي وما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب أو للنصب

(١١) الحادي عشر قوله - وأن تستقسموا بالأزلام - كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا آخر من معاظم الأمور ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على واحد منها أمرني ربي وعلى الثاني

نهاني ربي والثالث لاشئ عليه فان خرج لأمر أقدموا على الفعل وان خرج النهي أمسكوا عنه وان خرج الذي لم يكتب عليه أعادوا العمل مرة أخرى فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم لهم من الخير والشر بواسطة ضرب القداح والأزلام القداح واحدها زلم وسميت الاقداح بالازلام لانها زلت أي سويت ويقال رجل مزلم وامرأة مزلمة اذا كان كل منهما خفيفا قليل العلائق ويقال قدح مزلم اذا ظرف وأجيد قده وصنعته وانما حرم ذلك لأنهم كانوا يحملون تلك الأزلام عند الأصنام ويعتقدون أن ما يخرج من الأمر والنهي على تلك الأزلام انما يكون بارشاد الأصنام واعانتها فلهذا السبب كان فسقا وحراما

واعلم أن الله عز وجل منع علم الغيب عنا لحكمة وهي الجد ولو أننا عرفنا الغيب ماعملنا عملا بل كان الانسان ينام منتظرا مايجيء به القدر وهذا تعطيل لمصالح الدنيا فلذلك منع الله علم الغيب عن الناس وجعل الرؤس وغيرها فيها الحق والباطل والصدق والكذب ليحترس الناس وليفكروا بعقولهم ولايتكلوا إلا على ربهم الذي حجبهم برحمته عن معرفة الغيب إلا بما شاء لحكمة • اهـ القسم الأول من الأقسام الثلاثة وهي السبعة التي حرمت في هذه السورة مضافا لها الأربعة التي معها وكانت محرمة قبل نزول هذه السورة

القسم الثاني ما أحل وهو سبعة (١) ماصدناه بالجوارح المعلمة (٢) وطعام الذين أوتوا الكتاب (٣) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (٤) بيان الطهر والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام

(١) ماصدناه بالجوارح المعلمة ــ وماعلمتم من الجوارح مكلبين ــ والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانه يجرح الصيد عند امساكه ويصح أن تسمى جوارح بمعنى كواسب من جرح واجترح بمعنى كسب واكتسب ومعنى مكلبين معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد أو هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له الاسم من الكلب لأنه أكثر احتياجا الى التعليم هكذا قالوا وأقول بل هو أقرب الى الائتناس بالناس وأدنى الى طاعتهم بخلاف الطيور • ثم قال تعالى ــ تعلمونهن مما علمكم الله ــ من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى ومنه أن يتبع الصيد اذا أمره صاحبه وان ينزجر عنه اذا انزجر وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ولا ينفر من صاحبه اذا أراده وأن يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم الجوارح فاذا وجدتها ذلك مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات عند أبي يوسف ومحمد ومرتان في رواية عن أبي حنيفة وعند أحمد أيضا ومرة واحدة عند الحسن البصري ويعتبر العرف عند الشافعي وأبي حنيفة في أظهر الروايات عنه * قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن أبي حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل

(١) فاذا كان الكلب معلما وصاد صيدا وجرحه وقتله وأدركه الصائد ميتا فهو حلال لأن جرح الجارحة كالذبح

(٢) الجوارح المعلمة حكمها حكم الكلب

(٣ و ٤) والسهم والرمح كذلك • فاذا صاده الكلب وجثم عليه وقتله بالغم من غير جرح ففيه قولان

(١) انه ميتة لايؤكل (٢) يحل لدخوله فيما أمسكن عليكم وهذا كله مالم يأكل منه فان أكل منه فقد اختلف العلماء فيه فمن قائل لايحل وهو قول ابن عباس وطاوس والشعبي وعطاء والسدي وأظهر اقوال الشافعي مستدلين بقوله تعالى ــ فكلوا مما أمسكن عليكم ــ وهذا قد أمسكه على نفسه * وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعدي بن أبي حاتم اذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أدركته ولم يقتل فاذبح واذكر اسم الله عليه وان أدركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك وان وجدته قد أكل فلا تطعم منه شيأ فانما أمسك على نفسه • ومن قائل يحل وهو قول سلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم • فهؤلاء

يقولون يحل وان أكل منه وهو القول الثانى للشافعى

(٢) الثانى من السبعة التى تحل طعام الذين أوتوا الكتاب فى قوله تعالى - وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم - فطعام الذين أوتوا الكتاب هنا هى الذبائح التى يذبحونها وأما المجوس فلا نأكل ذبائحهم ولا نتزوج نساءهم ولا نأكل ذبائح أهل الشرك من العرب وعبدة الأصنام ومن لا كتاب لهم فأما غير الذبائح فلا كلام فيها لأنها محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم لا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ولو ذبح اليهودى أو النصرانى على غير اسم الله (١) قيل لا يحل ذلك وهو قول ربيعة (٢) ولكن أكثر أهل العلم انه يحل وهو مذهب الشعبى وعطاء قالا لأن الله أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون (٣) وقال الحسن إذا ذكر اغير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله (٤) وزعمت طائفة أنه يحل مطلقا ولو ذكروا اسم غير الله وأما قوله - وطعامكم حل لهم - أى يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم وكأنه لما كانت المناكحة غير جائزة من بعض الوجوه بأن يتزوجوا نساءنا نبه بهذا على أنه يجوز أن نطعمهم من طعامنا وان لم يجز أن نزوجهم من نسائنا

(٣) الثالث من السبعة التى تحل - والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - أى وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى وهل يراد بالمحصنات الحرائر منهن

(١) وهذا قول ابن عباس فلا يتزوج بالأمة الكتابية من اليهود والنصارى لأنه اجتمع فى حقها نوعان من النقص الكفر والرق وهو مذهب الشافعى (٢) وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك المحصنات العفيفات من أهل الكتاب فيجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعموم هذه الآية فزواج الكتابيات الذميات جائز وقد تزوج عثمان بن عفان نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهى نصرانية وطلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وقد كره ابن عمر ذلك وكان يحتج بقوله تعالى - ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن - وقال الجمهور هذه الآيات التى ذكرها عامة وخصت بهذه الآية لجميع المشركات محرمات مالم يؤمن إلا الكتابيات فذلك عام وهذا خاص خلت الكتابيات وبقى تحريم غيرهن من المشركات . وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزويج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم الآية والجمهور انها خاصة بالذميات دون الحربيات * قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من تحل لنا ومنهن من لا تحل لنا وقرأ - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله - الى قوله - حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله - اذا آتيتموهن أجورهن - أى مهورهن وهى العوض الذى يبذله الرجل للمرأة - محصنين غير مسافحين - أى مستعفين بالتزويج غير زانين - ولا متخذى أخدان - يعنى ولا منفردين ببغى واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده . حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالايمان) ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) بطل ثواب عمله الذى عمله فى الدنيا وخاب وخسر فى الدنيا والآخرة (وهو فى الآخرة من الخاسرين) اذا مات على ذلك

الرابع والخامس والسادس والسابع من التى تحل هى المذكورات فى قوله تعالى (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب فهذه هى البحيرة . وأما السائبة فان الرجل منهم كان يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وأما الوصيلة فقد كانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها فى الغنم وان كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت

أخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل ذلك والحامي هو الفحل اذا اتفق له أحد أمرين اما أن يركب ولد ولده أو ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى فاذا مات أكله الرجال والنساء وقوله ـ ماجعل الله ـ ماشرع الله ـ من بحيرة الخ ـ

القسم الثالث وهو مايشير الى تنزيه الجسم عن الأقذار الحسية والمعنوية وهي الحدث والنجس والى تبرئة النفس من الخيانة في الأموال بالسرقات والى عدم قتل الحيوان في أحوال خاصة والى العدل في الشهادة وأدائها

﴿ المسألة الأولى ـ نظافة الجسم ﴾

(ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) أي اذا أردتم القيام الى الصلاة ـ فاغسلوا وجوهكم ـ من منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولا ومن الأذن الى الأذن عرضا مع وصول الماء الى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وان كانت كثة وأما اللحية فان كانت كثة لاترى البشرة من تحتها لايجب غسل ماتحتها ويجب غسل الخفيفة ولم يوجب أبو حنيفة مرور الماء على مانزل من شعر اللحية عن حد الرأس ويجب امرار الماء على ظاهره عند غيره ـ وأيديكم الى المرافق ـ المرفق بالكسر هو من الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد ومذهب جمهور العلماء دخول المرفقين في الغسل الواجب ونقل عن مالك والشعبي وأبي بكر بن داود الظاهري انه لايجب وكذا ابن جرير الطبري وحجة الجمهور أن الى بمعنى مع وحجة غيرهم أن الغاية للشئ لاتدخل فيه واحد غير المحدود ـ وامسحوا برؤسكم ـ أي رؤسكم أو الصقوا المسح برؤسكم فالباء اما زائدة واما أن يكون الفعل تضمن معنى الالصاق والمسح عند الشافعي أقل مايقع عليه الاسم • وعند أبي حنيفة ربع الرأس • وعند مالك جميع الرأس ـ وأرجلكم الى الكعبين ـ بالنصب عطفا على وجوهكم أو بالجر للجوار

(وفرض الرجلين)

(١) اما المسح عند ابن عباس وقتادة وعكرمة والشعبي والامامية من الشيعة (٢) واما المسح بالقرآن والغسل بالسنة عند أنس (٣) واما الجمع بين الغسل والمسح عند داود الظاهري (٤) واما التخيير بين الغسل والمسح عند الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري (٥) واما الغسل فقط عند جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة الأربعة وأصحابهم وهذا الخلاف كله راجع لقراءة الجر والنصب والأحاديث واردة بطرق مختلفة ولاستنتاج كقول الشعبي انما المسح على الرجلين الاترى أن ما كان فيه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل وقال ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان وهكذا وقوله ـ الى الكعبين ـ الخلاف في دخول الكعبين كالخلاف في دخول المرفقين والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عند جمهور العلماء في اللغة والفقه وشذت الشيعة والقائلون بمسح الرجلين إذ قالوا الكعب عظم مستدير على ظهر القدم فيكون في كل رجل كعب واحد

﴿ كيفية الوضوء ﴾

فروض الوضوء • اعلم أن فروض الوضوء التسمية وتقديم غسل اليدين والمضمضة والسواك والاستنشاق والنية عند غسل الوجه وغسل الوجه وداخل العين مع مقدم الأذن وغسل اليدين وتقديم اليمنى ومسح الرأس وغسل الرأس مع المسح وغسل الرجلين والترتيب والفور ويكون لكل صلاة والتدليك

فالتسمية عند أحمد واسحق وتقديم غسل اليدين عند بعض الفقهاء كما في الرازي والمضمضة والاستنشاق عند أحمد واسحق في الوضوء والغسل • وعند أبي حنيفة في الغسل دون الوضوء والسواك عند داود • والنية عند الشافعي والترتيب عنده أيضا والفور وهو الموالاة عند مالك وما أقبل من الأذن مع الوجه غسلا وما أدبر مع الرأس مسحا عند الشعبي وادخال الماء في العين عند ابن عباس وتقديم اليد اليمنى عند أحمد ومسح الرأس مع غسلها عند داود الظاهري ويجب الوضوء لكل صلاة عنده أيضا والتدليك عند مالك

وأبوحنيفة لم يوجب منها إلا أربعة وهي المذكورة في الآية وزاد الشافعي خامسا وهو النية وزاد الشافعي أيضا وأحمد سادسا وهو الترتيب كالآية وأوجب مالك الموالاة والتدليك فالاتفاق على أربعة والاختلاف في اثني عشر

﴿فائدة﴾ قال الأوزاعي والثوري وأحمد يجوز مسح العمامة بدل مسح الرأس وخالفهم الجمهور والمسح على الخفين أجازه الشافعي وأبوحنيفة وأكثر الفقهاء وذلك للمسافر ثلاثة أيام بلياليها من وقت الحدث بعد اللبس وأنكره الشيعة والخوارج وأما قوله تعالى ـ وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ـ فقد سبق تفسيره في سورة النساء ولكن لنوضح الطهارة من الجنابة فنقول . للجنابة سببان التقاء الختانين والانزال وقال زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري لايجب الغسل إلا عند نزول الماء وختان الرجل موضع قطع جلدة الغلفة وختان المرأة موضع قطع الجلدة الرقيقة القائمة مثل عرف الديك بين الشفرين وتحتها مجرى البول وهو ضيق وتحت هذا ثقبة يخرج منها الحيض والولد وهي مدخل مايجب به الغسل والتطهر الاغتسال وهو أن يعم الجسد بالماء وأوجب مالك الدلك وأوجب أبوثور وداود تقديم الوضوء وأوجب أبو حنيفة المضمضة والاستنشاق . ثم ان شعر الرأس ان كان مفتولا مشدودا بعضه ببعض ومنع وصول الماء الى البشرة لم يوجب مالك نقضه ـ مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ـ أي مايريد الله بالطهارة للصلاة ولا بالأمر بالتيمم تضييقا عليكم ـ ولكن يريد ليطهركم ـ لينظفكم والنظافة الظاهرة داعية للباطنة ومن اعتاد نظافة الظاهر صار سجية له يعتادها وملازمة الاعتدال والجمال تؤثر في نفس الملازم ولقد بينا هذا في سورة البقرة عند قوله تعالى ـ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ وأفدنا هناك أن النظافة والعمل يرفعان النفوس الانسانية والقذارة والبطالة يوجبان نقصها فارجع اليه إن شئت ـ وليتم نعمته عليكم ـ بالطهارة والنظافة ومايترتب عليها من صفاء القلوب واخلاص السرائر وصفاء النيات ـ لعلكم تشكرون ـ نعمته

﴿ المسألة الثانية ﴾

ـ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ـ حد اليد من رؤس الأصابع الى الكوع أي فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة وهذه جملة وقوله ـ فاقطعوا أيديهما ـ جملة أخرى ـ جزاء بما كسبا ـ مفعول لأجله ـ نكالا من الله ـ أي عقوبة مفعول لأجله أيضا ـ والله عزيز حكيم ـ عز فحكم فقطع ولا تقطع اليد إلا اذا كان المسروق يساوي ربع دينار وسرق من حرز مثله وقال مالك وأحمد واسحق يقطع في ثلاثة دراهم أوقيمتها وعن أبي هريرة أنه خمسة دراهم وقال قوم لابد من دينار أوعشرة دراهم وهذا مروى عن ابن مسعود وسفيان وأبي حنيفة وابن عباس ويروى عن ابن الزبير والحسن أن القدر غير معتبر فيقطع على القليل والكثير ولايشترط أن يكون من حرز مثله وهو مذهب داود

وتقطع يده اليمنى من الكوع فان سرق ثانية قطعت رجله اليسرى * وهنا قال سيدنا علي اني استحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولارجلا يمشي بها فلا يقطع اليد الثانية ولا الرجل الثانية بل يحبس وهو قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي وذهب غيرهم الى أنه تقطع يده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة

﴿ التخفيف فلاقطع في حالين ﴾

الحال الأولى . اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق مال والده والوالد يسرق مال ولده والعبد يسرق مال سيده والشريك يسرق مال شريكه بل ان مجرد الانكار عند بعضهم كالشافعية يمنع القطع فلو قال لم أسرق وقد سرق كان شبهة تمنع القطع ويكتفي بالعقوبة (التعزير)

الحال الثانية . أن يتوب كما قال الله تعالى ـ فمن تاب ـ من السراق ـ من بعد ظلمه ـ بعد سرقته

واصلح

- وأصلح - أمره بالتفصي عن التبعات والعزم على أن لا يعود اليها - فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم - يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة ولا تقطع يده عند بعض العلماء بدليل قوله تعالى - غفور رحيم -

﴿ المسألة الثالثة ﴾

- يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم - محرمون جمع حرام أو داخلون الحرم فيحرم على من أحرم بالحج أو العمرة وعلى من دخل الحرم وان لم يكن محرما أن يقتل الصيد وهو كل حيوان متوحش مأكول اللحم أو غيرمأكول اللحم كالغزال والأسد واستثنى من ذلك خمس الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور - ومن قتله منكم متعمدا - ذاكرا لاحرامه عالما بأنه حرام عليه قتل ما يقتله - فجزاء مثل ما قتل من النعم - أي فعليه جزاء يماثل ما قتل من النعم * روى أنه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحشي فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت هذه الآية

واعلم أن من تعمد قتل الصيد وهو ذاكر لاحرامه فان ذنبه أكبر من أن يكون له كفارة ولكن ابن عباس والجمهور يحكمون عليه بالجزاء • ومن تعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام أو قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد فعليه الجزاء فالقرآن نزل في العمد والسنة جرت بالخطأ

﴿ المثل الواجب ﴾

أبالخلقة هو أم بالقيمة والجمهور على الأول فقد حكم الصحابة رضي الله عنهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وفي الضبع بكبش وفي الظبي بشاة وفي الأرنب بسخل وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة ويجب في الحمامة وكل ما عب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الأطواق شاة وماسوى ذلك من الطير ففيه القيمة في المكان الذي أصيب فيه * وروى عن عمر أنه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الأرنب بعناق وفي اليربوع بجفرة

وقال أبو حنيفة يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة عن هدى خير بين أن يهدي ما قيمته قيمته وبين أن يشتري به طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم قال تعالى - يحكم به ذوا عدل منكم - أي يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبغي أن يكونا فقيهين فينظران الى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به - هديا - حال من الهاء في به - بالغ الكعبة - وصف به هديا ومعنى بلوغه الكعبة انه يذبح في الحرم ويتصدق به ثمت وقال أبو حنيفة يذبح في الحرم ويتصدق به حيث شاء - أو كفارة طعام مساكين - عطف بيان أو بدل من كفارة والمعنى عند الشافعي أن يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدّا - أو عدل ذلك صياما - أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وانما كان عليه الجزاء أو الطعام أو الصوم - ليذوق وبال أمره - ثقل فعله وسوء عاقبته بهتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله وأصل الوبال الثقل ومنه الطعام الوبيل - عفا الله عما سلف - من قتل المحرم الصيد في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة - ومن عاد فينتقم الله منه - مع أن عليه الكفارة - والله عزيز ذو انتقام - ممن أصرّ على عصيانه ثم أخذ يشرح صيد البحر فقال - أحل لكم صيد البحر - ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال كله

وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر - وطعامه - ما قذفه ورمى به الى الساحل أو نضب عنه - متاعا لكم - تمتيعا لكم - وللسيارة - أي ولسيارتكم يتزودونه قديدا أي يتمتع به المسافرون والمقيمون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

الحيوان البحري إما سمك واما غير سمك فجميع السمك حلال وقال أبو حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب

وماعدا السمك فهو قسمان قسم يعيش فى البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما • وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس

والجراد وطير الماء من صيد البر فان أصاب جرادة فعليه صدقة • وقال أحمد يؤكل مافى البحر إلا الضفدع والتمساح قال لأن التمساح يفترس ويأكل الناس • وقال ابن أبى ليلى ومالك يباح كل مافى البحر وقال بعضهم الكلب والخنزير فى الماء وكل ماله نظير لا يؤكل فى البر لا يؤكل هو والبقر البحرى والجاموس يؤكل لأن له نظيرا فى البر يؤكل اه

﴿ المسألة الرابعة من هذا القسم ـ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ الآية ﴾

اعلم أن تميما الدارى وعدى بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر كما هو نص الآية ثم خلى سبيلهما ثم وجد الاناء فى أيديهما فأتاهما بنوسهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بقية الآية وهى تفيد أن يقوم اثنان من أولياء الميت ليحلفا بدل هذين الوصيين النصرانيين فقام عمرو بن العاص ومطلب بن أبى رفاعة السهميان فقاما مقام النصرانيين فأقسما أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين المذكورين بالقبول وهذا هو قوله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ـ أى الاشهاد فى الوصية واضافه الى بينكم توسعا ـ اذا حضر أحدكم الموت ـ أى شارفه كما اتفق لبديل ظرف لشهادة حين الوصية بدل منه ـ اثنان ـ فاعل شهادة ـ ذوا عدل منكم ـ وصف لاثنان ـ أو آخران من غيركم ـ عطف على اثنان أى من غير دينكم وملتكم ـ إن أنتم ضربتم فى الأرض ـ أى سافرتم ـ فأصابتكم مصيبة الموت ـ أى قاربتم الأجل ـ تحبسونهما من بعد الصلاة ـ وكأنه قيل كيف نفعل بهما ان ارتبنا قال تحبسونهما وتقفونهما من بعد الصلاة أى صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس ـ فيقسمان بالله ان ارتبتم ـ أى ارتاب الوارثون منكم والمقسم عليه قوله ـ لانشترى به ـ أى لا نستبدل بالقسم أو بالله ـ ثمنا ـ عرضا من الدنيا أى لانحلف بالله كذبا لطمع ـ ولو كان ـ المقسم له ـ ذا قربى ـ قريبا منا ـ ولا نكتم شهادة الله ـ أى الشهادة التى أمرنا باقامتها ـ إنا إذن لمن الآثمين ـ ان كتمنا ـ فان عثر ـ اطلع ـ على أنهما ـ أى النصرانيين ـ استحقا إثما ـ خيانة ـ فآخران ـ أى وليان آخران من أولياء الميت وهو بديل وهما هنا عمرو بن العاص ومطلب بن أبى رفاعة يقومان مقامهما مقام النصرانيين ـ من الذين استحق عليهم الاوليان ـ أى من الورثة الذين استحق عليهم أى الأوليان أى الأحقان من بينهم بالشهادة فيصطفيهما الورثة ليظهرا كذب هذين الوصيين فالورثة يختارون اثنين يكونان أحق بالميت وأولى به فيقسمان بالله أن شهادتهما أحق من شهادة الوصيين وذلك لأنه قد ظهر للناس خيانتهما

﴿ قضاء شريح بهذه الآية وانها ليست منسوخة وقضاء أبى موسى الأشعرى ﴾

قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهد وصيته فليشهد كافرين على أى دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة فى هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال إلا على وصية فى سفر لا يجد فيه مسلما

وعن الشعبى أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حضر يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال

ابو

أبوموسى هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ماخانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ولاغيرا وانها وصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما

ومذهب الشافعي ومالك وأبى حنيفة والحسن والزهرى وعكرمة عدم جواز شهادة الكافر ولا فى هذه المسألة وانما أجاز أبوحنيفة شهادة أهل الذمّة فيما بينهم واحتج آخرون بأن هذه السورة ليس فيها منسوخ ألبتة وأيضا ماذا يفعل المسلم الذى حضرته الوفاة فى المال اذا لم يجد مسلما فهذا مضطر أن يشهد أى كافر كان اه

ثم قال الله تعالى ـ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ـ أصدق من شهادتهما وأولى بأن تقبل ـ وما اعتدينا ـ أى وما تجاوزنا فيها الحق ـ إنا إذن لمن الظالمين ـ الواضعين الباطل موضع الحق وهذا المقام من المواضع التى ردّ فيها اليمين الى الورثة لظهور خيانة الوصيين ـ ذلك ـ الحكم الذى تقدم ـ أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ـ على نحو ماحملوها من غير تحريف وخيانة فيها ـ أويخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ـ أى تردّ اليمين على المدّعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة كما فى مسألة بديل ـ واتقوا الله واسمعوا ـ ماتوصون به سماع اجابة ـ والله لايهدى القوم الفاسقين ـ فان لم تتقوا وتسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين

وإذ فرغت من المسائل الثمانية عشرة وهى التى قسمتها ثلاثة أقسام وهى المروية عن ميسرة فلأشرع فى الكلام على أن الله عزّوجل (١) كيف أباح قتل الحيوان مع أنه رحيم وكيف اجتمعت الرحمة والايلام فى عالمنا الأرضى (٢) وبيان الحيوانات الآكلة والمأكولة (٣) وكيف كان النظام يطلب ذلك (٤) وكيف اختلف نوع الانسان اختلاف الحيوان (٥) وكيف كان الاسلام وسطا (٦) وكيف كان الله هو الملهم والمعلم بالالهام تارة والاختبار والعقل تارة أخرى (٧) وتحريم أكل الطيور النافعة للانسان شرعا (٨) وكيف سمى الله هذه السورة مائدة وبسط فيها الحلال والحرام وكيف كانت هذه السورة هى مفتاح للعلوم الحيوانية حتى يلج المسلمون منه فيعرفوا الضار والنافع بتعليم الله لهم والهامه سبحانه وتعالى واختبار الضار والنافع فيحفظون ماينفعهم ويجتنبون مايضرهم

﴿ كيف أمر الله بذبح الحيوان وهو أرحم الراحمين ﴾

اعلم أيها الذكى العاقل الفطن أن هذا التفسير قد جعل بابا من أبواب الحكمة وبه سيصير المسلم القارئ له من الذين دخلوا للحكمة من بابها . ذلك انك ستجد الاجابة على أسئلة كثيرة ترد على العقول ولقد ضل بها كثير من الناس . ولتعلم أن الانسان لايصل الى السعادة والصفاء والجمال إلا اذا وقف على الحقائق ولكن مادام واقفا على شاطئ الحقيقة لم يهجم عليها ولم يركب سفن النجاة الجارية فى بحارها عاش جبانا جاهلا ومات غير متزوّد من هذه الدنيا زادا يسير به فى الحياة العقلية فى العالم الكامل بعد خروجه من السجن الأرضى الذى حكم عليه بالبقاء فيه أياما وأعواما

فمن الأسئلة التى ترد على قلوب العقلاء والفضلاء هذا السؤال . كيف يؤلمنا الله وهو أرحم الراحمين فاما أن يكون ليس أرحم الراحمين واما أن لايؤلم من لاذنب له وقد رأيناه يؤلم الصبيان والبهائم والمجانين فأصبح الشك محصورا فى الرحمة . فأين الرحمة إذن

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الرحمة التى بمعنى رقة القلب مستحيلة على الله تعالى . بل الرحمة التى هى الرقة ناقصة . ألاترى أن الطبيب يعطى المريض الدواء المرّ ويسقيه كل ما يكرهه ويقطع عضوه وهذه الرحمة خير من رحمة أم المريض وصاحبته التى لاترضى له بالألم الذى يكون نعمة عليه . ولاجرم أن رحمة الأب الممزوج رقتها بشدتها خير من رحمة الأم القصيرة النظر المنعمة للابن

ولقد رأينا فى أهل الأرض حالا مطردة وهى ان من صبروا على ماجاءهم من صروف الدهر وذاقوا المرّ والنصب والتعب فان هؤلاء يسودون ولذلك رأينا الأنبياء والحكماء وهكذا عظماء الأمم فى الوقت الحاضر هم الذين قاسوا ماهو مرّ المذاق والصاب والعلقم وأنواع الآلام والسجون والمشقات وأن المترفين المنعمين هم الهالكون فى هذه الدنيا الذين يسقطون فى أيام امتحان نوائب الدهر وحدثانه فيسقطون ويعلو عليهم سواهم من المجدّين الكاملين • ذلك هو الناموس والصراط المستقيم

ويوضح هذا قوله تعالى ــ فأمّا الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأمّا اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا الخ ــ ولقد تقدم تقريرهذا المقام فى تفسير آل عمران عند قوله تعالى ــ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ــ واقرأ اذا شئت كتابا حديثا يسمى ﴿ الكوخ الهندى ﴾ ألفه أحد الفرنسيين وهو وكتاب ﴿ لفرقابس ﴾ الذى شرحته فى البقرة من واد واحد وهو أن المنعمين لا سعادة لهم فى هذه الدنيا وأن الذين يصيبهم النصب والتعب هم الذين ينالون حظهم وكمالهم

﴿ الحيوان منه آكل ومأكول ﴾

اعلم أن الحيوان ينقسم قسمين قسم يأكل الحشائش والنبات وأوراق الشجر والزهر والحب كالأنعام والبهائم والغزلان والأرانب وماأشبه ذلك • والقسم الثانى لايأكل إلا اللحم وهى الأسود والنمور والضباع والسباع فهذه الحيوانات حرم عليها أن تأكل شيأ غير اللحم وترى هذه الطائفة منها مافى الجوّ من الصقور والشواهين • ومنها ماعلى الأرض كالآساد • ومنها مافى التراب كالحيات • ومنها ما فى البحر كالتماسيح والتنانين • وهذه الأقسام الأربعة هى التى تتولى نظام الحيوان ولاعلم لها بهذه الولاية

وايضاحه انك ترى أن الحيوانات التى تأكل الحشائش تتكاثر وتتناسل على وجه الأرض فلو تركت وشأنها لملأت السهول والجبال ولكانت رممها تملأ الأودية والسهول فتعفن فيحصل الهلاك لها ولغيرها • لذلك خلقت الحيوانات الآكلات التى حكم عليها أن لا تكون بطونها إلا مقابر لهذه الحيوانات ومتى كانت مقابر لها أصبحت داخلة فى دمائها مختلطة بلحومها منقلبة الى أجزائها صالحة للحياة لاضرر منها على سكان الأرض

اعتبر ذلك فى كل ماتراه • ألاترى أن الذباب لايرى إلا فى محال الرطوبات والأمكنة الرطبة وعند اللبانين وبائعى السمن والعسل وماأشبه ذلك لأنها تتعاطى العفونات من تلك الأماكن وتصبح أجسادها مأوى لتلك العفونات التى لو بقيت لكان منها المضار فى الهواء فيفسد وتكون الأمراض الوبيلة الفتاكة • وذلك الذباب وما أشبهه كالبق والناموس يصطاده العصفور والعصفور يصطاده الخطاف والخطاف يصطاده ماهوأقوى منه وهكذا اذامات البازو الشاهين وكل مايصطادماهو أدنى منهما أكلها الدود والدود يمتص الرطوبات فهى دائرة أولها آخرها ولولا هذه الدائرة لم يبق حى فى عالمنا الأرضى • هكذا نرى الآساد والنمور و بنى آدم جميعا تأكل الضأن والمعز والابل والبقروما أشبه ذلك • ثم ان بنى آدم والاسود والنمور اذا ماتوا أكلهم الدود

﴿ الأمراض العامّة فى الانسان والحيوان ﴾

ثم انك فى الحياة الدنيا ترى أن الانسان تتناوبه الحمى والجدرى والتيفوس والحصباء وأكثر الأمراض انما تكون من حيوانات لاعدد لها وهكذا الحيوانات الأخرى ويعرف ذلك أبياطرة للحيوان والأطباء للانسان

﴿ القاتل للانسان نوعان من الحيوان ﴾

والذى يقتل الانسان من الحيوان نوع ظاهرى ونوع باطنى • فالنوع الظاهرى الآساد والنمور والذئاب والحيات وما أشبه ذلك • والنوع الباطنى حيوانات صغيرة جدا تسمى (المكروبات) وهذه الحيوانات تدخل أجسامنا وتتوغل فيها وتحدث فينا أمراضا مختلفة بما تثير فى داخل أجسامنا من الحرارة بالثورات الداخلية ويكون اختلاف الأمراض باختلاف أنواع تلك الحيوانات فمنها حيوانات للوباء العام ومنها حيوانات

لاحداث مرض البول (البلهارسيا) ومنها ماتحدث الحمى ومنها ماتحدث الجدرى وما أشبه ذلك وكل هذه الحيوانات تؤلمنا أشد الألم ولايخلصنا منها ولامن أضرارها بنا إلا أحد أمرين . إما الأدوية القوية كتلك التي اخترعوها للمرض المسمى بالزهرى وتسمى دواء (٦٠٦) لأنه نتج من ٦٠٦ تجربة وإما الموت الذى يكون أرحم من الحياة معها . ثم ان الحيوانات الظاهرة القاتلة للانسان تنقسم قسمين ناطقة وغير ناطقة فغير الناطقة قد تقدمت والناطقة هى الانسان يقتل الانسان وتساعده على ذلك دياناته فانك لاتجد دينا فى الأرض إلا حرض على حفظ النفس وحفظ الوطن وحفظ الشرف ومن الديانات ما منعت المقاتلة كالدين المسيحى ولكن الفطرة الانسانية أبت أن تسكت على ذلك فأصبح هؤلاء المسيحيون رافعى لواء القتل والاهلاك والابادة فى الجنس البشرى . فدلنا هذا أن الحيوان والانسان ودياناته غالبا متعاونون على تطهير الأرض من ازدحام الأحياء

﴿ ولعلك تقول لماذا يكون هذا الاهلاك والقتل ﴾

أقول اعلم أن الأرض التى نحن عليها ليست أرقى عالم فى هذا الوجود بل الظاهر انها عالم متأخر بدليل أن الكشف الحديث دلنا أن هناك مايقرب من ثلثمائة مليون أرض وتلك الملايين بعضها عوالم أوسع من أرضنا وألطف وأجمل وأبهى وأعظم بما لاحد له . واذا كنا نرى أن أرضنا مع ضيقها وصغر حجمها قد حوت من أنواع الحيوان مالاحصر له فنه الدود الذى ليس له إلا حاسة واحدة ومنها القرود المتمتعة بجميع مواهب الحواس ومنها الانسان وفيه الأنبياء والعلماء وأنت لو نسبت الدود الى الانسان لم تجد هناك أى مناسبة بل وجدت بينهما بونا شاسعا عظيما مترامياً فاذا كانت أرضنا مع ضيقها قد جمعت مابين العقارب التى تسكن التراب و بين الانسان الذى يقطن فى الأرض ويركب متن الهواء ويستخدم البخار والكهرباء فمابالك بتلك العوالم الشاسعة . تلك العوالم التى لايعرف مدى كمالها وجمالها . أفليس من المعقول والمقبول أن يقال ان هناك حياة تكون نسبة حياتنا اليها كنسبة حياة الدود الينا . أوليس ذلك أقرب لعقولنا . أوليس العقل بطريق القياس يرى أن هناك من الارتقاء مالاحد له فاذا كان الارتقاء فى أرضنا بلغ حدا عظيما جدا . فياليت شعرى أين الدودة التى فى الصخرة وأين الانسان و بمثل ذلك نقول أين حياة هذا الانسان التى هى أشبه بالدود بالنسبة لحياة أخرى فى عالم أرقى من عالمنا فالعقل يرى أن أرضنا عبارة عن مزرعة تزرع فيها أنواع الحيوان ثم ترتقى تلك المزارع انتقالا مجهولا لنا وغاية الأمر أن نقيسه على مانفعل بالزرع فان الناس يزرعون البزور ثم ينقلونها كما ترى فى الأشجار عند رجال الحدائق والبستانيين الذين يزرعون البزر فى مواضع خاصة ثم ينقلونها فتزرع زرعا أرقى ويكون اللاحق على مقتضى السابق والآخرة كالأولى فهكذا هذه الحيوانات خلقت فى الأرض خلقا مؤقتا لتنقل الى حال أرقى ونحن هنا لاندرى الى أى جهة تصدر تلك الحيوانات

﴿ فطرة العامة والنبوات ﴾

وهذا القياس الذى يخطر بالنفس هو بعينه ما جاء على قلوب الأنبياء وماغرس فى فطرة البشر فانك لاتدخل أرضا ولاتأتى مملكة إلا سمعت صدى صوت هذا الموضوع والاخبار بما هو غائب عن العيون فترى كل أمة تؤمن أن للنفوس حالا غير هذه الحال ولم يشذ عن هذا إلا أفراد فى كل أمة خلقوا للبحث فتحيروا وهؤلاء لايؤثرون فى المجموع واذا وجدنا قوما زهدوا فى الطعام تدينا وتزهدا فذلك لايقدح فى الفطرة العامة التى تطلب الطعام لبقاء الأشخاص

وليس وجود أناس يحرمون النساء من أهل الديانات يؤثر فى الفطرة العامة الانسانية فان فطرة اقتراب الجنسين عامة لبقاء النوع . هكذا هنا ان الفطرة قاضية ببقاء الناس بعد الموت وأن هناك حقائق لابد منها

وأن أعمالنا تؤثر فى ذلك المستقبل ضعة وشرفا . هذه عقيدة عامّة فى البشر كعقيدة الطعام والشراب فانكارها مكابرة والفطرة العامّة قط لاتكذب هى أبدا صادقة وانما الخلاف فى تأدية العبارات والصور الظاهرة والقشور أما الحقائق فانها لاتتغير فالطعام والشراب واقتراب الجنسين والاعتقاد بحال بعد الموت كل ذلك لم يتغير ولن يتغير والفلسفة تقول كذلك . فياليت شعرى أىّ فائدة من هذا الوجود مالم يكن هناك ارتقاء وحال غير هذه والا كان ذلك كله ضلالا ووبالا

﴿ أفى الاعدام رحمة ﴾

ولما كان الأمر على ماذكر وكانت الحياة الدنيا مؤقتة وكان التناسل يوجب أن يبقى الأبناء ويعدم الآباء وأن كل جيل يحل محل الذى قبله كان الاعدام حتما لازما . ان الحياة رحمة حياة الحيوان وحياة الانسان ولكن لوعاش الانسان ٥٠٠ سنة لكانت الحياة وبالا والعيش نكدا وأصبح على القدم ألف قدم وأصبحت الحياة لاتطاق . هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول اذا كانت هذه الحياة مؤقتة فى عالم غير متقدّم بل هو متأخر فالبقاء فيها أذى وشرّ بل يجب الرحيل منها فكان من الرحمة والحكمة أن يساعد الأحياء بعضهم بعضا على التفانى والخروج من هذه الحياة بعد اكتساب الفضائل والتجارب فكفى أن الحيوانات قد تربت وجريت على مقدار طاقتها وهكذا الانسان بالآلام والامراض والديانات والتجارب يستعدّ لحياة أخرى فيخرج من الأرض فكما أن كل واحد يحافظ على صحته وحياته هكذا يقوم غيره فيقتله ويفنيه لرحمته ولرحمة أهل الأرض لتخلو لمن يأتون بعدنا

﴿ عقائد الانسان فى أكل الحيوان وتحريمه وعاداته فى ذلك ﴾

واعلم أن الانسان منه مالا يأكل إلا اللحم كقوم فى الأقطار الشمالية وهؤلاء يسكنون فى أماكن ثلجية ولايعيشون إلا على حيوانات البحر وليس لديهم نبات فمثلهم إلا كمثل الاسود والنمور . ومن الانسان من لايأكل إلا نوع النبات ولايذوق غيره . ومنه ما يأكل الحيوان والنبات معا كأكثر أهل الأرض

ولما كانت الديانات لاتخرج غالبا عن مجاراة العادات كان منها مايحرم اللحم كالبوذيين وعكسهم أهل الصين . وجاء فى بعض الجرائد فى ٢٢ مايو سنة ١٩٢٥ أن الصينيين يأكلون الديدان الصغيرة والنمل والضفادع يشوونها ثم يفرمونها والمفرومة منزلتها عظيمة جدا عندهم ولهم فيها صناعات تبلغ أربعين صنعة وكذلك الهرّ والكلب والجرذان اهـ

ومنها مايبيح لحم الانسان كبعض ديانات المتوحشين . ومنها مايجمع بين الأمرين وجاء الاسلام بطريق وسط فلم يبح أكل الانسان . ونظر فى الحيوان فما رآه مخلوقا لافادة أهل الأرض كالاسود والنمور حرّمه وما ليس كذلك حلله فيقول ـ ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ـ ويقول أيضا ـ اليوم أحلّ لكم الطيبات ـ فالطيبات حلال والخبيثات حرام وقد جعل لذلك قانون عام وهو أن الطيبات ما استطابته النفوس الشريفة من المؤمنين أصحاب اللسان العربى ولاعبرة بأهل البادية الا ماورد الشرع بتحريمه وما استخبثوه فهو خبيث إلا ماورد الشرع بتحليله

وقد جاء فى كتب الشافعية أنه يحرم من السباع كل ماله ناب قوى يعدو به وذكروا من ذلك الأسد والنمر والذئب والدبّ والفيل والقرد ومن ذى الناب الكلب والخنزير والفهد وابن آوى وهو فوق الثعلب ودون الكلب طويل المخالب فيه شبه من الذئب وشبه من الثعلب والهرة

ويحرم من الطيور ماله مخلب قوى وهو للطير كالظفر للانسان يجرح به كالصقر والباز والشاهين والنسر والعقاب وجميع جوارح الطير

﴿ كيف وافق الاسلام الطبيعة ﴾

انظر أيها الذكى كيف وافق الاسلام الطبيعة وكيف حرم من الحيوان ما كان نافعا بقاؤه ليطهر الأرض

من الرمم والعفونات وأباح ذبح ماليس كذلك كالبقر والجاموس . أفلا تتعجب معى كيف اتفق الشرع والطبع وكيف أصبحنا فى زمان تظهر فيه مخبآت الحقائق وتتجلى للناظرين

يحرم الطيور الجوارح وتحرم الاسود . لماذا لأنها جارحة ثم لماذا هذا . يكون الجواب السكوت . ونحن نقول لاسكوت إن هذه الحيوانات نافعة لازالة الجراثيم والحيوانات ورممها من وجه الأرض . هذا هو السبب

فثبت إذن أن ذبحنا للحيوان ليس مخالفا للطبيعة بل هو مساوق لها فان الانسان يذبح والحيوان يذبح الانسان يذبح بالحيوانات التى تدخل جسمه فتفترسه وتدخل فيه الأمراض وليست الآلام التى يتحملها الانسان بأقل من الآلام التى يتحملها الحيوان . الانسان لابد أن ينال حظه من الآلام أكثر من الحيوان . الحيوان يذبح مرة والانسان يذبح كل يوم بأمراضه وهمومه وأفكاره

ولذلك تجد بعض الناس يقتلون أنفسهم ومن بقى اجتمعت عليه الحيوانات من داخله فخربت هيكله تدريجا وكل يوم تذيقه أنواع العذاب وتقطع لحمه وعروقه وتؤلمه ألما شديدا ولكن ذلك كله رحمة واسعة لما قدمنا . ان المتاعب تقوى الروح فاما أن يتعب الانسان بالنظام العام و يتألم لحفظ الصحة والنظافة والا فلابد من تعب ونصب . فنحن والحيوان سيان فى تحمل الآلام وحركات المذبوح من الحيوان ليست شيأ مذكورا فى جانب آلام الانسان التى تعتريه كل آن . بل الحيوان متى قطعت أوداجه اعتراه الذهول فلا يحس بألم وانما تلك الحركات عضلية لا أثر للألم فيها وانما يألم الأحياء منا

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الأحياء

انما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء

﴿ النتيجة ﴾

ان الحيوان يألم والانسان يألم والذبح من آلام الحيوان أخف من آلام الانسان بما لا يقدر . وألم كل منهما نعمة عليه تقوى روحه ولابد لهما من حال بعد الموت ـ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ـ ولا ندرى ماهى الا ماتصوره الديانات بصور عامة . والحيوانات الجارحة تأكل التى تأكل الحشائش لتكون نعمة على سكان الأرض بمنع العفونات والناس اختلفوا فى أكل الحيوان كاختلاف الحيوان فى أكل اللحوم والاسلام عدل حرم ماجعله الله لأكل اللحوم لتطهير الجو من العفونات . فاذن يكون ذبح الحيوان غير خارج عن الطبيعة بل هو مساعد له على الخروج من الدنيا ومن هذه الحياة على الأرض وهى من العوالم المتأخرة

﴿ البوذية والمانوية وأبو العلاء المعرى ﴾

ما أكثر الجهل فى الأمم فياليت شعرى اذا كانت هذه هى الحقيقة الناصعة فأى حجة للبوذية الذين يحرمون أكل كل حيوان لأنه تعذيب لها . وانظر لما كان يقوله أبو العلاء المعرى ، عرض عليه الطبيب دجاجا فقال لماذا لم يصفوا لى شبل الأسد اطلقوا سراحه فوالله مامنعهم من وصف الشبل إلا قوته وضعفنا أفلست ترى أن هذه النظرات ضئيلة فاسدة . فياليت شعرى كيف غفل هؤلاء عما نقتله من الحيوان كل يوم ونحن أمرنا طبيا ألا نشرب ماء النيل حتى نغليه لقتل الحيوانات التى فيه . أفليس هذا قتلا للحيوان فاذا كانت شربة الماء يقتل لأجلها مئات الالوف وألوف الالوف ولا ينكره أحد فى الشرق والغرب فكيف تنكر القليل مما نأكله ان أكثر الناس جاهلون

﴿ لم سميت هذه السورة باسم المائدة ـ وجوب درس علم الحيوان ﴾

اعلم أن هذه السورة حقيقة مائدة نصبها الله لعباده ليأكلوا منها مايشتهون و يتزودوا و يتعلموا

لقد جعل الله الحيوان فيها على ثلاثة أقسام . حيوان يحرم قتله وهو ما كان فى الحرم وما كان له

مخلب من الطيور أوناب من حيوانات البر • وقسم يحل أكله وهو ما استطابته الاشراف من هذه الأمة كالابل والبقر والغنم • وقسم جاز قتله كالكلب العقور والفأرة وهكذا بقية الفواسق الخمس الواردة فى الحديث فكأن الله جعل هذه المائدة منصوبة لنا ولم يترك الأمر سدى بل أبان مايؤلمنا وجوده كالفواسق الخمس الواردة فى الحديث ومايؤلمنا عدمه الذى سماه بالخبائث لأنه ينظف جونا و يطهر أرضنا وماينفعنا أكله كالبهائم و بقية الطيور • أولست ترى أن هذه المائدة التى نصبها الله لنا لايصح الاغضاء عنها وهل من الأدب أن ننظر اليها من بعيد كأنها ليست لنا

﴿ كيف ساغ للمسلمين أن يناموا بعد الأولين السابقين من الأئمة الأعلام ﴾

لقد ظنوا أن الأئمة رضوان الله عليهم ماتركوا قولا لقائل فى جميع العلوم ولكن فاتهم أن الأئمة اعتنوا أشد العناية بما هو أمس بالعبادة اتكالا منهم على عقول الأمة فى الباقى • واذا كنا نرى الامام الشافعى رحمه الله تعالى يقول ان الترتيب واجب فى الوضوء مستنتجا ذلك من ترتيب الأعضاء فى القرآن ويوجب النية فى الوضوء مستنتجا ذلك من آية فى آخر القرآن — وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين — ونرى أباحنيفة يقول لانية للوضوء لأنها لم تذكر فى القرآن ونرى أنهم اختلفوا فى اثنتى عشرة مسألة فى فرائض الوضوء ومسحوا الوجه وجميع أجزائه قطعة قطعة فما تركوا شعرا ولا بشرة ولاجفنا ولاعينا ولاعنفقة إلابحثوا ودققوا فلماذا هذا كله • للطهارة والطهارة مقدمة العبادة

فانظر كيف كان جدهم واجتهادهم وحرصهم على الدين وعلى ارتقاء الانسان فى أموره الدينية • فهلا نظر المتأخرون فيما أودعه الله فى القرآن وحققوا كما حقق آباؤنا وأجدادنا • وهلا نظروا فيما حوته هذه المائدة المنصوبة فى الأرض فوفوها حقها كما كان الأئمة رضوان الله عليهم يفعلون • حرضت السنة على قتل كل حيوان يؤذينا فليبحث علماء الأمة فى أنواع المكروبات القاتلة لنا قياسا على ماعلم من الكلب العقور والفأرة وأمثالهما ولوأنا وجدنا كلبا يعقر الناس لوجب علينا قتله • هكذا يجب علينا أن نبحث فى الكلاب المستترة تحت أجسامنا وهى المكروبات والحيوانات الذرية الصغيرة ولنخصص لها الأطباء وديننا يأمرنا بذلك كما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الفواسق الخمس • وهكذا اذا وجدنا انه أبقى بعض الحيوان فى الحرم • وغيره أبقاه فى كل مكان • وظهر الآن أن بقاءه لتنظيف الجو فلنقم نحن بحراسة هذه الحيوانات ولنبحث على أمثالها فى الأرض • لنبحث على كل حيوان نافع لزرعنا ولنبقيه ولا نأكله

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت فى هذا التفسير أن الحكومة المصرية قد بحثت فى أمر الطيور ومنعت قتل كثير منها لنفعها فى الزراعة • وسبب ذلك أن المصريين القدماء كانوا قد درسوا أنواع الحيوان وجعلوا بعضها محفوظة لأنها قاتلة للحشرات الآكلة للزرع فلما دار الزمان دورته وتقلب الغرب والشرق وجاء أهل أوروبا الى بلادنا أنسوا المصريين أخلاقهم وعوائدهم فانهالوا على الحيوانات التى كانت نافعة فقتلوها صيدا ليتزينوا بريشها فلما تنبهت الحكومة المصرية الى ذلك أمرت باحصاء الحيوانات الآكلة للحشرات وأمرت بحفظها وهى هذه

(١) عصفور سكسيكولا • هو عصفور ملون بالزرقة والصفرة والسواد

(٢) العصفور المغنى • هو أصغر من العصفور السابق

(٣) أبوفصاده • هو كالسابق حجما

(٤) عصفور بيبيت • تغلب على لونه الصفرة مع السواد

(٥) عصفور آكل الذباب

(٦) الوروار • هو فى حجم الحمامة ذومنقار طويل تغلب على لونه الخضرة

(٧) الهدهد . هو معروف

(٨) الكروان . هو كبير الحجم كالدجاجة ملوّن بلون الشفق مع السواد

(٩) الزقزاق الشامى . أصغر مما قبله قليلا لكنه جميل الشكل

(١٠) الزقزاق البلدى . يقرب من السابق وللأوّل غرة ممتدة خلفه وتغلب عليه الخضرة من ظاهره والبياض من باطنه . وعلى الثانى لون مختلط بياضا وصفرة من ظاهره والسواد فى أسفله

(١١) القنابر وهى معروفة تقرب من شكل صغار العصافير

(١٢) أبوقردان . وهو معروف أبيض اللون طويل الرجلين والمنقار كبير الجسم

﴿ الدليل على أن هذه الحيوانات محرّم أكلها ﴾

هذه الحيوانات هى التى يجب حفظها ليحفظ الزرع . ولعلك تقول هل كل هذه الحيوانات نصّ على تحريمها القدماء . أقول اعلم أن هذه الحيوانات متى ثبت نفعها للزراعة صارت محرّما أكلها وان لم تكن مما استخبثته الطباع . ألاترى الى قوله تعالى ــ ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ــ فى سورة النساء وقد قدّمنا أن هذه الآية تحرّم علينا أخذ التجارة الفرنجية إلا ماعجزنا عن عمله وإلا كان ذلك قتلا لنا ومامثل التجارة الفرنجية إلا كمثل الحلوى تعطى للأطفال وفيها السم فيموتون أوكمثل الحب يرمى تحت الشبكة والشبكة تقتنص الطير بسبب هذا الحب أوكالصائد يحفر حفرة فى الجبل ويغطيها بشئ من الحشائش والأعشاب فيمرّ عليها الأسد فيسقط فيها . فهذا معنى قوله تعالى ــ ولاتقتلوا أنفسكم ــ فى مسائل التجارة هكذا هنا فى الزراعة لوأنا تركنا تلك الطيور يفتك بها الجهال بعد أن ثبت لنا نفعها لأنها تأكل الحشرات فان قتلها ابقاء للحشرات وابقاء الحشرات موت لزرعنا وهلاك زرعنا هلاك لنافكأنا باباحة قتل الحيوانات أبحنا قتل أنفسنا وهذا هو الجهل المبين

فليقم فى الأمّة الاسلامية أقوام يختصون بالعلوم المختلفة كلّ فيما يناسبه وليكن للحيوان علماء من حشرات وأنعام حتى نعرف مايضرّ وماينفع فهناك من المنافع والمضار مانجهله جهلا فاضحا وديننا يأمرنا بالبحث فى ذلك ألاترى الى قوله تعالى هنا ــ تعلمونهنّ مما علمكم الله ــ وقال علماؤنا تعليم الله لنا بالالهام وبالعقل فدلّ هذا على أن هناك علما فى الحيوان سيعرفه المسلمون . وياليت شعرى لماذا يقول هنا ــ مما علمكم الله ــ فكأن هذا تنبيه على أن الله سيعلمنا فى الحيوان مالم نعلم الآن ومن ذلك التعليم مانعلمه للحيوان الذى به نصطاد غيره . فليكن فى أمّة الاسلام النائمة الآن علماء للحيوان وعلماء للنجوم فانا لانعيش على هذه الأرض ونحن جاهلون مافيها

﴿ هذه المائدة حسية ومعنوية ﴾

فعلى هذا تكون المائدة التى نصبها الله للمسلمين ليست قاصرة على التزوّج والتناسل والمأكل وماأشبه ذلك فانه لوكان الأمر كذلك لم يكن فرق بيننا وبين الحيوان . اننا خلقنا على الأرض ليكون التفاعل والتدخل بيننا وبين بعضنا وبيننا وبين الحيوان موجبا لاظهار ما كمن فى نفوسنا من الفطر والغرائز والأخلاق . وليس يمكن أن يتم هذا إلا بالاحساس بما هو مؤلم وبالاحساس بما هو مستلذ فيكون ألم وتكون لذة وكلاهما ليس مقصودا لذاته . كلا

وكما ان الفتى والفتاة يقترنان لداعى الشهوة ثم يظهر فى آخر الأمر أن تلك اللذة غير مقصودة وانهما معا يتحدان ويتعاونان ويجتهدان فى تعليم الولد وتربيته والقيام بواجباته وحبه وينسيان تلك اللذة ويفرغان من تلك الطفولية وهما مدفوعان لحبّ الولد وبقائه وكلاهما مجدّ فى التفرّغ لسعادته وبقائه حريصين على تقدّمه وارتقائه ويعطيانه مايملكان ويورثانه ما يكسبان . فهكذا هذه المائدة التى أنزلها الله لنا فى القرآن

وأبرزها فى هـذه الدنيا للعيان وفيها المآكل الحيوانيـة واللذات الحسية من اقتران الجنسين فى أوّل هذه السورة لم تكن مقصودة لذاتها بل يراد النظر فى دقائقها والتحقق من عجائبها والفهم لبواطنها ودرس العلوم التى أدمجت فى أسرارها ويرمز لذلك بقوله ـ مما علمكم الله ـ

ولما أتم الكلام على الحيوان وآكله والنساء والتزوّج بهنّ من المحصنات شرع يطهرنا بالوضوء ويفتح لنا باب الصلاة وكأنه يقول ان الصلاة بعد النظافة معراج تعرجون عليه لأفتح لكم كنوز هـذه الأرض فاروّض عقولكم بالبحث فى مائدتى والتفرّج على أنواع حيوانها وأسرارها وغرائبها فتعرج أرواحكم التى وأنتم فى الدنيا بالعلوم واذا صرتم التى كنتم فى جوارى لأنه لايجاورنى إلا العلماء ولايصل الى ملكوتى إلا الفضلاء فاذا وقفتم عند المآكل والنساء المذكورات فى أوّل السورة وغفلتم عن العروج التى بالنظافة والصلاة لتشكروا نعمتى بمعرفتها اذا فعلتم ذلك فأىّ فرق بينكم وبين الحيوان

﴿ العلماء الذين سيكونون فى أمّة الاسلام فى مستقبل الزمان ﴾

سيكون هناك طوائف لدراسة المخلوقات . واليك بيانها

(١) علم طبقات الأرض لدرس علوم كثيرة أخصها التاريخ الطبيعى للحيوان

(٢) علم النبات

(٣) علم الحشرات

(٤) علم الأنعام والآساد والطيور

(٥) علم الانسان

(٦) علوم السياسة

(٧) علوم المعادن

(٨) علم الكواكب والفلك . وهكذا

(٩) علم الطب

وسيكون هناك مجلس عام من هؤلاء العلماء ويكون قرارهم معمولا به فى شؤون الأمّة

مثال ذلك (١) ان الحيوان النافع يحرم قتله (٢) وان الحيوان الضار يجب قتله (٣) وتكون الأحكام الصادرة من هذه المجالس واجبة التنفيذ

ياعلماء الأمّة الاسلامية ويا أمراءها لقد رأيتم فى هذه السورة أن هذه العلوم أصبحت واجبة ودين الاسلام لايزال بكرا ولم يدرس منه إلا القليل . يارجال الأمّة ان آباءنا رحمهم الله قد أدّوا ماعليهم فى ألف وثلثمائة سنة فها نحن أولاء قد جئنا اليوم فلتكن الألف والثلثمائة سنة المستقبلة للبحث فى حقائق الكون التى سترت وكمنت وحفظت لكم . حفظها لكم الآباء حفظوا القرآن لكم حفظوه فى المصاحف كما تحفظ الأم الجنين فى البطن وتخاف عليه ويزعجها أن يمس بسوء . هكذا آباؤنا حافظوا لنا على أمرين . أمر القرآن حتى سلموه لنا وأمر التحقيقات الدينية فأرونا كيف كانوا يحققون . ولقد بينت لكم هنا كيف كانوا يحققون وكيف كانوا يدققون فى أقلّ المسائل فى غسل أنف أوغسل عين أوغسل جفن كل ذلك لحرصهم وفضلهم فى العلم وفى الدين . كأنى بكم وقد صار فيكم محققون وأئمة فى الفلك والنبات والحيوان وفى العلوم التى ذكرتها لكم انظروا كيف كانوا يستدلون . انظروا كيف كانوا يبحثون . آن الأوان وجاء الزمان وظهر الحق وسيكون الجيل المقبل من خير الأجيال علما وعملا

أيها الأبناء الذين ستكونون بعـدنا انظروا كيف اختلف آباؤنا فى آية واحدة وهى آية الوضوء . وكيف وصلت فروض الوضوء الى ١٦ فرضا وكيف أتوا بالأدلة والبراهين والأحاديث . فكيف اذا جئتم أيها الأذكياء

وبحثتم

وبحثتم فى أمر الجمال الالهى فى الأرض والسماء كعلم الحيوان الذى ذكرته لكم من سورة المائدة وكيف ترتقى العقول بارتقائه وكيف تكون فى الكرة الأرضية أمم عظام . اذا كان ذلك الخلاف كله فى آية فى الوضوء والوضوء مقدمة العبادة فما بالكم اذا عرف المسلمون فى أقطار الأرض أن العلم والفكر فى مصنوعات الله عبادة حقة وهى أرقى من العبادة العملية . العبادة العملية مشرقة للنفس فالصلاة معراج والوضوء مفتاح لذلك المعراج ولكن بم يكون العروج . يكون بالعلوم . فاذا نصبنا سلما وجعلنا له بابا فالسلم هو الصلاة والباب هو الوضوء ولكن العروج على ذلك السلم لا يكون إلا بدرس العلوم من القادرين والدراسة اما أن تكون للمنافع كالتى قدمناها لمقتضى هذه السورة واما أن تكون لارتقاء الروح مع المنافع كما فى قوله تعالى — إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم الخ — ألم يقل الله لنا — هو الذى خلق لكم مافى الأرض — فلماذا لا نبحث ما فى الأرض جميعا لماذا لا نبحث بحثا تاما فاذا كان الله خلق لنا هذا كله فلماذا تركناه وأضعناه وعقولنا نامت جميعا نومة واحدة حتى ملكنا الفرنجة فليستيقظ المسلمون وليتعلم الخاصون

فاذا تعاون آباؤنا على آية الوضوء فلتتعاونوا على ماهو أشرف من الوضوء وماهو المقصود الأكمل وهو المعرفة وعروج النفس الى مقامات الكمال . إن الله لا يجلس على مائدته إلا الاكابر ولا أكابر إلا المفكرون ابتدأ سورة المائدة بالحيوان وحله والنساء وحلهن وختمها بمائدة عيسى ابن مريم وأن الحواريين اطمأنت قلوبهم بها لما أكلوا منها

إن الملك اذا مد سماطه لرعيته فتناولوا الطعام فالعامة يفرحون بما أكلوا والخاصة لا يبالون بالطعام وانما يتعرفون مجلس الوزراء وخواص الدولة وأكابرها ولو أن أحد الفضلاء أكل على سماط الملك وحرم من التشرف بلقائه والتمتع بالشرف العظيم لرجع كليل الطرف حسيرا لعلمه أن الملك معرض عنه فويل لمن ظن أن المائدة طعام وشراب وفاكهة وحسان وانما المائدة الحقيقية شرف العلم والوقوف على أسرار هذا الوجود لاسيما الحيوان وأنواعه للانتفاع به — فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون — فويل ثم ويل لشيوخ حصروا تلاميذهم فى دائرة ضيقة وويل ثم ويل للتالين لكتاب الله وهم به جاهلون وويل ثم ويل لشيوخ جهلوا وعلموا تلاميذهم أنواع الجهالات فصدوهم عن العلم وأنكروه فليبك على نفسه من أضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لى عالم فاضل لما اطلع على هذا . ان من اطلع على كلامك هذا يرى انك تحرض على أكل اللحم والاكثار منه لأنك جعلت أن الحيوان ان تألم من الذبح فألمه أقل من ألم الانسان وأبنت أن الحيوانات الذرية تفتك بأجسامنا فتميتنا وجعلت ان نوع الانسان وأنواع الحيوان خلقوا فى نصب وتعب للارتقاء وتقوية الأرواح وأن هناك عالما أرقى وأبنت أن الأحياء على الأرض مختلفون جميعا من أضعف حياة الى أقواها ولا تكاد تحصى تلك الأنواع من الحياة وأن العوالم التى نراها لابد أن تكون فيها عوالم أوسع وأعظم وأشرف درجات كثيرة كل هذا لاغبار عليه انما افاضتك القول فى اللحم وأكله ينافى ماذكرته فى سورة البقرة وأن أكل اللحم والاكثار منه مضر بالصحة فأين هذا القول من ذاك المقال

الاجابة . اعلم انى الآن أبحث فى نظام هذه الدنيا وقراءة حيوانها واختلافه وأن بعض المخلوقات يأكل الآخر فأما كون اللحم مذموما أو ممدوحا فشئ آخر وهذا يرجع الى أحوال الشخص فان أراد صفاء النفس وقلة الأمراض فليقلل من اللحم فأما المكثرون منه فهم معرضون للأخطار كما قدمنا واذا ترك اللحم كان خيرا وأحسن تأويلا

واعلم أن الناس اذا أكلوا اللحم فان البهائم المذبوحة المأكولة تتحول دائما اجسامها الى عفونات

وتلك العفونات تنقلب فى الأجسام ذرات قتالة ولها حياة فتفتك بالناس وتقتلهم ـ ولكن أكثر الناس لا يشعرون ــ ان أكثر الأمراض فى الطعام وأضر أنواعه اللحم فانه هو الذى يورث فى الجسم العفونة التى تنقلب حيوانات فاتكة تفسد هيا كلها

﴿ هذا من العجائب ﴾

أليس من عجب أن نريح الحيوان بذبحه فيثيبنا على ذلك باعدام حياتنا بعد دفنه فى أجسامنا . نريحه بالذبح ونأكله وهو يريحنا بأن يكون سببا لأمراض تورث الموت أو تقربه لنخرج من هذه الأرض . وبعبارة أخرى نعذب الحيوان بذبحه ونقطع حياته فيفعل معنا ما فعلنا معه حذو القذة بالقذة وجزاء سيئة سيئة مثلها أفلا ترى أن كل جزاء من جنس العمل . يا عجبا كل العجب نفنى الحيوان فيفنينا ونذبحه فيمرضنا ونقتله فيقتلنا هو الذى يدخل فى الأجسام فيضع فيها أنواعا من الأمراض كما نص عليه الأطباء فى عصرنا الحاضر ودلت عليه التجارب . ان العذاب بعد الموت يكون بنفس العمل ونفس العمل هو الذى يفتك بنا اذ ذاك كما فتك بنا لحم الحيوان

انتهى الكلام على المقدمة فى تفسير آيات الأحكام الواردة فى حديث ميسرة وانما جمعتها هنا تيمنا بالحديث الشريف وتسهيلا للمراجعة وسأحيل عليها عند ذكر آياتها فيما سيأتى فى تفسير السورة . فلنبدأ فى تفسير مقاصد السورة فنقول

(المَقْصِدُ الأَوَّلُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

أمر الله سبحانه وتعالى أن نفي بالعقود ونقوم بها والعقود ما يعقده الناس بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن وكذلك ما عقده الله من عهود الأيمان فيما أحل وحرم وهكذا عقد اليمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة

(١) مسألة . لو نذر أن يصوم يوم العيد أو يذبح ولده وجب عليه الوفاء به عند أبي حنيفة لأجل هذه الآية ـ أوفوا بالعقود ـ ولكن يصوم غير يوم العيد ويذبح غير ولده حلالا والشافعي يمنع ذلك ويقول لا ينعقد النذر

(٢) خيار المجلس في البيع عند أبي حنيفة غير جائز لقوله ـ أوفوا بالعقود ـ فأين الوفاء مع الخيار والشافعي يقول بخيار المجلس للحديث المخصص للآية . وهذا تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) اعلم أن الابل والبقر والغنم والمعز والظباء وبقر الوحش وحمر الوحش ونحوها وهي بهيمة الأنعام حلال لنا والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان واضافتها الى الأنعام كثوب خز للبيان أي البهيمة من الأنعام . وحل هذه البهائم اذا لم تحرم بالأسباب الآتية في قوله ـ حرمت عليكم الميتة الخ ـ واذا لم تكن الوحشية منها كالظباء وبقر الوحش والحمر قد صدتموها وأنتم محرمون والا حرمت كما اتضح في المقدمة . هذا معنى قوله تعالى مبينا لبعض العقود التي يجب الوفاء بها (أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم) أي الا محرم ما يتلى عليكم في قوله ـ حرمت عليكم الميتة ـ حال كونكم (غير محلي الصيد وأنتم حرم) أي غير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام كما تقدم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم . ثم ان الله حرم علينا أن نتهاون في الشرائع التي سنها وهي المسماة (شعائر الله) جمع شعيرة فالشرائع والشعائر بمعنى ومنعنا أن نصد الناس عن الحج في أشهر الحج (ولا الشهر الحرام) وأن لا نتعرض للهدي جمع هدية وهو ما يهدى الى الحرم من النسائك فلا نغصبه ولا نمنعه أن يصل الى محله وكذلك لا نتعرض الى الابل والبقر والغنم التي اعتاد العرب أن يشدوا في أعناقها قلائد جمع قلادة من نعال أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به انها هدي فلا يتعرض لها وكذلك لا نتعرض لقاصدي البيت الحرام وهي الكعبة يطلبون فضلا من ربهم ورضوانا

وهذا معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين) قاصدين (البيت الحرام) الكعبة (يبتغون فضلا من ربهم) بالتجارة حال من الضمير في آمين (ورضوانا) وان يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم . ثم اذا كان الصيد حراما وقت الاحرام فان الحرمة تزول متى حل وانتهى أمر الاحرام هذا معنى (واذا حللتم فاصطادوا) فهذا اذن لا أمر للوجوب * واعلم أن أهل مكة صدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الوصول الى مكة عام الحديبية لأداء العمرة فأراد المسلمون الانتقام منهم فقال الله (ولا يجرمنكم) أي لا يحملنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم (أن صدوكم عن المسجد الحرام) عام الحديبية (أن تعتدوا) عليهم بالانتقام أي لا يحملنكم بغض أهل مكة على أن تعتدوا عليهم لصدهم لكم عن المسجد الحرام (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) والبر حسن الخلق والاثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه أشد من انتقامكم من أهل مكة وقوله (حرمت عليكم الميتة) الى قوله (ذلكم فسق) قد سبق تفسيره في المقدمة * ونزل يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت من شدة الوحي في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة آية ـ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ـ الى قوله ـ ورضيت

لكم الاسلام دينا - يقول الله (اليوم) فى هذا الزمن وأيس يوما بعينه كما يقال يوم لنا و يوم علينا (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا من رجوعكم عن دينكم ومن تحليل هذه الخبائث كما يحللونها ومن أن يغلبوكم (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أيها المؤمنون أن يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) وخافوا مخالفة أمرى ولقد كنت أنزل لكم الأحكام لأوقات خاصة فكان كالهاوقتيا (اليوم أكملت لكم دينكم) بحيث يصلح الى آخر الزمان بما فيه من الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام و بأنه لم يحج معكم فى هذا العام مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين و بأنى أظهرت دينكم على الأديان و بأن دينكم لاينسخ ولايزول وانه باق الى يوم القيامة و بأنكم آمنتم بكل نبى بخلاف الديانات كلها و بأنكم سلمتم من عدوكم (وأتممت عليكم نعمتى) بالهداية والتوفيق وا كمال الدين وفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام دينا) الاسلام الانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود

قال أصحاب الآثار انه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم لم يعمر بعد نزولها الا احدى وثمانين يوما أو اثنين وثمانين يوما ولم يحصل فى الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة وكان ذلك جاريا مجرى اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار عن الغيب فيكون معجزا * ومما يدل ذلك ماروى أنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على الصحابة فرحوا جدا وأظهروا السرور العظيم الا أبا بكر رضى الله عنه فانه بكى فسئل فقال هذه الآية تدل على قرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ليس بعد الكمال الا الزوال فكان ذلك دليلا على كمال علم الصديق رضى الله عنه حيث وقف من هذه الآية على سر لم يقف عليه غيره • ومن عجب أن خطبة الوداع كانت مصرحة بهذا المعنى ألم تر الى قوله فيها ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع وقوله لعلى لاألقاكم بعد عامى هذا وأخذ يوصى بالنساء و بالارقاء وغير ذلك فقوله لعلى لاألقاكم بعد عامى هذا أشبه بما فى الآية

وقد روى أيضا أن عمر رضى الله عنه بكى بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية وفهم كما فهم أبو بكر رضى الله عنه وتوفى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة

وروى البغوى باسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ماصحبتموه وهذا كقوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الاسلام - ولقد فتح الكسائى همزة - ان الدين - وجعل البصريون ذلك بدلا مما قبله كقولك ضربت زيدا نفسه فيصير التقدير هكذا شهد الله والملائكة وأولوا العلم انه لا إله إلا هو العزيز الحكيم قائما بالقسط ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا كون الدين عند الله الاسلام هو عين ان الله واحد حين كونه قائما بالقسط فى تدبير ملكه وأصل الدين الجزاء وتسمى الطاعة دينا لأنه سبب الجزاء والاسلام أصله اما الانقياد واما الدخول فى السلم وهو السلام واما الاخلاص • وللآية وجه آخر فى الاعراب وهو ان الدين مفعول شهد وقوله انه لا إله الا هو أى لأجل انه لا اله الا هو فيصير نظم الآية هكذا شهد الله والملائكة وأولوا العلم أن الدين عند الله الاسلام بسبب انه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله حال كونه قائما بالعدل فى المخلوقات كلها فتصير وحدانيته وتوحيد أفعاله بالعدل فى هذا النظام سببا فى أن الله شهد بأن الدين انما هو الاسلام وأن العلماء والملائكة شهدوا بذلك أى لأنهم شهدوا الوحدة فى هذا الوجود والوحدة يصحبها العدل لأن العدل وحسن النظام أثر وحدة الخالق جل وعلا فلما علموا ذلك شهدوا أن الدين انما يكون الانقياد والاخلاص لمن نظم هذه الوحدة العجيبة والعدل المتقن والنظام الكامل الذى يراه العلماء كأنه شخص واحد منتظم كامل فاذا لم يعرف علماء الأمة ذلك فشهادتهم أن الدين هو الاسلام فقدت سببها وهو معرفة حسن النظام فى الطبيعة والفلك ونحوهما • ولما كانت الآيات السابقة على هذه قد ذكر فيها المحرمات ختمها بقوله - ذلكم فسق - ثم أبان

بهذه الجمل الاعتراضية أن تجنب هذه المحرّمات من جلالة الدين الكامل • وهنا شرع يقرّر أن التناول منها اضطرارا جائز بأن كان الانسان فى مجاعة وليس مائلا لاثم فلاهو آكل فوق الشبع كما قال فقهاء العراق ولا متعرض لمعصية وهو قول علماء الحجاز • وهذا معنى قوله (فمن اضطر فى مخمصة) مجاعة (غير متجانف) غير مائل (لاثم) من أكل فوق الشبع أومعصية (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله • ولما أتم الكلام على المحرّمات أخذ يذكر ما أحلّ أكله فقال (يسألونك ماذا أحلّ لهم) فأجابهم قائلا (قل أحلّ لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر منه ومفهومه أن المستخبثات حرام فالحلال والحرام تبع الاستخباث والاستطابة* وقد تقدّم فى المقدّمة أنه يجب أن تكوّن لجنة اسلامية تبحث فى جميع الحيوان فما نفعنا لزراعة حرّمنا صيده كما حرّمنا صيد الحرم ومايضرّ أكله طبيا منعناه وماخلق للمنفعة العامّة تركناه كما أوضحناه واذا كانت الاستطابة والاستخباث يرجعان الى طبائع أفضل رجال العرب فلان يكونوا أطباء خير وأبقى وأنفع وأما قوله تعالى ــ وماعلمتم من الجوارح مكلبين ــ الى قوله ــ وهو فى الآخرة من الخاسرين ــ فقد تقدّم تفسيره فى المقدمة

﴿ عجائب القرآن ﴾

(زيادة ايضاح ــ ورضيت لكم الاسلام دينا ــ)

يقول الله فيما تقدّم ــ ورضيت لكم الاسلام دينا ــ ومعلوم هناك أن كون الدين عند الله الاسلام سببه انه قائم بالعدل فى الخلق والنظام فلابقاء لأمّة بلاعدل ولا نظام مؤمنة كانت أوكافرة والحيوان والمعدن والسموات والأرض لاقيام لها الا بحسن النظام فأخذ يذكر هنا القسط والعدل فى أفعال العباد ليكون على وفق نظام الله كما قال الله تعالى فى سورة الرحمن ــ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان ــ فهو هناك يقول وزنت كل شئ ونظمته لأجل أن تعدلوا وتنظموا وهنا يقول ــ رضيت لكم الاسلام دينا ــ فقوموا بالقسط والعدل الذى كان سببا فى أنى شهدت وشهد العلماء والملائكة ان الدين هو الانقياد والاخلاص لمن أبدع النظام فتنظموا كما نظم وتعدلوا كما عدل وتكونوا متخلقين بأخلاق الله

(المَقْصِدُ الثَّانِى)

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

فأما قوله (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) الى قوله (وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) فقد تقدم فى المقدمة وأما قوله (واذكروا نعمة الله عليكم) من الصحة والمال والحياة وتسخير السموات والأرض ومنها الطهارة والصلاة والأحكام الشرعية المذكورة فان الله يذكرنا بذلك كله (وميثاقه الذى واثقكم به) يعنى الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) فيما أخذ عليكم من الميثاق فلا تنقضوه (ان الله عليم بذات الصدور) أى بما فى قلوب عباده من خير وشر . واعلم أنه سبحانه ابتدأ السورة بطلب الوفاء بالعقود وأخذ يذكر كثيرا منها فيها الحلال ومنها الحرام ثم ختمها بتذكيرهم بالميثاق مرة أخرى . ولما أتم الكلام على العهد والميثاق فى الحلال والحرام فى بهيمة الأنعام أخذ يذكر معاملات الانسان مع الناس وانه يجب أن يكون المرء عدلا فى شهادته فلا يشهد لقريبه ولا على عدوه بل الشهادة تكون على وجهها . وهذا قوله (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) أى ولا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا بسبب مافى قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى وبهذا أمر بالعدل

واذا كان العدل يجب أن يكون مع الكافرين فكيف يكون الأمر مع المسلمين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) والتكرار لمزيد الاهتمام (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) وقوله ـ لهم مغفرة وأجر عظيم ـ دال على المفعول الثانى لوعد ولما كان أحد الفريقين يذكر بعد الآخر أتبعه بقوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ثم أخذ يذكر المسلمين نعم الله عليهم بالنجاة مما دبر لهم من الكيد . ذلك أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا بعسفان الى الظهر معا فلما صلوا ندموا على أنهم لم يفاجئوهم بالقتل مرة واحدة وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم . وأيضا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خلفاؤه الأربعة وقريظة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم وأكرموه ظاهرا وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج . وأيضا نزل النبى صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاءه اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) انتهى المقصد الثانى

(الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا
لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا
قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ ٱللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ ٱللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ ٱللّٰهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللّٰهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا
مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَاقَوْمِ ٱدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللّٰهُ
لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا
لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ
يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ، وَعَلَى ٱللّٰهِ
فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ

وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

اعلم أن هذا المقصد مملوء بالعجب غاص بالحكم ذكر أخبار بنى اسرائيل اذ خرجوا من مصر وكيف وعدهم الله أن يملكهم الأرض المباركة وقد أرسلوا اثنى عشر رجلا منهم فرأوا الأرض المباركة فرجعوا وفى أيديهم الثمر فلما رأوهم قد مدحوا تلك الأرض تركوا هذا الخبر وجبنوا وأصغوا لأقوال المرجفين المخوفين وقالوا لاطاقة لنا بقتال القوم فأبقاهم الله أربعين سنة كما سأنقله لك من نفس التوراة فهؤلاء بنو اسرائيل عصوا ربهم وجبنوا عن الحرب ولم يوفوا بالميثاق فلما عصوا أذلهم الله فأبقاهم أربعين سنة ولم يدخل الأرض المقدسة الا أبناؤهم . هكذا يكون حال المسلمين الذين أعطوا ميثاق الله بقبول القرآن وأمروا فى أوّل هذه السورة أن يفوا بالعهود فقيل لهم — يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الخ — وسرد العقود والعهود ثم أخذ يذكر مافعله بنو اسرائيل اذ أخذ عليهم العهد والميثاق فخالفوا العهد فخرجوا من الأرض المقدسة وهكذا النصارى لم يفوا بعهودهم فأوقع الفشل بينهم وجعلهم فرقا متشاكسة وألقى بين دولهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وذلك لأنهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم مع ان المسيح وأمه وأهل الأرض قاطبة تحت رحمة الله فلو شاء لأهلك الأرض ومن عليها بأى علة من العلل السماوية أوكوكب يقترب منها فيهلكها

ومن هو المسيح ومن هى أمه ومن هم أهل الأرض وما الأرض التى هم عليها إلا من المخلوقات المتأخرة التى ليست أعظم الخلائق ولا أكبر الأرضين وكم فى الكون من شموس وأراض قد تبلغ ثلثمائة مليون أرض على حسب ما استنتجه الانسان اليوم فكيف يكون عيسى ابن مريم الذى هو فى أرض ضئيلة ضعيفة إلها ان هذا لعجب عجاب وجهل عظيم

هذه هى ذنوب اليهود والنصارى معا . ثم أخذ يقرعهم جميعا أى اليهود والنصارى ويقول أيها اليهود أيها النصارى كيف تدعون أنكم أبناء الله وأحباؤه وبأى وجه تقولون هذا القول . خبرونى اذا كنتم صادقين فى قولكم . فلماذا يكون عقاب على الذنوب فلمحبوبون لايعاقبون ولقد قلت لكم ان من فى الأرض جميعا ليسوا شيأ يذكر فى جانب السموات والأرض . أهل الأرض مغترون وأين أرضكم ومن عليها بل أنتم بشر من خلق فأغفر لمن أشاء وأعذب من أشاء . لقد طال عليكم الأمد وقست قلوبكم وطالت الأيام على أديانكم فهاأناذا أرسلت لكم رسولا يبشركم وينذركم ثم ختم هذا المقصد بإتمام الكلام على عصيان بنى اسرائيل لموسى ولم يشأ أن يطيل الكلام على النصارى لأن بنى اسرائيل أصحاب التوراة وهم أصعب مراسا فقال اذكر يامحمد خبر موسى اذ قال لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أعطاكم نعما لم يعطها أحدا من العالمين . كيف تجبنون وتخافون من دخول الأرض المقدسة فقالوا — ان فيها قوما جبارين — الخ الآيات . هذا ملخص موجز لهذا المقصد سأوضحه لك الآن من نفس التوراة ولعمرك ليس يريد الله من هذه الحكايات ولا الأحاديث سرد تاريخ اليهود ودخولهم الأرض المقدسة

ولم يرد قط سبحانه وتعالى أن يفهمنا مافعله النصارى مجرد اخبار فلم يقصد الا أمر المسلمين تذكيرا لهم بقول الله تعالى . أيها المسلمون انظروا فى أمر بنى اسرائيل كيف جبنوا عن قتال الجبارين فحرمتهم الأرض المقدسة وتمتع بها أبناؤهم الشجعان ويقول كيف نظر الناس الى المسيح نظر الاله فمن هو المسيح وماهى الأرض

ومن

ومن أنتم • يقول الله جعلت النصارى فرقا بينها حرب شعواء وقد حصل ذلك فى أوروبا فقد اقتتلوا أجيالا وتحاربوا أعواما لأجل الدين والعقائد • وهذا معنى قوله ـ فألقينا بينهم العداوة والبغضاء ـ يقول الله اذا اختلف الناس فى الامور العظيمة والعقائد العالية أوقعت الحرب بينهم كما فعلت فى النصارى واذا عصوا ربهم وجبنوا حرمتهم التمتع بالسعادة فى الدنيا كما حصل من اليهود خافوا دخول الأرض المقدسة جبنا فأوقفتهم بطورسيناء مدة طويلة لاربيهم هكذا المسلمون لما اختلفوا فى العقائد ودخلت الشكوك بينهم ذاق بعضهم بأس بعض واقتتلوا على الخلافة والامامة ولما جبنوا سلطت عليهم الفرنجة لأهذبهم كما هذبت بنى اسرائيل بالتيه وبقائهم به أربعين سنة

فلعمرك لم تكن هذه القصص لمجرد التاريخ وماذا يهم المسلمين من ذلك لايهم المسلمين الا التعقل والتفكر • أيها المسلمون كفوا عن السير الذى أنتم عليه • ان هذه القصص جاءت لكم أنتم فليقم منكم علماء وليتركوا تلك البدع والجهالات فلقد ظن قوم أنهم وصلوا للالوهية من طوائف المتصوفة وآخرون أخذوا يتفاخرون بالدين أو بالطرق التى اتبعوها وكل يدعى انه أولى بالله ولكن الله يقول على رؤس الأشهاد انى لا أعبأ بأرضكم ومن عليها فاتركوا هذه الدعاوى واعلموا أنكم عبيد خاضعون فاعملوا صالحا ودعوا الكبرياء • واذا عرفت المقصود من هذا المقصد فتعال أسمعك ما جاء فى التوراة فى هذا المقام

قال فى سفر العدد • الاصحاح الأول ـ وكلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا • احصوا كل جماعة بنى اسرائيل بعشائرهم • وهنا ذكر تعدادهم سبطا سبطا قبيلة قبيلة ثم قال هؤلاء هم المعدودون الذين عدهم موسى وهارون ورؤساء بنى اسرائيل اثنى عشر رجلا رجل واحد لبيت آبائه فكان جميع المعدودين من بنى اسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعدا كل خارج للحرب فى اسرائيل كان جميع المعدودين ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ثم لم يعد اللاويين منهم

وقال فى الاصحاح الرابع والثلاثين • وكلم الرب موسى قائلا أوص بنى اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى أرض كنعان هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيبا أرض كنعان بتخومها الخ

ثم سمى فى هذا الصحاح الرجلين اللذين يقسمان الأرض بين بنى اسرائيل وهما (ألعازار الكاهن ويشوع بن نون وهكذا رئيس واحد من كل سبط وذكر من سبط يهوذا (كالب بن يفنة)

وقال فى الاصحاح الذى قبله ان هارون مات فى السنة الأربعين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر فى الشهر الخامس فى اليوم الأول من الشهر وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات فى جبل (هور)

وقال فى سفر (التثنية) • قال فى الاصحاح الأول ففى السنة الأربعين فى الشهر الحادى عشر فى الأول من الشهر

كلم موسى بنى اسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب اليهم بعد ماضرب سيحون ملك الأموريين الساكن فى خشبون وعوج ملك باشان فى عبر الأردن فى أرض موآب (قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم) وهنا ذكر لهم انه جعل منهم قضاة يقضون بينهم الخ • ثم أخذ يوبخهم بكلام طويل ماخصه أن الرب قال لاتخف ولاترتعد وادخل أرض كنعان فلما سمعتم ذلك منى قلتم نرسل منا ١٢ رجلا ليدخلوا تلك الأرض ويتجسسوا فصعدوا الجبل وأتوا الى وادى (أشكول) وتجسسوه وأخذوا فى أيديهم من أثمار الأرض ونزلوا به الينا وردوا لنا خبرا وقالوا جيدة هى الأرض التى أعطانا الرب إلهنا لكنكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمرمرتم فى خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا الى أيدى الأموريين

لكي يهلكنا . الى أين نحن صاعدون لقد أذاب اخواننا قلوبنا قائلين شعب أعظم وأطول منا مدن عظيمة محصنة الى السماء وأيضا قد رأينا بني عناق هناك فقلت لكم لاترهبوا ولاتخافوا منهم وهكذا أخذ موسى يذكرهم أن الرب قد نظر لكم نظر رحمة في مصر فهو لاينساكم فلم يفد الكلام فيكم فسخط الرب عليكم وأقسم قائلا لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم ما عدا (كالب بن يفنة) وعليّ أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضا لاتدخل الى هناك يشوع ابن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك فشدده الخ وأما أطفالكم الذين لم يعرفوا الخير والشر فهم يدخلون الى هناك ولهم يملكونها وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا الى البرية على طريق بحر سوف

ثم ذكر هنا أن موسى رحل بهم وبقي في البرية ثمانيا وثلاثين سنة حتى فني كل الجيل وحينئذ أمر موسى بالحرب ففعل وقابلهم ملك يقال له عوج وهو ملك باشان فغلبه موسى وأخذ أرضه لبني اسرائيل

ثم قال في الاصحاح الثالث من التثنية . وتضرعت الى الرب قائلا ياسيد الرب دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان لكن الرب غضب عليّ بسببكم ولم يسمع لي بل قال لي الرب كفاك لاتعد تكلمني أيضا في هذا الأمر . الى أن قال لاتعبر هذا الأردن وأما يشوع فأوصه وشدده لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم لهم الأرض التي تراها

﴿ تذكيرهم بالنعم ﴾

ثم قال فاسأل عن الأيام الأولى التي كانت قبلك من اليوم الذي خلق الله فيه الانسان على الأرض ومن اقصاء السماء الى اقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أوهل سمع نظيره أوهل شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعبا بتجارب وآيات وعجائب وحرب مثل كل مافعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام أعينكم انك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الاله ليس آخر سواه الخ وهذا كله هو وغيره تذكير بالنعم وهو ما يقوله الله هنا - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين -

﴿ حكمة هذه التجارب ﴾

﴿ في الاصحاح الثامن من التثنية ﴾

أفاد في هذا الاصحاح أن الأربعين سنة التي قضوها في القفر ليذلهم بالجوع والعطش وليأكلوا المنّ الذي لم يأكله آباؤهم وذلك لفائدتين الأولى انهم يعرفون انه ليس يعيش بالخبز وحده بل بكل مايخرج من فم الرب يحيي الانسان . وقال فيه فاعلم في قلبك انه كما يؤدب الانسان ابنه قد أدبك الرب إلهك . ثم وصف الأرض التي وعدهم بها وذكر جناتها وأعنابها وزيتها وعسلها وحديدها ونحاسها ووصى أن لاينسى الرب وحذرهم من نسيانه اذا شبعوا وليتذكروا أن الله هو الذي أخرجهم من أرض مصر في ذل العبودية وحكم عليهم بالعطش والجوع في البرية وسقاهم من الماء النابع من الحجر

ثم قال (لكي يذلك ويجربك لكي يحسن اليك في آخرتك ولئلا تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة بل اذكر الرب إلهك) اهـ ملخصا مختصرا من التوراة

لقد ظهر لك مقصود هذه الآيات من التوراة فلاذكر لك تفسيرها اللفظي ومطابقتها للحقائق فأقول

قوله (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أي كما أخذ الميثاق على المسلمين فأولئك بالتوراة وهؤلاء في القرآن كما في أول السورة فهذه سورة العهود والمواثيق (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) شاهداهم الذين أرسلوهم لينقبوا ويفتشوا في أرض كنعان من كل قبيلة واحد وهكذا في كل أمر كان يؤخذ من كل سبط واحد يقوم مقام اخوانه وهذا شرحناه فيما تقدم من نص التوراة (وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة) الى قوله (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) وهذا الميثاق وأمثاله أخذ على المسلمين وفي هذه السورة ١٨ ميثاقا جديدة لم

تمكن فى السور السابقة وقوله (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد (لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) ولذلك
(يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) حرّفوا الكلام المنزّل فى التوراة وتركوا نصيبا
مهما منها (خائنة) فرقة خائنة (إلا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا ثم قال (و) أخذنا (من الذين قالوا انا
نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا) من غرى بالشئ لصق به (بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة) بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية وفرق أخرى كالبروتستانت والارثوذكس
اللتين ظهرتا بعد نزول القرآن ومن المسيحيين من ينكر وجود المسيح ومنهم من يرى أن هذه روايات وأباطيل وكل
هؤلاء من نفس النصارى تنصلوا من الدين وقوله (مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم
وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى انجيل برنابا وقد أخفى ذلك الانجيل عمدا كما
وضحناه فى سورة البقرة (ويعفو عن كثير) فلا يفضحكم باظهار ما كتمتموه عن شعوبكم (قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين) هو القرآن (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب (الظلمات) الكفر (والنور) الاسلام
(باذنه) بارادته (صراط مستقيم) طريق هو أقرب الطرق (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم يعنى ان الله قد حلّ فى بدن عيسى ويقولون الأب والابن والروح القدس اله واحد وأنت
تعرف أن هذه سرت للمسيحيين من الانجيل الهندى فانى رأيته بعينى رأسى وقد وازن المسيحيون بينه وبين بعض
الأناجيل فلم يجدوا الا فرقا يسيرا بلا تصرف فيه وفيه التثليث والصلب وقد كان تاريخه قبل المسيح بنحو أربعة
آلاف سنة وستراه مفصلا فى آخر هذه السورة وقوله (قل فمن يملك من الله شيأ) أى فمن يمنع من قدرته وارادته ، بهذا
بين عجز البشر واغترارهم بأنبيائهم وأن الله له من فى السموات ومن فى الأرض وقد تقدم ثم أخذ يوبخ الطائفتين اليهود
والنصارى اجمالا بعد التفصيل فقال (وقالت اليهود والنصارى الخ) يقول ان اليهود قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل
انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أن اخرجوا
كل مختون من ولد اسرائيل فيخرجون وقال النصارى ان المسيح ابن الله والمسيح منهم فقالوا نحن أبناء الله لهذا
السبب والمسيحيون أيضا لما سمعوا قول المسيح أذهب الى أبى وأبيكم وأيضا يقرؤن فى صلواتهم يا أبانا الذى فى
السماء ليتقدّس اسمك ظنوا أن البنوة كبنوة الناس وأن الأب ينيمهم على فراش الراحة فقال الله لهم ، كلا
هذه ديانات تغيرت (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) أى جاءكم على حين فتور من
الارسال وانقطاع من الوحى كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير الخ) ※ وقد قيل كان بين موسى وعيسى
ألف وسبعمائة سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة ثم قال (وإذ قال موسى لقومه) شرع يكمل
قصص بنى اسرائيل إذ خرجوا من أرض مصر (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء) فأرشدكم
وشرفكم وقد تقدم ملخصه من التوراة منقولا من سفر التثنية (وجعلكم ملوكا) أى وجعل منكم ملوكا (وآتاكم
ما لم يؤت أحدا من العالمين) كما قال فى سفر التثنية المتقدم من اليوم الذى خلق الله فيه الانسان على الأرض ومن أقصاء
السماء الى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم وهل سمع نظيره الخ فهذا هو معنى الآية هنا (يا قوم ادخلوا
الأرض المقدّسة) ولقد عرفتها وهى ما بعد نهر الأردن التى منع موسى من دخولها ووعد بها فتاه (التى كتب الله
لكم) قسمها لكم (ولا ترتدّوا على أدباركم) ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة (فتنقلبوا خاسرين) ثواب
الدارين (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) لا تتأتى مقاومتهم وقد تقدم ايضاحه فى التوراة (وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ※ قال رجلان من الذين يخافون) أى يخافون الله تعالى وهما
كالب ويوشع (أنعم الله عليهما) بالايمان والثبات (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون)
كما جاء فى الوحى لموسى

وأما قوله (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) الى قوله (إنا ههنا قاعدون) فهو مفهوم ويقصدون من

قولهم ـ اذهب أنت وربك ـ الاستهانة بالله ورسوله فبث شكواه الى الله و (قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين * قال فانها) أى الأرض التى وعدوا بها (محرمة عليهم أربعين سنة) لا يدخلونها حتى يفنى هذا الجيل الجاهل الشرير (يتيهون فى الأرض) يسيرون فيها متحيرين (فلا تأس على القوم الفاسقين)

لقد فسرت لك الآيات فى هذا المقصد تفسيرا ينطبق على الحياة الاجتماعية الاسلامية وقلت ان المسلمين عاهدوا الله و بنو اسرائيل عاهدوه أيضا . فأما بنو اسرائيل فانهم خالفوا موسى وجبنوا عن محاربة الكنعانيين فحرمهم الله ولم يدخل البلاد إلا أبناؤهم . وهكذا النصارى تغالوا فى الدين وتفاخروا بقربهم من الله فجعلهم فرقا متشاكسين الخ وأزيد الآن ايضاحا للمقام فأقول

أيها المسلمون فى أقطار الأرض لم ينزل القرآن لمجرد التلاوة . احذروا احذروا وهذه القصص لا تقصد لغيرنا مالنا وللأمم السابقة انما قصصهم عبرة والعبرة هنا أن بنى اسرائيل قست قلوبهم وهكذا المسلمون قست قلوبهم وغلظت نفوسهم فانكبوا على الفقه عاكفين وظنوا أن مذاهبهم هى كل شئ فى الدين فنسوا جمال الله فى الأرض والسموات وجهلوا خلق الكائنات فأذلتهم الفرنجة لأنهم جاهلون وقتلوهم لأنهم نائمون

ولما طغوا فى العقائد وتفرقوا فرقا أوقع العداوة فيما بينهم كما حصل للنصارى ثم زاد المسلمون المتأخرون فتغالوا فى الاسلام وجعلوا أن كل من انتسب اليه فهو ناج ففعلوا كما فعل اليهود والنصارى وكأنهم أيضا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وهذا هو الغرور الباطل كما تقدم فى سورة النساء ـ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ـ فهذه الآية التى هنا وهى آية المسيح يراد بها أن لا يتغالى المسلمون فى الاغترار بالدين وانما لكل امرئ ما كسب وعليه ما اكتسب . هذا هو القصد من هذه الآيات

وأيضا يفيدنا الله قائلا . أيها المسلمون اذا رأيتم الأعداء حلوا بساحتكم فاعلموا أن الذى يخرجهم انما هو الصبر والقوة والجلد والعزيمة وأن يظهر جيل جديد يخرجهم وأن من يعيشون فى نعيم وترف أحكم عليهم بالهلاك والدمار . أما أولئك الذين يعيشون فى شظف العيش فانهم أقوياء البنية يجددون نشاطهم ويرجعون مجدهم ويرفعون لواءهم . وكأنه يقول أيها المسلمون اذا رأيتم هذا الجيل خاضعا للفرنجة فربوا أولادكم على الشهامة والمروءة كما ربيت بنى اسرائيل فى الصحراء تقوية لأبدانهم وتعويدا لهم على الاحتمال والصبر . وان شئت فاقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله ـ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ـ ثم ذكر انهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاقرأ هذا الموضوع هناك فانه مستوفى ولكن هنا بعض زيادات نافعة فافهم اهـ المقصد الثالث

(المَقْصِدُ الرَّابِعُ)

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ، قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ، قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي

سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ .

﴿ التفسير اللفظي لهذا المقصد ﴾

يقول الله (واتل عليهم) يا محمد (نبأ) قابل وهابيل (ابني آدم) اللذين أوحى الله الى آدم أن يزوّج كل واحد منهما توأم الآخر أي التي ولدت معه من بطن حوّاء وكانت حوّاء تلد في كل بطن اثنين ذكرا وأنثى أما هابيل فرضي وأما قابيل فسخط لأن توأمه كانت أجمل من توأم هابيل التي حكم عليه أن يتزوّجها فحكم عليهما آدم أن يقرّبا قربانا فمن نزلت نار من السماء فأحرقت قربانه فهو المقبول وهو الذي يتزوّج هذه الجميلة فقبل الله قربان هابيل فابتلعته النار فازداد قابيل سخطا * ويقال ان ابني آدم رجلان من بني اسرائيل وسواء كان هذا أوذاك فان الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلو علينا نبأهما (بالحق) أي تلاوة ملتبسة بالحق (إذ قرّبا قربانا) الظرف متعلق بنبأ * وكان قابيل صاحب زرع وقرّب أردأ القمح وهابيل صاحب ضرع فقرّب جملا سمينا (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لأن قابيل غير مخلص النية (قال لأقتلنك) حسدا لقبوله عندالله وزواجه بالحسناء (قال) في جوابه (انما يتقبل الله من المتقين) فأنا بتقواي قبل قرباني فلتجتهد مثلي ليقبل قربانك ولا تعوّل على ازالة النعمة عني لأن الله جعل الدنيا دار جهاد فكن مثلي ولاتعزم على اهلاكي وأنا قادر على اهلاكك ولكني لا أفعل امتثالا لأمر الله والله (لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله ربّ العالمين) فأنا وان كنت أقوى منك يمنعني خوف الله تعالى من الاقدام على قتلك فلاضعف عندي وانما هو ديني (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي ترجع بعقاب ذنبي بقتلك لي وعقاب ذنبك بمعاصيك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت) سهلت ووسعت من طاع له المرتع اذا اتسع (له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) دينا ودنيا ولما قتله تحير في أمره ولم يدر مايصنع به فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر بمنقاره ورجليه فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة (ليريه كيف يواري سوأة أخيه) ليري الله أو الغراب قابيل كيف يواري جسد أخيه هابيل ولما رأى ذلك (قال ياويلتا) كلمة جزع وتحسر (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي) أي فأستر جيفته وعورته عن الأعين (فأصبح من النادمين) لأنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أوفساد في الأرض) أو بغير فساد في الأرض كالشرك أوقطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وانه سنّ القتل وجرّأ الناس عليه (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أومنع عن القتل أواستنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) أي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحات لكي يخافوا . أسرف كثير منهم في القتل وتباعدوا عن الاعتدال فيه * سئل الحسن عن هذه الآية أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال أي والله الذي لا إله غيره ما كانت دماء

بنى اسرائيل أكرم على الله من دمائنا . اهـ التفسير اللفظى

﴿ التفسير الحقيق على مقدار الطاقة ﴾

بينما أكتب هذه الكلمات إذ حضر عندى فاضل من الأذكياء واطلع على ما كتبته فقال . لم أورد الله هذه القصة وأنت تعلم أن عقول الناس ليس عندها متسع لمثل هذا وما المناسبة بين ما تقدّم و بين القصة ومالنا ولآدم وبنيه ونحن فى القرن العشرين فما فائدتنا والمدنية الحاضرة قد رقت الأمم ونحن نرجع الى أشياء كانت فى القرون الأولى ولا ندرى ماذا فعل الزمان بها وما فائدة ذكر الغراب وحسد ابنى آدم ان الشك والكفر يرفرفان على عقول جميع المتعلمين الأذكياء فى البلاد الاسلامية فان لم تأت بجواب شاف فانى قلت لك الحقيقة ناصعة بيضاء وأنت تعلم أن ديننا هو آخر الأديان والله يظهره على الدين كله . أبمثل دفن الغراب يظهره على الدين كله وهذا عصر الكهرباء والبخار والطيارات والعجائب والكشف الحديث فأين العلوم وأين المعارف وأين عجائب القرآن

فقلت له . لو لم يكن فى القرآن سوى هذه القصة لكفت فى الاعجاز والسوق الى ما فوق المدنية الحاضرة إن هذه القصة لاتقنع بالمدنية الحاضرة انها ترمى الى أشياء لم يعلمها البشر هى تشير الى أن الناس نائمون و بالفكر فى أمثال هذا القول يستيقظون . هذه الآية فتحت باب السعادة الانسانية والمحبة الأخوية والمودّات الآدمية والاخلاص واشراف القلوب ونزع ما فى الصدور وارتقاء سائر نوع الانسان مسلمين وغير مسلمين ولكنها فى الوقت نفسه توبخ المسلمين أشدّ توبيخ وتقرعهم أعظم تقريع وتطلب من النوع الانسانى أن يصل الى منتهاه وأن يرقى الى أقصى مداه . فقال ذلك الفاضل إن ما تقوله لى الآن أشبه بأقوال الصوفية فى هذا العصر الذين يمدحون الدين ولا يأتون سرّا من أسراره ولا نبأ من أحواله وانما هى كلمات يتلقفونها وأقوال يزخرفونها كابرا عن كابر واذا سألتهم . أين تلك العجائب ظهر عجزهم وضلوا سواء السبيل فافصح ما قلت . فقلت

﴿ الاجابة عن السؤال ﴾

ألم يتقدّم فى هذه السورة الصيد حلاله وحرامه وحل النساء قال بلى قلت ألم يذكر فيها اليهود والنصارى وكيف تغالوا فى الدين وأن الاسلام قد جاء لاصلاح ما أفسده الزمان من العقائد والمغالاة فى الدين بألوهية الأنبياء أو بغفران الذنوب مجانا لانتساب الناس الى الدين قال بلى . قلت أولم أقل ان المسلمين لم يذكر لهم هذا إلا ليحترسوا من ذلك التفرّق وقد وقعوا فيه فتفرّقوا واقتتلوا كما اقتتل النصارى ورجعوا الى انتوا كل واعتقاد الغفران لأجل الدين كما فعل أهل الكتاب قال بلى . قلت له إن الله جاء بهذه القصة التى هى من جملة القرآن لتكون بلسما يداوى به جراح الأمم الاسلامية فى هذا الزمان وفى مستقبل الزمان . هذه القصة قصها الله هنا . فقال وكيف ذلك . قلت أنت تعلم أن الفطرة الانسانية فيها غريزتان لا ينفك الانسان عنهما ولا يعيش الا بهما . احداهما انه يحب أن يختص وحده بكل مكرمة ونعمة فهو أبدا يحب أن يكون له السبق والفضل فى كل شئ . فى المال . فى الجمال . فى العلم . فى الملك . فى الشهرة . فى الجنة فى عالم الملائكة . فى كل ما يسمعه أو يقرؤه . وثانيهما انه يحب من حوله ويودّ لو يكون معه قوم كثيرون ليساعدوه فى أموره فهو اذن بين متناقضين فى الغريزة أوّلا الاختصاص وثانيا الاجتماع ولا اجتماع الا حيث يكون الناس لهم حياة والحياة ذات مزايا كثيرة . فالانسان لما كان روحا عالية شريفة أحب الانفراد بالعلو ولما كانت تلك الروح تنزلت الى عالمنا الأرضى الضعيف المتأخر وسكنت هذه البنية احتاجت البنية الى المساعدة من الأهل والأقارب وأهل الوطن وسائر أفراد الأمّة وجميع الأمم وهاتان الغريزتان أبدا تتجادلان فى الانسان فان غلبت الأولى وقع الانسان فى الظلم والحسد والكبر وأمثالها وان غلبت الثانية ربما أضرّ

بنفسه

بنفسه وتنزل الى الذلة والصغار واستسلم للفقر والاحتقار فان اعتدلا اعتدل الانسان وسار سيرا حسنا فى حياته مع الناس أجمعين

فالحاجة الى اجتماعه بأبناء جنسه حملته على مزايا شريفة كثيرة كالندم على مايفرط منه لهم والحزن والكآبة عليهم ومساعدتهم فى السراء والضراء وما أشبه ذلك . فهذه المزايا مغروسة فى نفوسنا ثابتة لايزحزحها فلسفة ولا يبعدها زخرف من القول زور

والعقل الانسانى هو الذى يتصرف فى هاتين الغريزتين ببصيرته حتى لا تطغى إحداهما على الأخرى فلاحب الانفراد يعمينا عن المساعدة الأخوية ولا المحبة الأخوية تصدنا عن حفظ أنفسنا والعمل لاسعادها

قال بلى ثم ماذا قلت وأنت ترى أن هذا العقل المتصرف فى هاتين الغريزتين ينظر فيما حوله و يتعرف عجائب هذه الدنيا فيدرس نظامها و يتخذ لنفسه من كل شئ أحسنه فاذا رأى النبات زرعه وجدّ فى انمائه أوالحيوان اجتهد فى تذليله وتعلم من صناعاته فنسج كالعنكبوت وطار فى الطيارات كالطيور وسبح فى البحر كالسمك وصنع القناطر على البحار كما تصنع القرود من أنفسها بحيث تجتمع تحت شجرة على شاطئ النهر ويأتى أحدها ويتعلق بالشجرة ويمسك به آخر وهكذا يمسك بعضها ببعض فيصير منها شبه جسر طويل متصل بعضه ببعض ثم يأتى أسفلها ويمد رأسه الى جهة الشط الآخر وتتجه جميع القردة المتصلة بعضها ببعض الى الشط الآخر فما أسرع أن يصل القرد الأسفل الى شجرة من الجهة الأخرى من النهر و يمسك بالشجرة ذلك القرد الذى كان أدنى وهنا تمت القنطرة التى تصنعها القردة محدبة بوضع هندسى ثم تمر القردة الصغار على هذه القنطرة وهن يتغامزن ويضحكن ويجرين فوق تلك القنطرة القردية فاذا انتهى المرور ثبت القرد الذى فى الشط الآخر فى مكانه فوق الشجرة متمسكا بها وأنزل يديه القرد الذى تمسك بالشجرة الأولى فى الشط الأول ومتى ترك الشجرة رأيت هذه القنطرة كلها أصبحت صفا واحدا فى الشط الثانى معلقا فى القرد الذى استمسك بالشجرة الثانية وحينئذ ماأسهل أن يجرى كل واحد فى الأرض الفضاء آمنا مطمئنا

واذا رأى الرياح والنمل والحشرات تلقح الزرع ولا علم لها به فليقم هو بالالقاح ليزيد النماء والخير والبركات . واذا رأى الشمس والكوكب أضاءت له السبل فانه يقلد الطبيعة ويأتى بالسرج التى توقد فى منازله وهكذا يتعلم الانسان مما حوله كل ما استعدت له نفسه من السعادة . أليس كذلك قال بلى قلت لننظر فى الآية الآن أليست هذه الآية جاءت للبحث فى الفطرة الانسانية الخالصة من كل شائبة . أليس قتل قابيل لهابيل راجعا للغريزة الأولى قال بلى قلت أليس استسلام هابيل لقابيل راجعا للاستسلام للعاطفة الثانية واذكار الذات كل الاذكار قال بلى وانى معجب بهذا القول وأول مرة سمعت هذا فى تفسير هذه الاية . قلت أليس هابيل لما استسلم للعاطفة الثانية كان جزاؤه القتل من أخيه قال بلى وهذا لايرضاه ديننا وان كان دين المسيح يرضاه ومع ذلك نرى المسيحيين تركوا هذا كله . قلت ألست ترى أن الغريزة والفطرة قد أوجبت عليه أن يندم ويحزن وقد حار فى أمره قال بلى . قلت ولما لم يهتد الى مسألة الدفن جاء له الغراب فأراه الدفن قال بلى . قلت أليس هذا هو فعل العقل وأنه يجب أن يسيطر إما بالتعاليم وإما بما يحدثه الله للانسان من الحوادث التى توقعه فى النكبات فتنفتح بصيرته للفهم والتعقل فيدرك الحقائق . واذا رأى قابيل غرابا يبحث فى الأرض وقت حزنه فقلده ودفن أخاه فكم رأى من غراب وحية وأسد ونملة ونحلة وهو يطلع على عجائبها كل يوم ولا يفكر ولايعقل ماتفعل ولكن لما وقع فى النوائب استعمل عقله فتعلم مما حوله وهو الغراب . قال هذا كلام حسن وجميل . قلت له فلذلك قال الله إن عاطفة الانفراد لما تغلبت على عاطفة الاجتماع وأصبح الناس يقتل بعضهم بعضا وغلب الظلم عليهم قديما وحديثا حتى نسوا عقولهم ولم يفكروا فى أمرهم كتبنا فيما شرعنا فى كل دين من الديانات أن القتل اثمه عظيم وأن حياة الانسان شريفة

قال لم يقل الله ذلك فأوضح • قلت ألست تعلم مما ذكرناه فى أوّل سورة النساء أن الناس على وجه الأرض كأنهم شخص واحد وأن بنى آدم على ظهر الكرة الأرضية متضامنون وان لم يعلموا متعاونون وان لم يعرفوا • وعندى أنه لافرق بين النحل وتلقيحها الأشجار وهى تجهل ذلك أثناء شربها العسل من الزهرات وبين الانسان فان كل أمّة تخدم سائر الأمم وهى غافلة عما تفعله بل تحارب كل أمّة الأخرى وهم جميعا غافلون نائمون لايعلمون انهم بهذا ينقصون الثمرات التى هى خير للجميع • قال أوضح قلت انك ترى أن القطن فى بلادنا المصرية لوحصل فى بلاد الصين أو اليابان نكبة وفقر ولم تأخذ من قطننا أفليس ذلك يكون نكبة علينا قال بلى • قلت اذا لم نأخذ نحن معاشر المصريين الشاى الوارد من الصين أو البن الوارد من اليمن أو الثياب المصنوعة فى أوروبا • أفليست كل تلك الأمم تتأثر وتنقص ثمراتها بنسبة عدم شرائنا قال بلى • قلت أفلست ترى هذا الانسان المسكين تحارب كل أمّة منه الأخرى وتقتل رجالها وهم لايعقلون بتلك المساعدة الخفية قال بلى • قلت فالفيلسوف فى الصين والهند وفى أوروبا والمخترع من هذه الأمم يؤثر فى أمّته مباشرة وفى الأمم الأخرى اما مباشرة واما بالواسطة • قال وكيف ذلك قلت فالذى اخترع قطار السكة الحديدية والتلغراف والكهرباء وأمثالها أثر فى أمّته وفى الأمم الأخرى فعلا قال نعم • قلت لكن العالم والمدرّس والمهندس وأمثالهم يؤثرون فى أمّتهم فينفعونها وأمّتهم عضو من سائر الأمم تفيد فى المجتمع قال نعم • قلت اذن العامل الصغير والفلاح والمزارع كل له عمل فى أمّته وأمّته لها فائدة فى جميع الأمم اجمالا • قال هذا حق • قلت هذا معنى الآية

يقول الله لما تخلى الانسان عن عقله وترك الكبرياء والحسد يطغيان عليه تارة فيقتل سواه وتارة أخرى يقع فى التهلكة ولا يستيقظ عقله للتفكر الا بعد مايذوق الشدائد كما اتفق لقابيل • أرسلت رسلا وعلمت الانسان بواسطتهم لأن غريزة الانسان قد يتركها لهواه وتنوّم الشهوات عقله تنويما مغناطيسيا فلا يستيقظ للفكر الا بعد حلول النوائب ومما قلته فى ذلك التعليم ــ ان من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ــ لأن الانسانية متضامنة وهو عضو منها ــ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ــ ومثل هذا يظهر فى النابغين والمخترعين الذين يظهر فضلهم لسائر الناس وينفعونهم جميعا ولكن غير النابغين لايتفطن لمنفعتهم للانسانية الا الاقلون

فعلى ذلك يكون كل من قتل من الناس تعطلت منفعته عن العموم وكل من بقى فمنفعته للعموم • قال هذا حسن ولكنه خفى على أكثر العقول

قلت فاذا قال الله فى أوّل السورة ان من الصيد ماهو حلال ومنه ماهو حرام وقال أحللت لكم صنف كذا من النساء فقد قال هنا • أيها الناس أنا لم أخلقكم لأجل اللذات ولم تحيوا للشهوات وانما هذه مقدّمات يراد بها الحياة فاياكم أن تشغلكم شهوات الصيد عن عجائب الطبيعة وغرائبها البديعة كما ترون فى غرائز الغراب من آيات الله والحكمة وكيف تعلمتم منه ومن غيره من الحيوان فاحذروا أن يلهيكم أكل الحيوان وصيده عن الحكمة والعلم فيه وكيف يلهيكم هذا وقد قلت لكم ان ابن آدم دعا بالويل والثبور وقال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب وكيف جهلت علم الطيور ولم أعرف حفر القبور

فعلى عقولكم فلتبكوا وعلى ضياع غرائزكم فلتحزنوا وكأنه يقول اذا أحللت لكم النساء فليس معناه أن تغفلوا عن العدل كما غفل قابيل فقتل أخاه لأجل امرأة ولكن اعدلوا فى أعمالكم لتنتظم جماعاتكم وادرسوا علوم الطير والأنعام لتنالوا سعادة الحياة والممات

واذا قال الله ان اليهود والنصارى أفرطوا وأسرفوا فى عقائدهم وقلنا نحن أيضا ان المسلمين قد لحقوهم فيما وقعوا فيه فذلوا فقد قال الله هناك أيها الناس ارجعوا الى العقل والتفكير وليرجع الناس لعقولهم ويفكروا

وكما أن قابيل تنبه الى فعل الغراب بعد الآلام والندم • هكذا من أصابهم العطب ونزل بهم الشقاء من الأمم فليفزعوا لعقولهم وليفكروا فيما حولهم وليتأملوا فيما خلقته لهم • ان المسيحيين لما مسهم الضرّ بسبب عقائدهم العتيقة جاء الاسلام فحدث وفعل واستنارت عقولهم بسببه فأمّا الاسلام فان أهله أصابهم الغرور

ونامو

وناموا نوما عميقا فنبههم الله بالمصائب والكوارث وقد جاء دورهم فلينتبهوا

﴿ نداء لأمة الاسلام ﴾

هذا هو الذى انشرح له صدرى يا أمة الاسلام . أقول لكم وأنا ملزم أن أقول لكم . أقول لكم كيف يقول الله على لسان ابن آدم — ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب — كيف دعا ابن آدم بالويل والثبور لجهله وكيف يقال ذلك لمجرد حكاية . كلا . هل يظن المسلمون أن القرآن يأتى لمجرد الفكاهة . كلا . ثم كلا وانظر كيف يقول الله — فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه — الله هو الذى يقول بعث غرابا يعلم ابن آدم ويريه كيف يوارى سوأة أخيه —

أيها المسلمون ان الأمر عظيم تضعضع المسلمون وضعفوا وما نجاتهم إلا بهذه القصة وأمثالها . هذه القصة تقول ان ابن آدم لما ندم على تفريطه عقل وفهم عن الطير وأنا أقول الله يريد أن يعلمنا علم ما فى الأرض والسماء وما الغراب إلا ضرب مثل وما الحكاية إلا رمز . رمز حقا حقا وليس القصد منها لفظها وإذا كان شراح كتاب كليلة ودمنه والوزير الفارسى وكذلك ابن المقفع يقولون ان الحكايات الخرافية التى فيها تكون تسلية للعامة وعلما وحكمة وسياسة وفلسفة للخاصة أفلا يكون كتاب الله تعالى أولى بهذا فاذا كانت الخرافة تجعل رمزا للحكمة والفلسفة فما بالك بكتاب الله الذى قال انه سيظهره على الدين كله

إذن المسألة أكبر مما نظن وأعظم مما نفهم والمسلمون اليوم لهم حصن يلجؤون اليه وملجأ وهو التفكر والتعقل والفهم وجميع العلوم أصبحت هى نفس الدين ولم اختار الله الغراب فى التعبير . الغراب من الحيوانات الفواسق التى ورد الشرع بجواز قتلها كما تقدم فاذا كان ابن آدم اذا أخطأت فكرته يرجع الى الحيوان بل الى أقل الحيوان احتراما فى الدين الاسلامى فكيف يكون الفكر فى باقى الحيوان وفى علوم الأمم وصناعاتها . نحن أمرنا الله أن نعرف علم الحيوان بل أدنى الحيوان فما بالك بعلم الانسان

فلأقل أنا أيها الاستاذ لك ولتقل لى ياويلتنا أعجزنا أن نعرف ما تعرفه الأمم التى حولنا فنوارى سوأة أمتنا الاسلامية فأصبحنا من النادمين . أعجزنا أن ندرس جميع العلوم ولعرف كل ما خلق الله ليرينا الله كمال غرائز الحيوان ولكن الانسان يخطئ ولذلك نرى الانسان يتعلم من الحيوان وتعلم ابن آدم من الغراب فالحيوان غريزته كافية لحياته والانسان تدنس الشهوات غريزته وبعد ذلك يتعلم من الطبيعة بتعليم الله . هكذا يقول الله — ليريه — فهو خلق لنا ما حولنا ليعلمنا ولم يخلقه لنصطاد منه فقط بل خلقه للتعليم وكأن الله يقول هل ذكرت فى هذه السورة أن ابن آدم قال ياويلتا على ضياع صيد أو ضياع الشهوات بل دعا بالويل للجهل بالامور الطبيعية . هكذا يعلم الله بالقرآن ويرشد أمة الاسلام . واذا كان الله يعلمنا بالغراب أفلا يعلمنا بما هو أقرب الينا من الغراب وهم الأمم التى حولنا . هكذا يقول الله تعالى . يقول لا تجهلوا ما حولكم مما علمته للامم وما خزنته فى الطبيعة ورمز لذلك بتعليم الغراب

قال صاحبى ولكن الناس يقولون ان غرامك بالطبيعة وعلومها جعلك تلح فى هذه الآيات وتأتى فيها بما هو بعيد عن الآية فهل هذا كله يترتب على قول الله — ليريه كيف يوارى سوأة أخيه — قلت فاسمع غيرها قال الله تعالى — والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد — فانظر كيف ذكر أن هذه الأشياء تكون تبصرة وذكرى وتكون رزقا للعباد وقدم التبصرة والذكرى على كونها رزقا للعباد وهذا يدل على عناية الحكمة الالهية فى القرآن أن يتفكر الناس فى علوم الطبيعة والمخلوقات

فقال ولكن هذه الفكرة مفهومة من سبعمائة وخمسين آية كما قلت أنت فما الداعى إذن لاستخراجها من قصة كهذه

فقلت المجاز أبلغ من الحقيقة وهـذه القصة متى عرفها المسلمون على الوجه الذى ذكرناه وبالمنهج الذى سلكناه ثاروا فى وجه الجهالة وقاموا للعلم قومة رجل واحد لأن الأمة ليست على بينة من هذا فهذا القصص دلالته أفصح ومنافعه أكمل وتأثيره أشد وفعله أوقع فى النفوس وأذهب للبوس وأجلب للفهم وأقرب للعلم وأدعى لرجوع الأمة الى كمالها ونهوضها الى شرفها العظيم

﴿ نداء الى علماء الاسلام ﴾

حرام على علماء الاسلام أن يذروا الأمة تتخبط فى ديجورها وحالك ظلامها . ألم يأن لكم أيها العلماء أن ترشدوا الأمة لكمالها . ألم يأن لكم أن تهدوهم الى الصراط المستقيم . انظروا كيف استنبط الامام الشافعى رحمه الله من آية واحدة من القرآن واردة فى غزوة من الغزوات وهى ـ فاعتبروا يا أولى الأبصار ـ ربع الدلائل الفقهية وهو القياس وكيف جعل أبوحنيفة الاقتصار على الأعضاء الأربعة فى آية الوضوء دليلا على أنه لايجب على الانسان غيرها وكيف جعل الشافعى الترتيب فرضا لأن الآية ذكرت الأعضاء على هذا النمط . وانظروا كيف كانوا يدققون فى كل صغيرة وكبيرة فهل نام الذين بعدهم وهل عموا وصموا فلم ينظروا فى القرآن ليسدوا هـذه الثلمة الاسلامية والحوادث الحربية والمصائب الأوروبية الواقعة على الأمم الشرقية فاذا كان أئمتنا بهـذه الدقة . فمابالنا أصبحنا نائمين هل على الأعين غشاوة أم فى القلوب مرض . عجب للمسلمين وأى عجب كيف تمر عليكم أيها القوم هـذه الآية . يقول الله بعث الغراب ليبحث فى الأرض ويعلمكم وأن ابن آدم تألم لجهله بما علمه الغراب فكيف يمر هذا القول عليكم وأنتم نائمون . أين أنت ياأباحنيفة وأين الشافعى ومالك فليحضروا ليستنتجوا لنا من القرآن فقد فترت الهمم وماتت الأمم ولم يبق إلا الرمم

لوكان الشافعى حيا وأبوحنيفة ومالك ورأوا مانحن فيه لاجتهدوا لنا فى الدين ولألزمونا بقراءة نظام العالمين كما عرفونا الصلاة والركوع والسجود والزكاة وأكثر المعاملات

لوكانوا يعلمون أننا سنكون على هذه الحال لألفوا لنا فى هـذه الأمور كتبا كثيرة ولكنهم ما كانوا للغيب بعالمين

نعم ألفوا لنا فى العبادات فحفظوا أممنا فى داخلها فجزاهم الله خيرا ولو أنهم اطلعوا علينا فى هـذا الزمان لأفهمونا أن علوم الكائنات أولى بالرعاية وأحق بالتعقل وأولى بالفهم والتوحيد أفضل من العبادات . نعم ورد عنهم مثل هذا ولكنه لم يكن له أبواب وفصول والحق أن علوم الكائنات أفضل من العلوم الفقهية لأنها دالة على الله عزوجل ولأن فيها نظام الأمم وحياتها فأصبح اليوم علم التوحيد مأخوذا من الطبيعة وحياتنا موقوفة على الطبيعة وتفسير قوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ـ متوقف على الطبيعة

فليقرأ المسلمون علم الكائنات ليقربوا من رب البريات فذلك خيرلهم وأحسن تأويلا

﴿ الخزائن الحديدية فى القرآن ﴾

لقد خزن الله فى باطن الأرض الفحم واستخرجه الانسان الآن وخزن البترول والنفط والحديد والذهب وخزن الكهرباء فى الجو والماء والأرض وفى كل شئ وكذا البخار . كل ذلك خزنه الله ولم يطلع عليه الناس إلا شيأ فشيأ وليس الخزن معناه الاختفاء . كلا بل يكون الشئ أمام أعيننا ولانعقل له معنى . فالبخار كنا نراه ونأنه يميل الى الصعود ولكننا مافكرنا فى منفعته والسمك المسمى بالرعاد كنا نحس بكهربائيته ولكننا كنا عنها غافلين . هكذا القرآن قد ظهر لعامة المسلمين والفقهاء السابقين منه الأعمال الشرعيـة والتكاليف الدينية . أما الحكم الكونية والعجائب الالهيـة فقد كان المسلمون عنها غافلين اللهم إلا أكابرهم وما كان المسلمون لهم بصغين ولا لقولهم سامعين . وهاهى ذه آية الغراب وكيف ذكرها الله فى القرآن وقال فى

هذه السورة قولين فى هـذا المعنى • القول الأول ـ تعلمونهن مما علمكم الله ـ والثانى قوله ـ يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين ـ فتارة يقول لنا علموا الحيوان مما تعلمتم من الله وكلوا مما أمسكن عليكم وتارة يقول تعلموا من الطير و يقول ابن آدم ياو يلتا أبلغ الجهل بى والحمق أن أكون أدنى من الحيوان علما وأقل منه فهما وأنزل منه شرفا

ألست ترى أن هذه خزائن أودعت فى القرآن وأقفلها الله كما أقفل خزائن البخار والكهرباء ونحن نراها فهذه الآيات تتلى والمسلمون نائمون حتى اذا جاء الأوان وساعد الزمان وظهر نوع الانسان وبرع فى الاتقان فتح الله هـذه الخزائن المقفلة الحديدية وأرانا عجائبها وأطلعنا على جمالها وقال قولوا لاخوانكم المسلمين ان هذه العجائب من دينكم والتفكر فيها من أعظم عباداتكم ـ وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزله إلا بقدر معلوم ـ ولقد خزنا أمثال هذه القصة لأمثال المسلمين الآتين بعدكم وهذا أوان مجدكم واشراق شمسكم

فبينوا للناس تبيينا وزينوا لهم مازيناه وأظهروا لهم ماخزناه فهـذا أوانه وليقم فى كل أمة مصلحون وفى كل اقليم مجددون فانشروا العلوم وأبرزوها للعموم واذا كان بعض السابقين لم يكن لهم من هذا حظ عظيم فلقد أذن الله ببلوغ المسلمين درجـة الايقان وارتفاع الشان وقد كانوا بالجهل كصـغار الأيتام فلما أذن الله بانشراح القلوب للعلوم صاروا أهلا لنيل ماخبأه لهم واستعدوا لاستثمار ماغرسه لهـم إذ صاروا بالفهم كالبالغين ان الله لايعطى إلا المستحقين ويمنع من لايشكرون النعمة وليس يشكرها إلا من يعقلها والله هو الولى الحميد

﴿ فتح الخزائن القرآنيـة والتفرج على عجائبها الحكمية ﴾

﴿ فى الطيور ﴾

لقد كنت ألفت كتابا سميته (جمال العالم) منذ ٢٢ سنة وذكرت فيه من كل نوع من أنواع المخلوقات عجبا • فهاأناذا أيها اللبيب أقص عليك منه مايناسب المقام وأذكر عجائب بعض الطيور لتتفرج على خزائن الله التى أذن باظهارها وفتحها لأبنائنا المسلمين الذين سيوقنون أن الدين الاسلامى جاء لكشف الحقائق واظهار الدقائق وابراز العجائب ولتعلم أن أعظم المخترعين وأكبر المفكرين وأهم الذين ينفعون النوع الانسانى سيكونون من المسلمين لايقانهم أن العلوم الطبيعية قربى الى الله وهى علوم ترفع فى الدنيا والدين وأن كل مخترع ومدقق وكاشف ونافع للأمم جميعها بالعلم خليفة الله وهم أولى بهذه الخلافة • فلأسمعك ماجاء فى ذلك الكتاب

﴿ الكلام على الطيور ﴾

فقال صاحبى لقد اتضح لى السبب وعرفت الحكمة وفهمنا الحيوانات وعجائبها فأرجو أن تذكر كلاما على الطيور وغرائبها وما أودع فيها من الحكم فقال ان الله قسمها قسمة عادلة كقسمة الحيوانات التى على الأرض فجعل منها الآكلة والمأكولة وترى الصقور والشواهين والبزاة والبوم والغربان قد خلقت لها المناقير الملتوية والمخاليب المعقربة والريش الطويل فى الأجنحة والأذناب وهـذا الأخير ليكون موازنا لأجسامها ليمكنها أن تديرها كدفة المركب وذيل السمكة اذ لا يمكنها أن تستدير يمنة أو يسرة الا بتحريكه ضد ماتريد (أنظر كتابنا جواهر العلوم) وحدب مناقيرها لئلا تصادم الرياح فتعوقها عن الطيران اذا كانت عريضة وأعطيت حواس قوية حتى يمكنها أن ترى أقل شئ فى الأرض على بعد عظيم وتشم الرائحة من أبعد مكان ولها من السرعة مالايخطر بالبال حتى ان الصقر ليطير فى الساعة أكثر من مائة ميل وقد يحمل الأرنب أو الجمل أو الطفل وعلى ذلك ربما لايزيد وزن الطائر عن نحو اثنى عشر رطلا

﴿ لطائف عن الطيور الجارحة ﴾

ولنذكر غرائب الخفاش والغراب والبوم ليكون مجلسنا هـذا جيلا فلانذكر فيه الا ماجل من الحديث وليكون تذكرة للعقلاء وسلوة للحكماء وتنبيها للنبهاء وليرى الشبان الأذكياء مالم يكن ليخطر على بالهم من

العجائب التي يراها عامة الناس ولا يفقهون لها معنى وكيف جهلناها وأعرضنا عن العلم فأعرضت المدنية - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - فاذا قرأت ما يأتي من غرائب الطيور وفطنت الى ما سنذكره من الحكم ثم نظرت الأمة حولك كيف أعرضت وجهلت تعرف سرا من أسرار القرآن وكيف سمي هذا نسيانا وظن العامة منا وكثير من الخاصة أن المدار على أن يقول أعرف الله بلسانه وهو يجهل ما حوله من الكائنات ومنافعها - أفلم ينظروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض - ثم هدد فقال - ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء - اشارة الى الذلة التي تحيط بالجاهلين . ولنشرع فيما وعدنا فنقول

﴿ الخفاش ﴾

لا يعد الخفاش من الطيور الا تساهلا اذ لا ريش له ثم هو لا يرى الا ليلا لقوة عينيه فيجهر بصره نهارا ويقوى ليلا ليكون لما وهذا النوع أعطى قوة على أن يطير فلا يسمع ويبصر ليلا وهو لا يبصر ومنه خفاش جثته كبيرة كالثعلب أو الكلب حتى يسمى الكلب الطيار فهذا وذاك كلاهما موجودان في العالم وشاهدهما أهل هذا العصر ووصفوهما في الكتب - وفي الأرض آيات للموقنين . ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وكم من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون - ورب قارئ يقرأ هذا ويقول أنا لا أصدق الا بما شاهدت وهذا انما هو من الغافلين فان هذا من آيات الله الدالة على صفته المشحونة بها الكتب في العصر الحاضر الآتية بها الأخبار من أقاصي المعمورة - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا - ونحن اذا تمادينا على الاستهزاء بهذه العجائب وأعرضنا عن ذكر الله بسببها ذهبت منا مدنيتنا مع ان علماءنا السابقين وآباءنا الأولين كانوا هم السابقين لها المعلمين لعلماء أوروبا الهادين لهم الى سبيل الفكر والعلم والقرآن هو الهادي الى ذلك

ومن الخفاش نوع يعيش على دم الانسان والحيوان فيشرب دم الخيل والابل والبقر والغنم فاذا رأى انسانا نائما جاء بلطف وخفة وروح على وجهه حتى يستغرق في نومه بتجديد النسمات عليه ثم يضع منقاره في موضع مكشوف من جسده ويمتص منه الدم ولا يزال كذلك حتى يمتلئ ثم يطير بأسرع من لمح البصر ويترك النائم على شفا جرف هار من الموت أو المرض . وما أشبه هذا بالأمم الفاتكة بغيرها بطرق الخداع واستهواء العقول جلت صنعة الحكيم العليم الذي أتقن صنعه وعلم الحيوان فوق علم الانسان في كل فن من الفنون حتى السياسة عجب من هذا الصنع الباهر والحكمة الظاهرة فالى متى يا قوم لا تقرؤن علم الحيوان ولا تذكرون الله الا قليلا - ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين -

﴿ حكمة الله في البوم ﴾

البوم حيوان قوي جدا لا يظهر نهارا لأن له عينين كبيرتين واسعتين لا تقدر أن تحمل نور الشمس القوي وانما تقدر أن تنظر في الغلس وتبحث اذن عن الطعام . تعيش على الفيران الغيطية والمنزلية والسمك والحشرات فاذا جاعت ولم تجد شيأ من ذلك أكلت من الطيور . صنعت أجنحتها بحيث تطير بلا صوت ولها أذنان قويتا الاحساس جدا بحيث تسمعان أقل حركة من حيوان صغير كالفأر على الحشيش فاذا رأت فأرا على الأرض أو سمكة على سطح الماء أسرعت اليه في الحال نازلة في طبقة الهواء وحينئذ تنقض عليه وتقتنصه بمخاليبها ثم تطير به وتزدرده كله عظاما ولحما فاذا هضم اللحم في فمها وتخلص من العظم لفظت العظم . اذا شاهدت عش بوم في جوف شجرة أو خربة فلتعلم أنك سترى آكاما كبيرة من العظام التي أكلها البوم بل نفس تلك الاعشاش انما هي آكام صغيرة من عظم يابس . البوم نافع عظيم للفلاح فيأكل الفيران التي تضر بالزرع * وقد قيل ان بومة واحدة قد تأكل قدر هرة خمس أوست

مرات

مرات * حكى أن رجلا له يمام مستأنس فى برجه فوجده ناقصا فأخذ بندقيته وتربص ليلا حتى اذا جاءت بومة ودخلت البرج ولما خرجت وفى فمها شئ ظنه الرجل يماما وظنها سارقة له ولما ضربها و وقعت صريعة وجد ما فى فمها الفأر التى هى المفترسة على الحقيقة فندم ولات ساعة مندم . وفى بعض الجهات يستعملون البوم لصيد الطيور وذلك انهم يأتون بأغصان و يدهنونها بصمغ يسمى صمغ الطيور يلتصق الشئ به كالغراء ثم يربط البوم فى حبل قريب من تلك الأغصان حتى لا يتمكن من الفرار فى الحقل ثم ان الطيور تكرهها كراهة شديدة لأنهن يعلمن أنها فى بعض الأزمان تقلق راحتهن وتحاول اقتناصهن فاذا رأوها مربوطة ولن تقدر على أن تلحق ضررا بهن يذهبن فى عدد كبير وجم غفير ويلتففن حولها لينقرنها بالمناقير و يضربنها بأى وسيلة يقدرن عليها و فى الحال تثب تلك الطيور على الأغصان المدهونة بالغراء أو تلمسها بأجنحتها فيمسكهن حالا و يقتنصهن الرجل سريعا و يضعهن فى القفص المعد لذلك و يذهب الى حيث يريد

﴿ الغراب ﴾

هو من الملحقات با كالة اللحوم وضعه الله فى الأرض ليساعد الفلاح على عمله فى الحقول ليأكل الدود والجرذان وغيرهما من هوام وحشرات . ومن العجيب أنه يعرف الخطر فيتقيه الهاما من الله تعالى فيبنى مساكن من الأغصان مجتمعة على الاحكام والاتقان فى أعالى الأشجار حتى لا يقدر الريح على افساد أعشاشهن أوايقاعهن عن أماكنها ويخرجن لطلب الرزق زرافات فاذا وقعن فى حقل ليلتقطن ما أودع الله لهن من الحشرات والهوام جعلن واحدا منهن حارسا متربصا للأعداء محاذرا هجمات الفاتكين فاذا نعق (غاق) علمن قرب خطر محدق بهن فطرن فى الهواء . ومن العجيب أن الناس فى بلادنا لا يفهمون لهذا الطير معنى ويؤذونه وقد يضربونه بالبنادق وهم يجهلون انه صديقهم قاتل عدوهم الدود فهو يحسن وهم يسيؤون

وفى ظنى أن كثرة الدود فى بلادنا انما جاءت من قلة الأشجار ولو أن الناس غرسوا على الترع والجسور والخلجان أشجارا لعششت فيها الطيور المختلفة وأبادت الدود والحشرات . إذ من المحقق أن الحشرات أصلها الدود فكل حشرة تبتدئ بيضة فتنقلب دودة حتى اذا أكلت ونامت نسجت عليها نسجا حريريا فكونته كتلة صغيرة أو كبيرة وتسمى بلسان علماء الحيوان (شرنقة) ويبقى فيها ذلك الحيوان نائما ثم تخلق له الأجنحة والأرجل فيحرقها ويطير كما فى دود القز ودود القطن الذى يخرج منه أبو دقيق وسنوضحه فى هذا المختصر ان شاء الله تعالى وستقف فيه على أن الطيور وضعت لأكل الحشرات والدود الضارة بالزراعات والأشجار فى مساكنها فمن قطعها فقد جنى على الزرع جناية لا يكفرها إلا العلم بها

﴿ الغراب والموازنة بينه و بين البوم والخفاش والفلاح فى الحقل وأن هذه مملكة سياسية ﴾

لقد صدق علينا اليوم قوله تعالى — وكم من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون — هذه آية هذا الغراب نشاهده كل يوم ونسمع ذكره فى القرآن وأن بعض عباد الله تعلم عنه وقال — ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب — وحرم علينا أكله . فياليت شعرى ماالذى فيه من المنافع وماالذى أودع مدبر الكون فيه من الحكم والمصالح وهل له ارتباط بمعايشنا وأرزاقنا . نعم إى وربى انه لحق وهل يذكر فى القرآن إلا ليفبه النفوس الغافلة والعقول الخامدة . اعلم أن الغراب من أعظم نعم الله على الفلاح وزرعه فانه يأكل الحشرات الصغيرة والديدان من الأرض التى لو بقيت لأضرت الزرع فهلك الحرث والنسل

فانظر كيف جعل الله هذا الحيوان مساعدا على نمو نباتنا وبقاء حياتنا كما جعل البوم آكلا للفيران ليبقى الزرع محفوظا الى أجل مسمى . فانظر كيف سلطهما الله على تلك الحيوانات المضرة بزرعنا وانظر الحكمة فى الشريعة المطهرة وكيف حرم أكلهما على الناس لطفا من الله بنا و بقاء لزرعنا فضلا عن ضررها بأجسامنا كما تشير اليه الآيات والأحاديث

﴿ مقارنة بين سياسة الله تعالى فى العالم وسياسة الأمم وبرهان على وجوده وحكمته ﴾

هل لك أيها السيد الأخ أن تتأمّل معى فى أربع أصناف كونت محكمة واحدة

تصور الغراب والفلاح والبوم والخفاش يتعاونون على انماء الزرع فترى الفلاح يحرث ويبذر ويسقى ويحضر الآلات لتنقية الحشيش وهذا هو الوزير الأوّل لهذه المملكة وهذا الوزير يعجز عن ابادة الجنود المجندة من الحيوانات التى تفتك بزرعه صباح مساء فلما عجز عن ذلك أغاثه الله وأعانه بالبوم فقد جعل الله معيشته على الفيران والحشرات وأشياء أخرى مما يضرّ بالزرع فاذا أفلت شئ من هذه الحيوانات ولم يبده البوم تلقاه الخفاش فانه مسوق طبعا لأكل الفراش وغيره وهذا لوترك وشأنه لوضع بيضا يبقى فى الأرض زمنا ثم يخرج منه دود وهو فى الغالب عند ابتداء خروج النبات من الأرض فيهلكه ومتى بقى شئ من ذلك وقد أفلت من البوم والخفاش سلط الله عزّوجل حيوانا نهاريا وهو الغراب فأكل ذلك الدود من الأرض فانظر كيف جعل كل صنف من هذه الأصناف الأربعة وهى الانسان والبوم والخفاش والغربان مساعدا للآخر فى انماء الزرع وهو لايدرى مانتيجة عمله • ومن العجيب انك ترى أن الخفاش والبوم حيوان ليليان أعدّهما الصانع الحكيم للهجوم على الحيوانات المبصرة السميعة القادرة على الطيران والجرى فوهبهما أعضاء وحواس تناسب الهجوم فى الظلمة • وانظر كيف كان الغراب حيوانا نهاريا لأن معيشته غالبا من أكل الدود وهو لاقدرة له على الجرى ولاسمع له ولابصر فلم يكن من الحكمة أن يجعل ليليا وهكذا الانسان

وانظر كيف جهل كل صنف من هذه الأصناف عمل الآخر كما قدّمنا • ولاجرم أن الذى علم النتيجة من هذه الأعمال الليلية والنهارية هو الصانع الحكيم الذى دبر الكون وأتقنه فظهر إذن أن الحقول كالممالك • فكما أن الملك أوالوزير يعطى كل عامل قسطه من العمل الذى يصلح له فهكذا نرى أن كل حيوان ناطق أوغير ناطق قام بعمل يصلح له فى الزرع • وكما أن الملك أوالوزير يوعز الى رئيس الأشغال أوالادارة أوالحقوق أوالمعارف بما لايوعز به الى الآخر فهكذا نرى أن كل حيوان جبل على عمل برع فيه • وكما ان كل رئيس من رؤساء الحكومة يعلم ماتحت امرته تفصيلا ويجهل سواه فهكذا تلك الحيوانات والانسان كل يعلم مااستعدّ له ويجهل سواه • وكما أن نتيجة جميع نظام الأمّة موقوف على ارادة الملك أوالوزير بحيث ينظران الأشغال والادارة وغيرهما وينسبان بعضهما الى بعض ويلاحظان النتيجة ويزيدان مانقص وينقصان مازاد فهكذا الحكيم مدبر الكون رتب هذه الأصناف من الحيوانات وغيرها وعرف مقدار ماتخرجه المزارع بعد ترتيبها واحكامها فالميزان العمومى فى يد الله تعالى يخفض ويرفع ويزيد وينقص على حسب ماأراد فى اخراج النتيجة والثمرة التى يختارها • وكما ان رؤساء المصالح فى الحكومات اذا لم يكن لها رئيس أكبر يجمعها وينظر شؤونها مزقت كل ممزق ولم يكن لها نتيجة ألبتة فهكذا هذه الحيوانات ان لم يضع مدبر الكون لها حدودا ولم يلهم كلا رشده لم تحصل الثمرة المطلوبة ومن هنا نفهم قوله تعالى ـ أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ـ يشير الى أن الحرث انما قصد لانمائه والنبات يحتاج لأمرين جلب المصالح ودفع المضار فيفعل الانسان جلب المصلحة وبالحيوان دفع المضرّة ولذلك قال ـ لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون بل نحن محرومون ـ

ولما بلغ بنا المقال الى هذا المقام • قال صاحبى قد عرفت شيأ من عجائب الطيور الجارحة وغرائبها فهل لك أن تذكرلى شيأ من عجائب الطيور غير الجارحة ليعرف من يطلع على مقالنا هذا كيف حال الطيور غير الجارحة مع الجارحة ويقارنها بحال الحيوانات أكالة الحشيش مع المفترسة فقلت ان الكلام على هذه الطيور يطول ولنذكر كلاما اجماليا عليها فنقول

تقسم باعتبار الماء والأرض والهواء الى ثلاثة أقسام كلها زينت بالريش القصير على أجسامها الطويل فى

اجنحتها

أجنحتها وذيولها ليكون كدفة السفينة يساعدها على الدوران بسرعة يمينا ويسارا فى الهواء . هذا مع مالها من الألوان المختلفة والأصوات العجيبة المتباينة

﴿ المائية ﴾

وانظر كيف ميز الله المائية عما عداها بزيت وضع فى ريشها طبيعيا ليقيها غوائل البلل وأرجل منسوجة نسجا عجيبا لتساعدها على العوم فى الماء كمجاديف السمكة والسفينة . فانظر وتأمل كيف وضع للماء ما يناسبه من ذلك النسيج بين الأصابع ومن ذلك الزيت الدائم الذى يقى من البلل . ولم تكن هاتان الخاصتان إلا فى هذا النوع وحده والبط والاوز من هذا النوع

﴿ الهوائية ﴾

أمّا الطيور الهوائيـة فقد دبرها الله بصنعة تناسب الهواء والتسلق على غصون الأشجار فجعـل أجسامها صغيرة وأجنحتها طويلة وصور الأصابع مستعدة أن تقبض بخفة على غصون الأشجار حتى فى أثناء النوم . والعصافير والغربان من هذا النوع . فانظر كيف صغرت الأحجام لتستقلّ بالطيران فى الهواء . وكيف طالت الأجنحة لتقوى على ذلك . وكيف فصلت أظافرها وجعلت صالحة للقبض على الغصون كما نسجت فى الطيور المائية لسهولة العوم فى الماء

﴿ الأرضية ﴾

أما الطيور الأرضية فأجسامها كبيرة وأرجلها قصيرة قوية وأظافرها صالحة للبحث فى الأرض والدجاج نوع من هـذا . فتأمّل ياسيدى كيف قويت أرجلها لكبر أجسامها وكيف كانت أظافرها غير منسوجة كالمائية ولا صالحة للقبض على الغصون كالهوائية بل مستعدة للبحث فى الأرض لمناسبة المعيشة فيها . وهـذه حكم عجيبة ـ وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم ـ

﴿ عجيبة ﴾

ذكر علماء الحيوان عن هذه الطيور عجائب لا يسع المقام ذكرها نكتفى منها بمسألة واحدة . عن أحد العلماء صاد خطافا ضربه بالبندقيـة فوق سطح البحر فوقع على الموج فانتظر ذلك العالم حتى يأتى به الى الشاطئ وبينما هو كذلك اذا بأربعـة من ذلك النوع أحدق اثنان منهنّ بالمجروح كل واحدة أمسكت بطرف جناح وطارتا به قليلا وتعبتا فنابت عنهما أختاهما فحملتاه أمتارا وهكذا مازلن يتناوبن الحمل بمرأى

﴿ العصفور ﴾

وهل أتاك نبأ عصفور دورى أخبر عنه المستكشفون وذلك أن فيه حكما تخبرنا عن عجيب الاتقان فى ذلك الصنع الباهر والحكمة الظاهرة . وذلك أن هذا العصفور لا يبنى له عشا وانما يبحث عن أعشاش نوع آخر من جنسه يماثله حجما وينتهز فرصـة غياب صاحب العش ويضع فيه بيضتـه فاذا رجع صاحب العش لم يعرف الفرق بين العددين فيحضن الجميع وأوّل فرخ يخرج من البيضـة ذلك الفرخ الأجنبى فيفرح به صاحب العش ظنا منه أنه ابنه وقد جرت عادة الله أن من تعب فى شئ مستحسنا له أحبه ثم ينمو هذا العصـفور بسرعـة حتى يضيق المكان إذ ذاك وتبتدئ الفراخ التى فى بيض صاحبـة العش أن تنقر البيض بمناقيرها وتخرج واحدة بعد الأخرى . فانظر كيف وضع الله فى فهم ذلك العصفور الأجنبى أن يساعد أمّه الحنون الجـديدة ويبنى عشا آخر فى أقرب زمن . وانظر كيف جعل الله فى ظهره نقرة أو حفرة فيها يضع اخوته الصغار واحدا بعد الآخر وينقلهنّ الى العشّ الجديد فتأمّل ثم تأمّل كيف ساعد أمّه الجـديدة على تربية أبنائها مكافأة لها على حضنه ثم استيطانه المكان الذى بناه فلعلك اذا تأملت هذه الحكم العجيبة تسعى لنفع أمتك مثل ما عمله الأوّلون وتجدد مجدها . انتهى ماجاء فى كتاب (جمال العالم)

الحيوان كتاب مفتوح للناظرين كتبه الله بيده وسطره بحروف بارزة واضحة بهجة تسر الناظرين ولكن أكثر الناس لا يعلمون فدلهم على ذلك الكتاب المنظور بما أنزله فى الكتاب المسموع الوارد من الوحى على قلوب الأنبياء فقال تعالى هنا على لسان ابن آدم (ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى) وقال فى سورة النمل على لسان الهدهد مخاطبا النبى سليمان عليه السلام - قال أحطت بما لم تحط به - وفى سورة البقرة يقول الله تعالى - ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - ولقد سمى الله السور بأسماء الحيوانات كالأنعام والبقرة و بأسماء الحشرات كالعنكبوت والنمل والنحل فانظر كيف يقول الهدهد أحطت بما لم تحط به مخاطبا نبيا عظيما مشيرا الى أن الانسان وان عظم مقامه وارتفع شأوه جدير بأن يقرأ علم الحيوان واذا كانت عناية الله عز وجل موجهة الى أحقر الحشرات وهى البعوضة وما هو أدق منها فضرب بها الأمثال ولم يكتف بذلك بل سمى السور بأسمائها فلا جرم ان الأمر لعظيم

إن المسلمين بعدنا سيكونون أبعد مرمى مما نحن عليه إن المسلمين اليوم نائمون لا يعلمون ما للحيوان وللحشرات من الأهمية العلمية ولم يوجهوا هممهم الى ذلك وكم للحيوان من حكومات منظمات فترى النمل يخدم كل واحد من الجماعة الآخرين وهكذا النحل ومثلها كلاب البحر والغربان وغيرهما . إن دراسة الحيوان تفهمنا الى أى اتجاه تتجه الحياة وان نظام الحياة الفردية موجه للمجموع . إن سنة الله فى الحيوان أن يخدم الفرد المجموع بل لا سعادة له ولا كمال ولا لذة الا بحسب غيره والعمل له سواء أعلم ذلك أم كان من الجاهلين فاذا ربى المسلمون تربية فردية كما هى الحال اليوم قادتهم الأمم الى أسفل سافلين وأصبحوا فى العذاب المهين فليكن كل فرد عاملا للمجموع قصدا ولتكن وجهة تربيته لذلك والا اضمحل وتفرق المجموع وان أردت زيادة التبيان فهاك حياة الحشرة المسماة فرس النبى وحياة العقرب

﴿ فرس النبى والعقرب ﴾

إن الحشرة المسماة فرس النبى التى ترى على الأشجار و بين الأوراق خضراء مشاكلة لما هى فيه من الخضرة والتى يغر ظاهرها أنها أشبه بالصالحين من هيئة منظرها هذه الحشرة من الحشرات التى تعيش على صيد غيرها وتفتك بما يمر بها من الحشرات وصمتها وسكونها وهدوءها لأجل أن تغر ما يمر بها من الحشرات فتلتقمه على حين غفلة هذه هى المسماة فرس النبى وطريقة تناسلها أن يقترب الذكر من الأنثى وتحصل عملية الالقاح ولا يكاد الذكر يفرغ من تلك العملية حتى تنقض عليه الأنثى فتأكله وهو ساكن لا حراك له

﴿ العقرب ﴾

العقرب حيوان معروف يتغذى من العناكب والجراد والصراصير والذباب

﴿ تناسله ﴾

اذا أتى فصل الصيف خرج الذكر فى الميل باحثا عن الأنثى فاذا لقيها قبض بطرفيه الماسكين على طرفى الأنثى المماثلة فتريد الأنثى أن تتخلص منه وتفر من الذكر فيذهب للبحث عنها ثم يسير بها مدة من الزمان لاويا ذيله فوق جسمه المفرطح راجعا القهقرى جارا معه الأنثى حتى يدخلا معا تحت حجر أو فى شق فى الأرض ولا يدخلان ذلك المضيق الا بعد دوام الرياضة مدة ساعات كأنهما يتغازلان والذكر فى أثناء تلك الرياضة يقرب فمه من فمها ومتى دخلا الشق أو المكان المختبئ حصلت عملية الالقاح ومتى تم التلقيح تنقض الأنثى على الذكر وتأخذ تنهشه وهو لا يزال حيا حتى اذا أكلت الأعضاء العصبية الرئيسية مات وانتهى أجله وفى بعض الأوقات يفلت الذكر من الأنثى بخلاف فرس النبى فان الذكر لا يفلت من الأنثى بل لا بد من موته هنالك ينمو البيض فى رحم العقرب الأنثى ثم تبيض نحو أربعين بيضة وهى تشق غلاف كل بيضة تلدها فتخرج العقارب الصغار وتنام على ظهر أمها أسبوعا كاملا وهناك يتغير جلد الصغار وتعيش أيضا أسبوعا آخر على أمها وقد

صارت

صارت جلودها المتساقطة على أمها أشبه ببساط على ظهرها تنام الصغار عليه ومتى تم الأسبوعان استقلت العقارب الجديدة ومضت تطلب رزقها أما أمها فانها غالبا تموت بعد مفارقة صغارها لها

﴿ دود القز وتناسله ﴾

ويماثل ماتقدم دودة القز فان الفراش الذي تنقلب اليه الدودة يتناسل بعد خروجه من الشرنقة فيلقح الذكر منه الأنثى ثم يموت الذكر وتموت الأنثى بعد أن تبيض فهذه الحياة الطويلة للشرنقة إن هي الا تحضير لهذا التناسل

﴿طبيعة الانسان لاتخالف طبيعة الحيوان في أن التناسل مقدمة الموت وأن حياة الفرد حياة المجموع﴾

قل لي بربك أيها الذكي المطلع على هذا الكتاب ماذا يراد بحياة الفرد الانساني إنه يراد بها أن تكون فداء للمجموع وعضوا عاملا فيها فالفرد غذاء للمجموع ومقدمة له وهاك البرهان

لعمرك لئن رأينا ذكر العقرب وذكر فرس النبي يذهبان ضحية الأنثى فتأكلهما عقب الحمل بحيث يلتحق المأتم بالعرس واحتفال الجنازة باحتفال الزواج ليظهرن ذلك في الانسان أتم ظهور بعد البيان . فقل لي رعاك الله أي فارقة بين مغازلة الانسان ومغازلة الحيوان نرى الديك الرومي (المالطي) يظهر للأنثى جمال ريشه وهو منتفخ معجب بنفسه ليعجبها جماله وهكذا نرى الطيور المغردة يغرد الذكر للأنثى ليسرها صوته فتحبه ثم يكون الالقاح وهكذا مامر في العقرب الذكر مع الأنثى كل هؤلاء يحتال ذكرانها على أناثها لمسألة الالقاح هكذا نرى الانسان يغازل الحسان و ينتهي الأمر بالزواج فاذا بعد ذلك . لا يكون الامارأيت في العقرب وفي فرس النبي أبناء يولدون وأم رؤم وزوج يكد ويكدح ليلا ونهارا لارضاء الزوجة وتربية أولادها وهو وهي معا قد أخذا يقبلان الأطفال بعد تقبيل كل منهما صاحبه فأصبحا خاضعين خادمين لأولادهما لا يرضيهما الامايرضي الأولاد ثم تتبرع الأم بما لديها من مال وحلي لابنها والأب يخرج عن ماله بطيب خاطر في حياته و بعد موته لأولاده فلعمري أي فارقة بين العقرب وفرس النبي والانسان الذكر في الأولين افترسته الأنثى لماذا . لأجل أن يكون قوة عظيمة لتربية البيض في بطنها ثم ان العقرب تموت بعد استقلال صغارها فهي لم تعش بعد الذكر الالحفظ الأمانة التي استودعها اياها فهي تحافظ على البيض وتربيه ثم تموت والبيض في بطنها نما وكبر بفضل جسم الذكر الذي تحلل في باطنها وامتزج بجسمها . أفلا ترى أن الرجل كذلك . جاد ذكر العقرب وذكر فرس النبي بجسمه لنمو أولاده وهو مايملك . أما الانسان فانه يجود بماله وكسبه وكدحه وكده مدة حياته ولايزال جسمه في ضمور وولده في ظهور وهو فرح فخور به حتى يزول هو من الوجود ويبقى ابنه بعده الى حين هذه قضية الانسان وقصته . مغازلة وعرس وزواج فولد فموت . يظن الرجل أنه تزوج المرأة بحظ نفسه وهي تظن كذلك ولكن خاب فألهما فانهما في ذلك الامخدوعان كما خدع العقرب وفرس النبي اللذين يجيء الموت للذكرين عقب الحمل وهنا يكون الموت تدريجيا ويبتدئ بأول مولود فترى كلا من الأبوين يحنو عليه ويحبه ويود لو يقدم له كل مايملك ومهما طال الزمن فان المسألة ترجع الى فقد الابوين وحلول الولد محلهما

العرس واحتفال الزواج أشبه بالمأتم لانهما اخوان فالعرس يعقبه التناسل والنسل يحل محل الاصل في حياته و بعد موته . ان من احتفل بالعرس فقد أخذ يهيئ الاسباب للجنازة يتزوج ليلد والولد يحل محل الوالدين فالاحتفال بالزواج احتفال بالموت في الحقيقة مضار الانسان في ذلك كالعقارب أوفرس النبي كل يحتفل بالقران و بعد ذلك احتفال الموت غاية الامر أنه في الانسان بطيء وفي الحيوان سريع تغنى المغنيات في العرس وماهن الاداعيات للنادبات الصارخات بعد حين على العروسين ذلك هو المبدأ والختام

﴿ نتيجة ذلك كله ﴾

ان الانسان مخلوق للمجموع لالنفسه ومن خلق لمنفعة غيره فلاحظ له الا فيما خلق لاجله فاذا رأينا المرأة

تحنو على ولدها فذلك الغريزة حيوانيـة واذا نظرنا الى ماهو أعلى من ذلك وجدنا القوّاد والامراء والملوك يسهرون على الرعايا ووجدنا الحكماء والعلماء يؤلفون لمن بعـدهم ووجدنا فوق ذلك الأنبياء يأتون بوصايا وشرائع لمن بعدهم هؤلاء هم الذين فهموا الوجود • طبيعة الوجود أن الفرد للمجموع فمن كان للجموع أشبه بالأم لأولادها فذلك الذى هو جار على سنن الفطرة ومن ليس كذلك فهو فاسق هذا هو دين الاسـلام وهذا هو الحق • وياليت شعرى أىّ كارثة حلت بالاسـلام وأىّ مصيبة أصابته كيف تقاعدوا وتباعدوا فأخذتهم الأمم من كل جانب ذلك لجهلهم بالقرآن و بسنن الله فى الوجود و بتربية الأمم • مات الذكر والأنثى من فراش دود القز بعد عملية الالقاح والبيض كأنهما قد أتما ماعليهما فى الوجود هكذا يموت العالم فرحا اذا أتمّ ماعليه للأمة من الاصلاح وهكذا الحكماء والأنبياء يقول الله تعالى ـ اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ـ نزلت هذه السورة فعرفوا منها أن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتهت لأنه خلق للدعوة وقد تمت فماذا بعد ذلك الا الموت

كل ذلك جار على هذا الناموس فى الوجود فالفرد خلق للمجموع فالحيوان والنساء من نوع الانسان يعملون للأبناء بالغريزة والأنبياء بالالهام يعملون للأمم والعلماء والحكماء بالتعليم على هـذا فليكن تعليم الاسلام و بهذا ارتقت أمم فى الوجود • ولأذكر لك نموذج التعاليم الألمانية

﴿ حكاية اليمامة ﴾

يمامة باضت فى عشها فى قصر ببرلين ثلاث بيضات تخرج لها منها ثلاث أفراخ فاحترق القصر فأخـذت تحوم حول النار ثم انقضت على أفراخها فاختطفت منها واحدا ثم وضعته بجانب شجرة ثم رجعت كرة أخرى وخرجت ظافرة بالثانى بعد أن احـترق بعض ريشها وقد كان القوم من منظرها بائسين فلما رجعت ثالثـة لتأخذ الثالث وقد اشتدّ لهب النار لم ترجع وماتت ضحية انقاذ الثالث من أفراخها

ذلك هو نوع الحـكايات التى يربون بها تلاميذهم ليعلموهم أنهم خلقوا للمجموع والله يقول فى القرآن على لسان ابن آدم ـ ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ـ والهـدهد يخاطب سليمان عليه السلام بقوله ـ أحطت بما لم تحط به ـ

هكذا يجب أن يكون التعليم فى الاسلام

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام حضر عالم من أصدقائى واطلع عليه وقال أهكذا تـكتب فى التفسير وهل هكذا سيرك فيه فقلت نعم قال إن هذا الأسلوب مخالف للحقائق بعيد عن الصـدق والصواب • فياليت شعرى أى مناسبة بين الانسان فى الزواج والموت و بين العقرب وكيف تدعى أن احتفال الزواج مقـدمة لاحتفال الموت وكيف تقول ان مغازلة ذكران العقارب لاناثها الذى جعل مقدمة لموت الذكر هو بعينه مغازلة الرجال للنساء فى الانسان و يتبع ذلك الموت • ان هذا القول أشبه بشعر أبى العلاء المعرّى القائل

وشبيه صوت النعى اذا قيس * بصوت البشير فى كل ناد

ولعمرى لئن صحّ هذا فى الشعر لايصح فى تفسير القرآن المبنى على الحقائق • فقلت ليس ماقلته شعريا بل هو حقائق ثابتة فقال وأين هى • قلت اعلم رعاك الله أن الحيوانات على ثلاثة أقسام قسم يذر بيضه فى العراء و يتكفل الله بتربيته واخراج الذرّية منه وذلك كالذباب والناموس والجراد وما أشبه ذلك ومن هـذا دود القز • والقسم الثانى مايحافظ على صغاره و يتعهدها زمنا ما وذلك فى الطيور الجارحة وغير الجارحة فانها أرقى من الذباب فترى العصافير والحمام وجوارح الطير تحضن بيضها وتربى أولادها • والقسم الثالث ذوات اللبن من السـباع والأنعام والقرود والانسان • فـكل هذه تربى أولادها بعد حملها فى بطنها مدّة ما

ثم انظر الحكمة العجيبة . انظر وتعجب كيف رأينا الموت يتبع طريقة التناسل

(١) فان كان الحيوان من أدنى الطبقات بحيث لايقدر على تربية صغاره ولا حضن بيضه كالجراد وكدود القز فهذا لايبقى لتربية صغاره لأن الفرع يقوم مقام الأصل ولا حاجة للاصل فى التربية واعتبر هذا فى فراش دود القز الذى يموت الذكر والأنثى منه عقب البيض وترى أمثال الجراد والناموس ليس عندها غريزة حفظ الولد ولا حضن البيض فلذلك ماتت وتركت بيضها والله سبحانه وتعالى تولى تربيتـه فيهلك أكثره وما بقى يملأ السهل والجبل

(٢) وان كان الحيوان أرقى قليلا كالعقارب فانا نرى الذكر عقب حفلة الزفاف تنهشه الأنثى لبقائها وبقاء أولادهما وهذه هى الثروة التى يملكها الذكر فقدمها لنسله ولزوجه فأما الأنثى فلابد من بقائها حتى يستغنى عنها أولادها فلذلك تبقى حتى تبيض وتعيش أربعة عشر يوما ويستغنى عنها صغارها ثم تموت . ذلك لأنها لاحاجة لبقائها . أليس هذا يدلك على أن بقاء الأصل انما يكون لمصلحة الفرع

(٣) فاذا كان الحيوان أرقى كالحمام وكواسر الطير فانه يعيش ليحضن البيض ويعلم الولد ويلد مرارا وتكرارا ولايموت عقب عملية البيض لأن الحاجة ماسة لبقائه هكذا الأنعام والدواب والقرد والانسان . كل هؤلاء يعيشون متمتعات بالحياة . ألست ترى أن القاعدة العامة أن الأصل انما يكون بقاؤه لاحتياج الفرع اليه وأنه لو كان الانسان واخوته من الحيوان لاتحتاج الذرية الى حياتهم ماعاش انسان بعد وجود الذرية وأن حياته لابد منها لتربية الذرية وأن ذكر العقرب اذا مات عقب ساعة العرس يشبه الانسان غاية الأمر أن موته بطىء وبقاءه مدة لحفظ ولده . هذه هى القاعدة العامة بقاء لحفظ الولد وموته للاستغناء عن الرعاية

ولا يضر هذه القاعدة أن من الناس من لايلدون ومنهـم من يموتون وقد تركوا ذرية وقد يموت الرجل والمرأة عن طفل صغير وما أشبه ذلك فان هذه أحوال عارضة وقد جعل الله الناس أشبه بجسم واحد فاذا مات الأبوان فهناك مجموع الأمة يقومون بذلك النقص . فتبين من هذا أن حياة الرجال والنساء بعد حصول الذرية بما ركز فى نفوسهما من القدرة على التربية وأن الحكمة الالهية اقتضت أن لاتكون حياة إلا للعمل ومن خالف هذه الحكمة ضل وغوى . واذا أعطى النمل قوة الادخار وهكذا النحل فذلك لأنه فى حاجة اليها فألهم ذلك مع تربيـة الذرية وحرم من ذلك الجراد فلا ادخار ولا تربية للولد . فاذن لم يعط هذه الغريزة لعـدم الحاجة اليها . هـذا هو الصراط المستقيم فبنو آدم خلقوا متضامنين وفيهـم غريزة حفظ الولد وحفظ المجموع كما فى جبلة النمل والنحل والغربان ونحوها فمن أعرض عن فطرته ولم يعمل للمجموع فهو ضال جهول لم يجر على فطرة الله التى فطر الناس عليها . فالله فطر الناس على حب التربيـة للذرية وعلى حفظ المجموع ومساعدته ولامعنى لبقائهم فى الدنيا إلا لمساعدة الذرية ومساعدة المجموع ولولا هـذا لم يكن لبقائهـم فائدة كما لم يكن لفراش دود القز ولا لذكر العقرب بعد الالقاح ولا لأنثاه بعد استقلال الصغار فائدة فى الحياة

إن المسلمين اليوم قد خالف كثير منهم فطرة الله فترى قوما يحاربون مع أهل أوروبا ضد اخوانهم كما نراه فى شمال أفريقيا . يحارب قوم بدراهم معدودة مع الطليان وآخرون مع الأسبان والفرنسيين ضد اخوانهـم فى الدين . وهكذا نرى التربيـة والتعليم فى نقص مستمر . لذلك سلط الله على أكثر المسلمين غيرهم فأذلوهم حتى يستيقظوا وهـذا الكتاب إن شاء الله وأمثاله سيكون من أسباب استكمال النهضـة الاسلامية الحالية . وهذا كله داخل فى قوله تعالى ـ قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ـ . كل ما ذكرته فى هذا المقام من سر هذه الآية وكيف أصبح بعض المسلمين الآن لايصنع ماصنعه الغراب الذى يوارى سوأة أخيه . أما المسلم الساذج فانه يكشف سوأة أخيـه ويحارب مع عدوه فاذن صار الغراب أشرف وأرقى من بعض المسلمين اليوم . إن فى القرآن لسرا سيكشفه علماء بعـدنا وهـذا من

فقال صديقي ولم خص الله الغراب بالذكر هنا . قلت الغراب حاز الفضيلتين فضيلة تربية الولد وفضيلة خدمة الجمهور فليس كذكر العقرب ولا كالجراد فهؤلاء لا تربي صغارها ولا كالحمام والدجاج اللاتي وان ربت الصغار لا تحتاج الى جماعة تعيش معها فالغراب يربي الأفراخ ويتصل باخوانه إن هذا هو الذي تضمنه قوله تعالى ـ ليواري سوأة أخيه ـ فان مواراة سوأة الأخ لا تكون إلا بعد المحافظة على الذرية فهي تكون في الحيوانات الراقية والانسان أرقى الحيوان فليكن نافعا لنفسه ولولده ولأهل وطنه وأهل دينه ولسائر الناس ان كان من المفلحين.

إنّ المسلم الصادق هو الذي يكون خليفة الله والناس جميعا عباده فهو لهم خادم أمين

﴿ خاتمة هذا المقال وجماله في السفينة والسمكة والمنطاد والمراكب الهوائية التي تعلمها الانسان من الطير حوالى أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي ﴾

ذلك كله في عجائب قوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي الخ ـ أي عجائب الآية التي نحن بصدد الكلام عليها والتي قد ذكرنا عجائب الطيور بصددها وغرائب الحيوان وكيف يموت اذا استغنى عنه ويعيش اذا كان له منفعة وكيف كان الحيوان عبرة للانسان يريه ما استقر في فطرته وكمن في خلقته وعجائبه . أقول هذه الآية الآن وسأسمعك عجبا فيها وأي عجب ذلك أن الله سبحانه وتعالى عبر فيها بلفظ بعث وقال ان الغراب يرينا كيف نواري سوأة اخواننا فندفن الموتى كما دفن

التعبير بلفظ البعث عجب وأيّ عجب . بعث الله الأنبياء وبعث الله الطيور التي منها الغراب . ان هذا التعبير رمزا . الله بعث الطيور قبل بعث الأنبياء إن الله بعث كل مخلوق في الأرض من طير وأنعام وحجر وشجر

بعثت هذه العجائب لنا قبل بعث الأنبياء . بعثت لنا فهي لنا مبعوثة وأعمالها وأحوالها هي كتبها التي نقرؤها فأعمالها صحف منشورة يراها الناس ولكنّ أكثر الناس لا يعقلون ولما جهل الناس مايرون بأبصارهم لأنهم في هذه الأرض من عالم منحط الادراك ضعيف ميز الله منهم أناسا اصطفاهم فبعثهم ليسمعوا أقوالا والاقوال معبرات عن المعاني والمعاني هي المقصودة والناس للاقوال أفهم منهم للمحسوسات . الأبصار ترى العجائب ولكن العقول غافلة أما الأسماع فانها تلقي اليها تلك المبصرات بعبارات سهلة فتفهمها اجمالا . أنزل الله الكتب السماوية لتنبه الناس الى مايشاهدون ليتعقلوه ولوأن الناس جميعا واعون فاهمون لم يحتاجوا الى الرسل فالرسل أرسلوا ليسمعوا الخلق الوحي ومتى سمعوا تيقظوا فأدركوا ففكروا ففهموا فاستخرجوا المجهول . إن الله بعث لنا هذه العجائب التي رمز لها بالغراب وبعث لنا الأنبياء ليدلونا عليها . بعث الله هذه المخلوقات من طير وذر ونجم وشمس كلها مبعوثات كما انها مسخرات كلها منافع لنا وكلها كتب مقروءة كل هذا نفهمه من آية الغراب فالغراب وماشاكله كتاب نقرؤه والعوالم المشاهدات كتب نقرؤها والقرآن هو الذي يدلّ على ذلك يقول ـ ليريه كيف يواري سوأة أخيه ـ الغراب يواري سوأة أخيه والمسلم والانسان عامة عليه أن يواري سوأة أخيه بل عليه أن يجد حتى يجد للانسان مقاما في الهواء ومنفذا من هذه الأرض الضيقة

ضاقت الأرض بأهلها فاذا أرانا الغراب انه له مدنية وجماعة يعيش معها وانه يربي أولاده وانه يحافظ على جماعته وانه يهيمن على الجمهورية الغرابية واننا ان قصرنا في دولتنا وجماعتنا فقد أصبحنا أقلّ من الغراب وأمثال الغراب من كل جماعة تعيش في الهواء أوعلى الأرض أوفي البحر . ففي البرّ الفيلة وحمار الوحش وأنواع كثيرة تعيش جماعات وهناك الحشرات كذلك مثل النحل والزنبور والنمل فهذه كلها تعيش

جماعات وكلها ترينا كيف تحافظ على الجماعة والجمهورية كلها تعلمت ذلك بفطرتها الغريزية ونحن نتعلمها منها بالفكر والعقل • حكم الله علينا أن لا يكون رقينا إلا بالتفكر وحكم على تلك الحيوانات أن يكون ارتقاؤها بالغريزة فهى تعلمنا أن ننظم جماعاتنا ونرقيها • هكذا نرى جماعات من السمك كالحيوان المسمى (بالنمر) فى البحر وهو قد يكون طوله ثمانية أمتار فانه يعيش جماعات ومثله الحيوانات المسميات (بحوت العنبر) وهو المسمى (كشلو) ذلك الذى يبلغ طول بعضه نحو ٣٠ مترا ثم ينقض على النمر المتقدم ذكره فيأكله وهذا النمر المذكور شرس الطباع جدا فتاك كالنمر المعروف فيكون طعاما لحوت العنبر ذلك الحوت الذى تتعفن المواد التى يأكلها من أنواع السمك فى بعض أجزاء الامعاء فتصير عنبرا ثم ان سلسلة الظهر المستطيلة تحيط بها مواد شمعية كثيرة بيضاء تقريبا تتجمد فى الهواء ممتدة على جانب العمود الفقرى وعند الرأس فهذه المواد هى المسماة (من القيطس) وهى تستعمل فى معاجين الزينة وفى صناعة اللؤلؤ الصناعى ومن الواحد منها يستخرجون نحو عشرين طنا ومعلوم أن الطن أكثر من عشرين قنطارا فانظر كيف كان هذا الحوت عظيم الجثة وعظيم المنفعة وكيف استخرج منه العنبر ان كان مريضا والمن يوزن بمئات القناطير وهذا الحيوان يعيش جماعات قوية البأس شكسة الطباع وهى كلها تتنفس بالهواء ثم ترجع الى قاع البحر مدة طويلة وهى لا تترك ثأرها اذا قتل أحدها فتكسر أعظم السفن

فها أنا ذا ذكرت لك الجماعات فى الجوّ وعلى الأرض وفى البحار وكلها تعلمنا مما علمها الله • تعلمنا علما أعظم من العلم الذى نعلمها إياه فنحن نعلمها كيف تصيد لنا فنأكل ولكنها هى تعلمنا كيف نعيش جماعات ونحب أبناء جنسنا وهذا هو السرّ فى أنه قال – فبعث الله غرابا – ولكن لم يقل إنى بعثتكم لتعليمها بل قال – تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا الخ – فهى مبعوثة لتعلمنا ونحن لسنا مبعوثين لها بل نعلمها لنأكل ما تحضره لنا • تبين لك أن تعليم النظام المدنى والحبّ الأخوى ليس خاصا بالغربان ولا بالطيور

﴿ فلم اختصت الطيور بأنها ترينا ﴾

علمت أن الجماعات والجمهوريات ليست خاصة بالطيور التى منها الغربان بل رأيت أن الحيتان فيها الجماعات والحشرات والدّواب والأنعام كلها ذات جماعات ونظام عجيب جعله الله بفطرتها الغريزية • فياليت شعرى لم يقول الله ذلك فى الطيور وحدها ويجعلها ترينا حفظ الأخ مع ان حوت العنبر والنمل والفيل كل هذه لها جماعات منتظمات وكلها ترينا حفظ الأخ ومنفعة الأخ والمحافظة على الأخ • فلم خصّ الطيور

(أقول) جوابا على ذلك اعلم أن هذا السر لم يظهر إلا فى هذا الزمان • هذا هو الزمان الذى تظهر فيه العجائب والغرائب • هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه باظهار الأسرار وجمال الأنوار والمناطيد والمراكب الهوائية

خصّ الله الغراب وهو من أنواع الطيور بأنه يرينا كيف يوارى سوأة أخيه وقال فى سورة تبارك الملك – أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن – فهنا يقول – ليريه كيف يوارى سوأة أخيه – وهناك يقول – أولم يروا الى الطير فوقهم صافات – فالطير هنا يرينا وهناك يوبخنا الله قائلا – أولم يروا الى الطير فوقهم صافات الخ – فهنا الاراءة وهناك التوبيخ على عدم الرؤية فالطيور أرتنا ونحن يجب علينا أن نرى • أى نرى عجائب صنع الحكمة الالهية ولا جرم أن الذى نراه قسمان قسم يختص بالنظر فى العجائب الالهية إذ قال هناك فى موضع آخر – ما يمسكهن إلا الرحمن – وقسم يختص بالمنافع الدنيوية كما قال هنا – ليريه كيف يوارى سوأة أخيه – فاذن الطيور تنفعنا فى علم معرفة الله تعالى لأنه رحيم وعليم وتنفعنا فى أن ننفع الناس كاستر الغراب على أخيه وكما فعل الله ذلك فى الغراب والطيور فعل فى الزرع والشجر فقال تعالى – والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب – الى أن قال – والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد – فاذن الله خلق النبات والشجر لأمرين التبصرة والرزق وهكذا يقول فى النار – نحن جعلناها تذكرة

ومتاعا للمقوين ـ فالنار تذكرة والطير تذكرة والنار متاع للمقوين والغراب يرينا منافع اخوانه فننظر فى أمر الطير فماذا نجد

نجد أن الأمم التى حولنا نظرت فى أمره فصنعت المراكب الهوائية والمناطيد بتعليمه • اذا قرأت أيها الذكى هذا سيأخذك أعظم الشك فى قولى وتقول أى مناسبة لهذا الكلام أقول لك اعلم أنه لولا الطير ماطارت المراكب الهوائية فى الجو بين لندن وباريس أثناء طبع هذا الكتاب • الكتاب الآن يطبع والجرائد تقول ان المراكب الهوائية تجرى الآن بين باريس ولندن فى زمن قليل وقد جرت الطيارات بين طهران وأنقره فى اثنتى عشرة ساعة • كل ذلك فى هذين اليومين وهكذا قد عوّلوا على انشاء محطة فى بلادنا المصرية لتكون نقطة الاتصال بين بلاد الشرق وبلاد الغرب للسفن الهوائية • الطيارات ملأت أقطار الأرض • الطيارات كثيرة فى اليابان والصين وتركيا والعراق وأوروبا

إن الله عزّ وجل بعث الحرب الكبرى التى ابتدأت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ بعثها رحمة بالعباد • هذه الحرب قد نبهت الأمم للطيارات لتنفعهم فى الحرب • إن الناس على الأرض أطفال جهال مغمورون فى العداوات والشهوات • فهذه الحرب التى هى منشطة لهم كانت هى أكبر عامل فى ارتقاء الطيارات وهانحن أولاء اليوم نحصد مازرعنا • النوع الانسانى ابتكر الطيارات للحرب ولكن الله يعلم انها ستكون من أكبر نعمة فى السلم • فى زمن قريب جدّا سيكون الجو محل السفر وتخلو الأرض للزرع • فى زمن قريب جدّا سيكون الانتقال فى الجو بالمراكب الهوائية ويحتقر الناس ماعلى الأرض من القطرات والسيارات والمركبات التى تسير بالكهرباء كل هذا ستقوم مقامه السفن الهوائية ويشارك الناس الطير فى الهواء ويتمتعون بنعم لم يحلم بها السابقون • أتدرى لم كل هذا لقوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ـ

وإيضاح ذلك أن علماء القرن التاسع عشر كانوا يطيرون بالمناطيد والمناطيد ماهى الا على قاعدة السفن وبيانه أن كل ماهو أخفّ من الماء يعوم فوقه وماهو أثقل منه يغرق فيه فجميع السفن التى تجرى فى البحر لوانك وزنتها لوجدتها تساوى وزن الماء الذى أزاحته من البحر فلذلك تعوم وكما انك ترى الفلين وأمثاله من الخشب يعوم على وجه الماء هكذا تعوم السفن وتعوم السمكة • إن السمكة لها فى باطنها منفاخ فاذا أرادت أن تعوم نفخته فصارت أخفّ من الهواء فتعوم واذا أرادت أن تغوص فى الماء قبضته فصغر حجمها فغارت فهى دائما فى عوم وغوص كل ذلك بهذا المنفاخ الذى هو آلتها الرافعة الخافضة المتحركة على القاعدة التى شرحها (أرشميدس) فكل ماخفّ علا وكل ماثقل سقط فالسفينة والسمكة اختان متشابهتان السفينة كالسمك • السفينة لولا خفتها لغرقت ولولا انهم يحسبون حجمها ووزنها ومقدار الماء الذى تزيحه حتى تكون أشبه بالسمكة فى حال انتفاخ منفاخها لولا أنهم يفعلون ذلك لغرقت ولم تعم وسواء فى ذلك المراكب الشراعية والأساطيل الحربية

﴿ المناطيد ﴾

سترى فى سورة الملك بايضاح هذا المقام وترى أن المناطيد عبارة عن مراكب هوائية جارية مجرى السفينة والسمكة فكما أن السفينة والسمكة لاتعومان إلا اذا كانتا أخفّ من الماء هكذا هذه المناطيد لاتطير فى الجو إلا اذا كانت فيها غازات أخفّ من الهواء فترفعها كما رفعت السفينة والسمكة ولولا انها كانت فى ثقل الهواء أوأثقل منه لم تطر ولم ترتفع فاذن لافرق بين المناطيد والسفن فهذه سفن فى الهواء وتلك سفن فى الماء وتكون القاعدة واحدة فلله ما أجل العلم والحكمة • إن المناطيد أشبه بالكرات التى يلعب بها الأطفال أيام الأعياد والمواسم • هذا هو سرّها وعلمها إن المناطيد لم تخرج عن كونها أشبه بالريش الطائر فى الجوّ وبالذرات الطائرات فى الكوى كل هذه انما ارتفعت فى الجو بسبب خفة اجرامها لا أقل ولا أكثر

أنا فى هذه الساعة أعتقد أنك فهمت المناطيد وهذا الفهم توطئة لما هو أشرف وهو المقصود

﴿ المراكب الهوائية ﴾

وهنا يظهر سر القرآن فأقول لك لقد عرفت المناطيد . عرفتها لأنها ظهرت لك ظهورا تاما وان لم تكن اطلعت على أصول هذه العلوم فها أناذا الآن أنقلك الى المقصود فأقول

إن المناطيد جرت فى الهواء وأدرك الناس أمرها ولكنهم بعدذلك أنكروا وقالوا لماذا نرى الطيور تطير ياويلتى أعجزنا أن نكون مثل هذه الطيور . نحن الآن تعلمنا علم السفن من السمك وتعلمنا المناطيد من طيارات الأطفال التى هى على قاعدة السفينة والسمك فياويلتى أعجزنا أن نطير كما تطير الطيور . إن الطيور أثقل من الهواء لو وزنا العصفور لوجدناه أثقل جدا من الهواء الذى أزاحه بجسمه بخلاف السفينة فان وزنها كلها بجيوشها وسلاحهم ودروعهم ومدافعهم ومافيها من حديد وفولاذ وذخائر كل هذه اذا وزناها لاتزيد عن ثقل الماء الذى أزاحته السفينة أما العصفور وأما الغراب وأما الحمامة فاننا نرى كلا منها أثقل مئات المرات من الهواء الذى أزاحه . الطير أثقل من الهواء فكيف يطير فيه عامت السفينة وعامت السمكة لأنهما أخف من الماء وهكذا المنطاد لأنه أخف من الهواء أما الغراب وأما الحمام وأما العصفور فانها أثقل من الهواء الذى حلت فى مكانه أضعافا مضاعفة . هنالك قام أحد العلماء فى هذا القرن أى القرن العشرين أيام تأليف هذا التفسير وقبله بقليل . قام هذا العالم بعد أن مات عشرات الرجال فى التجارب التى جربوها فلم تغن فتيلا أوذهبت تجاربهم وأعمارهم أدراج الرياح ويئس الناس فى أوروبا وأمريكا أن يلحقوا الطير فى طيرانها فان هذا شئ خاص بها والناس مستحيل عليهم أن يصلوا الى مستواها

ولكن الفطرة الانسانية توّاقة للعلا متعطشة للعلم والنظر فقام العالم الذى سيأتى ذكر اسمه وأعماله مفصلا فى سورة تبارك الملك وراقب الطيور وطيرانها وبحث ودقق وعرف بأى الأساليب قدرت الطيور أن تطير فى الهواء وهى أثقل منه وخالفت سنة السمكة والسفينة والمنطاد

وهناك أظهر تجاربه ونجح قوم ومات آخرون وانتفع الناس ببعضها فى الحرب وهاهى ذه آثارها ملأت الأقطار وأصبحنا نرى عالما جديدا طائرا كما تطير الطيور . هذا هو السر فى قوله تعالى ــ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه ــ إن الله بعث الطيور الينا فأرتنا علما جديدا لم يكن قبل تعليمها ما كنا نعلم قبل الآن إلا السفن ولكن الطيور فتحت للانسان أيام هذا التفسير علما جديدا وهو علم الطيارات التى لم تكن من قبل ولم تكن مقيسة على السمكة والسفينة ولاعلى المنطاد الجاريات على قاعدة (أرشميدس الفيلسوف) بل على قاعدة الطير المعروف الذى أرانا مالا يرينا الحوت فى بحره ولا الفيل والغزال على الأرض

الحوت وان عاش جماعات ونظمها وربى أولاده وعام بنفاخه لم يعطنا درس الطير الذى هو أثقل وأثقل من الهواء ثم هو يطير فيه والفيلة لاتعوم فى البحر ولاتطير فى الهواء فلاتعطينا إلا نظم السياسة وأما الغربان فانها تربى أولادها وتنظم جماعتها وتحافظ على جمهوريتها وهى فوق ذلك تطير وأجسامها أثقل من الهواء ففاقت السمك وحيوان البر فلذلك أرتنا وعلمتنا فعلا

ياليت شعرى من ذا كان يظن أن الطير يعلم الناس علما فوق علم السفن الهوائية من ذا كان يعقل هذا الطيور نراها ولكن أين البصائر . أين العقول حتى قيض الله من عباده من فهموا أن الحيوان خلق ليرينا فدرسوه وخبروه لا بكتاب نزل ولا بوحى ولكن درسوه بعقولهم والمسلمون نائمون أجمعون أكتعون أبصعون نائمون

﴿ لطيفة ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه أحد الأصدقاء ذوى الفكر والفهم فقال لقد أحسنت من وجه وأسأت

من وجه . فقلت وكيف ذلك قال أما الاحسان فظاهر فانك ذكرت أن الحيوان الذى لايربى أولاده يموت لانه لامعطل فى الطبيعة وأن الذى يربى أولاده يبقى كالدجاج والحمام وفوق هذين مايعيش جماعات كالحيتان وفوق هؤلاء مانقتدى به فى أن نطير فى الجو بطياراتنا مع ثقل الطيارات وأن القرآن جاء بهذه المخلوقات لنستفيد منها فى حياتنا ولنعرف بها ربنا كل ذلك فهم من كلامك موضحا بأدلة ساطعة فهذا وجه الاحسان أما وجه الاساءة فانك فى كل مادب ودرج وبأى مناسبة وفى أى حال تلصق بالقرآن وبالدين الاسلامى ماليس منه فلاتذر طيارة ولامنطادا ولابرقا (تلغرافا) ولا كهرباء ولاصناعة ولا علما إلا ألصقته بالقرآن والاسلام فى نظرك سفينة نوح تأخذ من كل زوجين اثنين ان هذا ماهومنك إلا تطرف وزيادة تريد رقى المسلمين فتنسب كل شئ للدين . هذا فن المركبات الهوائية حديث العهد فما للاسلام ولهذا انك فى هذا مغال كثير الغلو طويل النجاد

﴿ الجواب ﴾

فقلت له ان ماقلته انما جاء من وجدانك لامن عقلك قال وكيف ذلك انك أنت تحكم بوجدانك فانك لشغفك برقى المسلمين تحشر كل شئ فى دينهم ولست على حق فيما تقول . فقلت — أولوجئتك بشئ مبين * قال فائت به ان كنت من الصادقين — وبين لى ذلك بطرق العلوم الدينية . فقلت أوتسكن للحقيقة اذا ظهرت قال نعم أسكن لها وأنشرها فقلت إذن أبين ماتقول باختصار يكفيك فروض الكفايات

أيها المفضال أليست الواجبات قسمين واجبات عينية وواجبات هى فروض كفايات قال بلى . قلت أليس فرض العين كالصلاة والصيام اذا تركه الانسان أثم قال بلى . قلت أوليس فرض الكفاية كالصلاة على الميت وتجهيزه الخ اذا تركه أهل القرية أثموا جميعا واذا قام بذلك جماعة سقط الاثم عن الباقين قال بلى قلت ألم يقل بعض العلماء كامام الحرمين ان فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنه أعم نفعا قال بلى قلت أفليست جميع العلوم والصناعات من فروض الكفايات قال ففى أى كتاب هذه . قلت فى جمع الجوامع قال الكلام هناك ليس مفصلا بل هو مجمل . قلت مانقول فى الذى ذكره الامام الغزالى فى الاحياء قال ماذا قال . قلت عقد فصلا هذا عنوانه (بيان العلم الذى هو فرض كفاية) وذلك فى الجزء الأول فقال لا أتذكر هذا فاذكر لى مافيه . قلت يقول ان فرض الكفاية هو كل علم لايستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ومثل بأعلى ذلك كالسياسة وبأوسطه كالحياكة والخياطة والفلاحة وأدناه كالحجامة وذكر الطب والحساب قال زدنى . قلت وقال بعد ذلك مانصه بالحرف الواحد (الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان) وقال أيضا (واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من الشيطان إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق)

وقد شنع أيضا على العلماء بكثرة المجادلات والمشاحنات لاسيما بين الشافعية والحنفية وزعموا أنهم ينصرون به الدين ورتبوا فى ذلك أنواع المجادلات قال وهم مستمرون عليه الى الآن ولسنا ندرى ماالذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار اه

فقال صاحبى ماملخص مايقصده الامام الغزالى . قلت ملخص ماذكره أن علم الدين الحقيقى هو معرفة السموات والأرض وجمال الله تعالى وعجائبه مثل ما كتبنا فى هذا التفسير وأيضا قراءة العلوم التى هى فرض كفاية وانما ذم علماء زمانه لاقتصارهم على علم الفقه وقال انما انكبوا عليه وتركوا ماعداه لأنهم به يتوصلون الى تولى القضاء والوصية على الأيتام والتصدر والعظمة فى الدنيا ولايبالون بتهذيب النفس ولابما ذرأ الله فى الأرض والسموات فلايهتمون بأمر المصالح العامة والصناعات التى تحتاج اليها الأمة ولا يكملون أنفسهم فهذا هو السبب فى أنه جعلهم شرا من الشياطين

فقال عجبا ذلك كان فى زمان الدولة العباسية والاسلام قوى الشوكة فما بالنا نحن الآن ونحن على ما كان عليه أسلافنا فلا علوم ولا صناعات . فقلت له إذن أنت اقتنعت بهذه الأدلة ووافقتنى . قال نعم انك بنيت القول على أساس متين من كلام الأئمة . قلت ومن قول الله تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ كما فصلته فى بعض المقالات فلا أطيل به

ثم قلت ألست ترى معى أن علم المراكب الهوائية وغيرها من علوم الكهرباء والمغناطيس أصبحت اليوم لابد منها للناس قال بلى . قلت اذن هى فرض كفاية قال بلى . قلت اذن فهم الناس أن القرآن ورجال الاسلام مجمعون على أن هذا وأمثاله فرض كفاية وأنا وأنت مسؤلون وجميع الأئمة عن كل صناعة وعلم حظى به قوم فى أوروبا وهو نافع ثم جهلناه نحن . هذا هو الذى يجب نشره الآن وتعميمه فى أنحاء المعمورة

وأنا لم أقل إن أهل أوروبا استنتجوه من القرآن بل استنتجوه بعقولهم ولقد بعث الله الغراب وغير الغراب لهم كما بعث لنا وأراهم الغراب وغير الغراب كما أرانا ولكن هم رأوا ونحن ما رأينا وهذا عار على أئمة الاسلام أن تجهل عقلها وتجهل دينها فأنا لم ألصق بالقرآن يا صاح علما ولا صناعة وإنما أنا متبع لا مبتدع .

فقال لقد أحسنت كل الاحسان وأجبت بما شفى صدرى وعلمت اليوم أن الذين يقولون فيك ما قلته الآن جهال لم يقرؤا مقالة تامة من كلامك . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . فها نحن ذكرنا الطيور والحيوانات بمناسبة الغراب وجماعاتها وارتفاعها فى الجو وتعلم الانسان منها فى أيامنا الحاضرة . فقال لم أعقب الله مسألة ابنى آدم والغراب وحديثه بمسائل السرقة والقتل والافساد فى الأرض وما أشبه ذلك . قلت الأمر واضح فان القصة مسوقة لتعلم الانسان من الحيوان العطف على الاخوان وهؤلاء السارقون والقاتلون ضارون بالمجموع ومثلهم الكاسلون والجاهلون فكل هؤلاء يعاقبون بما فى الآيات ويعاقبون أيضا بالذل فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة . تم الكلام فى هذا المقام والحمد لله رب العالمين اهـ المقصد الرابع

(المَقْصِدُ الخَامِسُ)

إِنَّمَا جَزَاؤُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *

ذكر الله فى المقصد السابق أنه من قتل نفسا فقد آذى الناس جميعا ونقص مجموع النوع الانسانى لأنهم متضامنون على اختلاف أجناسهم وأديانهم وأوطانهم فهم أمّة واحدة كما قال فى معنى آية أخرى - كان الناس أمّة واحدة ففسقوا فأرسلنا لهم الأنبياء - هكذا هنا قال من قتل نفسا بلا سبب فقد جنى على بنى آدم كلهم ومن أحيا نفسا بشفاعة أوعفو أونفع الأمم بعلومه أوصناعاته فقد تعدّى عمله ونفعه للناس أجمعين فعمل الفرد نافع للمجموع وشرّه راجع للمجموع والرّسل قد جاؤا للناس بالبينات ولكن أكثر الناس لايزالون سفاكين للدماء قطاعين للطرق مسرفين فى القتل والنهب فاذا كان هذا النوع الانسانى هذا دأبه لايرجع كثير منهم عن الغى بالحكمة والعلم والموعظة الحسنة وهى هنا المحبة العامّة والمنفعة لسائر الناس وغفل أكثرهم عن هذه الحكمة العالية وأخذ كل يحارب أخاه جهلا وغفلة وتباعدعن طرق العقل والفهم فلم يبق إلا العقاب الدنيوى فلذلك أعقبه بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) بالمخالفة والاسراف فى القتل والنهب والسلب وقطع الطرق واللصوصية ولوكانت اللصوصية فى بلد كبير ومصر عظيم وقوله (ويسعون فى الأرض فسادا) أى مفسدين أن يفعل بهم واحد من أربعة اما القتل وحده واما القتل ثم الصلب بعده تشهيرا لهم واما أن تقطع أيديهم اليمنى مع أرجلهم اليسرى واما أن ينفوا من الأرض . هذا كله اذا لم يتوبوا قبل القدرة عليهم فان تابوا قبل القدرة عليهم فالعفو عنهم حسن . فهذه خمسة أمور العفو اذا تابوا قبل القدرة والقتل أوالقتل مع الصلب أوتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أوالنفى من الأرض واعلم أن الحاكم مخير بين هذه الأربعة يفعل مايراه أصلح . وقال أبوحنيفة النفى من الأرض المراد به السجن . وبعض العلماء يقول القتل اذا قتلوا قصاصا والقتل مع الصلب ان قتلوا وأخذوا المال وقطع الأيدى والأرجل ان أخذوا المال ولم يقتلوا والنفى من الأرض اذا أخافوا الناس . وفى هذا المقام أحاديث كثيرة وردت بسبب نزول هذه الآية ولكن نذكر منها مارواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك . ذلك أن أناسا من عكل وعرينة قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يانبى الله انا كنا أهل ضرع (يعنى أهل ماشية) ولم نكن أهل ريف (أى لسنا من أهل الأرض التى فيها زرع وخصب والجمع أرياف والمعنى انهم قوم يعيشون فى البادية ويشربون ألبان المواشى) واستوخموا المدينة (أى لم توافق أمزجتهم) فأمر لهم النبى صلى الله عليه وسلم بذود (الذود من الابل مابين الثلاثة الى العشرة) وراع وأمرهم بأن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة (وهى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة) كفروا بعد الاسلام وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب فى آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا فى ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم اهـ وقد اختلف العلماء فى هذا الحديث خلافا كثيرا ورجح بعضهم أن هذا حصل قبل نزول الآية فلما نزلت ظهر الحكم الذى يعمل به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون

والحاصل أن هذه المسألة محل اجتهاد ينظر القاضى ماهو أصلح . هذا كله فى قطاع الطرق من المسلمين أما الكافر فانه متى أسلم سقط عنه كل شئ قبل القدرة عليه وبعدها واعلم أن الأمم الاوروبية اليوم قدذهبت فى التعذيب والتنكيل حدّا بعيدا جدا فهم لأجل السياسة والجشع يرسلون الطيارات لقتل الأنفس البريئة وينزلون الصواعق على الأطفال الصغار والشيوخ الكبار كما حصل فى العراق والهند وبلاد الغرب لا لذنب جنوه ولا لاثم اقترفوه بل لدريهمات يطلبونها بما يقتضيه أمر الحكومات الفرنجية فيشوّهون الوجوه ويفقؤن الأعين ويعملون ما لايخطر على بالنا . وترى أهل اسبانيا وفرنسا ينصبون المشانق ويصلبون الناس عليها ظلما وبهتانا واذلالا وتعذيبا ولقد أخبرنى أحد شبان المغاربة المراكشيين أن اسبانيا تأتى الى جهة من جهات البلاد هناك وتحضر عشرات الرجال من رؤساء العشائر وتذبحهم ذبحا سريعا فيقال لها لماذا تفعلين ذلك فتقول لأن بلادكم فيها قوم يكرهوننا ليذلوا النفوس ويخيفوا الأمّة . هذا عمل الاوروبيين

فأما الاسلام فهو الذى حدّد العقاب وحرّم الظلم وآخر عقاب لأعظم جان أن يصلب هو أو يقتل أو تقطع يده ورجله أو ينفى عنه فأما قتل الأطفال والعجائز والنساء كما يفعل أهل أوروبا فذلك شرّ مستطير وجهل كبير ولابدّ أن الله سيغير هذه الأمم بأمم أشرف منها فكفى لقد عمرت الأرض بالاختراعات واكثرت فيها الفساد بالظلم ولايبقى فى الأرض إلا المصلحون فاذا كان شرّهم أكثر من خيرهم فلابدّ من زوال مجدهم بالتدريج أولعلّ الله يهديهم على أيدى الحكومات الشرقية الراقية المستقبلة فيعيشون معهم بسلام ولذلك قال بعدها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) أى ماتتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وصل الى كذا اذا تقرّب اليه (وجاهدوا فى سبيله) بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة فتذودون عن بلادكم كل غاصب ومحارب من أوروبا مثلا وتعذبون وتذلون كل مفسد فى بلادكم من اللصوص والحكام المرتشين وتعلمونهم وهكذا يجب أن تهذبوا أنفسكم فتصلح الأفراد وتصلح الأمم (لعلكم تفلحون) بالفوز والكرامة والوصول لله تعالى لأن ما فى الأرض من المواد الجسمية والأعمال الدنيوية والصناعات الانسانية والأموال الذهبية والفضية وكل ما اقتناه الانسان من الأحوال المادية لاينفع الانسان اذا اعترته المنية واقيمت عليه القضية ولوقدم الفداء أولاذ بالشفعاء وكيف يكون ذلك وأنتم أيها الناس فى الأرض هكذا تصنعون . أليس الذى قطع الطريق وأخاف الناس هكذا عاملتموه فيقتل وليس له شفيع ويصلب وماله من مغيث وتقطع الأيدى والأرجل وهوحسير ويحبس أو يغرب من البلاد وهو ذليل . كل ذلك يلقاه وماله لايغنيه وأهله وأصدقاؤه وشفعاؤه عنه لايدفعون . كل هؤلاء لاينفعون ولايشفعون ولافدية بمال مقبولة ولا رحمة عليه ملموسة

هكذا أيها الناس أفعل يوم القيامة فلاينفع المال ولوكان ملء الأرض ذهبا وكيف يقبل عندى وأنا لم أرد إلا تهذيب النفوس وارتقاءها الى مقام الصدق وموقف الحق والشرف الأسمى والمقام الأعلى كما تفعلون فى حكوماتكم ونظام مدنكم وهذا قوله (إن الذين كفروا لو) ثبت (أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم) والمقصد من هذا أن تعذيب الأجسام سواء أكان فى الدنيا أم فى الآخرة يقصد منه تهذيب النفوس فأما الفدية ونحوها فانها لاتؤدّى الى الغرض المقصود من الكمال . فحكومات الآخرة والدنيا على طراز واحد فالحكومة الفاضلة العادلة هكذا تفعل وحكومات الله المستقبلة هكذا فعلها ولايقصد منها كلها إلا تهذيب النفوس فاذا قام المسلمون وهذبوا النفوس بالعلم والعرفان قام التهذيب مقام التعذيب والتعليم مقام الايلام والحكمة مقام الحكمة والعلم مقام الألم واعلم أن الذين لم يتهذبوا فى الدنيا يحسون بألم فى نفوسهم فترى من اعتاد كثرة الكلام أو شرب الخمر يريد كل منهما أن يخرج من عادته وأن ينسلخ من خلقه فيرى نفسه عاجزا عن الانسلاخ بائسا يائسا حزينا يقول مالى وللخمر ومالى ولكثرة الكلام ومالى ولعداوة الناس ومالى وللتفاخر والزينة وهكذا مايحسّ به كل امرئ على وجه الأرض وهكذا هذه الأخلاق تلازم الروح بعد فراقها الجسد وتتمنى لوتخلص من الأخلاق التى لازمتها والأحوال التى لصقت بها هذا هو قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) أى مقيم مع نفوسهم لايفارقها كما لايفارق الظل الشخص فالأخلاق هى منشأ العذاب فى الدنيا والآخرة والتهذيب يمنع التعذيب فالعذاب من الصفات التى لصقت بنفوسنا من سوء الأخلاق ولذلك نرى الزاهدين فى الدنيا تجلهم جميع الشعوب من أهل الأرض فافهم

ولما كان قطع الطرق والسرقة متشابهين فى أن كلا منهما شرّ صادر من النفوس الانسانية الصغيرة الضعيفة المتأخرة التى لم تعرف أن الانسانية كلها يؤذيها ما يؤذى واحدا منها وأن عيونهم فى غطاء عن الذكر أردفه بقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) الى قوله (فان الله غفور رحيم) وقد تقدم

تفسير هذه الآية فى المقدمة . ثم أردفه بأن ملك السموات والأرض قائم على النظام التام فيعذب من لا يعقل ليصل الى العقل والحكمة ويغفر لمن أقلع عن المعاصى وهو قادر على كل شئ وبهذه القدرة التامة يصرف العوالم وينقلها من حال الى حال تارة باللين والسلام العذب حكمة ودينا وتارة بالقمع والقهر والشدة ويجعل النشأة الآخرة منظمة نظاما بديعا متتابعا كما يشاهد فى نظام الدنيا ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ فهو يأمر بعقاب من لا يعقلون فاذا ماتوا يوضعون فى المراكز التى استعدوا لها خفضا ورفعا وهذا قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير)

﴿ لطيفة ﴾

ذكر السموات والأرض فى كل مقام حكمة بالغة فتارة يذكران لمعرفة الله وتارة للوحدانية وتارة للعلم وتارة للقدرة وهكذا مما ذكرناه سابقا وتارة يذكران كما هنا لنظام المخلوقات وتدرجها فى سبل السعادات وطرق الوصول الى المعالى كما نشاهد فى الدنيا ان الأعلى يرى الأدنى أنه فى عذاب كما يرى الناس أن الحيات أدنى منهم والدود فتكون كل مرتبة بالنسبة لما هو أرقى منها معذبة متألمة وترى الزبالين والكناسين يرون أنفسهم فى عذاب بالنسبة للملوك والأمراء ويقول الأمراء انا منعمون وهم معذبون ولكن هؤلاء أيضا بالنسبة لعوالم أرقى منهم كالدود بالنسبة للانسان فهذه المراتب نشاهدها فى نظام السموات والأرض ونراها عدلا . يقول الله هنا ان عذابى فى الآخرة أشبه بهذا تقريبا لعقولنا وتدريبا لنفوسنا على التفكر والحكمة والعلم والنظر وأن نرى أن الحيوانات الدنيئة كالديدان والمكروبات بالنسبة للانسان ذليلة حقيرة ويراها الانسان معذبة بهذه الحياة

هكذا تكون الحياة الأخرى فعذابها أشبه بما نراه من الدرجات فاذا كان الذر والحيوانات الدنيئة نراها معذبة مهانة فى القاذورات فى قاع البحار وفى أقصاها محرومة من الهواء اللطيف والزرع والشجر والجمال والحواس الباهرة الظاهرة ونرانا نحن فى ضوء الشمس وحولنا الشجر والزهر والزرع والحدائق والفواكه والأنوار والجمال والبهجة . لاشك اننا أسعد منها حالا بل نحن فى جنة وهى فى نار وأى زمهرير أشد من هذا فههنا ظهر العذاب وترتبت الدرجات سواء أكان بين الناس أنفسهم أو بينهم وبين الحيوان ولكن جميع الناس على وجه الأرض غافلون لا يرقبون أنفسهم ولا يفقهون هذه النظرية المحسوسة المعقولة المفهومة فالعذاب والدرجات موجودتان فى الدنيا ويريد الله منا أن نفهم درجات الآخرة من درجات الدنيا وهذا معنى قوله تعالى فى سورة أخرى ـ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ـ نقول قد سرنا ونظرنا فرأينا درجات لا تعد ولا تحصى بين الأحياء من أقل ذرة الى أعلى نبى وكل واحدة أقل مما بعدها وأرقى مما قبلها وشاهدنا سعادة وشقاء بنسبة بعض الدرجات الى بعض قال الله بعدها ـ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ـ فما معنى ينشئ النشأة الآخرة معناه على مقتضى النظام والدرجات فينقلنا فى درجات من كثافة الى لطافة فيكون أعلانا عند مليك مقتدر وأدنانا لا يزال فى الأخريات عند الحيوان ومجاورا للمادة وهو محروم من الصعود الى العلا أشبه بالعقارب والحيات الملازمة للتراب المحروم من الصعود الى الهواء كالطير أو من العقل والحكمة والبصيرة العالية كالانسان

﴿ استبصار ﴾

لعلك يصعب عليك ما ذكرته فاياك أن يصعب عليك فهمه فالقرآن هو الذى أوضحه ألم يقل ـ أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ـ فما معنى قوله ـ ولقد علمتم النشأة الأولى ـ ان النشأة الأولى منظمة مرتبة درجات بعضها فوق بعض فى المولدات وفى نشأة الانسان

هكذا

هكذا يقول ـ أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ـ فكأنه يقول إن الآخرة درجات كالدرجات التي تنظرونها في هذا العالم ولكنها أوسع نطاقا لأنه عالم لطيف واللطيف يسع ما لايسع الكثيف ويقول ـ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ـ فعلى ذلك يكون عالم الآخرة على نظام الدنيا ترتيبا وترقية وان خالفه هيأة وجمالا . فعالم الآخرة والدنيا نظام واحد ودرجات متناسقات * قال الشاعر

الجهل لايلد الحياة مواته * إلا كما تلد الرمام الدودا

لم يخل من صور الحياة وانما * أخطاه عنصرها فمات وليدا

فانظر لدود خلق من الرمم فان له حياة على مقدار ماخلق فيه فاذا وازنتها بعوالم السباع والضباع والانسان لم تعترض على الحكيم في صنعه فهو جواد أعطى على مقدار الاستعداد . هذا هو الوجود وهذه هي الدنيا وكذلك الآخرة فهي تناسق ونظام واستعداد وحكيم يعطى على مقدار الاستعداد والجنة والنار على هذا المنوال

هذا هو معنى ذكر السموات والأرض في هذا المقام فلهما في كل مقام تفسير . بهذا فليفسر القرآن المسلمين في مستقبل الزمان والقرآن جاء لشرح الطبيعة التي خلقها الله قبل أن ينزل القرآن . ان شرح الطبيعة هو كل شئ فياليت شعري لماذا يذكر الله السموات والأرض بالتكرار . أقول لهذا يكرر ولهذا يذكر وهكذا فليفهم فالمسلم في المستقبل هو الذي يدرس هذه الكائنات ويدرك هذه الدرجات ويعرف هذه الحكمة ويبصر طرق السعادات . أما المسلمون النائمون فانهم في الجهالة هائمون وعلى الدعوات متكلون وبالغرور يعيشون وخلقوا وكأنهم ما هم مخلوقون ـ إنا لله وانا اليه راجعون ـ انتهى المقصد الخامس

(المَقْصِدُ السَّادِسُ)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ

النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *

هذا المقصد فيه حكم أهل الكتاب اذا تحا كموا الينا وهل نحكم عليهم وبماذا نحكم وهل نخير بين أن نحكم وبين أن لا نحكم أم نحكم ولا نتريث وفيه أيضا الوعيد الشديد والذم والتقريع والاهانة لمن يأخذون الرشوة فى الأحكام وفيه أيضا توصية القضاة والحكام وتوجيه هممهم الى العدل والانصاف لأنهم أمناء الله فى الأرض فلا يخشون شريفا لشرفه ولا يستهينون بضعيف لفقره بل يحكمون بالحق ولا يخافون لومة لائم وكل ذلك فى هذا المقصد مذكور لأسباب أوجبته وأحوال ألزمته وحوادث لأجلها نزلت هذه الآيات وسيقت مع آى التنزيل وذكر فيها أحكام التوراة والانجيل وأن اليهود أعرضوا عنها اعراضا لأغراض شهوية وأمور دنيوية وأحوال جاهلية وأن الأنبياء ينزلون الى أهل الأرض رقباء على عباده فرسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة أخذ يحاسب اليهود على تعطيلهم أحكام التوراة وتجافيهم عما أمروا باقامته من الأحكام وآذوا بمخالفته الأنام . فهاك ماروى فى هذا المقام

ذلك أن رجلا وامرأة من أشراف اليهود بخيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم فى التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فأرسلوا رهطا منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم فرجما . اه المقصود

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم إنى أول من أحيا أمرك اذ أماتوا . ومعنى هذا أن اليهود كانوا يجلدون الزانى أربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل

دبر الحمار ويطاف بهما أنحاء البلد وقد جعلوا ذلك مكان الرجم المذكور فى التوراة • وهذا كله بسبب أنهم كانوا اذا زنى شريف تركوه واذا زنى وضيع رجموه فاصطلحوا على أمر يجرى على الشريف والوضيع لأن الزنا بسبب ذلك التهاون كثر فى الأشراف ففعلوا ماتقدم . هكذا قال ابن صوريا للنبيّ صلى الله عليه وسلم وهو من أحبار اليهود وأعلمهم

ولقد كان أهل خيبر لما أرسلوا قومهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصوهم فقالوا لهم إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا والتحميم هو تسويد الوجه كما تقدم بالحم وهو الفحم

وهل يجب علينا الحكم بين أهل الكتاب

(١) من العلماء من أوجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الينا ومنهم ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدّى

(٢) ومنهم من قال نحن مخيرون اذا ترافعوا الينا بين الحكم وعدمه وهذا رأى الحسن والشعبي والنخعي والزهرى وبه قال أحمد

(٣) وقال الشافعى يجب الحكم بينهم ولاتخيير وانما التخيير فى الحكم بين المعاهدين الذين بينهم و بين المسلمين عهد الى مدّة فتكون الآية الآتية الدالة على التخيير مخصوصة بالمعاهدين

أما اذا كان المترافعان ذمّيين أوأحدهما ذمّى فالحكم بينهما واجب لأنا مكلفون بالمحافظة عليهم والذّب عنهم وكل ذلك منشؤه آيتان • الآية الأولى ـ فان جاؤك فاحكم بينهم أوأعرض عنهم ـ والآية الأخرى هى ـ فاحكم بينهم بما أنزل الله ـ

وروى أيضا أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم وان بيننا و بين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدّقك فأبى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ـ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك الخ ـ

وروى أيضا أن بنى قريظة والنضير وهما حيان من اليهود كان بينهم دماء قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بنو قريظة ان بنى النضير يعطونا سبعين وسقا من تمر فى القتيل منا واذا قتلنا منهم أخذوا منا الضعف وهكذا ارش جراحاتنا على النصف من أرش جراحاتهم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدل وأن لا فضل لأحدهما على الآخر فغضبت بنو نضير وقالوا لانرضى بحكمك فانك لنا عدوّ وانك ماتألو فى وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله ـ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ـ

هذه هى أسباب النزول التى وردت فى هذا المقصد وآياته المختلفة • والمهم فى هذا المقام كله الحكم بالعدل فى سائر الأحوال وعدم التحيز لفريق دون آخر والرشوة والمحاباة ولو كانت المحاباة أمرا عظيما كدخول أمّة بأسرها فى الاسلام فان اليهود حاولوا أن يفهموه صلى الله عليه وسلم أنهم يدخلون الاسلام اذا حكم لهم فلم يرض وعلى حكام المسلمين أن يقتفوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايبالوا بأمر بل يكونون خلفاءه ويحكمون على البرّ والفاجر • والعالم والجاهل • والغنى والفقير • والشريف والوضيع • هكذا يجب أن يكون الاسلام والمسلمون والآيات لهذا أنزلت فالقرآن اليوم لنا نحن • أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اليهود و بنى قريظة والنضير فانهم فى العالم الباقى والقرآن اليوم يقرأ لنا والأوامر لنا والعلم لنا فلنأخذ به ولنتبعه • ولنفسر الآيات فنقول

(ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) أى لاتهتم بمسارعتهم فى الكفار ولاتبال بهم فانى ناصرك عليهم وكافيك شرّهم • واعلم أن الآية المتقدمة ذكر فيها أن الله له ملك السموات والأرض فله تعذيب

من يشاء والمغفرة لمن يشاء وقد قلنا ان ذلك على حسب المراتب والأحوال والاستعداد فلا عذاب ولا نعيم إلا على مقتضى الدرجات — وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون — فالناس فتنة لبعضهم كل لكل فتنة والله بهذا يختبر العباد ويرقيهم الى مقام الاسعاد فلذلك ذكر عقبها الأمر بعدم الحزن مراعاة للمراتب والدرجات الخلقية فكأنه يقول يامحمد أنا رتبت الدرجات وهذه الدرجات لامحالة تجمع بين الأشقياء والسعداء فمن عرف الحقائق لاتخفى عليه هذه الدقائق فكيف تحزن على المنافقين أو تأسى على القوم الكافرين فاذا رأيت المنافقين يخادعون واليهود جهورهم للكذب سماعون فلاتحزن عليهم ولاتهتم بشأنهم فقد أريناك نظام الدرجات • فكيف تحزن لهؤلاء المنافقين المسارعين فى الكفر من المنافقين (الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) وهم اليهود (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) لم يحضروا مجلسك وهم أهل خيبر الذين تقدم ذكرهم فى الأحاديث السابقة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يميلون الكلام الذى وضعه الله فى التوراة عن مواضعه تارة باهماله وتارة بتغيير وصفه وتارة بحمله على غير المراد منه (يقولون) لمن جاؤا يتحاكمون عند النبى صلى الله عليه وسلم منهم (ان أوتيتم هذا) أى ان أفتاكم محمد بالمحرف وهو الجلد والفضيحة للزانى والزانية (فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا) قبول ما أفتاكم به لأننا أرسلناكم ليسهل الأمر عليكم اتباعا للأسهل من الأحكام لاطلبا للحقيقة مراعاة لذوى الوجاهة عندنا وضنا بحياتهم (ومن يرد الله فتنته) ضلالته أو فضيحته (فلن تملك له من الله شيأ) فلن تستطيع له من الله شيأ فى دفعها (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) لأن درجاتهم النفسية فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى غير صالحة للرقى كما تقدم عند قوله — ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض — مرتب الدرجات فيعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فهؤلاء من الذين لم يصلوا لدرجة الكمال النفسية (لهم فى الدنيا خزى) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين على حسب درجتهم فى الحياة (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وهو النار (سماعون للكذب) أى اليهود وكرره للتأكيد (أكالون للسحت) الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لأنه مسحوت البركة مثل كعب بن الأشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم * وفى الحديث لعن الله الراشى والمرتشى أخرجه الترمذى وأبو داود • قال الحسن ذلك فى الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا (فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) وهذا إما وارد فى اليهوديين الزانيين وإما فى الرجلين من قريظة والنضير وقد تقدم كل ذلك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم ثم أخذ فى التعجيب منهم فقال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) بالرجم وانما طلبوا ذلك فرارا من الحق وعدولا عن العدل وتجاوزا عن النصفة والا فكيف يحكمونك فتحكم بينهم على مقتضى التوراة (ثم يتولون) يعرضون عن حكمك (من بعد ذلك وما أولئك) اليهود (بالمؤمنين) بكتابهم باعراضهم عنه أولا وعما يوافقه ثانيا (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) يهدى الى الحق (ونور) يكشف عما أشبههم من الأحكام (يحكم بها النبيون) يعنى أنبياء بنى اسرائيل (الذين أسلموا) هذه صفة مدح بها النبيين تنويها بشأن المسلمين وتعريضا لليهود الذين حادوا عن جادة أسلافهم فى أخذ الربا وقد نهوا عنه وأكلوا أموال الناس بالباطل — كشأن المسلمين اليوم — وكثير من قضاتهم وحكامهم فلافرق بينهم وبين أولئك اليهود فى شئ ولذلك مزقت البلاد شر ممزق ألا لافرق بين حكام المسلمين فى العصور المتأخرة فى قضائهم الغاش وأفعالهم المنكرة وأحوالهم المحزنة وبين أولئك اليهود فى بلاد العرب الذين دالت دولتهم — وخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون — أقول هذا وأنا أعتقد أن هذه الآيات أنزلت لأجلنا نحن فاولئك اليهود قد ماتوا وخلفهم قوم آخرون ولا يدينون بكتابنا وانما ذكرهم الله عبرة لنا وتعليما وتنبيها والا فما معنى قوله — والنبيين الذين أسلموا — فكان أنبياء

بنى اسرائيل لما كانوا على الهدى مسلمين • فأما الأمة الاسلامية اليوم وقد حاد القضاة عن الحق والعدل وتنكبوا طرق الشرع القويم وزاغوا عن الحق فهؤلاء القضاة فيها ليسوا على سنن الاسلام ولا طريق الهدى ولا جارين على منهج الاسلام

وعلى ذكر القضاة أذكر هنا حادثة واحدة لقضاة مصر • جاء أحد الولاة فى مصر وقال لمن له الأمر الشرعى فى البلاد انكم تقضون بمذهب أبى حنيفة والفتاوى يناقض بعضها بعضا فهل لنا أن نجعل لنا قانونا واحدا مناسبا لأحوال الأمة من المذاهب الاسلامية كما فعل المسلمون فى الآستانة وفيها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الشيخ • كلا افعلوا ما تشاؤن فاضطر الوالى أن يأتى بالقانون الفرنسى فجعله شاملا عاما فى جميع البلاد وذلك بفعل هذا الشيخ الشره لأن هذا الشيخ خاف أن يشترك مع مذهب أبى حنيفة الذى هو يعرفه مذاهب أخرى وهذا مما يجعل علماء المذاهب الأخرى يشاركونه فى الصيت والذكر والشهرة والفتوى وتزول تلك الأبهة والعظمة والهيبة الكبرى من النفوس ويقاسمه العلماء سطوته وهيبته ونفوذه ونقوده • ان ذلك هو التلاعب بالدين وهو أشبه بما جاء عن اليهود واتهم ـ يحرفون الكلم عن مواضعه ـ

فهذا أنكر مذاهب ثلاثة لأجل خبز يأكله ومال يكنزه • فبهذا الشيخ وأمثاله ذهبت هيبة الاسلام وضلت الأحكام • وأنا لا أحدثك عن شهاد الزور الذين يقبلونهم وهم يعلمون انهم مزورون ولا عن الرشا ولا عن التهاون فى الأحكام فذلك شائع ذائع • فهل هذه صفة علماء المسلمين الذين هم كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا يحكمون بالتوراة (للذين هادوا والربانيون والأحبار) الزهاد والعلماء السالكون طريق أنبيائهم وعطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل كما فعل كعب بن الأشرف ومن حذا حذوه الذين لم يحفظوا كتاب الله وليسوا عليه رقباء فلذلك يبدل وهكذا أمر بعض علماء الاسلام لما تقهقرت الأمم الاسلامية فانهم قد زاغوا عن طريق الجادة وأجازوا الفتاوى المتناقضة على مقتضى الأقوال المختلفة والله لا يرضى ذلك لأنه صادر عن هوى • فليس هؤلاء شهداء على القرآن ولا رقباء فكأنهم غيروه وليس التغيير للفظه بل التغيير فى مقصود الأحكام وذلك يؤدى الى انهيار الأمة وضياعها بما تهاونوا فى الدين القويم • ثم خاطب الله الحكام قائلا (فلا تخشوا الناس واخشون) يقول للحكام لا تخشوا غير الله فى حكوماتكم واياكم والمداهنة فيها لخشية ظالم أو مراقبة كبير (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهينا به منكرا له (فأولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره فكفرهم لانكارهم وفسقهم بالخروج عنه وظلمهم بالحكم على خلافه والظلم والفسق قد ذكرا فى الآيات الآتية هنا • ثم أخذ يعدد أحكاما من التوراة فقال (وكتبنا عليهم فيها) فى التوراة (أن النفس بالنفس) أى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) أى ان العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن (والجروح قصاص) أى ذات قصاص أى حكومة عدل وهذه قاعدة عامة ذكرها بعد الأربعة التى خصصها بالذكر يقول ليس هذا خاصا بالأربعة فالجروح على وجه العموم قصاص فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذكر والأنثيين فأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض فى لحم أو كسر فى عظم أو جراحة فى بطن يخاف منها التلف ففيها الأرش والحكومة العادلة

﴿ لطيفة ﴾

هذه شريعة التوراة وردت فيه وقد أجمعت الأمة على صحة الاستدلال بقوله ـ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الخ ـ على هذه الأحكام ولا جرم أن هذا من شريعة من تقدم من الأمم فنحن إذن متعبدون بشريعة من قبلنا أى اننا متعبدون بما صح من شرائع من قبلنا بطريق الوحى لا من طريق كتبهم المبدلة ونقل أربابها

وهذا مذهب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين عنه . وقال قوم كابن الحاجب من المتأخرين اننا متعبدون بما لم ينسخ من الأحكام الباقية قبل شريعتنا لكنهم لم يعتبروا قيد الوحي فان الوحي واجب التنفيذ سواء وافق شرع من قبلنا أم لم يوافقه

وقال آخرون كالأشاعرة والمعتزلة والآمدي ليس شرع من قبلنا شرعا لنا . وهذا الخلاف بينهم لا يتناول هذه الأحكام التي أجمعت الأمة عليها وهي أن الجروح قصاص مع التفصيل المتقدم (فمن تصدق به) أي القصاص أي فمن عفا عنه (فهو) أي التصدق (كفارة له) للمتصدق يكفر الله به ذنوبه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * وقفينا على آثارهم) وأتبعناهم على آثارهم (بعيسى بن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) هذه الجملة حال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وهكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين)

ثم قال (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) عن حكمه أوعن الايمان به ان كان مستهينا به وهذا يدل على أن الانجيل قد نسخ أحكاما في التوراة وهو بها مستقل ويجب العمل به على متبعيه (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق) أي القرآن (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع الكتب السماوية وفي قراءة بالبناء للمجهول أي هو من عليه وحفظ من التحريف والحافظ هو الله والحفاظ في كل عصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى مايشتهونه (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وهي الطريق الى الماء شبه به الدين لأنه طريق الى ماهو سبب الحياة الأبدية (ومنهاجا) طريقا واضحا في الدين من نهج الأمر اذا وضح

واعلم أن هذه الآيات أبانت أن شريعة محمد وشريعة موسى وشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام متباينات وهناك آيات أخرى تقدمت وستأتي أن الشرائع متفقات كما في قوله تعالى - شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الخ - فآيات الاتفاق راجعة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وفعل الفضائل العامة واجتناب الرذائل . فأما الاختلاف بين هذه الديانات ففي الفروع كطرق العبادات وبعض الأحكام التي تتغير بتغير الأزمنة لأن الله جعل هذا العالم على الاختلاف (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) أراد أن يختبركم فكما غاير بين صوركم وأخلاقكم وأوطانكم وأحوالكم غاير بين شرائعكم (ليبلوكم) يختبركم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة . هل تعملون بها أم لا وهل تذعنون لها معتقدين أن اختلافها مقتضى الحكمة الالهية بنظركم الثاقب وفهمكم لما تشاهدون من نظامنا العجيب الدال على الحكم في الاختلاف في المشاهدات الحسية التي يترتب على اختلافها الآثار النافعة (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة فلا تشغلوا الفكر فيما يوقعكم في الشك والريب كالاختلاف المذكور فلاتقولوا لا نبالي بالشكوك التي تجول بخواطرنا ولنسر في ديننا ولانسأل عن هذا الاحتراق في أفئدتنا الناجم من الشكوك المؤلمة بل يجب الفكر في أسبابه لأننا انما نختبركم لتظهر آثار قواكم الفكرية وعجائب عقولكم فعلى أولي الألباب منكم أن يعكفوا على الفكر في كل ما اشتبه لأننا خلقنا عقولكم لهدايتكم فالكتب السماوية جاءت لفتح باب الفكر وبالفكر فيما التبس تكون الهداية (الى الله مرجعكم جميعا) وكيف ترجعون اليه ناقصين بلها متحيرين فهو عليم بالمقصرين منكم والمبادرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) فينزل المقصرين عن درجة المبادرين (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) أي أنزلنا اليك الكتاب وأن تحكم بينهم أي والحكم بما أنزل الله (ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) أي يضلك أحبار اليهود فتحكم لهم وتقضي على خصومهم من اليهود على أن يؤمنوا بك فيتبعك عامة اليهود كما

فقدم

تقدم (فان تولوا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أى ذنب التولى عن حكم الله الذى هو بعض ذنوبهم الكثيرة (وان كثيرا من الناس لفاسقون) متمردون فى الكفر (أفحكم الجاهلية يبغون) وهو الميل والمداهنة فى الحكم ومتابعة الهوى كما يريد بنو النضير وقد تقدم هذا فى مقدمة هذا المقصد (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) يعنى أى حكم أحسن من حكم الله ان كنتم موقنين أن لكم ربا وأنه سبحانه عدل فى أحكامه اهـ المقصد السادس

(المَقْصِدُ السَّابِعُ)

يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ، حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ، فَإِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِٱللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ ٱللهِ مَنْ لَعَنَهُ ٱللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ * وَإِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ * وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ، وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ ، وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

يروى أن عبادة بن الصامت قال ان لي أولياء من اليهود كثيرعددهم شديدة شوكتهم وانى أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لى إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي ابن سلول لانى لا أبرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولابد لى منهم

وأيضا لما اشتد الأمر على طائفة من الناس فى وقعة أحد وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه أمانا انى أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وآخذ منه أمانا

وأيضا كان أبو لبابة بن عبد المنذر قد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه فى حلقه مشيرا الى أنه الذبح وانه يقتلكم

هذه هى الأسباب التى ذكرها المفسرون الأجلاء لنزول هذه الآية التى تراد لتهذيبنا اليوم وتعليمنا كيف نكون أمة عزيزة الجانب موفورة المنزلة باتحاد الكلمة وهى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أنصارا وأعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله . ألا ترون أيها المؤمنون أن بعض اليهود أعوان بعض عليكم وبعض النصارى أعوان بعض عليكم فكيف تتخذون منهم أولياء . ان من يتخذ منهم أعوانا فانه منهم وهو يكون ظالما لنفسه ولأمته بمعاونته أعداءهم وهذا هو قوله (بعضهم أولياء بعض) الى قوله (والله لايهدى القوم الظالمين) ثم أخذ يفصل ذلك بنحو ماتقدم فى الأحاديث فقال (فترى الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (يسارعون فيهم) أى فى موالاتهم (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار (فعسى الله أن يأتى بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على الأديان كلها واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وفتح مكة وفتح قرى اليهود كخيبر وفدك و وهما من بلادهم (أو أمر من عنده) مثل أن يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب كما ألقى الرعب فى قلوبهم فأخلوا ديارهم وخربوها بأيديهم وجلوا الى الشام (فيصبحوا) أى يصبح المنافقون المذكورون (على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) على ما أبطنوه من الكفر والشك وعلى موالاة هؤلاء ولذلك تحقق ماذكر

واعلم أن عسى من الله واجب لأن الكريم اذا أطمع فى خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له وهنا يخطر سؤال فيقال ماذا يقول المؤمنون حينئذ فقال (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) أى يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وفرحا بما منّ الله

عليهم من الاخلاص (حبطت أعمالهم) أى بطل ما كانوا يعملون من الخيرات لأجل ما أظهروه من النفاق وموالاة اليهود (فأصبحوا خاسرين) دنياهم بافتضاحهم لموالاتهم من هزمهم الله وفى الآخرة أيضا باحباط ثواب أعمالهم

﴿ الكلام على الردة ﴾

اعلم أنه قد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج و بنو حنيفة و بنو أسد . وسبع فرق فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزارة وغطفان و بنو سليم و بنو يربوع و بعض تميم وكندة و بنو بكر بن وائل وفرقة واحدة ارتدت فى خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الأيهم هؤلاء هم الذين ارتدوا من العرب فى زمان النبوة و بعدها الى زمن عمر رضى الله عنه

﴿ قتال أهل الردة ﴾

أما الفرق التى ارتدت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان بنى مدلج كان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر فى أواخر ربيع الأول

وأما بنو حنيفة فهم أصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الأرض نصفها لى ونصفها لك﴾

فأجاب ﴿من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ فحارب أبو بكر بجند من المسلمين وقتل كما سيأتى

وأما بنو أسد فهم قوم طليحة بن خويلد واقد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه . هذه هى الفرق التى ارتدت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما الفرق السبع التى ارتدت فى زمن أبى بكر رضى الله عنه فاعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بنى عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين

ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . وقال أنس بن مالك كره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال مانعى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره . وقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء ثم حمدناه فى الانتهاء . وأثنى أبو حصين على أبى بكر لبسالته وقال انه أفضل من ولد بعد النبيين لقتاله أهل الردة

ولقد أرسل خالد بن الوليد فى جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فأهلك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حمزة

والفرق السبع التى ارتدت فى زمن أبى بكر لما حاربها رجعت الى الاسلام بجيوش من الصحابة ومن معهم

وأما التى ارتدت فى زمن سيدنا عمر فهى غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصروا وساروا الى الشام

﴿ من هم القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله ﴾

هم الصحابة الذين قاتلوا أهل الردّة وأهل اليمن وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كما أثنى على الصحابة إذ قال أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وكذلك الأنصار الذين هم قسم من الصحابة وقوم من اليمن منهم ألفان من النخع وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا يوم القادسية مع عمر وكذلك الفرس لأنه عليه السلام سئل عن القوم الذين يحبهم ويحبونه فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه

هؤلاء هم الذين وردت الأحاديث المختلفة بأنهم الذين يحبهم الله ويحبونه وأن ذلك معجزة فان ردّة العرب ورجوعهم للاسلام ونصر الله للمسلمين بجنوده . كل ذلك كان مغيبا . واعلم أن ما فى هذه الأحاديث ليس حاصرا لمن يحبهم الله ويحبونه فان معنى حبّ الله العبد ارادته الهدى والتوفيق له فى الدنيا وحسن الثواب له فى الآخرة . ومعنى محبة العباد له ارادة طاعته والتحرز من معصيته وليس ذلك خاصا بهؤلاء بل ان الأمم الاسلامية كلما خمدت أمّة جاءت أمم حتى انك اترى التتار الذين جاؤا من بلادهم وأزالوا الدولة العباسية على يد أبنا جنكيزخان وقتلوا الخليفة العباسى وحكموا الاسلام هم الذين أسلموا بعد ذلك وهم فى بلاد الروسيا الآن وعلى نهر فولجا وغيره ويبلغون عشرات الملايين وكذلك يوجد أمم أسلمت فى جزائر الهند الشرقية نحو ٦٢ مليونا من جاوه وما والاها من البلدان وكذلك فى الصين وفى السودان ولايزال الاسلام ينتشر للآن

أفليس هؤلاء من الذين يحبهم الله . نعم يحب الله من صلح من هذه الأمم وقام بالأمر خير قيام وكذلك أسلم فى زماننا من عظماء الانجليز اللورد هدلى وقد قابلته فرأيته رجلا عظيما بعد ماقرأت رسائله فى الاسلام خصوصا بعد مازار الأقطار الحجازية وأدّى فريضة الحج فكل هؤلاء داخلون فى المحبة المذكورة

فالله بهذه الآيات يقول لنا كلما ارتدّت أمّة عن الاسلام دخلت فيه أمّة أخرى لأن الاسلام وحى أراد الله بقاءه ليكون من الموازين التى ينصبها الله للعدل وللحياة فى الأرض فهذا هو قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه) الى قوله (والله واسع عليم) ومعنى (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل وقوله (أعزة على الكافرين) أى شداد متغلبين عليهم من عزّه اذا غلبه وقوله (يجاهدون فى سبيل الله) صفة أخرى لقوم وقوله (ولايخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون فهم جامعون للمجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه وقوله (ذلك) أى المتقدّم من الأوصاف (فضل الله يؤتيه من يشاء) يمنحه ويوفقه له (والله واسع عليم) كثير الفضل عليم بمن هو أهله

ولما أتمّ الكلام على الردّة المذكورة فى غضون النفاق لمناسبتها له ولقربها منه لاقتراب المنافق من مراتب الكافرين وازدلافه الى دركات المرتدين أخذ يتكلم على النفاق والموالاة ومن الذين نواليهم فقال (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) لما أسلم عبد الله ابن سلام قال يارسول الله ان قومنا بنى قريظة والنضير هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء

واعلم أن الآية عامّة ولاسبب من الأسباب الواردة يخصصها فهو يقول ان أهل معونتكم وموالاتكم هم المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم متواضعون لامتكبرون عليكم كما تقدم فى قوله تعالى ـ أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ـ ثم أبان أن من اتبع هذا الفريق فانه فائز لأنهم هم الغالبون وهذا قوله تعالى (ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) يعنى فانهم هم الغالبون لكن وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشأنهم ثم أخذ يشرح الموضوع زيادة ايضاح لأهميته فقال تعالى

(يا

(يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين * واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون) والمعنى أن أهل الكتاب الذين اتخذوا الدين هزؤا ولعبا والكفار وهم عبدة الأصنام لايجوز للمسلمين أن يتخذوهم أنصارا وأولياء وهذا على قراءة النصب بعطف الكفار على الذين اتخذوا دينهم وقرأ بالجر أبوعمرو والكسائى ويعقوب فيكون الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان وهم الكفار معا وعلى كل من القراءتين لاتجوز موالاتهم

روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها فى البيت فأحرقه وأهله

وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنهى الله عن موالاة هؤلاء جميعا وقوله (واتقوا الله) أى بترك مانهاكم عنه وقوله (إن كنتم مؤمنين) أى بوعده ووعيده وقوله (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) لأن السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه

ثم إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال ـ أومن بالله وما أنزل الينا ـ الى قوله ـ ونحن له مسلمون ـ فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم فقال الله له (قل) لهم (يأهل الكتاب هل تنقمون منا) هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه اذا أنكره وانتقم اذا كافأه (الا أن آمنا بالله وماأنزل الينا وماأنزل من قبل وان أكثركم فاسقون) أى لاتنكرون منا الا ايماننا بالله وبما أنزل الينا من القرآن وما أنزل الى الأنبياء واعتقاد أن أكثركم فاسقون وهذا على حد قول الشاعر

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فهل الحق ينكر أوالخير يعاب آمنا بالأنبياء الذين أرسلهم الله فنقمتم علينا واعتقدنا أنكم فاسقون خارجون عن سنن الحق بتحريفكم فى دينكم وكفركم بديننا وهذا صدق . فكيف تنكرون وتعيبون ذلك . وكيف تقولون لانعلم دينا شرا من دينكم (قل) لهم يامحمد (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) جزاء وثوابا عند الله والمثوبة فى الخير كالعقوبة فى الشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من شر أى بشر من أهل ذلك وهؤلاء هم اليهود أبعدهم الله من رحمته ومسخ بعضهم قردة وخنازير وهم أصحاب السبت إما مسخا جميعا واما مسخا معنويا بأن صاروا مقلدين كالقرود وذوى شهوات كالخنازير بسبب المعاصى التى ارتكبوها بمخالفة التوراة (وعبد الطاغوت) معطوف على صلة من أى أطاع الشيطان فيما سول له وفى معناه العجل الذى عبدوه والكهان والأحبار والرهبان الذين اتبعوهم فيما أحلوا وحرموا (أولئك) الملعونون (شر مكانا) واذا كان مكانهم شرا فهم أولى بالشر (وأضل عن سواء السبيل) أى قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود (واذا جاؤكم قالوا آمنا) أى اليهود فانهم نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك كما دخلوا (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر وفيه وعيد لهم (وترى كثيرا منهم) أى من اليهود أوالمنافقين (يسارعون فى الاثم) أى مايختص بهم من الحرام (والعدوان) مايتعدى الى غيرهم (وأكلهم السحت) أى الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيأ عملوه (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض . يقول الله هلا ينهاهم هؤلاء العلماء الزاهدون والعابدون عن قول الاثم وأكل الحرام (لبئس

ما كانوا يصنعون) وهذا توبيخ لهم وتقريع أشدّ من تقريع العامّة الذين قرعهم على عملهم وهؤلاء قرعهم على صنعهم والصنع لا يكون إلا بعد التروّى وهؤلاء العلماء قد أمسكوا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قصدا وعمدا للمحافظة على رئاستهم وأخذ الأموال بالباطل والعالم أولى بالعقاب من الجاهل ● فالعلماء أقرب الناس الى العذاب فى كل أمّة متى قصروا عن النصيحة للأمم

ولقد كان اليهود أغنياء فلما كانت أيام النبى صلى الله عليه وسلم قلّ مالهم فقالت اليهود إن الله ممسك مقتر وهذا قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) فهو مجاز اما عن البخل أوالفقر (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغلّ الأيدى حقيقة ليكونوا أسرى فى الدنيا ويوم القيامة (بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة فى نفى البخل واثبات الجود (ينفق كيف يشاء) أى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء (وليزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلاتتوافق قلوبهم (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأهاالله) فترى النصارى مختلفين مذاهب دينية وعقائد وهكذا اليهود وذلك موجب لتفرّق الكلمة فكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بالتخاذل (ويسعون فى الأرض فسادا) أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم (والله لايحبّ المفسدين) فلايجازيهم إلا شرّا (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) ماذكرناه من المعاصى (لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ● ولوأنهم أقاموا التوراة والانجيل) باذاعة مافيهما من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والقيام بأحكامهما (وما أنزل اليهم من ربهم) أى سائر الكتب المنزلة (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى لوسع الله عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض أو بكثرة ثمر الأشجار وغلة الزرع ونموّه ووفرته (منهم أمّة مقتصدة) متوسطة فى عداوة النبىّ صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم ساء مايعملون) أى بئس مايعملونه وفيه تعجيب أى ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض والافراط فى العداوة ● انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف ﴾

(١) اللطيفة الأولى ـ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ـ
(٢) اللطيفة الثانية ـ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ـ الآية
(٣) اللطيفة الثالثة ـ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ـ
(٤) كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ـ

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

ليس المقصد من اليهود والنصارى خصوصهما وانما ذلك يراد به أن يحفظ كيان الدولة ولايفرق الجمع بالتخاذل والاتفاق السرّى مع الأعداء من أى دولة ومن أى دين والا فقدجاء التتار من جهة المشرق وأزالوا دولة العرب واتحد معهم الوزير العلقمى سرا وذهبت الدولة لهذا الغدر ● فهل كان يجوز لذلك الوزير ذلك لانهم ليسوا يهودا ولانصارى بل هم مجوس ● كلا لاتجوز موالاتهم ● قال الشاعر إذ ذاك

يا أمّة الاسلام قومى واندبى ● وابكى على ماتمّ للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه ● لابن الفرات فصار لابن العلقمى

وهذا الوزير كان شيعيا وأراد بذلك النكاية فى أهل السنة الذين هم سنيون ● ثم ان التتار خربوا الديار وفتكوا بالأمة فتكا شنيعا بسبب موالاة الوزير لهم وانشقاقه على المسلمين

وأيضا اذا عاهدنا أمّة كتابية فانا نفى بعهدهم وكذلك أهل الذمّة ندافع عنهم ونحوطهم بعنايتنا واذا عاهدنا قوما فلنف بعهدهم ونحارب معهم على أى دين كانوا وجاء فى سورة الممتحنة ـ لاينها كم الله عن الذين لم

يقاتلوكم

يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ـ

فالقرآن يرجع فيه للعقل والتفصيل والبحث والتنقيب . فأما العمل بالآيات بدون بحث فانما هو فعل الغافلين

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

يقول الله على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ـ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل الخ ـ وأنا أورد حكاية لمناسبة هذه الآية . فأقول

﴿ الحكاية ﴾

توجهت يوما الى أحد أصحابى بدكانه جهة باب الخلق بالقاهرة فسلمت عليه فردّ السلام وقد رأيت رجلا معمما جالسا معه . فقال أنا أحب أن أعرّفك بفلان المبشر . فقلت كانما مبشرون . فقال ذلك الضيف وهل يبشر إلا بابن الله الوحيد . فقلت كلمنى بالعقل وليكن حكما . إما أن تقولوا ان العالم ليس له إله واما أن تقولوا له إله . فقال وكيف ذلك . قلت اذا كان الله يترك العالم بلا هاد ولا مرشد مئات الالوف من السنين ثم يأتى فى آخر الزمان ويقول لهم هذا هو ابنى الوحيد يهديكم أفليس ذلك معناه البخل والجود والاله الذى يترك عباده هكذا سبهللا ثم يتذكرهم آخرا ليس بكريم واذن يكون هذا ليس باله فالاله متصف بأجل الصفات وأبهاها فقولكم هذا معناه انه لا إله فى العالم فلما سمع ذلك منى اتجه بالكلام الى جهة أخرى وقال ما الذى فعله نبيكم وليس كل فضل له الا فى فصاحة القرآن بالايجاز مع ان امرأ القيس قال

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * وهذا فى الايجاز لا ينقص عن القرآن . فقلت له اذا كان هذا هو البلاغة فى نظرك فاسمع منى (العالم منظم) وهذه الجملة على ايجازها تجمع التوراة والانجيل والقرآن وجميع الكتب السماوية وسائر الديانات فهل أنا بقولى هذه الجملة الجامعة الآن أصبحت فوق النبيين . قال . كلا قلت إذن لا معنى لهذا القول . فقال ان نبيكم علمه رجلان . قلت له أنتم أخذتموها من قول الكفار ـ انما يعلمه بشر ـ وأنا أقول لك أى نبى لم يتعلم . ألم يتعلم موسى . ألم يتعلم عيسى . أليس كل نبى لابد له من طريق يسير فيه . أفليس يسأل الناس عنها . أفليس له ظئر ترضعه ومربية . قال بلى . قلت هذا تعليم . ثم قلت له ألست ترى أن المعلمين فى المدارس المصرية وفى الأزهر متعلمون . قال بلى . قلت ومعلموهم لم يكن لهم نظير فى العلم أيام النبى صلى الله عليه وسلم . قال نعم لأنهم كانوا جاهلية . قلت فاذا كان الأمر كذلك وأن المدار على التعليم فلماذا لم نكن جميعا أنبياء

(يافلان) أنا أقول الحق ان هذه المحاورات التى يقولها المبشرون انما جعلت لأكل الخبز والا فبالله اذا أراد الناس الحق فلماذا ينكر النصارى على نبينا هدايته للناس . أليس يأمرهم بفعل الطاعات وترك المعاصى قال بلى . قلت أليس المسيح جاء ليهذب الناس فكرهه أتباع موسى وكفروه . قال بلى . قلت أنا أشهد الله أن أكثر المتدينين لا يريدون إلا الخبز والملبس والشهوات وهكذا قال علماؤنا المفكرون ان علماء الدين فى أكثر الأمم عقولهم أقرب الى عقول العامة يسعون للخبز . انظر (يافلان) ألسنا نقرأ كلام شكسبير الانجليزى وروسو الفرنسى وجميع علماء الأمم يقرأ بعضهم كلام بعض بسرور فما بال القسيسين من النصارى يكرهون من جاء بعدهم ليهدى الناس الى الحق والحق أقول ان هذا لأجل الخبز والانسانية ضائعة فى هذه المجادلات والمحاورات . فقال صاحب الدكان (يافلان) ان هذا المبشر يصلى سرا صلاة اسلامية وهو فى الجهر يعيش مع المبشرين ويأكل من صناعة التبشير فوافق المبشر على ذلك

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(حكاية مع شاب هندى)

قابلنى منذ أيام شاب هندى فرأيته لابسا ملابس قطنية مغزولة باليد منسوجة بنسج غليظ الخيطان ومن هذا النسج (قلنسوته) على رأسه وثيابه على جسده . فقلت له أهذا صناعة بلادكم . فقال نعم . فقلت له أنت اليوم فى مصر فهل يمنع أن تلبس كالمصريين . فقال لو فعلت ذلك لكنت خارجا عن الوطنية والعهود التى أخذت علينا . فقلت له وكيف ذلك . قال أخذ علينا العهد الوطنى أن لا نلبس إلا ما نسجه الهنديون وغزله الوطنيون بعد الثورة الهندية . فقلت له حدثنى عنها . فقال ان الهنود الوثنيين ليس بينهم رابطة لاختلافهم أديانا حتى ان كل جماعة منهم تبلغ ١٥ مليونا فى المتوسط لها دين خاص بها ولما أراد الرئيس غاندى (الزعيم الهندى) هو والرؤساء المسلمون الثورة لم يجدوا بابا يلجؤنه الا مدرسة على كره الاسلامية فقالوا للتلاميذ ابدأوا بالاضراب فأضربوا فاتبعهم جميع الوثنيين وكان ما كان من هذا الميثاق الوطنى وليس عندنا رئيس يخالف الميثاق ولا مرؤس فقال قائل ان الرؤساء فى مصر قد يخطؤن فى أعمالهم فقال ليس عندنا كذلك بل الشعب واقف لهم بالمرصاد قال تعالى ـ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ـ فأعجبنى حسن بيانه وأيقنت أن هناك روحا فى الاسلام استجدت لم تكن من قبل ـ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ـ وهذه الحكاية تقدمت ولكن هنا زيادة تناسب المقام

﴿ اللطيفة الرابعة قوله تعالى ـ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ـ ﴾

اعلم أن هذه القاعدة طبيعية الهية . لقد خلق الله أنواع الحيوان وسلط الآساد على الغزلان ولكنه قلل من نسل الصنف الأول وأكثر من نسل الصنف الثانى حتى يبقى ماهو مأكول لقلة ماهو آكل وهكذا يجعل فى نوع الانسان قوانين لبقائه وشروطا لحياته ألا ترى انه يحدث بين الدول تصادما واختلافا وهذا الاختلاف لولاه لأهلك بعض الأمم بعضا فيقولون يجب حفظ التوازن ومتى حفظ التوازن لا تستبد احدى الدول بالأمم الصغيرة فلذلك نجد أمم أوروبا تجتمع من جهة على اضعاف أهل الشرق ومن جهة أخرى لا تسمح واحدة منها لأخرى بابتلاع بلاد كثيرة خيفة أن تتكبر عليهن وتعظم ومع ذلك تراهم دائبين فى ايقاع الفتن والشرور والعداوات بين الأمم الشرقية ليدوم لهم العز والسلطان ويسودوا فى بلادنا والرؤساء فى بلادنا يوالونهم وهم يملؤن قلوبهم حبا للجشع والشره . فهذا هو ايقاد نار الحرب وذلك اطفاؤها . انتهى المقصد السابع

(المَقْصِدُ الثَّامِنُ)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا وَصَمُّوا

ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ، إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ، ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ، ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ * لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ، ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ، لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد شج رأسه وكسرت رباعيته وهذا قد تقدم في غزوة أحد وهكذا أيضا تقدم حديث الاعرابي الذي أراد قتله بالسيف فسقط من يده وهو تحت الشجرة ثم تناول السيف صلى الله عليه وسلم فأسلم الرجل بعد أن تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من قتله فلم يقتله

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثنى الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى الىّ أن لم تبلغ رسالتى عذّبتك وضمن لى العصمة فقويت * وعن أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت ـ يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك الآية ـ فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس وهذا قوله تعالى (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) أى جميع ما أنزل اليك ولاتراقب أحدا ولاتخف مكروها ولاتبال باستهزاء اليهود ولا بكراهة المنافقين الجهاد ولاباستثقال اليهود حكم الرجم الذى حكمت به وهو موافق للتوراة (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرت (فما بلغت رسالته) فما أدّيت الرسالة لأن كتمان البعض يضيع ماأدّى منها كما تبطل الصلاة بترك ركن فيها ويموت الحىّ بقطع رأسه أوقلبه أوعضو رئيس أيا كان من أعضائه وان خفت الناس فقدحفظتك منهم (والله يعصمك من الناس) وهذا عدة من الله وضمان أن يعصم روحه من تعرّض الأعادى (إن الله لايهدى القوم الكافرين) لايمكنهم مما يريدون بك وهكذا كل من كتم شيأ من الدين فانه لم يبلغه ويكون ترك البعض كأنه ترك الكل * ألاترى أن رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة لما قالوا يامحمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق أجابهم قائلا بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم مافيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فأنا برىء من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الحق والهدى ولانؤمن لك ولانتبعك فهاهوذا يقول لهم قد كتمتم فكتمان بعض الدين لم يجز فى الاسلام كما لم يجز فيما قبله وهذا هو قوله تعالى بعد ماتقدّم (قل يا أهل الكتاب لستم على شئ) دين يعتدّ به (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) ومن اقامة الدين الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ـ فلا تأس ـ لاتحزن عليهم لزيادة طغيانهم

وقوله (ان الذين آمنوا الخ) تقديره ـ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلاخوف عليهم ـ مما أمامهم ـ ولاهم يحزنون ـ على مافاتهم ـ والصابئون ـ كذلك وانما أفرد الصابئين دون الأديان لأنهم أشدّ انكارا للأنبياء يقولون اننا لانتبع إلا الملائكة فأما البشر فانهم مساوون ويزعمون أن الملائكة هم الذين يعلمونهم فقيل لهم من لقنكم هذا فقالوا هذا شرع ابراهيم قيل لهم فابراهيم إذن نبيكم فثبت أن البشر يكونون واسطة بين الناس وبين الملائكة والمحاورة هناك مبسوطة فى كتاب ﴿الشهرستانى﴾

ومعنى هذه الآيات أن من آمن من أىّ دين وعمل صالحا فان الله يجازيه على ذلك خيرا بالجنة وبالنجاة من النار وقد تقدّم نظيرها فى سورة البقرة (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم (كلما جاءهم رسول) منهم (بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) فقوله كذبوا جواب كلما وجملة كلما صفة رسلا (وحسبوا) أى بنو اسرائيل (أن لاتكون فتنة) أى أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم (فعموا) عن الدين وعن الدلائل والهدى (وصموا) عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل (ثم تاب الله عليهم) أى ثم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وصموا) كرة أخرى (كثير منهم) بدل من الضمير (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم ثم أخذ يشرح حال النصارى بعد الفراغ من أمر اليهود فقال (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله) هو ظاهر التفسير الى قوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أى أحد ثلاثة أى يقولون انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وقالوا ان الكلمة هى كلام الله اختلطت بجسد المسيح اختلاط الماء باللبن وقالوا ان الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . ونقل المفسرون قولا

ثانيا أن الثلاثة . الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة والألوهية مشتركة بينهم وكل واحد منهم إله قال تعالى (وما من إله الا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) أى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) أى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويرحمهم ان تابوا (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار سائر الانسان والحيوان . فبهذا تبين ماعنوا به من الرسالة والصدق ولهما مشاركون من نوع الانسان فأين الالوهية وتبين أيضا النقص الذى يساويهما مع أصغر المخلوقات وهذا موجب للعجب من تصديق الالوهية وهذا قوله (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق (قل) يامحمد لأتباع المسيح (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا) وكل ماجاء على يده بتمليك الله له لامن نفسه فاذا كان هكذا فى مشاركة المخلوقات له فى النقص والكمال وليس له من نفسه نفع ولاضر فكيف تعبدونه وقوله - مالا يملك - أى شيأ لايملك وهو عيسى عليه السلام (ان الله هو السميع العليم) بالأقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل) يامحمد (ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق) أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه السلام الى أن تدعوا له الالوهية (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) عن طريق الشرع الحنيف يعنى أسلافهم وأئمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم (وأضلوا كثيرا) شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) ضلالا عقليا أخلاقيا (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسان داود وعيسى . فأهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنوا فيه ومسخوا قردة . وأصحاب المائدة لما كفروا بعيسى أصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة بأوفى بيان (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) أى لاينهى بعضهم بعضا عن المنكرات التى فعلوها (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجب من سوء فعلهم (ترى كثيرا منهم) أى أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين (لبئس ماقدمت لهم أنفسهم) لبئس شيأ قدموه ليردوا عليه يوم القيامة والمخصوص بالذم قوله (أن سخط الله عليهم) أن غضب عليهم وقوله (وفى العذاب هم خالدون) أى فى الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) يعنى نبيهم كموسى وعيسى (وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) لأن دين الأنبياء لايرضى بالشرك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم ومتمردون فى نفاقهم . ثم أخذ يوازن مابين النصارى واليهود مع المسلمين والمشركين فقال (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) لأنك ترى أن دين المسيح يأمر بالمسامحة والعفو والمغفرة وحب العدو والصديق والاحسان الى الغريب والقريب ولكن اليهود على خلاف ذلك بل هم لايريدون إلا أمتهم وحدها وهم قديما وحديثا لايريدون إلا أنفسهم ولو أضروا الناس بذلك ثم أيد مودة النصارى بقوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) أى علماء وعبادا (وأنهم لايستكبرون) فهم متواضعون فالتواضع والاقبال على العلم والاعراض عن الشهوات كلها خصال محمودة وان كانت فى كافرين

نزلت هذه الآيات حين هاجر المسلمون من ايذاء الكفار بمكة كعثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبى حذيفة وغيرهم وجميعهم ١١ رجلا وأربع نسوة وكان ذلك سرا فى رجب فى السنة الخامسة من البعثة وهى الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن أبى طالب وغيره وهى الهجرة الثانية حتى صاروا اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فوجهت قريش وفدا على رأسهم عمرو بن العاص ومعهم هدايا للنجاشى وبطارقته ليردوهم الى قومهم فقال عمرو بن

العاص قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم انه نبي وقد أرسل اليك رهط فنسألك أن تردّهم الى قومنا فأحضر النجاشي المسلمين وقال مايقول صاحبكم في عيسى وأمّه فقال له جعفر بن أبي طالب يقول هو عبدالله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول ثم طلب منهم ماجاء في ذلك فقرأ جعفر سورة مريم وهو والقسيسون والرهبان يسمعون فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فلم ينل عمرو بن العاص شيأ من المسلمين ورجع بخفي حنين من عند النجاشي وبقي القوم عنده الى سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان لما مات زوجها فزوّجها له والمهر أربعمائة دينار وأمر النجاشي أن يبعث اليها نساؤه مما عندهن من دهن وعود فوردت أم حبيبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو يحاصر خيبر وكذلك جعفر وأصحابه وسبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم ٦٢ رجلا من الحبشة وثمانية من الشام وسمعوا سورة يس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جاء ثمانون رجلا ٤٠ منهم من نصارى نجران و٣٢ من الحبشة وثمانية من روم أهل الشام فآمنوا ففي هؤلاء وأمثالهم نزلت هذه الآية ومابعدها وهو قوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بأنه حق وبنبوّته وقد أرسل النجاشي ابنه أزهى الى النبيّ صلى الله عليه وسلم في ٦٠ رجلا من أصحابه وكتب اليه يقول

أشهد أنك رسول الله صادقا مصدّقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وقد بعثت اليك ابني أزهى وان شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يارسول الله فغرق ابنه في البحر مع أصحابه (ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) أي وأيّ شئ حصل لنا حال كوننا غير مؤمنين بوحدانية الله والحال أنا نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (فأثابهم الله بما قالوا) عن اعتقاد (جنات تجري من تحتها الأنهار) الى قوله (المحسنين) أي الذين أحسنوا النظر والعمل واعتادوا الاحسان في الامور كلها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهو ظاهر التفسير . اهـ المقصد الثامن

(المَقْصِدُ التَّاسِعُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ ، وَلاَ تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً ، وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ

الصلاة فهل أنتم منتهون * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا
أنما على رسولنا البلاغ المبين * ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب
المحسنين * يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم
ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * يا أيها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم
به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً
ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام *
أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرماً ، واتقوا الله الذي إليه تحشرون * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس
والشهر الحرام والهدي والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض
وأن الله بكل شيء عليم * اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم * ما على
الرسول إلا البلاغ ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون * قل لا يستوي الخبيث والطيب
ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون * يا أيها الذين
آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم عفا الله عنها ، والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها
كافرين * ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله
وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ، ولا
يهتدون * يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله
مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون *

لما كان مدح النصارى وتواضعهم وانصافهم ربما جرّ المسلمين أن يفعلوا كما فعلوا ويتركوا النساء
ويكونوا رهبانا . لاسيما أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا

واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لايزالوا صائمين قائمين وأن لاينامو على الفراش وأن لايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انى لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزل (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين) فى الافراط فى كسر الشهوات كما لايحب المفرطين فى الشهوات بفعل الحرام (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أى كلوا ماحل لكم وطاب مما رزقكم الله (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون * لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم) هو مايبدو من المرء بلاقصد كقولك لاوالله وبلى والله واليه ذهب الشافعى وقيل الحلف على مايظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبو حنيفة (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية (فكفارته) أى كفارة نكثه أى الفعلة التى تستره وتذهب اثمه اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أوكسوتهم أوتحرير رقبة أى ان الكفارة بأحد أمور ثلاثة

﴿ الأمر الأول ﴾

(١) إما أن يطعم عشرة مساكين بأن يغديهم ويعشيهم عند أبى حنيفة

(٢) أو يعطى لكل مسكين مد طعام وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد عند الشافعى وكذا سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ومالك وغيرهم

(٣) أومدين من بر وهو نصف صاع لكل مسكين عند عمر وعلى وعائشة وبه قال أهل العراق

(٤) أومدين من الحنطة كما تقدم وهو نصف صاع ومن غيرها صاع وهو قول الشعبى والنخعى وسعيد ابن جبير ومجاهد

(٥) أومدا من البر لكل مسكين ونصف صاع من غيره مثل التمر والشعير

(٦) وجوز أبو حنيفة اخراج القيمة فى الكفارة كالدراهم والدنانير واخراج الدقيق والخبز كذلك فمذهبه أوسع المذاهب فى هذا . هذا هو الأمر الأول

﴿ الأمر الثانى من الكفارات الكسوة ﴾

(١) وهو إما ثوب جامع كالملحفة عند النخعى

(٢) أوثوب واحد مما يقع عليه اسم الكسوة إزار أورداء أوقميص أوعمامة أوسراويل أوكساء عند ابن عباس والحسن وعطاء وطاووس والشافعى

(٣) أوما تجوز به الصلاة فللرجل ثوب وللمرأة ثوبان درع وخمار وهو أدنى مايجزى فى الصلاة وهو قول مالك

(٤) أوقميص وازار ورداء وهو قول ابن عمر

(٥) أوثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين

﴿ الأمر الثالث من الكفارات العتق ﴾

فيجب اعتاق رقبة مؤمنة واجزأت الكافرة عند أبى حنيفة . هذه هى الثلاثة التى يخير بينها الحالف والنوع الرابع الصوم (فمن لم يجد) الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) أى فاذا عجز من لزمته الكفارة فى اليمين عن الاطعام والكسوة والعتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام ومتى كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل مايطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام

وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام ان لم يكن عنده من المال ماتجب فيه الزكاة . وقال الحسن اذا لم يجد

درهمين صام • وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم

والتتابع فى الصوم إما واجب عند ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وأبى حنيفة وأحمد وأحد قولى الشافعى وإما لا يجب والتتابع أفضل عند الحسن ومالك والقول الثانى للشافعى (ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم) وحنثتم (واحفظوا أيمانكم) بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر أو بأن تبروا فيها ما استطعتم (كذلك) أى مثل ذلكم البيان (يبين الله لكم آياته) أعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب) الأصنام التى نصبت للعبادة (والأزلام) تقدمت فى أول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول (من عمل الشيطان) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) أى الرجس (لعلكم تفلحون) لكى تفلحوا بالاجتناب (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وغيرهما وخصهما بالذكر لعظام قدرهما (فهل أنتم منتهون) هذا أبلغ حث على الانتهاء جاء بصيغة الاستفهام وهى أبلغ فى الأمر

واعلم أن الكلام على الخمر والميسر قد تقدم بأوسع بيان فى سورة البقرة فارجع اليه ان شئت (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فيما أمرا به (واحذروا) مانهيا عنه (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) واذا كان عليه البلاغ فقد أداه فاذن أنتم أضررتم بأنفسكم

﴿ فصل فى المطعومات ﴾

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مما لم يحرم عليهم (اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فى أنفسهم (ثم اتقوا وآمنوا) بينهم وبين الناس (ثم اتقوا وأحسنوا) بينهم وبين الله (والله يحب المحسنين) فلا يؤاخذهم بشئ • ولما كان عام الحديبية ابتلى الله المؤمنين بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون فنزل (ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) فالذى تناله أيديهم كالفرخ والبيض ومالا يقدر أن يفر من صغار الصيد والذى تناله الرماح كبار الصيد كحمر الوحش • وذلك الابتلاء كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه ولكن عصم الله المسلمين فلم يصطادوا (فمن اعتدى بعد ذلك) فصاد فى حالة الاحرام بعد النهى (فله عذاب أليم) فى الدنيا فيوجع ظهره وبطنه عند ابن عباس وهذا قول أكثر المفسرين وأما قوله (ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) الى قوله (اتقوا الله الذى اليه تحشرون) فقد تقدم تفسيره فى مقدمة السورة قال تعالى (جعل الله الكعبة) أى صيرها وسمى البيت كعبة لتكعبه وقوله (البيت الحرام) عطف مبين للكعبة وفيه المدح (قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا الخ) ومعنى كون الكعبة قياما للناس انها انتعاش لهم اى أنها سبب انتعاشهم فى أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح التجار عنده ويتوجه اليه الحجاج والعمار والشهر الحرام فى هذا المقام ذوالحجة لأن الحج يؤدى فيه والمراد بالهدى مايهدى الى الحرم من الأنعام والقلائد أى النعم التى تهدى وتقلد بنحو النعال أولحاء الشجر أوغيرها وهى من عطف الخاص على العام ﴿ومحصل القول﴾ أن الله عز وجل يمن علينا معاشر المسلمين • يقول انى جعلت لكم بيتا تأتون اليه من كل فج عميق تحجون وتأمنون فيه على أنفسكم وفيه تؤدون المناسك وتهدون النعم المقلدة بالقلائد وغير المقلدة وكما جعلت لكم البيت حرما وملجأ ومأمنا حرمت الشهر وأمرت بالكف عن القتال فيه ولو على سبيل الندب بعد النسخ

من نظر الى حال المسلمين اليوم فى الهند والصين وبلاد جاوه والملايو والروسيا والجازيين والمجديين وأهل البربر والسودانيين علم أن الكعبة حصن لهم وملجأ • مكان يتعارف فيه المتناكرون ويجتمع فيه المتفرقون ومن اطلع على أحوال الحجاج فى تأدية المناسك كالطواف والوقوف بعرفة وغيرها ورأى كيف يلتقح

المصرى فكر الهندى والمكى عقل الجاوى والمليزى والصينى واليابانى عرف كيف أصبح المسلمون فى أقطار الأرض على نمط متقارب ومبدأ يكاد يكون واحدا . فالكعبة والحج سر مكنون والكعبة شمس تشرق أنوارها على المسلمين . فكم بزغت من تحت أستارها الأنوار . واستضاء باشراقها كوكب سيار . واستنار بنورها بدر التمام

فان بزغ فى الهند كوكب طلع نوره فى مكة المكرمة ومنها يشع على المسلمين بما ينقل الحجاج عن الحجاج ويذكر الصادرون أخبار الوراد . ومن الآثار المشهودة والنفحات المحمودة والعجائب المعدودة ما آنسته فى احدى السنين إذ لقينى عالم صالح فاضل من علماء مكة صانها الله وحرسها . ولقد كنا تعارفنا قبل اللقاء بما كان يلقى الينا من الأنباء من الحجاج الواردين والشيوخ الصالحين فلما التقينا تعارفت الأشباح كما تعانقت من قبل ذلك الأرواح وتناجت النفوس وأخبرنى أن ذلك التعارف القلبى بسبب ماقرأه فى نظام العالم والأمم من الآراء العلمية الموافقة للشريعة الاسلامية الغراء وباحثنى حفظه الله فى عجائب الماء وكيف يحلل الى الاكسوجين والاودروجين ورأيته مسرورا بذلك فرحا وقد قال لاسعادة للاسلام الا بتطبيق العلوم الطبيعية على الآيات القرآنية فحمدت الله عز وجل إذ جمع بين القلوب واطلع على كل أرض من بلاد الاسلام كوكبا يضىء وبدرا مشرقا . ولقد قابلت مثله من أكثر الأقطار وهم جميعا متحدو الأفكار وان تناءت الديار أليس ذلك من آثار البيت الحرام فلولا تعارف الحجاج عند تأدية المناسك ماعرفت ذلك العالم ولا عرفنى ومن ذا الذى كان يخبرنى خبره ويعرفنى قدره . ذلك من آيات الله ولقد كنت كتبت نحو ذلك فى كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ منذ أربع سنين وقد قرأه العالم الاسلامى وانتشر والحمد لله ولكنى ما كنت أعلم أن ذلك الاجتماع يحصل فى أيام حياتى فها أنا ذا أقول لك أيها الذكى لقد تجلى الحق وسطع وظهرت آيات الله الكبرى فقد اجتمع المسلمون فى هذه السنة فى مكة المشرفة أيام عيد الأضحى أى أثناء طبع هذا التفسير وشكلت لجنة مؤلفة من علماء الهند وتركيا والأفغان والشام وفلسطين ومصر والسودان المصرى وغير المصرى وبلاد الروسيا وجاوه وجميع العالم الاسلامى سنة ١٣٤٤ هـ وهذا أول مجلس اسلامى اجتمع فيه المسلمون من سائر الأقطار يتشاورون فى أحوال المسلمين وجزيرة العرب وذلك بدعوة من الأمير ابن السعود . ومن هذا تستدل على أن هذا التفسير ذو حظ عظيم لأنه ينشر أيام النهضة وانقلاب الأحوال الاسلامية من الانحطاط الى السؤدد والرقى والسعادة والحمد لله رب العالمين * وهذا من السر المكنون الذى تضمنه قوله تعالى ـ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الخ ـ

أليس هذا من العجب . ومن ذا الذى كان يعلم هذه الاسرار قبل ظهورها إلا مبدعها وخالقها فلذلك قال بعدها (ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شئ عليم) ولطالما كنت أقرأ القرآن متفكرا فى المعنى أيام الشباب فاذا وصلت هذه الآية تعجبت من قوله ـ ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات الخ ـ وأقول فى نفسى هل كون الكعبة محل نسك وحج وعبادة يحتاج الى هذه العناية أو تعوزه هذه الرعاية . وما المناسبة لذكر علمه مافى السموات والأرض لذكر الكعبة وجعلها انتعاشا للناس فى أمر دينهم ودنياهم فلما أن فهمت ما أبنته لك علمت أن القرآن مفعم بالأسرار مملوء بالحكم ولن يفهم الناس منه إلا على مقدار ما ألهمهم الله من العلم واتعلم أن ماذكرناه من آثار الكعبة قطرة من بحر أو ذرة من جبل فانك لو تصفحت مايجرى فى الأمم والممالك من تقلبات السياسة وتقلب القلوب ونشر الأخبار بواسطة الحجاج لقضيت العجب العجاب . ولسوف يرقى المسلمون بالمعارف والعلوم وتكون الكعبة مشرق شمسها ومصب أنهارها . ومن يعش يره

ثم أخذ يرغب فى الطيب من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها وينفر من الخبيث من ذلك كله

فقال

فقال تعالى (قل لايستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) فالفرق بين الأشياء بالجودة والرداءة لا بالكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير (فاتقوا الله يا أولى الألباب) فلا تأخذوا الخبيث وإن كثر وآثروا الطيب وإن قل (لعلكم تفلحون) راجين أن تبلغوا الفلاح

﴿ الكلام على قوله تعالى – يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا الخ – ﴾

اعلم أنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس وصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمورا عظاما . ثم قال من أحب أن يسألني عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به مادمت فى مقامى هذا فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من أبى فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلونى فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير والشر * ولقد روى أن أم عبد الله بن حذافة قالت لعبد الله بن حذافة ماسمعت بابن قط أعق منك أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض ماتقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقنى بعبد أسود لحقته * وأيضا قد كان قوم يسألون رسول الله استهزاء فيقول الرجل من أبى ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتى * وأيضا لما نزلت – ولله على الناس حج البيت الخ – قالوا يارسول الله أفى كل عام فسكت فقالوا يارسول الله أكل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت * ومما قال وإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم اذا أمرتكم بشيء فائتوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه . وأيضا كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) أى لاتسألوا عن أشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم فمن سأل عن الحج هل يأمن أن يقول له نعم يجب فى كل سنة فلا يطيقه الناس (عفا الله عنها) أى عما سلف من الأسئلة (والله غفور حليم) لايعاجل بالعقوبة (قد سألها) الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا (قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) أى بسببها حيث لم يأتمروا بها وقوله (ماجعل الله من بحيرة) الى قوله (وأكثرهم لايعقلون) تقدم تفسيرها فى مقدمة السورة ثم قال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) لقصور عقولهم (أ) حسبهم ماوجدوا عليه آباءهم (ولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولايهتدون) تفسيره ظاهر

﴿ الكلام على قوله – يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الخ – ﴾

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية – يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم – ولاتضعوها موضعها ولاتدرون ماهى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح . وزاد أبو داود فيه مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون أن يغيروا ولايغيرون الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب . قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ماقبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم واعلم أن مثلنا لايصح إلا اذا كان من أمرناه بالمعروف أقوى منا فان قدرنا على تأديبه بالقوة أدبناه . ثم قال إن القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه آى يقع تأويلهن فى آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ماذكر من الحساب والجنة والنار فمادامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر الى آخر كلامه . ويتضح بذلك أن القول اذا لم ينفع يترك وهذه لانرضاها فان المسلمين قد اتكلوا على مثل هذه الشبهة من أمثال

وهو من العظماء ، ومثل هذا القول يجب أن لا يأخذ به بل علينا الجهاد باللسان و بالقلم والتحبيذ فى توصيل الآراء الى الناس كافة • واعلم أن الأمة كلها كأنها نفس واحدة فاذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فقد نفعنا هذه النفس التى نحن كجزء منها ، وقد علمت فيما تقدم عند قوله تعالى ـ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ـ ان الأمة كلها فضلا عن الناس أجمعين يؤثر فيها جهل فرد واحد منها أو رقيه أو كسله • فنقص واحد نقص للمجموع • ويوافق هذا القول ما نقل عن عبد الله بن المبارك قال هذه الآية أوكد آية فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الله تعالى قال ـ عليكم أنفسكم ـ يعنى أهل دينكم بأن يعظ بعضكم بعضا و يرغبه فى الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات • والذى يؤكد ذلك أن معنى قوله ـ عليكم أنفسكم ـ أى احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يقول مؤلف الكتاب (التفسير) هذا هو القول الحق وإياك أن تلتفت الى قول فى أى مسألة من تفسير القرآن لا توافق الحقائق فما كل من قال أجاد وما ضل أكثر المسلمين إلا بالاتكال على أقوال بعض المتقدمين • وهذا هو تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) أى لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم ومن الاهتداء أن ينكر المنكر كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه • والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم (الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) انتهى المقصد التاسع

(المَقْصِدُ العَاشِرُ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *

قد تقدم تفسير هذا المقصد فى مقدمة السورة

(المَقْصِدُ الحَادِي عَشَرَ)

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ، قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ

تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي، فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّٰهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ * وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قوله (يوم يجمع الله الرسل) على حذف مضاف والتقدير اسمعوا خبر يوم يجمع الله الرسل (فيقول ماذا أجبتم) أى أى اجابة أجبتم (قالوا لا علم لنا) بما كنت تعلم (إنك أنت علام الغيوب) فتعلم ما نعلم مما أجابونا وأظهروا لنا وما لم نعلم مما أضمروا (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك) بدل من — يوم يجمع — والمقصود انه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وقوله (إذ) ظرف لنعمتى (أيدتك بروح القدس) قويتك بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذى يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية ويطهره من الآثام (تكلم الناس فى المهد وكهلا) أى كائنا فى المهد وكهلا أى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على حد سواء فى كمال العقل والتكلم (وإذ علمتك الكتاب) الكتابة وهى الخط (والحكمة) الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أى وعلمتك التوراة والانجيل (وإذ تخلق من الطين

كهيئة الطير باذنى فتنفخ) أى تجعل وتصور من الطين كصورة الطير فتنفخ (فيها) أى فى الطير لأنها تكون مؤنثة (فتكون طيرا باذنى وتبرئ الأكمه) أى وتشفى الأكمه وهو الأعمى المطموس البصر والأبرص معلوم (وإذ تخرج الموتى باذنى) من قبورهم أحياء (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) أى واذكر نعمتى عليك اذ كففت بنى اسرائيل الخ (اذ جئتهم بالبينات) بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقال الذين كفروا منهم) استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا (ان هذا الا سحر مبين * واذ أوحيت الى الحواريين) ألهمتهم وقذفت فى قلوبهم فهو وحى إلهام كما أوحى الى أم موسى عليه السلام (أن آمنوا بى وبرسولى) ان هنا مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) تفسيره ظاهر واذكر (اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة) أى هل اذا سألته أن ينزل علينا مائدة . المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام . انما يقال خوان أوطبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام (قال) عيسى للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) أى اتقوا الله ولا تسألوا مالا ينبغى أن يسأل عنه فى الايمان بالأنبياء لأن المحسوسات لا تؤدى الى العقائد وثبوتها كما حصل فى بنى اسرائيل اذ رأوا كثيرا من الآيات وكانوا بها يكفرون . فهذه المائدة لا تفيدكم يقينا والمفيد لليقين انما هو البحث والعلم والتنقيب لأن عالم الحس لا سلطان له على القلوب الا ظاهريا فان كنتم مؤمنين ومصدقين فلا تسألوها واتقوا الله (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال على كمال قدرة الله (ونعلم أن قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة (ونكون عليها من الشاهدين) حتى اذا استشهدتنا فنشهد عن عيان لا سماع للخبر وفرق بين الخبر والمشاهدة (قال عيسى ابن مريم) لما رأى أنهم لا يقلعون عنه (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا) العيد يوم السرور العائد (لأولنا وآخرنا) أى فنتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا لعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجىء من بعدنا * يقال انها نزلت يوم الأحد * وقيل تكون المائدة عيدا يأكل منها أول طائفتنا وآخرها (وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها (وارزقنا) المائدة (وأنت خير الرازقين) أى خير من يرزق لأنه يرزق ويعطى بلاعوض (قال الله انى منزلها عليكم) اجابة لسؤالكم كما أجيب سؤال من فى السموات ومن فى الأرض ولكن ذلك يكون على مقدار حالهم ومقتضى سؤالهم وان كان ذلك لا يتفق مع مصلحتهم كما أعطى الغنى مالا والجاهل ضياعا وقرى (فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه) أى لا أعذب ذلك العذاب (أحدا من العالمين) لأنى أعذب العلماء أكثر من الجهلاء اذا فرطوا وأنتم على حسب أخلاقكم وقوتكم رأيتم أن المائدة مقنعة لكم دالة على حقيقة النبوة وأنا لا أخلط العالم المشاهد وأخرق نواميسه الا لحكمة فاذا لم تتم الحكمة ولم تؤمنوا فاللوم عليكم وهل يكون العذاب معجلا فى الدنيا أم يؤجل للآخرة احتمالان عند العلماء وهل نزلت المائدة . قال الحسن ومجاهد . كلا لأنهم خافوا فلم تنزل فيكون معنى - انى منزلها عليكم - ان سألتم بعد هذا الانذار والتخويف . وأكثر المفسرين على انها نزلت

ونقل المفسرون انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين . اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة . ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أنواع البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد . فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة . قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله . فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى .

فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية • فقالوا ياروح الله كن أوّل من يأكل منها • فقال أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين • فقال كلوا من رزق الله لكم الشفاء ولغيركم البلاء

ويقال انها بعد أن مكثت أربعين يوما يأكل منها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء وتبقى منصوبة حتى يفيء الفيء فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل يوما ويوما لاتنزل فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة تنزل حقا من السماء فأوحى الله الى عيسى انى معذب من كفر على مخالفة ماشرطه عليهم • وهناك كلام كثير فى مسخ أناس يعدّون بالمئات ونحو ذلك وقد كتبت أهم ما جاء فى الروايات

﴿ لطيفة فى تحقيق هذا المقام ﴾

لما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد أهل العلم الذين لهم قدم صدق فى العلوم العصرية • فقال (١) كيف يذكر فى القرآن مثل هذا (٢) ومامثل هذه الحكاية الا كما نقرؤه فى ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من الذى يخترعه العقل البشرى شارحا للنفس وجالبا للانس ثم بعد هذا كله مافائدة هذا القول لنا معاشر المسلمين وأىّ فائدة لنا فى أن عيسى طلب أن تنزل مائدة من السماء

فقلت ان القرآن ليس فيه شئ من ذلك بل ليس فيه أن المائدة نزلت بدليل اختلاف المفسرين كما رأيت فالقرآن لم يذكر تلك الحكايات ولم يعلمنا ماجاء فيها بل جاء الأمر مطلقا ولم يقيده ولم يبين ما المائدة المطلوب نزولها من السماء فأما كونها كحكاية ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ فليس يضرّنا فى شئ لأن القرآن لم يذكر هذه الحكاية • قال هذا حق ولكن القرآن نفسه نزل فيه — ربنا أنزل علينا مائدة من السماء — ونزول المائدة سواء أكانت خبزا أم ملحا أم أخر ماياً كله الملوك فذلك لايمنع غرابتها فأما طهى الطعام ونظام الأكل وبهجة المائدة فهذا ليس يفرح به الا الجهلاء ولكننا لانفرق بين هذه الامور فالمائدة هى المائدة فتصريح القرآن بذلك هو الذى يحتاج للبحث

وكيف يعقل أن المائدة تنزل من السماء واذا كان ذلك غير ممكن من الطبيعة البشرية فهو غير ممكن من الأنبياء فانى قرأت لك ولغيرك أنه لولا أن الناس يرون رؤيا صادقة أو يسمعون بها عمن حولهم ماصدّقوا الأنبياء فبناء على هذا كيف نصدق شيأ ليس فى قدرتنا الحصول عليه من أنفسنا فكيف يأتى أنبياؤنا بأشياء ليست فى فطرنا حتى تبرز على يد أحد من الناس فنأنس به ونقول انه ممكن فى الفطرة البشرية والأنبياء بامتيازهم نبغوا فيه فصار معجزة لهم • ان كل شئ أحتمله الا هذه المائدة وتعقلها

فقلت له ان الاخبار بالغيب بسبب الرؤيا الصادقة كما قلت فى الفطر الانسانية مع اختلاط الحق بالباطل فيه • هكذا نرى أن فطرنا الانسانية فيها مبدأ ماجاء فى القرآن على لسان المسيح • قال وكيف ذلك

قلت نحن فى هذا المقام نلجأ الى علم آخر • قال وماهو • قلت علم الارواح • قال ان هذا العلم لا أصدقه • قلت له قل ماتشاء ولكن قولك هذا يشاركك فيه سائر الجهلاء فانى كنت فى البلاد القروية وأنا بالجامع الأزهر أسمع من الفلاحين هذا القول ويقولون عن أمور الآخرة والجنة والنار وماأشبهها • هذه أشياء أنتم كبرتموها لأجل وعظنا فهذا الانكار لافرق فيه بين المتعلم والجاهل الآن • والذى يجب أن يكون هناك فرق بحيث يقول العالم أنا لا أصدّق ولا أكذب حتى أقف على الحقيقة • هذا هو العقل والحكمة فأما انكار المتعلمين فانما هو رياء ليظهروا أمام الناس أنهم فلاسفة والانكار الآن هو الباب الأعظم لظهور الناس بمظهر العظماء والحكماء وهم فى أنفسهم ربما صدّقوا بأخس الأشياء وأنفسها • فهذا الفريق من

الناس ضرره عظيم بل يجب عليهم أن يتعلموا • قال أنا معك فى اظهار التوقف لا الانكار • قلت إذن أنت تتوقف فى علم الأرواح • قال نعم • قلت حسن وهل تظن أن أحدا منا يعرف جميع العلوم • قال كلا • قلت أفلسنا كل يوم نسمع كلام الأطباء فى الوباء والذرات الحية التى تفتك بأجسامنا ونحن لم نشاهدها وكذلك فى علم الفلك يقولون هناك نجوم لا تقل عن مائتى مليون ونحن لا نقول لهم كذبتم • قال بلى قلت فهاهنا علماء الأرواح الذين ظهروا فى أوروبا وقد قدمت الكلام عليهم فى سورة البقرة فلتقرأ كلامهم وأنا معك اننا لانوقن به ولكنا نطلع عليه حتى نبحث فيه بأنفسنا فيما بعد ويكون ذلك الكلام معرضا للبحث منا لا اننا نقلدهم • قال هذا كلام حسن • قلت اقرأ ما نقلته عنهم فى سورة البقرة فان الجمعية الانجليزية الرسمية الروحانية قررت هذا العلم وانه صحيح وأنا أطلب أن يبحث المسلمون فيه فيما بعد • قال حسن • قلت له انظر مانقلته عنهم فى كتاب الأرواح الذى ألفته وتأمل كيف جاء فيه أن للأرواح سلطة على المادة الأصلية لاتدركونها بعد وبفعل ارادة الروح تستطيع أن تضم العناصر الأصلية بعضها الى بعض وتصوغ منها شكلا على حسب ماتريد وفيه هناك أن الأرواح تقدر أن تصوغ أغذية وفواكه وأدوية وهذه الأدوية قد يبرأ بها العليل وتصيغ أطعمة • وقد ضربت الأرواح مثلا لذلك لما سألوها فقالت ان علم الكيمياء كل يوم يأتى لكم بالعجب العجاب والأرواح آلات غير آلاتكم وهى الارادة منهم وقدرة الله فوقهم وقالوا ان الروح كلما كان أرقى كان أقدر على الصنعة فى المادة وكلما كان أدنى كان أعجز • وهذا ملخص مما نقل عن المعلم (الان كاردك) وروى العلامة (والاسى) الانجليزى أن الآنسة نيثول أحضرت زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق وكانت فى منزلى فبعد أن تناولنا الشاى لأننا كنا فى فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة باحكام وما مكثنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التى جلسنا حولها كمية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقحوان الأصفر وخلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها غضة مكللة بالندى الرطب قال فيبستها كلها وحفظتها باعتناء بعد أن علقت عليها شهادة بمضاة من الحضور • ثم قال ومثل هذا الحادث تكرر مرارا فى ظروف مختلفة فى مئات المرات وفى بعض الأوقات يكون مع الزهور ثمار يطلبها الحضور • وفى بعض الجلسات طلب بعض الحضور احضار دوار الشمس ففى زمن قليل انحطت على المائدة هذه الزهرة وعلوها ستة أقدام وجرثومتها مكسوة بكومة من التراب • أنا لا أطيل فى نقل هذا فهو فى كتاب الأرواح الذى ألفته فى ذلك نقلا عن علماء أوروبا

ثم ان (والاسى) هذا قرين داروين الانجليزى صاحب المذهب المشهور وكان معتقدا لمذهبه كما يعتقد علم الأرواح ويرى هذه الزهور والفواكه فى منزله ولو كان فى بلادنا المصرية هيئات علمية منظمة لدونت ماجاء على يد رجل من بلاد الصعيد فقد شاهده مئات من القضاة والمحامين والعلماء والمديرين ماجاء على يديه من فاكهة وما كل ونقود وغرائب لايعد بجانبها ماذكره الأوروبيون شيأ وقد مات فى أوائل هذا القرن • فقال صاحبى أنا أنظر لهذا نظر من يريد أن يبحث بعد • فقلت له إذن على مقتضى هذا تكون أرواحنا فى قدرتها باذن الله متى طارت من البدن أن تكون فعالة فى المادة قادرة على أفعال فيها على حسب طاقتها باذن الله • قال تمكن • قلت والدليل على اقتراب هذا من الصحة أن النفوس البشرية يسرها جدا الروايات والخرافات التى فيها تنطلق النفس من الحبس وتسيح فى سماء الخيال غير مراعية قانون الأجساد التى حكمت عليها بالحبس فى هذه الأرض فانك تجد العامة والجهلاء الذين هم أقرب الى الفطرة اذا سمعوا الأشياء التى لايكون لها نظير عندهم بل بطريق الخيال والوهم يفرحون بها فرحا ويصدقون بها طربا • ولعمرى كيف يفرح الانسان بما ليس من طبعه وكما لايفرح الانسان بأكل المر والحريف الشديد والحار القوى والبارد الشديد • هكذا لايفرح بما ينافى طبعه فالعامة والجهلاء والأطفال يفرحون بالأحاديث التى لاتسير على النواميس المعروفة فى الأرض لأن أرواحهم مستعدة لذلك بعد خلاصها من هذا الجسد

فاذا جاء المسيح وطلب مائدة من السماء سواء نزلت كما يقوله أكثر المفسرين أم لم تنزل كما قاله أقلهم فنزولها معجزة له ولو نزلت على يد ساحر أو منوم مغناطيسي لم تعتبر معجزة كما نص عليه العلماء ان خوارق العادات لا تكون معجزات الا اذا قرنت بدعوى النبوة وكانت حال صاحبها تدل على ذلك . قال اذا سلمت لك ماذكرته وانا ننظر فى أقوال هؤلاء العلماء نظر الباحثين . وهب اننا بحثنا فوجدنا هذه الأشياء لها وجود وأن الأرواح هي كما تقول فما علاقة المسيح بعلم الأرواح . قلت ان المسيح انسان وله روح بل هو الذي أطلق عليه انه مؤيد بروح القدس ولم يقل هذا القول لى ولا لك . قال نعم . قلت فهل هناك مايمنع أن روحه الكبيرة تعطى قوة أن تفعل فعل الروح التى فارقت الجسد لشدة علوها وقوتها وسلطانها على الجسد قال ليس هناك مانع والكلام الآن مقبول

ثم قال اذا صح هذا فلم حذر الله من نزول المائدة . قلت نعم انك ان قرأت علم الأرواح تجد فيه انها لما سئلت أجابت أن الله لا يرضى بخلط العالم الروحى بالجسمى وليس يحصل هذا العمل إلا نادرا جدا لأغراض خاصة فان أهل الأرض لابد أن يعيشوا على النمط المعروف لأنهم يأكلون وهم نائمون بل انهم خلقوا ليجدوا وينصبوا ويتعبوا ولو أن الطعام أعطى لهم بلا عمل لكان ذلك عليهم وبالا ولضاع المقصود من وجودهم ولماتوا وهم لم يزيدوا ارتقاء ورقيا

قال ولكن أليس ذلك يكون برهانا . قلت البراهين الحسية لا تفيد العقول البشرية إلا قليلا ألا ترى أن بنى اسرائيل لما رأوا العصا بلعت الحيات آمنوا ولما رأوا عمل السامرى كفروا . قال بلى . قلت وأما سحرة فرعون فانهم لما رأوا أن موسى عليه السلام جاء على يديه ماهو فوق طاقتهم آمنوا وصبروا وماتوا صرعى الحقيقة وهم فرحون فهذه المائدة لا تفيد ماديا ولا معنويا . قال ومافائدتها لنا نحن المسلمين . قلت من فوائدها اننا حركنا الهمم لعلوم سوف تدخل فى الأمة الاسلامية بعد انتشار هذا التفسير وهى علوم الأرواح ومتى انتشرت يحصل هناك شكوك وأوهام وأكاذيب فيظهر حينئذ حكماء وعلماء يزيدون الناس علما وكلما حصل الأخذ والرد زاد الناس علما وارتقى النوع الانسانى وكان المسلمون أعظم ارتقاء فان الشكوك والأوهام مفاتيح المعارف فأما العقول الخامدة التى لم تحركها الشكوك والمشوقات فانها أسرع الى الفناء وأقرب الى الهلاك

ومن فوائدها اننا لا نعول إلا على المعقولات ولا نجعل علومنا كعلوم العامة الذين لا يحققون الامور فكأن هذه القصة تحث المسلمين أن يكونوا مفكرين لما علمت فى عصا موسى وسحرة فرعون وأن العلم يورث اليقين . فأما هذه المعجزات الظاهرة فانها لا تفيد إلا العامة والجهلاء وقتا ما . ألم تر الى قول الله تعالى ـ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ـ وقوله ـ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ـ فالمدار فى شريعتنا الغراء على التعقل والتفكر

وهذه القصة قد وردت هنا للرد على أولئك الذين ألحفوا فى المسألة فقال لهم الله ـ ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ـ فأورد هذه القصة لأنه كان من جملة أسئلتهم انه يأتى لهم بآية فقال لهم هذه ليريهم أن ذلك يصبح امتحانا من الله . قال صاحبى والله لقد أشبعت هذا القول فى هذا المقام وأنا واثق أن السير فى التفسير على هذا المنوال يكون معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم والا فكيف نرى أن تكون قصة المائدة لحكمة علمية وآية إلهية وفكرة قدسية وعجائب ربانية . فبذلك فليفرح المفكرون وفيه فليتنافس المتنافسون

ثم قال . لقد قال علماء الصوفية ان المائدة ههنا عبارة عن الحقائق والمعارف فانها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن قالوا فلعلهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال عيسى عليه السلام أن حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع على الحقائق فلم يقلعوا عن السؤال فسأل لأجل اقتراحهم فبين الله تعالى أن الانزال سهل ولكن فيه خطر فان السالك اذا كشف له ماهو فوق مقامه لا يحتمله

ولا يستقر له فيضل ضلالا بعيدا . قلت له هذا مقبول ولا فرق بين عالم الأرواح وعالم الأجسام كلاهما اذا أعطيناه في الدنيا بلا استحقاق كان خطرا علينا وكم من مريد سالك فتح عليه باب من أبواب الكشف فكان ذلك وبالا عليه فألهاه عن الارتقاء ومامثل أهل الكشف إلا كمثل أهل المال كلاهما أعطى قوة فاذا ظن المكشوف له أنه في مأمن من غارات الامتحانات فهو مخدوع مغرور . فالله يمتحن أرباب القوة وأرباب المال وأرباب العلم وأرباب الجمال وأرباب الكشف . وكم عند الله من درجات . وكم من مفتوح عليه أصبح بهذا الفتوح شيطانا رجيما . فقول الصوفية حق ولا فرق بين الحسيات والمعنويات في هذا المقام . فليخبر المكشوف له بالغيب وليقل مايشاء فليس هذا كل شئ وما ذلك إلا من القوى التي أودعها الله فينا وخبأها الى أمد معلوم حتى تظهر بعد حفظها لنا فأما اذا أسرفنا فيها فان ذلك يكون كالاسراف في المال ولنقف بالأدب مع الله والله هو الولي الحميد . انتهى الكلام على مائدة عيسى عليه السلام

إذن فلنرجع الى تفسير آخر السورة . فنقول (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب * ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا * رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير) هذه صورة خطاب الله عز وجل وجواب المسيح عليه السلام له يوم القيامة حين يجمع الرسل ويسألهم عن أممهم فيقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب فيكون العلم لله عز وجل ولقد قال في الآية السابقة — ماعلى الرسول الا البلاغ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون — وقد بين لكم الرسول مناسككم وعباداتكم وأخلاقكم فعليه البلاغ وعلينا الحساب

فيسأل عيسى عليه السلام قائلا — أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله — أي متوصلين بنا الى عبادة الله عز وجل فان مريم والمسيح في العبادة أنقص مرتبة من رتبة الله عز وجل وعبادتهما توصل لعبادته عندهم . هذا معنى ماقاله البيضاوي رحمه الله فأجابه المسيح عليه السلام أحسن اجابة بأربع جمل ﴿الجملة الأولى﴾ دالة على آدابه وأخلاقه الفاضلة وشمائله وسجاياه وهي هل يتسنى لي الكذب أو يليق بي وأنا عبدك ونبيك أن أتطاول لمقامك وأدعي الالوهية وهل يسامي العبد سيده والمربوب الرب والمخلوق الخالق واذا قبح الكذب على الناس فأقبح به على رب الأرباب والعالم بما في الألباب فهذا بعض معنى قوله — ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق — ﴿الجملة الثانية﴾ الاستشهاد بعلمه والاحتجاج باطلاع الرب العليم على مانطق به المسيح فقال — إن كنت قلته فقد علمته — ﴿الجملة الثالثة﴾ تقرير للثانية واثبات لها واعتراف بالقصور في العلم فقال — تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك — وأكدها بالرابعة فقال — انك أنت علام الغيوب — في السموات والأرض ومابينهما . ثم أخذ يشرح ماقاله بأقصر عبارة فقال — ماقلت لهم إلا ماأمرتني به — وهو عبادة الله — ربي وربكم — ثم شرح المراقبة منه وهو حي فقال — وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم — أي رقيبا أمنعهم من ذلك القول أو كنت مشاهدا لأحوالهم من كفر وايمان — فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم — المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته بما تنزل عليه من الآيات وماتنصب له من الدلالات وماتبعث من رسلك بالكتب والآيات — وأنت على كل شئ شهيد — مراقب له مطلع عليه — قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم — فالصادقون في الدنيا في العلم والعبادة يتبين صدقهم يوم القيامة ويجازون عليه — لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم * لله

ملك السموات والأرض ومافيهن وهو على كل شئ قدير ـ هذا ظاهر واضح تأمل هذه المحاورة التي قصها الله عزّ وجل مما سيكون في يوم القيامة بينه وبين سيدنا عيسى عليه السلام وتأمل كيف يقول انى راقبتهم فى الدنيا وأنت إذ توفيتنى . والتوفى أخذ الشئ وافيا فالموت توف والرفع الى السماء توف والمراد هنا الرفع فقط ـ كنت أنت الرقيب عليهم ـ

وارجع ان شئت المزيد الى انجيل برنابا فقد شرح حال النصارى فى حياة المسيح عليه السلام وكيف كانوا يعبدونه . وكيف كان يتبرأ منهم . وكيف رفع الأمر لقيصر الروم ليصد الناس عن عبادته . وكيف كان يبكى ويقول مامعناه ﴿ستظلم الأرض بعدى﴾ وكيف استغاث ورفع صوته صارخا وقال ياأخى يامسيا . وكيف سأله برنابا من مسيا . وكيف أجابه بقوله محمد حبيبى رسول الله . فمن أراد استيفاء هذه المعانى كلها فليقرأ انجيل برنابا المذكور الذى كان سرّا مكتوما عند بابا رومة ببلاد ايطاليا من أيام سيدنا المسيح الى أن أظهره عظيم من عظماء الانجليز وأسلم وأسلم كثير من الناس معه . وياحسرة على المسلمين الغافلين فان هذا الانجيل لم ينتشر بيننا إلا قريبا وقد طبع فى (مجلة المنار) فليعلم المسلمون هذا الانجيل وليقرؤه وليعلموا غرائب القرآن وبدائعه . ولن يفهمك هذه الآية حق فهمها إلا الاطلاع على ذلك الانجيل فانه أقرب الى التنزيل وقد تقدم فى سورتى البقرة وآل عمران من هذا الانجيل مقتطفات شتى

﴿ لطائف ـ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل فى هذا المقام برأ المسيح عليه السلام من كل ما ألصقه به النصارى من الألوهية . ذلك أنهم لما رأوا صفات عالية وأخلاقا سامية وشمائل غالية قدّسوه تقديسا وعظموه ورفعوه الى مقام الالوهية ذلك لما فى طباع البشر من الضعف وقصور النظر . ومامثلهم فى ذلك إلا كمثل من يعشق رسول حبيبه جهالة وغباوة . هكذا ترى الناس فى الاسلام وفى الديانات الأخرى اذا شاهدوا ذا صفات حميدة جميلة دينية أغرموا به ولسوا دينهم الذى ماأحبوا هذا الصالح الا لأجله . ذلك الجهل مشاهد فى أمتنا الاسلامية . ترى كثيرا من تلاميذ رجال الطرق يجعلون شيوخهم فوق كل شئ ويجعلون الحب خالصا لهم مع ان الحب يجب أن يكون لله عزّ وجل خاصة . واذا تغنى أولئك الجهلة بكرامات أولئك الشيوخ فهم لايصلون فى كراماتهم الى مقام المسيح الذى خلق الله على يديه طيرا من الطين ونفخ فيه وكان طيرا باذن الله . فاذا كان المسيح عليه السلام مع هذه المزايا يقول ـ ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به الخ ـ ويتبرأ مما نسبوه اليه فكيف يكون هؤلاء الشيوخ . ان الله عزّ وجل ذكر هنا أنه أكرم المسيح بمزايا منها خلق الطير . ثم أتبع ذلك كما سأوضحه فى أوّل سورة الأنعام ان شاء الله بأنه خلقنا معاشر بنى آدم من طين كأنه يقول ثكلتك أمك أيها الانسان أتغرم بالمسيح لأنى خلقت الطير على يديه ولاتغرم بى أنا وأنا خلقتك أنت من الطين فاذن أنا خلقت من الطين من هو أفضل من الطير وهو أنت فكيف تنسانى وتذكره أوتعبده . هكذا أيها المسلم الجاهل كيف تنسانى بشيخك ولو كان وليا وهو لم يعط ما أعطى المسيح . وكيف تكون أقصر نظرا من النصارى جاوزوا الحدّ فى حب المسيح وأنت أيها المسلم ربما نسيت نبيك وربك بشيخك . اقرأ مافى السموات ومافى الأرض فذلك هو المطلوب منك تلك آثارى ومن أحب أحدا درس آثاره ونطق بأخباره فما معجزات الأنبياء ولا كرامات الأولياء فى جانب مخلوقاتى وبدائع سمواتى وغرائب حكمتى إلا كما يأخذه منقار الطائر اذا شرب من البحر . إن العامة من المسلمين ومن المسيحيين لغفلتهم لايرفعون نظرهم الى عجائب ربهم التى أشار اليها هنا فى آخر السورة فقال ـ لله ملك السموات والأرض ومافيهن وهو على كل شئ قدير ـ وابتدأ سورة الأنعام بذكر أن ـ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ـ إذن فما خلق الطير على يدى المسيح وما كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء . أيها الناس لايصدنكم أفضل المخلوقات عن النظر فى عجائب

خالقكم القدير

هذا ويناسب هذا المقام ماجاء فى انجيل برنابا (من صفحة ١٧٨ وما بعدها)

﴿ قال المسيح عليه السلام . حكاية ايليا (الياس) ﴾

حدث فى زمن النبى ايليا أن ايليا رأى رجلا ضريرا حسن السيرة يبكى فسأله قائلا لماذا تبكى أيها الأخ أجاب الضرير أبكى لأنى لا أقدر أن أبصر ايلياء النبى قدوس الله . فوبخه ايلياء قائلا كف عن البكاء أيها الرجل لأنك ببكائك تخطئ . أجاب الضرير ألا فقل لى أرؤية نبى الله الذى يقيم الموتى وينزل نارا من السماء خطيئة أجاب ايليا انك لاتقول الصدق لأن ايليا لا يقدر أن يأتى شيأ مما قلت على الاطلاق فانه رجل نظيرك لأن أهل العالم بأسرهم لايقدرون أن يخلقوا ذبابة واحدة . فقال الضرير انك تقول هذا أيها الرجل لأنه لابد أن يكون قد وبخك ايليا على بعض خطاياك فلذلك تكرهه . أجاب ايليا عسى أن تكون قد نطقت بالحق لأنى لو أبغضت ايليا أيها الأخ لأحببت الله وكلما ازددت بغضا لايليا زدت حبا فى الله . فاغتاظ الضرير لذلك غيظا شديدا وقال لعمر الله انك لفاجر أيمكن لأحد أن يحب الله وهو يكره نبى الله انصرف من هنا لأنى لست بمصغ اليك فيما بعد . أجاب ايليا أيها الأخ انك لترى الآن بعقلك شدة شر البصر الجسدى لأنك تتمنى بصرا لتبصر ايليا وأنت تبغض ايليا بنفسك فأجاب الضرير ألا فانصرف لأنك أنت الشيطان الذى يريد أن يجعلنى أخطئ الى قدوس الله . فتنهد حينئذ ايليا وقال بدموع انك لقد قلت الصدق أيها الأخ لأن جسدى الذى تود أن تراه يفصلنى عن الله . فقال الضرير انى لا أود أن أراك بل لو كان لى عينان لأغمضتهما لكى لا أراك . حينئذ قال ايليا اعلم أيها الأخ انى أنا ايليا . أجاب الضرير انك لاتقول الصدق . حينئذ قال تلاميذ ايليا أيها الأخ انه ايليا نبى الله بعينه . فقال الضرير اذا كان النبى فليقل لى من أى ذرية أنا وكيف صرت ضريرا . أجاب ايليا انك من سبط لاوى ولأنك نظرت وأنت داخل هيكل الله الى امرأة بشهوة على مقربة من المقدس أزال إلهنا بصرك . فقال حينئذ الضرير باكيا اغفر لى يانبى الله الطاهر لأنى قد أخطأت اليك فى الكلام وانى لو أبصرتك لما كنت أخطأت فأجاب ايليا ليغفر لك إلهنا أيها الأخ لأنى أعلم انك فيما يخصنى قد قلت الصدق لأنى كلما ازددت بغضا لنفسى ازددت محبة لله ولو رأيتنى لخمدت رغبتك التى ليست مرضية لله لأن ايليا ليس هو خالقك بل الله . ثم قال ايليا باكيا انى أنا الشيطان فيما يختص بك لأنى أحولك عن خالقك فابك إذن أيها الأخ اذ لم يكن لك نور يريك الحق من الباطل لأنه لو كان لك ذلك لما احتقرت تعليمى لذلك أقول لك ان كثيرين يتمنون أن يرونى ويأتون من بعيد ليرونى وهم يحتقرون كلامى . لذلك كان خيرا لهم لخلاصهم أن لا يكون لهم عيون لأن كل من يجد لذة فى المخلوق أيا كان ولا يطلب أن يجد لذة فى الله فقد صنع صنما فى قلبه وترك الله . ثم قال يسوع متنهدا أفهمتم كل ماقاله ايليا . أجاب التلاميذ حقا لقد فهمنا واننا حيارى من العلم بأنه لايوجد على الأرض إلا قليلون من الذين لايعبدون الأصنام . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

بينما أنا أكتب هذا اذ دخل على صديق لى فاطلع على هذا التفسير فقال

(س) أيها الأخ نزل القرآن لوعظنا وارشادنا وهدايتنا الى الصراط المستقيم فما الفائدة الواضحة فى هذه الآيات القرآنية

(ج) ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الله سيجمع الرسل ويسألهم قائلا بماذا أجبتم توبيخا لأممهم وتقريعا لتابعهم فيتبرأ الأنبياء مما أحدثت أممهم بعدهم ويردون العلم اليه جل جلاله ﴿ الفائدة الثانية ﴾ ماحكاه الله من سؤال المسيح عليه السلام وانه لا يكذب على الله وأن الله أعلم بهم وانه كان يراقبهم فى حياته فلما رفع الى السماء تخلى عن ذلك ولا علم له بهم الخ ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ ان الأنبياء لايسألون عما أحدثت الأمم بعدهم

والأمم معاقبة على ظلمها مؤاخذة بجهلها

(س) هذه قواعد عامّة فعلم الله بالأشياء وتوبيخ الأمم عما أحدثت وتنصل الأنبياء من ذلك أمور عامّة وأنا أريد عظة للأمّة الاسلامية بحيث يفقهها الفقهاء والفلاحون وسائر الطبقات

(ج) اعلم أن الله عزّ وجل وسعت حكمته وعلمه الدنيا والآخرة ولقد علم جلّ جلاله وعزّ كماله أنّ المسلمين بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم سيغير سفهاؤهم من شريعتهم - ويحرّفون الكلم عن مواضعه - فقصّ القصص الذى سمعته عن النصارى ونبيهم ليتعظ المسلمون بذلك وليستيقظوا وليعلموا أن الذنب واقع عليهم والجرم محيط بهم والاثم غلّ فى أعناقهم اذا غيروا الشريعة وبدّلوا تلك الحنيفية البيضاء والسنة السمحة الغرّاء

(س) هذا ما كنت أبتغيه وأتربصه منك وأرتجيه فقل لى ماذا فعل المسلمون قديما وحديثا وبماذا عذّبهم الله عز وجل وما الدواء لهذا الداء

(ج) اعلم أن أمّتنا الاسلامية قد حدث فيها مثل ما كان فى دين اليهود والنصارى من الفرق سواء بسواء كما روى عن وهب بن بقية عن خالد بن عبدالله عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرّقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمّتى على ثلاث وسبعين فرقة . وان كان فى الحديث مقال

(س) وهل علم ذلك العلماء

(ج) نعم ذكر هذه الفرق الاسلامية الاستاذ أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى رضى الله عنه

(س) هل تتذكر بعض هذه الفرق حتى أستدل بها على باقيها وهل تذكر لى أثرا سيئا فى الأمّة الآن مما اختلقه أهل الضلال وافتراه أهل العصيان فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل

(ج) أذكر منهم قوما يقال لهم السبئية

(س) ما أخبارهم وبماذا خرجوا عن الاسلام

(ج) السبئية أتباع عبدالله بن سبا الذى غلا فى سيدنا علىّ كرّم الله وجهه وزعم انه كان نبيا ثم غلا فى ذلك وزعم انه إله وتبعه قوم من جهلة الكوفة . فلما رفع خبرهم اليه كرم الله وجهه أمر باحراقهم وقال مثل هذا القول رجل يهودى اسمه عبد الله بن السوداء أراد أن يفسد على المسلمين دينهم فقال انه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا وأن عليا وصى محمد صلى الله عليه وسلم وانه خير الأوصياء كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء فلما سمع منه ذلك شيعة على قالوا له كرم الله وجهه انه من محبيك فرفع قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه انه غلا فيه وعدّه إلها فهم بقتله لولا مخافة أن يشمت أهل الشام فلما قتل سيدنا على كرم الله وجهه تغالى ابن السوداء فى هذه الدعوة وقال للناس والله لينبعنّ لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته ولم يرد بذلك ابن السوداء الا تضليل المسلمين ليقولوا فى سيدنا علىّ ماقالت النصارى فى المسيح فنشأت الفرقة المسماة (السبئية) من الرافضة . ولما قتل سيدنا علىّ قال ابن سبا ان المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصوّر للناس فى صورة علىّ وأن عليا صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى ابن مريم قال وكما أن اليهود والنصارى رأوا شخصا مصلوبا يشبه عيسى وليس عيسى هكذا كذبت الناس فى قولهم قتل علىّ وماقتل علىّ وانما شبه لهم ولقد زعم بعضهم انه كرّم الله وجهه فى السحاب وأن الرعد صوته ومن سمع صوت الرعد من هؤلاء قالوا عليك السلام يا أمير المؤمنين وقد زعموا انه هو المهدىّ المنتظر ينزل فى آخر الزمان من السماء ويملك الأرض بحذافيرها

(س) إذن هذه الفرقة أشبهت النصارى والنبى صلى الله عليه وسلم برىء منهم ولكل امرئ منهم يوم

القيامة شأن يغنيه فهل تذكر فرقة أخرى . قلت نعم

(ج) (البيانية) أتباع بيان بن سمعان التميمي زعموا أن الامامة صارت من محمد بن الحنفية الى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه حتى ادّعى هو أنه المذكور في القرآن في قوله ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ـ فقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة وزعم هذا الفاجر انه يعرف اسم الله الأعظم . فلما وقع في أسر خالد بن عبد الله في زمان ولايته بالعراق قال له خالد ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك ثم قتله وصلبه . فهذه الفرقة كافرة والنبي صلى الله عليه وسلم بريء منها

(س) زدنا من هذا . فقلت

(ج) وهناك فرقة تسمى (الزيدية) يقولون بامامة زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في وقته وامامة يحي بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن علي قد بايعه على امامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبدالملك على العراقين فلما التقى الصفان واختلف القنا وكاد يحتدم وطيس الهيجاء بينه و بين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له انا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدّك علي بن أبي طالب فقال سيدنا زيد رضي الله عنه ورفع درجته في أعلى عليين (اني لا أقول فيهما الا خيرا وماسمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا واني خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدّي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني) ومن يومئذ سموا رافضة ولم يثبت معه الا مائتا رجل ثبتوا حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد رضي الله عنه ثم صلب وهكذا قتل ابنه يحي بجهة جوزجان حين خرج على نصر بن بشار والى خراسان . فانظر كيف غرّ هؤلاء القوم ذلك السيد العظيم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموه لعدوّه وانتحلوا قولا ما أنزل الله به من سلطان وكيف اختلقوا الأسباب وجعلوا ذم العمرين أجرا لنصره . أفلا يبرأ رسول الله من أولئك الجاهلين ويكل أمرهم الى الله يوم الدين ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ـ

(س) لقد أطلت في سؤالك واني خفت أن أكون أثقلت كاهلك وحملتك فوق طاقتك ولكن المقام يحتاج لشرح فزدني من هذه الأخبار فما أشبه هؤلاء بالكفار

(ج) ليس يحضرني من الفرق الضالة الآن الا فرقة اسمها (الكيسانية) وامامهم المختار بن أبي عبيد الثقفي دعا الناس الى امامة محمد بن الحنفية واستولى على عرش الكوفة وقد قتل من رجال الكوفة كل من قاتلوا سيدنا الحسين رضي الله عنه . ومن العجب أن هذا الرجل يدعو الناس لامامة محمد بن الحنفية ويملك الكوفة والجزيرة وبلاد أرمينية . ثم يضله قومه ويغره شياطين الانس فيقولون له أنت حجة هذا الزمان فيدّعي النبوّة ويزعم انه يوحى اليه وصار يسجع كما تسجع الكهان ومن خطبه ما يأتي

الحمد لله الذي جعلني بصيرا ونوّر قلبي تنويرا والله لأحرقنّ بالمصر دورا ولأنبشنّ بها قبورا ولأشفين منها صدورا الخ ألا تتعجب كيف كانت هذه المصائب منصبة على أمّتنا الاسلامية وكيف يضل هذا الكافر الناس ولا يخاف الله رب العالمين

ولما أن سمع محمد بن الحنفية بهذا خاف من جهة الفتنة في الدين فأراد القدوم اليه بالعراق ليصير الى الذين اعتقدوا امامته التي دعا لها المختار . فلما سمع المختار ذلك خاف من قدومه العراق وذهاب رئاسته وولايته فقال لجنده أنا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلده فهو المهدي وانتهى قوله هذا الى ابن الحنفية فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة

أليس أمثال هذا أحق ببراءة الرسول ومثلهم فى الاسلام كمثل الذين ذكرهم الله فى سورة المائدة من الفرق الضالة

(س) لعله آن الأوان أن تطلعنى على آثار تلك الضلالات اليوم

(ج) ان المسلمين اليوم تفرّقوا فرقا وذاق بعضهم بأس بعض بالبدع المنكرة التى قذفت فى قلوبهم والأقاويل التى خيمت بظلامها على عقولهم وباضت طيورها فى أعشاش أدمغتهم وأخرجت فراخ الجهل المخجل . ألا ترى كيف فعل المهدى بالسودان وتبعه الخليفة التعايشى وكيف أفتى بحل نساء المصريين وبناتهم الى أوغادهم بلا عقد يعقدونه ولا كتاب ولا سنة مدّعيا أن من لم يؤمن ببيعته فهو من الكفرة الفجار والجهلة الأشرار . ولئن سألته بماذا استحللت الحرام واستعبدت الأنام وفعلت الآثام قال لك ذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل والخضر الجليل . أوليس المهدى السودانى أشبه بالمختار بن عبيد فى دعوته بل المهدى توغل فى الضلالة فدعا لنفسه وافترى اثما على ربه والتعايشى الجهول كان وارث دعوته والقائم بملكه حتى طاحت البلاد ونعب بها الغراب وذهبت الآمال وضاعت الأموال وقطعت الرؤس وزهقت النفوس واستحال الدرهم والدينار الى فلوس وكان ما كان من استئصال القبائل وصار الرجال هناك قلائل فلا حول ولا قوّة الا بالله

لولا البدع المنكرة ماتناكر الفارسى والتركى ولا تقاطع المراكشى والأفغانى ولا تدابر العربى والتركى

لقد قال العلامة (ادوارد براون) الانجليزى لقد قدمت تقريرا ضافيا عن حال المسلمين من فرس وترك وشيعة وسنيين أيتحدون أم يبقون مختلفين فكتبت ألا طمع فى اجتماعهم ولا محيص من تفرقهم إذ يقولون سنيون وشيعيون ولله فى خلقه شؤون

هذا ولقد قرأت بعض ما كتبه السياحون الفرنسيون بمراكش وكيف يملكون البلاد بلا ضرب ولا جلاد فاتفقت كلمتهم وأجمع رأيهم على أن المسلمين لا يخضعهم إلا استمالة شيوخ الصوفية وارضاء أمرائهم . فنى أخذ شيوخهم باللين والشدة والوعد والوعيد وأغدقت عليهم النعم كما يهددون بالنقم لانت شرتهم وأمكن أن تسام الأمة الخسف فانهم فى لجة الجهل غارقون وفى عذاب جهنم الضلال تائهون فكان ما كان من توالى الآلام على بلاد الاسلام فلولا الجهالة ماهلك المسلمون وبلغنا أن الكتانى هناك من كبار الصالحين آذاه الفرنسيون كثيرا لأنه يحافظ على بلاده

(س) دع ذكر الأمم والممالك واذكر حكاية صغيرة يعرفها الفلاحون ويفهمها المزارعون الذين يعقلون

(ج) نعم ﴿الأولى﴾ قابلنى من ٢٠ سنة مزارع صغير من قريتنا (كفر عوض الله حجازى) . فقال ماذا ترى فى أمرنا . فقلت ماذا . فقال امرأتى فى حاجة الى ثوب تلبسه ولست أملك الا عنزا تساوى ٤٠ قرشا وقد قام الناس الى مولد سيدى أبى مسلم الكبير فان أرضيت أبا مسلم أعريت زوجتى وان كسوتها أغضبت أبا مسلم رضى الله عنه . فقلت أأنا أكرم أم أبو مسلم . قال أبو مسلم . قلت فاذا تصدقت علىّ الآن فهل ترانى أقبل منك . قال كلا . قلت إذن أبو مسلم وهو أكرم منى غنى عن صدقتك وتفكر فى الأمر من وجه آخر . اذا كان أبو مسلم حيا وألقيت له هذه المسألة أفتراه مع غناه وفقرك يقبل عطاءك أم يعطيك قال بل يعطينى . قلت فهل أبو مسلم الكريم بعد أن لقى مولاه وتنعم بالحور والولدان وحظى بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه تنزلت درجته وترك الله وجماله والحور والولدان والنبى والاخوان ثم بحث عن الفلاحين المساكين الذين لا يجدون ماينفقون . فقال هذا كلام حق ولكن أخاف أن يقتل أولادى ويخرب دارى ولكن (من قلد عالما لقى الله سالما) وقد وضعتها فى رقبتك وسأكسو زوجتى ان شاء الله بثمن العنز . فقلت إذن اهتديت فان سوّلت لك نفسك الخوف وقذف الشيطان فى قلبك الرعب فقل لأبى مسلم ان فلانا هو الذى أغرانى وكسوت زوجتى بثمن عنزى

﴿المسألة الثانية﴾ قال لى عمى الشيخ محمد شابى رحمه الله تعالى هل لك أن أريك عجيبة ، قلت نعم قال با جوده

قال نعم قال له احلف انك ماسرقت من حديقتنا العنب . قال له بماذا أحلف . قال بالله خالف . فقال احلف بأبى مسلم . قال لا . فقال لماذا . فقال ان الله واسع رحيم وأبو مسلم ضيق الصدر فأخاف أن يبطش بى ويقتل أولادى

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قابلنى هذا العام أحد أهل العلم بقريتنا . فقال أقص عليك قصصى مع زوجى . فقلت نعم . قال زرت أنا وهى أمس ضريح السيدة نفيسه رضى الله عنها فطلبت منى ريالا كنت نذرته فأبيت أن أعطيها ولجت فى طلبها ولججت فى منعى فلما أن خيم الظلام وضرب النوم الخيام وأخذ الكرى بمعاقد الأجفان جاءتنى السيدة رضى الله عنها وأرضاها وأخذت تعدو ورائى عدوا حثيثا وتقول أيها الملعون كيف تظن أنى لابركة فى فلاتدفع الريال الى والله لأعذبنك حتى تصدق بكرامتى وتخضع لسطوتى قال وما زالت تطاردنى حتى انفلق عمود الصباح وقال المنادى حى على الفلاح . قال هذا وكان أربعة رجال حاضرين من متعلمى قريتنا والأميين . فقلت يافلان أيهما أقرب الى دار الكرامة وأبعد عن دار اللؤم والقبح ومن الذى صار أقرب معرفة بربه وأبعد عن مفارقة ذنبه أنحن الأحياء أم أولئك الذين صاروا فى جوار مولاهم . فقال بل أولئك الذين فى جوار مولاهم . فقلت إذن السيدة رضى الله عنها صارت عارفة بربها الآن أكثر من الأحياء . قال نعم . قلت لو أن رجلا جاءنى وأبلغنى أن رجلا عظيما أخذ يذمنى ويضرب بكلامى عرض الحائط ويقول أنا لا أعبأ بآرائه ولاأصدق مايقول . لو أنى بلغت هذا لكبرت نفسى أن تهتم بمقاله أوتعير أذنا لكلامه وأنا أمامك على ماترى فى الدنيا دار اللؤم والجهل فكيف بمن شرف قدرها وعظم سرها وعلا نسبها وقربت من ربها فهل تتنزل عن مقامها الرفيع فى جنة الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم وتجرى وراءك تقول صدق بكرامتى ومن أنت حتى تبحث عنك سيدة أكثر المؤمنات

وكيف يظن الفلاح المسكين أن السيد البدوى رضى الله عنه والرفاعى والدسوقى يتنزلون من سماء عظمتهم ويهرولون وراءه فى الغيطان ليلتقطوا منهم دراهم أوليفرحوا بالتفافهم حول أضرحتهم فى الموالد المعروفة

فلما سمع الحاضرون مقالى أمنوا عليه وقالوا والله إنا لفى ضلال مبين وكيف يتجاوز ساداتنا الأولياء أغنياء التجار والعظماء وناظر النظار والوزراء والمأمورين وأصحاب القصور الشاهقة ـ والخيل المسومة والأنعام والحرث ـ ثم يجرون وراء من لايملك قوت يومه وليس عنده من نقير ولاقطمير

(س) إذن النبى صلى الله عليه وسلم سيتبرأ من هذه الأعمال يوم القيامة ويقول ـ لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب ـ وهو برىء من كل ماسطرته يد الجهل فى أدمغة الجاهلين الذين يقولون ان الأولياء يغضب بعضهم من بعض ويكره بعضهم بعضا ويقلدهم الناس فى ذلك وهم برآء مما يتقوله الجاهلون . وعلى ذلك ضل الناس فى مسألة الزار إذ يقولون ان الشيوخ حضروا أوغابوا كما ضلوا بأفعال المغاربة الدجالين والجهلة النصابين

(ج) اللهم انا نبرأ اليك من الكتمان ونقول نحن نصحنا للأئمة وكلمنا الخاصة كما أوضحنا للعامة فمن عقل فاز ومن جهل فانه من حزب الشيطان ـ ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ـ

(س) فما الدواء لهذا الداء وماذا يصنع المسلمون

(ج) الرجوع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(س) هذا كلام عام وما ابتدع مبتدع إلا وقال انى أتبع الكتاب وادعى أنه على منهج السنة فائتنا بقول فصل

(ج) يجب على المسلمين فى أقطار الأرض أن يعمموا التعليم وينظروا فيما خلق الله عزوجل من العوالم العجيبة ويتفكروا ويتأملوا وينتفعوا بما أودع فى هذا العالم من الصنائع المحكمة والعجائب المبدعة اه

خاتمة

﴿ خاتمة السورة ﴾

﴿ معجزات القرآن فى آخر الزمان ﴾

هل لك أيها الذكى أن أحدثك عن هذه الآيات وعجائبها . وكيف يقول الله لعيسى — أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله — وكيف يجمع الله الرسل ويسأل عيسى ابن مريم خاصة فيبرأ عيسى مما فعل النصارى . الله أكبر ظهر السر فى هذا العصر وتبين أن الأناجيل منقولة عن كتب الهند فنها مانقل عن كتب كرشنة والخرافات الشائعة حوله ومنها مانقل عن كتب (بوذا) ان هذا لعجب عجاب . ان هذا التفسير حظه عظيم فقد جاء فى زمن انكشاف الحقائق . أفلا ترى الى ماجاء فى كتاب ﴿ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ﴾ وكيف كانت الحقائق التى فيه منقولة عن ثمانية وأربعين كتابا مؤلفا باللغات الأفرنجية مثل كتاب ﴿ ألن الهند ﴾ ومثل كتاب ﴿ أمبرلى تحليل الايمان ﴾ ومثل كتاب ﴿ الأديان القديمة ﴾ الخ فهل لك أن أطلعك ناقلا من الكتاب على أن الأناجيل منقولة خرافاتها بالحرف من خرافات الهنود مصداقا لهذه الآيات اذ تبرأ المسيح من أكاذيبهم وبقى علينا أن نبين مصادر تلك الأكاذيب . جاء فى هذا الكتاب مانصه

﴿ مقابلة النص الصريح بين كرشنة ويسوع المسيح ﴾

(وهو مقابلة مايقوله الهنود الوثنيون عن كرشنة بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله
كرشنة هو (الخلاص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)	يسوع المسيح هو (الخلاص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس)
١ ولد كرشنة من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه (كذا) بسبب طهارتها وعفتها	١ ولد يسوع من العذراء مريم التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها
٢ قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة ابن الله وقالوا (يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة)	٢ فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيها المنعم عليها الرب معك
٣ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذى ظهر فى السماء	٣ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه فى المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته
٤ لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا وترنم السحاب بأنغام مطربة	٤ لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحا وسرورا وظهر من السحاب أنغام مطربة
● كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر	● كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه (ملك اليهود) ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار
٦ لما ولد كرشنة أضىء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكى يرسل أشعة نور مجد	٦ لما ولد يسوع المسيح أضىء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عينى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار
٧ ومن بعد ماوضعته صارت تبكى وتندب	٧ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل (يامريم

كرشنة

سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها

٨ وعرفت البقرة أن كرشنة الله وسجدت له

٩ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدّموا له هدايا من صندل وطيب

١٠ وسمع نبيّ الهنود (نارد) بمولد الطفل الآلهى كرشنة فذهب وزاره فى (كوكول) وفحص النجوم فتبين له من فحصها انه مولود آلهى يعبد

١١ لما ولد كرشنة كان (ناندا) خطيب أمّه ديفاكى غائبا عن البيت حيث أتى الى المدينة كى يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد كرشنة بحال الذّل والفقر مع انه من عائلة ملوكانية

١٣ وسمع (ناندا) خطيب ديفاكى والدة كرشنة نداء من السماء يقول له قم وخذ الصبى وأمّه فهرّبهما الى (كاكول) واقطع نهرجمنه لأن الملك طالب اهلاكه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الآلهى وطلب قتل الولد ولكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة

١٥ واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة (مطرا) وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة انه ابن الله وانه الله الى يومنا هذا

١٦ كانت ولادة القديس (راما) قبل ظهور كرشنة فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى (قانسا) ملك البلاد فى اهلاك القديس (راما) واهلاك كرشنة أيضا

١٧ وربى كرشنة بين الرعاة ولما جىء به الى (مطرا) كان فى احتياج عظيم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة

يسوع المسيح

أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى اليك وقد أتيت لاخلص العالم)

٨ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له

٩ وآمن الناس بيسوع المسيح وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر

١٠ ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيردوس الملك إذ المجوس من المشرق قد جاؤا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود

١١ ولما ولد يسوع كان خطيب أمّه غائبا عن البيت وأتى كى يدفع ماعليه من الخراج للملك

١٢ ولد يسوع المسيح بحالة الذّل والفقر مع انه من سلالة ملوكانية

١٣ وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كى يأخذ الصبى وأمّه ويفرّ بهما الى مصر لأن الملك طالب اهلاكه

١٤ وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الآلهى وطلب قتله ولكى يتوصل الى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها يسوع المسيح

١٥ واسم المدينة التى هاجر اليها يسوع المسيح فى مصر لما ترك اليهودية هى (المطرية) ويقال انه عمل فيها آيات وقوات عديدة

١٦ وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيردوس فى اهلاك يوحنا كما سعى فى اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع المسيح

١٧ وأرسل يسوع المسيح الى عند المعلم ذاخوس كى يعلمه فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل (ألف) فقال الرب يسوع أخبرنى أوّلا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول (الباء) فتهدّد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى

كرشنة	يسوع المسيح
	الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب أي بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبره عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب
١٨ وفي أحد الأيام كان كرشنة سائرا مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة الى المكان الذي عينه لها هذا الملك	١٨ وفي شهر آذار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم . واذا مرّ بهم أحد كانوا يأخذونه غصبا و يأمرونه بالسجود للملك
١٩ وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر اليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا أحياء	١٩ و بينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذلك الصبي بيده فعاد الى حال صحته
٢٠ وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون في غار فخلق كرشنة أصحابا وعجولا مثلهم في الشكل والهيئة	٢٠ وأخفى الأولاد الذين كانوا يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا الى هيئة جداء (أي جديان) فناداهم يسوع تعالوا الى هنا يا أيها الأولاد لنلعب فأعيدت تلك الجداء الى هيأتهم الأولى صبيانا
٢١ وأوّل الآيات والعجائب التي عملها كرشنة شفاء الأبرص	٢١ وأوّل الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص
٢٢ وأتى الى عند كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها اناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وزباد وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية وسكبت الباقي على رأسه	٢٢ وفيما كان يسوع في منزل عنيا في منزل سمعان الأبرص تقدّمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ
٢٣ كرشنة صلب ومات على الصليب	٢٣ يسوع صلب ومات على الصليب
٢٤ لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شرّ عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء نارا ورمادا وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض وشاهد الناس ألوفا من الأرواح في جوّ السماء يتحاربون صباحا مساء وكان ظهورها في كل مكان	٢٤ لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوّعة وانشقّ حجاب الهيكل من فوق الى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم
٢٥ وثقب جنب كرشنة بحربة	٢٥ وثقب جنب يسوع بحربة
٢٦ وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتي الى السماء مسكن الآلهة	٢٦ وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه (الحقّ أقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس)
٢٧ ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات	٢٧ ومات يسوع ثم قام من بين الأموات

كرشنة

٢٨ ونزل كرشنة الى الجحيم

٢٩ وصعد كرشنة بجسده الى السماء وكثيرون يشاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتي كرشنة الى الأرض في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء

٣١ وهو أي كرشنة يدين الأموات في اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن كرشنة انه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي

٣٣ كرشنة الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء

٣٤ لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى واعادة المخلوع كما كان أولا ونصرة الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه . وكان إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٥ كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير

٣٦ وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلي اجتمع في كرشنة إله الآلهة فأحنى أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام الآن رأيت حقيقتك كما أنت واني أرجو رحمتك يارب الأرباب فعد واظهر لي في ناسوتك ثانية أنت محيط بالملكوت

٣٧ وكان كرشنة خير الناس خلقا وخلقا وعلم باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت

يسوع المسيح

٢٨ ونزل يسوع الى الجحيم

٢٩ وصعد يسوع بجسده الى السماء وكثيرون شاهدونه صاعدا

٣٠ ولسوف يأتي يسوع الى الأرض في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر أيضا وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء

٣١ ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير

٣٢ ويقولون عن يسوع المسيح انه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي

٣٣ يسوع الألف والياء والوسط وآخر كل شيء

٣٤ لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض وينصر الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه الها

٣٥ كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ

٣٦ وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج . وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابني الحبيب الذي سررت له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا

٣٧ كان يسوع خير الناس خلقا وخلقا وعلم باخلاص وغيرة وهو الطاهر العفيف مكمل الانسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت

كرشنة	يسوع المسيح
٣٨ كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سرّ من أسراره العجيبة الالهية	٣٨ يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سرّ من أسراره العظيمة الالهية
٣٩ كرشنة الاقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته	٣٩ يسوع المسيح الاقنوم الثانى من الثالوث المقدّس عند النصارى
٤٠ وأمر كرشنة كل من يطلب الايمان باخلاص أن يترك أملاكه وكافة مايشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب الى مكان خال من الناس ويجعل تصوّره فى الله فقط	٤٠ وأمر يسوع كل من يطلب الايمان باخلاص أن يفعل كما يأتى (وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصلّ الى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية)
٤١ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا انه مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قرّبت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة الصالحة فليكن جميعه باخلاص لى أنا الحكيم والعليم ليس لى ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ	٤١ فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيأ فافعلوا كل شئ لمجد الله
٤٢ قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات فىّ كانت وفىّ تحلّ وعلىّ جميع مافى الكون يتكل وفىّ يتعلق كاللؤلؤ المنظوم فى خيط	٤٢ من يسوع وفى يسوع وليسوع كل شئ (كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان)
٤٣ وقال كرشنة (أنا النور الكائن فى الشمس والقمر وأنا النور الكائن فى اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس فىّ ظلمة)	٤٣ ثم كلمهم يسوع قائلا (أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة)
٤٤ قال كرشنة (أنا الحافظ للعالم وربه وملجئه وطريقه	٤٤ قال له يسوع (أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتى الى الآب إلا بى)
٤٥ وقال كرشنة (أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدى وخالق كل شئ وأنا فناؤه ومهلكه)	٤٥ وقال يسوع (أنا هو الأوّل والآخر ولى مفاتيح الهاوية والموت)
٤٦ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب (لاتحزن يا ارجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط ثق بى وتوكل علىّ واعبدنى واسجد لى ولا تتصوّر أحدا سواى لأنك هكذا تأتى الىّ الى المسكن العظيم الذى لاحاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما منى	٤٦ وقال يسوع للمفلوج ثق يابنى مغفورة لك خطاياك . يابنى أعطنى قلبك . والمدينة لاتحتاج الى شمس ولا الى قمر ليضيئا فيها الخروف سراجها

هذا شئ قليل من كثير اكتفينا به حبا بالاختصار

﴿ مقابلة النص الصريح بين بوظا ويسوع المسيح ﴾

(وهو مقابلة مايقوله الهنود الوثنيون عن بوظا بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح)

أقوال الهنود الوثنيين في بوظا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله
١ ولد بوظا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل	١ ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل
٢ كان تجسد بوظا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	٢ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم
٣ لما نزل بوظا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوظا فيه كزهرة جميلة	٣ لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة
٤ وقد دل على ولادة بوظا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه (نجم المسيح)	٤ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق * قال دوان ومن الواجب أن يدعى (نجم المسيح)
٥ ولد بوظا ابن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في (٢٥ كانون الأول)	٥ ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول
٦ لما ولد بوظا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد الحمد للمولود المبارك قائلين (ولد اليوم بوظا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب بصرا للعمى	٦ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين (المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة)
٧ وعرف الحكماء بوظا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إله الآلهة	٧ وقد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه (إله الآلهة)
٨ وأهدوا بوظا وهو طفل هدايا من جوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة	٨ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر
٩ لما كان بوظا طفلا قال لأمه مايا انه أعظم الناس جميعا	٩ لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله)
١٠ كان بوظا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بمبسارا وراء قتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده ان بقي حيا	١٠ كان يسوع ولدا مخيفا سعى الملك هيرودس ورأى قتله كي لا ينزع الملك من يده
١١ لما أرسل بوظا الى المدرسة وهو ولد أدهش الأساتذة مع انه لم يدرس من قبل وفاق الجميع في الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة	١١ لما أرسل يسوع الى المدرسة أدهش استاذه ذاخيوس وقال لأبيه يوسف (لقد أتيتني بولد لا أعلمه مع انه أعلم من كل معلم)

بوظا	يسوع المسيح
١٢ لما صار عمر بوظا اثنتى عشرة سنة دخل أحد الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه	١٢ لما صار عمر يسوع اثنتى عشرة سنة جاؤا به الى (الهيكل) أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع
١٣ ودخل بوظا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجودا له	١٣ وكان يسوع مارا قرب حاملى الأعلام فأحنت الأعلام رؤسها سجودا له
١٤ ويصلون نسب كوتاما بوظا من أبيه (صدودانا) فى أناس كلهم من سلالة ملوكانية الى ماها سماطا وهو على زعمهم أول ملك صار فى الدنيا والحوادث والأنساب المذكورة فى كتاب (بيورانا) البرهمى توجد فى أنسابه غير انه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخى البوظية أدخلوا فيها أسماء قبائل واخترعوا أسماء تمكنهم من اعلاء نسب حكيمهم عدا عن اعتبارهم اياه الها	١٤ ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف فى أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية الى آدم أبى البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة فى سلالته مذكورة فى التوراة كتاب اليهود وليس بالامكان تحقيق حكاياتهم مع بعضها بعضا ويظهر لنا أن المؤرخين النصارى قد اخترعوا أسماء قصد اعلاء نسب حكيمهم علاوة على قولهم بألوهيته
١٥ لما عزم بوظا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه ـ مارا ـ (أى الشيطان) كى يجربه	١٥ لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كى يجربه
١٦ وقال مارا (أى الشيطان) لبوظا لا تسرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا	١٦ وقال (أى ابليس) له (أى ليسوع) أعطيك هذه (أى الدنيا) جميعها ان خررت وسجدت لى
١٧ فلم يعبأ بوظا بكلام الشيطان بل قال له (اذهب عنى)	١٧ فأجابه يسوع وقال اذهب ياشيطان
١٨ ولما ترك مارا (أى الشيطان) تجربة بوظا أمطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه	١٨ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه
١٩ وصام بوظا وقتا طويلا	١٩ وصام يسوع وقتا طويلا
٢٠ وقد عمد بوظا المخلص وحين عماده بالماء كان روح الله حاضرا وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل وروح القدس الذى فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا	٢٠ ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل والروح القدس الذى فيه تم جسده عند ما حل على العذراء مريم فهو الآب والابن والروح القدس
٢١ ولما كان بوظا على الأرض فى أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل (بندافا) أى الأصفر المبيض فى (سيلان) ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل اكليل ويقولون ان	٢١ لما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت

بوظا	يسوع المسيح
جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحوّل الى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبدّل فى هيئته قالوا ماهذا بشرا . إن هو إلا اله عظيم	ثيابه بيضاء كالنور
٢٢ وعمل بوظا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوّره	٢٢ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكر أعظم العجائب مما يمكن تصوّره
٢٣ وفى صلاتهم لبوظا يأمل المؤمنون به دخول الفردوس	٢٣ وفى صلاتهم ليسوع يأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس
٢٤ لما مات بوظا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوّة غير طبيعية أى بقوّة الهية	٢٤ لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوّة غير اعتيادية أى بقوّة الهية
٢٥ وصعد بوظا الى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض	٢٥ وصعد يسوع بجسده الى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله على الأرض
٢٦ ولسوف يأتى بوظا مرة ثانية الى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها	٢٦ ولسوف يأتى يسوع مرّة ثانية الى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها
٢٧ وسيدين بوظا الأموات	٢٧ وسيدين يسوع الأموات
٢٨ بوظا الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلى	٢٨ يسوع الألف والياء ليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأبدى
٢٩ قال بوظا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا علىّ ليخلص العالم من الخطيئة	٢٩ يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عوضا عن الذين اقترفوها ويخلص العالم
٣٠ قال بوظا اخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية	٣٠ قال يسوع اخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية
٣١ ويصفون بوظا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرّير مارا (ويدعونه أيضا الحية) ذات مظلمة غير طبيعية	٣١ ويصفون يسوع انه ذات من نور غير طبيعية شمس برّ وعدوّه الشيطان الحية القديمة
٣٢ وفى أحد الأيام التقى (أناندا) تلميذ بوظا وهو سائر فى البلاد بالمرأة (متا . ى) وهى من سبط (الكندلاس) المرذولين قرب بئر ماء فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وانه لايجوز له أن تقترب منه لأنها من سبط محتقر فقال لها يا أختى انى لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك انما سألتك شربة ماء فصارت من ذلك	٣٢ وفى أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ماسار مسافة حتى كاد ينهكه التعب وبينما هو قاعد قرب البئر عند مدينة (السامرة) أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر . فقال لها يسوع اسقينى شربة ماء . فقالت له المرأة السامرية أنت يهودى وكيف تطلب منى شربة ماء فان اليهود لايستحلون معاملة السامريين

بوظا

الحين تلميذة بوظية

٣٣ قال بوظا انه لم يأت لينقض الناموس . كلا . بل أتى ليكمله وقد سرّه عدّ نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء

٣٤ وبحسب تعليم بوظا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى

٣٥ وفي أوائل أيام بوظا التي علم وبشر فيها ذهب الى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندنيا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له ومن ذلك الحين صار أينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه

٣٦ وقال بوظا للذين صاروا تلامذة له كي يتركوا الدنيا وغناهم وينذرون عيشة الفقر والفاقة

٣٧ وجاء في كتب البوظية القانونية المقدّسة أن الجوع طلبوا من بوظا آية كي يؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام بوظا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التي ستقع قال لتلميذه (اناندا) ما يأتي (يا اناندا متى أنا ذهبت لا تظن أنه لم يعد لبوظا وجوده كلا فالكلام الذي قلته والفرائض التي افترضتها تكون خلفاً عني وهي لك كذاتي أنا

٣٩ وجاء في التعاليم البوظية بأن انفاق الانسان لماله من أعظم الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه بمن يهب روحه لأن النفس تبخل بالمال وتتمسك به واما هو فقد وهب ونذر حياته شفقة وحنوا لخير الناس فلماذا تتمسك بغناء الدنيا الزهيد . ولما تخلص بوظا من حب المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الالهية وصار الرأس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر للذات الدنيا الخير مع كل أحد حتى تندم نفسه فداء عن الغير عندها يصل الى المعرفة الحقيقية

٤٠ وكان قصد بوظا تشييد مملكة دينية أي مملكة سماوية

٤١ وقال بوظا (الآن أحببت ادارة دولاب

يسوع المسيح

٣٣ وقال يسوع (لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل)

٣٤ قال يسوع (أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم)

٣٥ وفي أوائل أيام يسوع التي علم وبشر فيها ذهب الى مدينة (كفرناحوم) وعلم فيها فتبعه بذلك الحين أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويؤمنون به

٣٦ وقال يسوع للذين صاروا تلاميذ له كي يتركوا غناهم وينذرون عيشة الفقر والفاقة

٣٧ وجاء في كتب النصارى الدينية المقدّسة أن الجوع طلبوا من يسوع علامة (أي آية) ليؤمنوا به

٣٨ لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض أخبر عن الحوادث التي ستقع من بعده وقال لتلاميذه (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر)

٣٩ واذا واحد تقدّم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية . قال له يسوع ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون

٤٠ ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات

٤١ من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ

بوظا	يسوع المسيح
الشريعة العظيم ومن أجل هذا فانى ذاهب الى مدينة (بينارس) لأهب نورا للتائهين فى الظلام وأفتح باب الحياة للانسانية	يسوع بتأسيس مملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب الى مدينة (كفرناحوم) ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا عظيما والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور
٤٢ وقال بوظا لتلميذه الحبيب (أناندا) يا أناندا ان كلامى حق لاريب فيه فلايزول قطعيا ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعا	٤٢ الناموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا . الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامى لايزول
٤٣ قال بوظا (لايوجد شئ أعظم فعلا فى الانسان من الاشتهاء والهوى الشهوانى ولحسن الحظ والسعادة لايوجد سوى اشتهاء شهوانى واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن واذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم	٤٣ وقال يسوع (قد سمعتم انه قيل للقدماء لاتزن . وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه
٤٤ وقال بوظا (الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنا	٤٤ فحسن للرجل أن لايمس امرأة ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق
٤٥ ومن جملة التعاليم البوظية قولهم (اذا أصاب الانسان حزن وآلام وبؤس وقنوط فان ذلك يدل على أنه ارتكب آثاما وهذه الآلام جزاء عليها . واذا لم يكن ارتكب شيأ من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لابد وأن يكون قد ارتكبه فى أحد الأدوار السابقة من ظهوره (أى فى أحد أدوار تقمصه)	٤٥ وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يامعلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى)
٤٦ كان بوظا يعلم أفكار الناس عند مايدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها	٤٦ كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وانه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها
٤٧ وجاء فى كتاب الصوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوظيين انه قلع عينه	٤٧ قال يسوع (فان كانت عينك اليمين تعثرك فاقلعها والقها عنك)

يسوع المسيح	بوظا
	ورماها لأنها أشككته
٤٨ لما كان يسوع داخلا الى أورشليم راكبا على حمار فرشت الجموع الطريق بأغصان النخيل . اه	٤٨ لما عزم بوظا على التنسك كان راكبا جوادا يدعى (كنتاكو) ففرشت الملائكة طريقه بالزهر . اه

﴿ تم بحمد الله الجزء الثالث من تفسير الجواهر ﴾

(ويليه الجزء الرابع أوله تفسير سورة الأنعام)

الخطأ والصواب

علينا التصحيح ففاتنا سقط يخل بالمعنى وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه . وهذا جدول بما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	س	خطأ	صواب
١٢	٨	تعداد	تعدد
٢٦	١٦	عليه اذا قبل توبته	
٢٧	١١	بموتها	بموته
٢٨	٤	أن يتركوا القراءة	أن يكتفوا بالقرآن
٣٠	١٧	وعزوه	وعروه
٣٠	١٨	زواج	أزواج
٣٢	١٢	أواعلم	واعلم
٣٧	٢٩	تينهما	بينهما
٤٢	٦	الا الله	الله إلا
٤٥	٤	ثلاث	ثلاثة
٤٥	٢١	أو يعلو	أو يعلوا
٤٧	١١	رلالا	رجالا
٤٩	٨	فى ازاله	ازاله
٥٢	١٣	فلعل	مافعل
٥٧	٤	وتلنا	وقلتنا
٦٤	٢١	(وحرض المؤمنين على القتال عسى	(وحرض المؤمنين) على القتال
٦٨	١٢	وتتم صلاتها	ويتم صلاته
٦٨	١٤	فليفعل بهم الى قوله كما تقدم	فليصفهم صفين ويحرم بهم جميعا فاذا سجد سجد معه أحد الصفين ووقف الصف الآخر يحرسهم فاذا رفع سجدوا ولحقوه وتشهد الامام بالصفين
٦٨	٢١	وزياد	وابن زياد
٧٠	١١	لصوره	الصوره
٧٠	١٦	اسيارطه	اسبارطه
٨١	٢٥	أحد	أحدا
٨٦	٢٥	يفتيكم	يفتيكم فيهن
٩٨	٢٤	يفعلون	يغلفون

صحيفة	س	خطأ	صواب
١٠٠	٧	الذين	الدين
١٠٣	١٠	فقتلوه	فقبلوه
١٠٤	١٣	حتى	حين
١٠٥	١٢	مالاعمل	مالاعمل له
١١٤	١٧	سرع	أسرع
١١٩	٨	الرؤس	الرؤى
١١٩	١٣	بيان الطهر والصيرة	بيان البحيرة
١٢٨	١١	وجريت	وجربت
١٢٨	١٦	مالايأكل	من لايأكل
١٢٨	١٨	مايأكل	من يأكل
١٣٢	٤	وآكله	واكله
١٣٦	٢٦	حين كونه	حال كونه
١٤٠	٣١	تقول	يقول
١٤١	١٣	الكبرياء	الكبرياء
١٥١	١٩	لابناءنا	لأبنائنا
١٥٢	١٤	وكم	وكأين
١٥٧	٣١	مضار	فصار
١٥٨	١٢	للأمر	للأئمه
١٦٠	٣٣	الغرباتية	القرابية
١٦٢	٢٢	الهواء	الماء
١٧٦	١١	فقال	قال
١٩١	١٦	ولاتضعوها	ولاتضعونها
١٩٤	٨	أن ينزل	ينزل
١٩٥	٣٥	وانفسها	
١٩٦	١٥	والاسى	وللاس
١٩٦	٢٣	والاسى	وللاس
١٩٦	٣٠	تنطق	تنطلق
١٩٧	١٥	عمل	عجل
٢٠٣	٢٣	نعم	نعم حكايات
٢٠٣	٢٣	من ٢٠	منذ ٢٠
٢٠٨	٣	تشاهدونه	يشاهدونه
٢٠٨	٢٤	وجه	وجهه

﴿ فهرست الجزء الثالث من تفسير الجواهر ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)